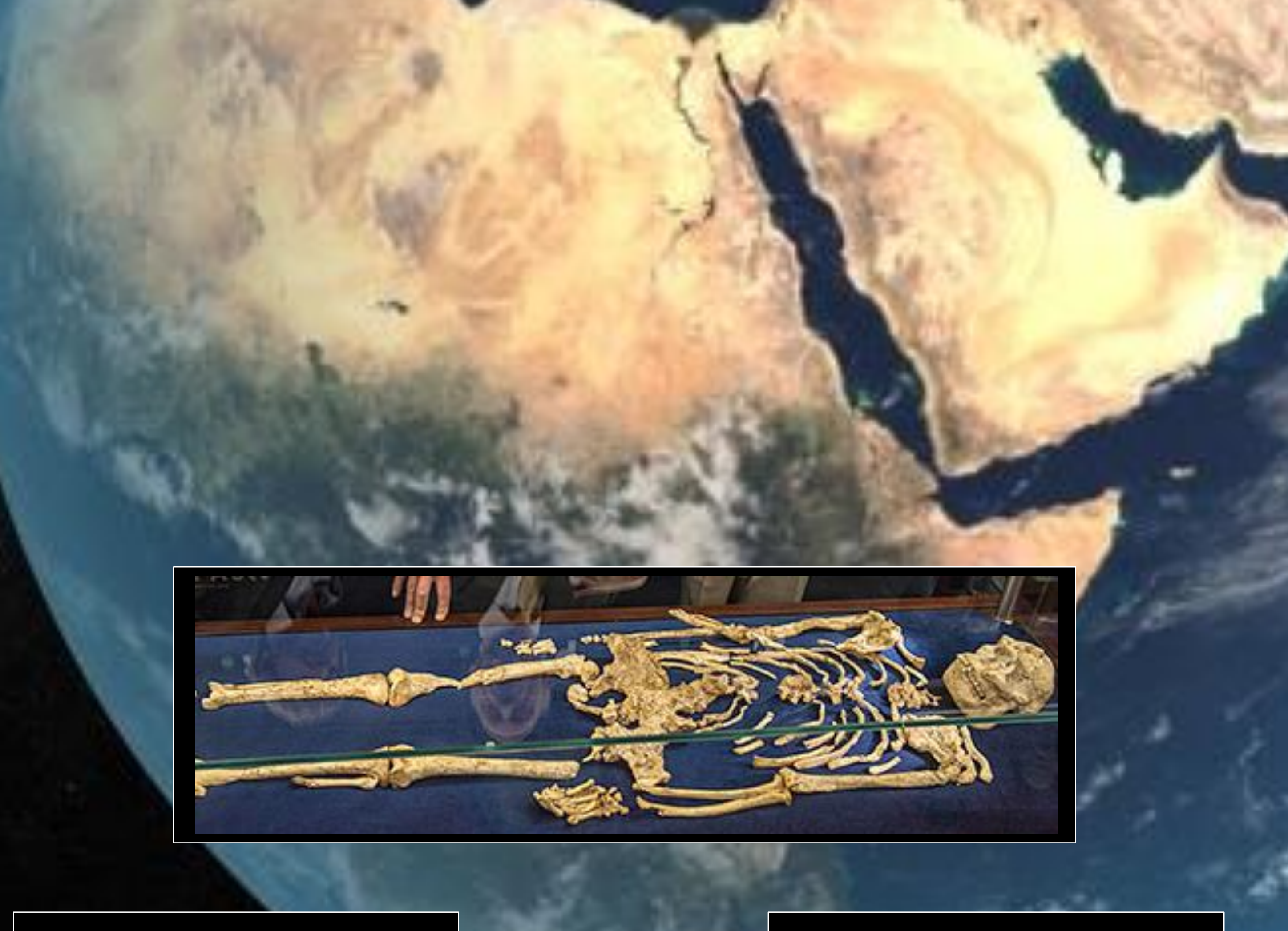
هل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام؟

بين الإسلام و الأديان السّماوية و العِلْم



دار علم الحكمة

أمين رياض لعريبي

دار علم الحكمة

عنوان الكتاب: هل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام ؟ – بين الإسلام والأديان السماوية والعلم –

البلد: الجزائر

الطبعة: طبعة ثانية 1442هـ–2020م، الجزائر العاصمة

لإرسال تعليقاتكم: البريد الإلكتروني:
aminee206@gmail.com

ردمك: 978-9947-35-117-8

العنوان: حي 18 مسكن "للمعلمين" عمارة ب رقم 07 سحاولة الجزائر العاصمة

رقم الهاتف: 213.21.35.32.03

هل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

بين

الإسلام والأديان السماوية والعِلْم

تأليف: أمين رياض لعريـبـي

مراجعة لغوية: الأستاذ عمر عريب وغيره


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، الذي أنزل القرآن الكريم تِبيَانًا لكل شيء، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم الذي ختم به النُّبوة والدين، والذي لم يترك لنا شيئا إلا وذكر لنا منه علماً مُبين، أما بعد:

لقد ظهر الجدال في إمكانية وجود بشر قبل آدم عليه السلام، وذلك لظهور إشكالات، أهمها نكاح المحارم المترتب على كون آدم عليه السلام وزوجه حواء عليها السلام، كانا أول زوج بشري وحيد على وجه الأرض، إذ يستلزم من ذلك أننا أبناء محارم، كون لن يجد أبناء آدم عليه السلام إلا أن ينكحوا أخواتهم، كي يستمر النسل.

وقد زاد هذا الإشكال في إمكانية وجود بشر قبل آدم عليه السلام لا سيما في العصر الحديث بعدما ظهرت إشكالات أخرى، وبخاصة بعد تطوّر العلم الحديث، واكتشاف آثار لأناس كثيرين عاشوا في الأرض بمئات آلاف السنين بل أكثر من مليوني سنة، قبل الفترة التقريبية التي قُدِّرَت لأبينا آدم عليه السلام، والتي هي حوالي سبعة آلاف سنة من الآن.[1] وإن قال أحد إن هذا الرقم من زمن آدم عليه السلام هو ليس من

[1]– انظر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، مكتبة العبيكان، ط السادسة، الرياض، 1426ه، ص 50. وسيأتي إن شاء الله البحث في هذا التاريخ بتفصيل.

وينقل ابن عاشور في تفسيره: " وَقَدْ جَاءَ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ مِنْ كِتَابِ الْعَهْدِ عِنْدَ الْيَهُودِ مَا يَقْتَضِي: أَنَّ آدَمَ وُجِدَ عَلَى الْأَرْضِ فِي وَقْتٍ يُوَافِقُ سَنَةَ 3942 اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ آلَافٍ قَبْلَ مِيلَادِ عِيسَى وَأَنَّهُ عَاشَ تِسْعَمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَكُونُ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ 3012 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثَةِ آلَافٍ قَبْلَ مِيلَادِ عِيسَى هَذَا مَا تَقَبَّلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِضَبْطِ السِّنِينَ. " (محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 230/3). وحتى ولو ذهبنا تنزلاً وزدنا في زمن آدم عليه السلام فإنه من الصعب أن يتجاوز العشرة آلاف سنة، بينما قد وجدت هياكل عظمية لأنسان لا تعد بمئات الآلاف من السنين بل بعضها يفوق المليون سنة. وسيأتي بإذن الله بعض الكلام في ذلك، والله أعلم.

الكتاب أو السنة، فالجواب أنّه يوجد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد يُقرِّبناَ من هذا القول، أو على الأقل يَدُلُّنا أن الزمن الذي مَضَى على آدم عليه السلام هو حوالي بضعة آلاف من السنين فقط، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ": (كان بين آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ، وبين نوحٍ وإبراهيم عشرةُ قرونٍ).[1] ويمكن بعد هذا الحديث أن نحسب الزمن بين النّبيين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم بالرجوع إلى بعض الآثار، مثل ما رواه الطبري في تاريخه وابن سعد في الطبقات الكبرى: " عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالُوا: كَانَ بَيْنَ آدَمَ ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، وَالْقَرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ." [2] ويقول بن حجر العسقلاني: "وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ النَّقْلِ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الْيَهُودِ إِلَى بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَمُدَّةَ النَّصَارَى مِنْ ذَلِكَ سِتُّمِائَةٍ".[3] وهذا ما يجعل زمن آدم عليه السلام من الستة آلاف إلى السبعة آلاف سنة من الآن – وهنالك آثار أخرى مصدرها الصحابة والتابّعون تقترب من هذا القول كذلك

---

[1] – أخرجه الحاكم (2/262) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (8/145-139)، وصَحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى، الرياض، رقم 3289، 7/852. وروى الطبراني أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال:"نعم، مُعلَّمٌ مُكلَّمٌ ". قال: كم بينه وبين نوح ؟ قال:" عشرة قرون ".قال: كم كان بين نوح وإبراهيم ؟ قال:" عشرة قرون ". قالوا: يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال: "ثلاث مئة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً".) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (1/24/2/398 ترقيم الألباني)، قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم "، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي:"رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح؛ غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة". وكذلك صححه الألباني في سلسلة الصحيحة، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 7/852.

[2]– رواه الطبري في تاريخه، 2/235، ابن سعد الطبقات الكبرى 1/44.

[3]– ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379ه، 4/449.

سأفصل فيها شيء من الكلام بإذن الله في محلِّها -.[1] ويمكن كذلك زيادة التأكد من هذا الزمن من جهات أخرى كإحصاء سلسلة نسب النبي صلى الله عليه وسلم من الآباء التي بينه وبين أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكل هذا ما يجعل من المدة الزمنية التي بيننا وبين آدم عليه السلام لا تختلف كثيرا عن العدد الزمني الذي ذكرناه سابقا.

وهذا ما دعا إلى طرح جملة الأسئلة: هل هذا القول بوجود بشر قبل آدم عليه السلام يتوافق مع النصوص الإسلامية ؟ وما هو وجه الجمع بينهما إن كان هذا الأمر صحيحا ؟ بل هل يوجد في آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يُشير إلى وجود بشر قبل آدم عليه السلام ؟ هل حقيقة البشرية أتت من زواج المحارم بين الإخوة وأخواتهم من أبناء آدم عليه السلام ؟ وهل يوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية أدِلَّة تُثْبِت أو تنفي ذلك ؟ وما هو مذهب الأديان السماوية في وجود أناس قبل آدم عليه السلام ؟ وهل يتناقض ما يُقال أنه اكتشاف علمي مع الأديان الإبراهيمية أم يتوافق معها ؟ وهل يوجد اتفاق أو تقارب بين النصوص الإسلامية وما تبقى من بعض نصوص الأديان التي أصلها أديان سماوية في هذه المسألة ؟ وهل البشرية من أبوين

---

[1] - من أهمها: " قَالَ ابْن عَبَّاس: وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ ".رواه الحاكم في مستدركه، 654/2، وانظر: السيوطي في الدرر المنثور، تحقيق عبد المحسن التركي، ط أولى، مركز هجر، القاهرة، 1424هـ-2003م، 138/5. ولمزيد أمانة ودقة في البحث قد رُوِيَ حديث آخر عن بن عباس يقول فيه: " كَانَ بَيْنَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَعِيسَى بن مريم الف سنه وتسعمائة سَنَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَتْرَةٌ، وَإِنَّهُ أُرْسِلَ بَيْنَهُمَا أَلْفُ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سِوَى مَنْ أُرْسِلَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ بَيْنَ مِيلادِ عيسى والنبي خمسمائة وَتِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةٍ ". رواه الطبري في تاريخه، 236/2. "وعَن قَتَادَة قَالَ: كَانَ بَين آدم ونوح ألف سنة وَبَين نوح وَإِبْرَاهِيم ألف سنة وَبَين إِبْرَاهِيم ومُوسَى ألف سنة وَبَين مُوسَى وَعِيسَى أَرْبَعمِائَة سنة وَبَين عِيسَى وَمُحَمّد سِتّمائَة سنة ". رواه السيوطي، الدرر المنثور، 138/5. وسنحسب هذه التواريخ وأخرى في محلّها إن شاء الله تعالى.

وحيدين أم من آباء متعددة ؟ فهل حقيقةً كان هنالك بشرٌ في الأرض قبل آدم عليه السلام؟

وتكمن أيضا أهمية هذا الموضوع في حقيقة وجود بشر قبل آدم عليه السلام أنّه قد يُشكل شُبْهة قد تُستغل للطعن في الأديان الإبراهيمية، لا سيما وأن أكثر أتباع الأديان الثلاثة، الإسلام واليهودية والنصرانية، وعلمائهم وأحبارهم يُعدُّون أنّ آدم عليه السلام هو أب كل الناس على وجه الكرة الأرضية قديما وحديثا، بل يمكن القول أنّ هذا الموضوع قد شكّل شبهة عند أصحاب الفكر الإلحادي للطعن في الأديان السماوية والترويج إلى فِكْرِهم المزعوم. لذلك كان من الأهمية الكبرى البحث في هذه المسألة ورد هذه الشبهة، ودراسة حقيقة ما تُقَرِّرُه النُّصوص الإسلامية في هذا الأمر، لا سيما ونحن المسلمون مُطالبون بالرّدِ على كل شُبهة يمكن أن تُشكِّل خطرا أو إشكالا ضد ثوابت الإسلام، الدين التوحيدي السليم الوحيد الذي بقي دون تحريف، وبخاصة أن كتابه القرآن الكريم قد بيَّن الله فيه كل شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئا إلا ذكر لنا منه علما، فهلاَّ بحثنا عن الإجابة على ذلك في كتاب رَبِّنَا وسُنّة نبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم.

فلذلك كان من الأَجْدر أن يُبْحَثَ في هذا الموضوع بِدِقّة وموضوعية، ويُتفَكَّر في الوحي بِعَدْل وتَجرُّد، وتُسْتَقْرَأ النُّصُوص بإنصاف، ويُنْظر في الأدلة العلمية بتمعّن، وبخاصة أنه قد ظهر في العصر الحديث رأي جديد في بعض أوساط الأديان الثلاثة، منهم مِنْ المسلمين مِن علماء الشريعة وبعض العلماء والباحثين الآخرين في مجالات أخرى – كعلماء الإنسانيات –، الذين أَجَازُوا أو أَثْبَتُوا بِنُصُوص الكتاب والسُنّة وجُودَ بَشر قَبْل آدم عليه السلام، أخصّ بذكر البعض منهم، كالمُجَدّد محمد عبده، والعالم والمُفَسِّر رشيد رضا، والشيخ الشعراوي، والدكتور والمفكر المصري عبد الصبور شاهين، والباحث صافي حمدون – أفنى سنين طويلة في البحث في وجود بشر قبل آدم عليه السلام –، حتى وإنّ هذا القول قد نَقَله الشيخ العالم ابن باز على سبيل القِيْل في استدلاله بإحدى آيات القرآن الكريم في إحدى فتاويه عن هذا السؤال: هل خلق الله الإنسان قبل آدم عليه السلام ؟. هذا وقد نقل الشيخ العالم الفقيه ابن عثيمين أنه كان

هنالك مخلوقات أو قوم أفسدوا في الأرض قبل بني آدم، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وأمّا من ناحية غير المسلمين فقد ظهرت في العصور الحديثة طائفة من أهل الكتاب وبخاصة من بعض اليهود تُثبت وجود بشر قبل آدم عليه السلام، وقد ظهر هذا الموضوع تحت مسمى "ما قبل الآدميين"، بالإنجليزية "pre-adamiTe" وبالفرنسية "préadamisme ".

أهداف وأهمية البحث:

- الرد على الشبهة المثارة ضد الإسلام في حقيقة آدم عليه السلام وهل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام ؟ وهل هو أب لكل البشر في كل زمان ومكان؟

- إثبات إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية في خلق الناس.

- البحث في أصول البشر وكيف خلقهم الله ومتى أوجدهم في الأرض.

- معرفة هل هنالك آيات وأحاديث تُجيز وجود بشر قبل آدم عليه السلام أو تدلّ على ذلك.

- الرد على التيارات المادية والإلحادية التي تحاول التشكيك في قصة آدم وحواء عليهما السلام باستدلالهم على وجود بشر أقدمين قبل آدم عليه السلام، وإثبات أنّ هذه الحجَّة مع القرآن الكريم وليست عليه. وسد باب هذه الشبهة التي يستعملها عدد من الملاحدة واللادينيين كثيرا ضد الإسلام والدين عموما والخلقيين.

- البحث في كيفية خلق الإنسان القديم، ودراسة بعض الفرضيات في ذلك.

- البحث في تصوُّر العلم الحديث للإنسان القديم.

- التفريق بين ما هو من الوحي الصحيح وما هو من اعتقاد وأخبار بني إسرائيل في آدم وحواء عليهما السلام.

- البحث في هل النظرية التطورية تناقض الإسلام ؟ وحكم من يعتقدها ؟

- فهم نصوص الكتاب والسنة على حقيقتها في آدم وزوجه عليهما السلام وهل هما أبوان لكل الناس في كل زمان ومكان.

– البحث عن الحقيقة في قصة بدأ خلق آدم عليه السلام والبشر عموما، وما هي الأمور التي هي قابلة للاجتهاد.

– فصل بعض التَّصَوُرات الخاطئة لقصة آدم مع حواء عليهما السلام، والتي ضيقت المعنى الواسع لنصوص الوحي، لتمنع فكرة وجود بشر قبلهما، وهذا نتيجة دخول بعض الأفكار من الإسرائيليات في هذا الأمر، وقد نقلها بعض قُدماء المفسرين المُجْهدين رحمهم الله تعالى.

– إثبات أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية لا يتعارضان مع وجود أناس في الأرض قبل آدم وحواء عليهما السلام.

– إبراز حقيقة أن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يتعارضان مع العلم الحديث الذي يثبت باكتشافاته وجود بشر منذ مئات الآلاف من السنين، بل بعضهم يفوق مليوني سنة بكثير.

– البحث في مسألة هل القرآن الكريم سبق العلم الحديث بالإشارة إلى وجود مخلوقات عاقلة أو بشر قبل من آدم عليه السلام ؟

– يكفي البحث أهمية كونه يبحث في تفاصيل عقيدة مُهِمَّة أثبتها الله في القرآن الكريم؛ وهي قصّة خلق آدم وإنزاله مع زوجه عليهما السلام إلى الأرض.

الفصل الأول:

موقف الإسلام

من وجود إنسان قبل آدم عليه السلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: هل يثبت القرآن الكريم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟:

المطلب الثاني: هل يثبت حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟:

المطلب الثالث: نتيجة حول الفصل الأول: موقف الإسلام من وجود إنسان قبل آدم عليه السلام:

الفصل الأول: موقف الإسلام

من وجود إنسان قبل آدم عليه السلام

لا شك أنه يوجد مصدران للدين الإسلامي لا ثالث لهما، فهما الفصل والعمدة، والمرجع الذي لا يوجد بديل من غيرهما في كل الدين، إنه القرآن الكريم كلام رب العالمين، الذي كله عجبٌ وإعجاز، ثم سنة النبي الأمين، التي هي خادمةٌ ومُفصلّة له، وهما العمدة، والله تعالى يقول: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل89)، ويقول: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر7).

المطلب الأول: هل يثبت القرآن الكريم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟:

دليل: القرآن والسُّنّة لا ينفيان وجود أُناس آخرين في الأرض قبل آدم عليه السلام:

لا يوجد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة أي نفي لإمكان وجود أُناس آخرين في الخليقة أو الأرض قبل آدم عليه السلام.

دليل: الله تعالى في كل القرآن الكريم لم يقل أبدا أنّ آدم هو أول كائن عاقل أو أوّل إنسان سكن كل الكرة الأرضية، أو أنّه أبُ كل الناس الأولين والآخرين:

لا يوجد أي إثبات في القرآن الكريم أن آدم عليه السلام هو أول كائن عاقل سكن كل الكرة الأرضية، والذي يدّعي عكس ذلك فليأتي بالبرهان. ولا يوجد أي آية تقول أن آدم عليه السلام هو أب كل الناس، آما الآية الأولى من سورة النساء فهي لا تدل على ذلك، بل تدُلُّ على عكس ذلك كما سيأتي إن شاء الله بعد قليل تفسيرها.

دليل: الله تعالى نسب الأُبُوَّة لآدم عليه السلام على أبنائه فقط دون سائر الناس:

قال الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) (الأعراف 27)، فلو كان آدم وحواء أبوين لكل الناس، لكان من المحتمل أن يقول الله تعالى مثلا: يا أيها الناس لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة. فحتى إن كان هذا ليس دليلا صريحا، إلا أنّ الآية لا تجعل أنّ كل الناس يرجعون إلى آدم عليه السلام.

دليل: الله تعالى خلق مخلوقات مُساوية أو أفضل من بني آدم، من غير الممتنع أنّ بعضهم سكن الأرض:

هنالك آيات تدلّ على أن الله خلق مخلوقات لا نعرفها، وخلق مخلوقات مساوية أو أفضل من الإنسان، دون أن يحصرَها في مكان معين، فقد يكون خُلق بعضها في الأرض، قال الله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (النحل 8)، فكل من المخوقات المعينة في هذه الآية خلقها الله في الأرض، أي الخيل والحمير والبغال، فمن المحتمل أيضا أن المخلوقات التي لم يعينها في الآية خلق بعضها في الأرض، فَــهَلْ يَا تُرى أنّ كل هذه المخلوقات التي خلقها الله تعالى ولا نعلمُها لا يـوجد فــيها من كان منها عاقلا وشبيها بابن آدم ؟ وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء70)، فانتبه أيها القارئ جيدا إلى قوله سبحانه (وفضلناهم على كثيرٍ) ولم يقل (وفضلناهم على كُلِّ ما خلقنا)، يقول المفسّر طاهر ابن عاشور في هذه الآية: " وَلَا شَكَّ أَنَّ إِقْحَامَ لَفْظِ كَثِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا مُرَاد مِنْهُ التَّقْيِيد وَالِاحْتِرَازُ وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي لَا غُرُورَ فِيهِ، فَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ ثَمَّ مَخْلُوقَاتٍ غَيْرَ مُفَضَّلٍ عَلَيْهَا بَنُو آدَمَ تَكُونُ مُسَاوِيَةً أَوْ أَفْضَلَ إِجْمَالًا أَوْ تَفْصِيلاً ..."،[1] فلو كان بنوا آدم

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 15/166.

مفـضلين على كل من خلق الله لقال سبحانه: (وفضلناهم على من خلقنا تفضيلا) أو (لفضلناهم على كل من خلقنا تفـضيلا)، فإذا ثمة مخلوقات مساوية لابن آدم أو أفضل منه، وهنالك أمُمٌ غير مفضلٍ عليها بنو آدم، ولاشك أن العقل والتكليف من أسباب التفضيل، فما هو المانع إذن إن سكنت هذه المخلوقات أو جزء منها الأرض؟

دليل: القرآن الكريم يُشير أنّ آدم (خَلِيْفَة) اسْتَخْلَفَ مَخلُوقًا أو أكثر في الأرض قد يكون من جنسه أو قريبا منه، ويتولى آدم بِنُبُوَّته تبليغ الرسالة إلى قوم والولاية والحكم عليهم، والملائكة تَقِيس سفك الدماء الذي سيكون من بني آدم في الأرض بمخلوق أو مخلوقات أخرى قبله سفكت الدماء، قد تكون مثله أو تُشبهه:

هنالك في القرآن الكريم إشارات إلى وجود مخلوقات قبل آدم عليه السلام وبنيه، قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة 30)

والخليفة قيل أنه آدم عليه السلام، يقول القرطبي في تفسير الآية: " وَالْمَعْنِيُّ بِالْخَلِيفَةِ هُنَا- فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ- آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي إِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انبئا كَانَ مُرْسَلاً؟ قَالَ: (نَعَمْ) الْحَدِيثَ[1] "،[2] ومن أهل التفسير من يرى أنه يدخل في الخليفة من ذلك الجنس، أي ليس آدم فقط لوحده، إذ يقول ابن كثير

[1]- رواه ابن حبان (361) والطبراني في "الكبير" (1651) وفي "المكارم" (1) والآجري في "الأربعين" (40) وأبو الشيخ في "العظمة" (259) وأبو نعيم في "الحلية" (1/ 18 و 166 - 168)، وقد حكم ابن حبان بصحّة هذا الحديث، وأورده في صحيحه.

[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط الثانية، القاهرة، 1384ه-1964ه، 1/263.

في تفسيره: " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ آدَمَ عَيْنًا إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ مِنْ هَذا الْجِنْسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ".[1]

وهنا كلمة (خليفة) فيها أمران:

الأمر الأول: وهو استخلاف آدم وبنيه لشيء كان في الأرض:

وعلى حد القولين السابقين فإن آدم أو آدم وذريته عليه السلام (هذا الجنس) سيخلفون شيئا في الأرض، فإن الخليفة هو الذي يخلف شيئا قبله، يقول القرطبي: " خَلِيفَةً " يَكُونُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَيْ يَخْلُفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا رُوِيَ."[2] ويقول في موضع آخر: " وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة." [3]

ويقول ابن جرير الطبري: " والصواب في تأويل قوله : " إني جاعل في الأرض خليفة " : أي مستخلف في الأرض خليفة، ومصير فيها خلفا . وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة...-ثم يقول بعدها- والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلانا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده . كما قال جل ثناؤه (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) [سورة يونس : 14] يعني بذلك أنّه أبدلكم في الأرض منهم ، فجعلكم خلفاء بعدهم . ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة ، لأنه خلف الذي

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، 1420ه-1999م، 1/ 216.

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/263.

[3] - المرجع نفسه، 7/158.

كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفا . يقال منه : خلف الخليفة ، يخلف خلافة وخليفى." [1]

ويقول ابن عثيمين في تفسيره لمعنى (خليفة) في هذه الآية: " ... أنهم يخلفون من سبقهم؛ لأن الأرض كانت معمورة قبل آدم؛ وعلى هذا الاحتمال تكون {خليفة} هنا بمعنى الفاعل ..." [2]

ويقول ابن عثيمين في فتاوى نور على الدرب: " قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .اختلف فيها المفسرون: فمنهم من قال: إن معنى قوله :﴿ خَلِيفَةً ﴾ .أي خالفاً لمن سبقه، وكان في الأرض عُمَّارٌ قبل آدم، وكان هؤلاء العُمَّار يحصل منهم سفك الدماء والإفساد في الأرض؛ واستدل هؤلاء بقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾؛ وبأن الجن قد خلقوا قبل الإنس؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ .ومنهم من قال: بل إن المراد بقوله :﴿ خَلِيفَةً ﴾ أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، فيذهب أناس ويأتي آخرون. وعندي أن الأول الأقرب لموافقته لظاهر الآية، وهو أن آدم وذريته سيكونون خلفاء لمن سبقهم فيمن هم على الأرض، وأن الملائكة قالوا :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾؛ بناء على ما حصل من هؤلاء القوم الذين خلفهم آدم وذريته في الأرض" [3] .

---

[1]- الطبري، جامع البيان، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420هـ-2000م، 449/1.

[2]- محمد ابن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 113/1.

[3]- موقع محمد ابن صالح العثيمين، فتوى: كيف علمت الملائكة أن أهل الأرض سيفسدون ؟ رابط: http://binothaimeen.net/content/8887

والسؤال الذي يتجلى هنا؛ ما هو الشيء الذي سيخلفه آدم أو آدم وذريته عليه السلام في الأرض؟ فلا بد من المُستَخْلف أن يَخْلُفَ شيئا قبله ؟

لقد بحثت في كتب كبار المفسرين للقرآن الكريم، فوجدت أن هناك من تَنَبَّه إلى هذا الأمر المهم وذكر إجابة أكثر تفصيلا من غيره من المفسرين، وهم العلماء ابن عثيمين وابن باز وبخاصة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار والذي ينقل فيه كثيرا عن شيخه محمد عبده.

نبدأ بمحمد ابن صالح العثيمين إذ يقول: " ... أنهم يخلفون من سبقهم؛ لأن الأرض كانت معمورة قبل آدم؛ وبناء على هذا الاحتمال تكون {خليفة} هنا بمعنى الفاعل ... قول الملائكة: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء} يرجح أنهم خليفة لمن سبقهم، وأنّه كان على الأرض مخلوقات قبل ذلك تسفك الدماء، وتفسد فيها، فسألت الملائكة ربها عزّ وجلّ: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء} كما فعل من قبلهم. "[1] وقد وصف ابن عثيمين في فتوى نور على الدرب السابقة هؤلاء الذين كانوا قبل آدم في الأرض بـأنهم: " قوم و عُمّار ".[2]

ويقوا ابن باز: " الآية الكريمة تدل على أن الله-جل وعلا-جعل هذا الإنسان وهو آدم-عليه السلام-خليفة في الأرض عمن كان فيها من أهل الفساد وعدم الاستقامة، وقول الملائكة يدُل على أنه كان هناك قومٌ يفسدون في الأرض فبنت ما قالت على ما جرى في الأرض، أو لأسبابٍ أخرى اطلعت عليها فقالت ما قالت ... ويقال: إن الذي قبل آدم إنهم طوائف من الناس ومن الخليقة يقال لهم: الجن والحن. "[3]

---

[1]- المرجع نفسه، 113/1.

[2]- انظر: موقع محمد ابن صالح العثيمين، فتوى: كيف علمت الملائكة أن أهل الأرض سيفسدون؟ رابط: http://binothaimeen.net/content/8887

[3] – موقع ابن باز رابط: https://cutt.us/elKaI موقع https://binbaz.org.sa/

وينقل رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة وكلمة (خليفة) جوابا أكثر تفصيلاً قائلا: " ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ صِنْفٌ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ نَوْعِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَأَنَّهُ انْقَرَضَ، وَأَنَّ هَذَا الصِّنْفَ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ سَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ سَيَحُلُّ مَحَلَّهُ وَيَخْلُفُهُ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى - بَعْدَ ذِكْرِ إِهْلَاكِ الْقُرُونِ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ) (10: 14) وَقَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ الصِّنْفَ الْبَائِدَ قَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ وَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْتَنْبَطُوا سُؤَالَهُمْ بِالْقِيَاسِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا بُدَّ أَنْ يُنَاسِبَ مَنْ يَخْلُفُهُ وَيَكُونَ مِنْ قَبِيلِهِ كَمَا يَتَبَادَرُ إِلَى الْفَهْمِ ... وَإِذَا صَحَّ هَذَا الْقَوْلُ فَلَيْسَ آدَمُ أَوَّلَ الصِّنْفِ الْعَاقِلِ مِنَ الْحَيَوَانِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا كَانَ أَوَّلَ طَائِفَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ تُمَاثِلُ الطَّائِفَةَ أَوِ الطَّوَائِفَ الْبَائِدَةَ مِنْهُ فِي الذَّاتِ وَالْمَادَّةِ، وَتُخَالِفُهَا فِي بَعْضِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا ".[1]

أما قول المُفَسّر "وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ اسْتَنْبَطُوا سُؤَالَهُمْ بِالْقِيَاسِ عَلَيْهِ" فالقياس من الملائكة كان في قوله تعالى: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة 30)، أي كيف علمت الملائكة أن هذا الجنس سيسفك الدماء ويفسد في الأرض، فإن هذا غيب مستقبلي والغيب لا يعلمه إلا الله ؟ والملائكة هم في درجة من الورع، فمن الصعب تَصَوُّرُ حكمهم هذا المُسَبَّق دون قياس منهم لإفساد هذا الجنس (بني آدم) على جنس مماثل، فإن أهل التفسير قد أثبتوا هذا القياس من الملائكة على مخلوق سابق، يقول مثلا ابن كثير: "...أَوْ أَنَّهُمْ قَاسُوهُمْ عَلَى مَنْ سَبَقَ "[2] وكذلك هذا القياس مثبت في الكلام السابق لكل مـن العالمين ابن عثيمين وابن باز، وهنا نجد أن هذا الكلام من المفسر السابق رشيد رضا بأنه وُجِد حيوان عاقل على الأرجح مُكلّف في الأرض قبل آدم عليه السلام –بشر آخرين أو نوع من البشر– يُشير إليه القرآن الكريم في كلمـة (خليفة)، وكذلك قياس الملائكة بني آدم على هذا المخلوق

---

[1]– رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 215/1.

[2]– ابن كثير، تفسر القرآن العظيم، 216/1.

الذي كان قبله، والذي سفك الدماء وأفسد في الأرض، فكلما كان جنسا المُقَاس والمُقَاس عليه متقاربين كلما كان القياس حُجة وأقرب إلى العقل، لا سيما وكأنّ كلام الملائكة يدُل على أنهم كانوا مُسْتَيقِنِين بأن هذا النوع من المخلوق الذي سيجعله الله في الأرض سوف يُفْسِدُ فيها، وهذا على عكس من قال أن المُقاس عليه هم الجن، فإن المُقاس ومُقاس عليه هنا ليسا متماثلين تمام التماثل، فإنه قد يظهر إشكال: "هل الجن خُلِق من طين كالإنسان أو فيه دم كي يُسفَك منه؟"، وهذا بغض النظر عن صِحّة هذا الخبر ومصدره بأنّ الجن كانوا في الأرض فسفكوا الدماء فطردوا من الملائكة كما سيأتي نقاش ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى، مع كوننا لا نمانع هذا القياس على الجن لكن الأولى أن يكون القياس مع الأقرب في الجنس. والذي يظهر والله أعلم أنّ القياس قد شمل كل من الجن والأجناس الإنسانية وما شابهها والتي كانت قبل آدم عليه السلام وأفسدت وسفكت الدماء.

بل قد يزداد الأمر تأكيدا -أي بأن يدخل في معنى الشيء المُسْتخلف مكانه؛ الجنس البشري- إذا حَكَّمْنا الآية التي يقول الله فيها: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: 12)، وما قال عبد الله بن عباس في تفسيرها من وجود أوادم غير آدمنا، (سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى).[1] لا سيما وأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، وسأرجع إلى هذه الآية وهذا الحديث بالتفصيل إن شاء الله في مَحَلِّه.

وقد يوجد قرينة أخرى في التأمل في قول الله تعالى في نوح عليه السلام والذين آمنوا معه: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) (يونس73)، يقول المفسر القرطبي في تفسير

[1]- سيأتي إن شاء الله الكلام على هذا الحديث متنا وسندا. أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، رقم: 831، 267/2، وأخرجه غيره، والحديث صحيح الإسناد.

هذه الآية: " (وجعلناهم خلائف) أي سكان الأرض وخلفا ممن غرق. "[1] ومن المعلوم أن الذين أغرقوا هم مِن مَن كذّب دعوة نوح عليه السلام من البشر، فنوح عليه السلام والذين آمنوا معه اسْتَخْلَفُوا بشرا مثلهم، وهنا جاء معنى الاستخلاف -أو دخل في معناه- استخلاف شيء من نفس جنسه، أي بَشرا بِبَشر، وهذا ما قد يُقَوّي القول أن يكون استخلاف آدم عليه السلام وبنيه حوى هذا المعنى، أي أنّ آدم عليه السلام وبنوه استخلفوا أُناسا آخرين من نفس الجنس.

بل يمكن أنْ نقول على حُكم الملائكة على أنّ هذا النوع من المخلوق الذي سيجعله الله في الأرض بأنه سوف يُفْسِدُ فيها؛ كأنه كان على يقين منهم بأنّ هذا الخليفة الجديد سوف يفعل تلك الفِعْلة حقيقة؛ وهذا ربما كان أيضا بسبب كثرة الذين أفسدوا وسفكوا الدماء قبلنا مع قربهم أو طائفة منهم إلى جنسنا، فكُلما كان المُقاس عليه كثيرا وقريبا إلى جنس المُقاس، كلما زاد وجه القياس كما قُلنا. حيث يَدْخُل في القياس من كان من نفس جنس بني آدم أو من كان أقرب منهم أو مُكَلَّف مثلهم قبل آدم عليه السلام ولو كان بين بعضهم شيء من الاختلاف.[2]

وبعد هذه الأدلة وأقوال المفسرين نستخلص أنّ هذه الآية من سورة البقرة في استخلاف بني آدم وقياس الملائكة إفساده على من كان قبله، تُشير إلى وجود مخلوقات

---

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 8/365.

[2]– وربما هذا القياس من الملائكة ليس في الأرض فحسب وإنما قد يدخل فيه أماكن أخرى من الخليقة أو أنحاء من الكون الواسع فيه أماكن وأراضٍ كانت فيها مخلوقات أفسدت فيها، فكان ذلك القِياس من الملائكة من قريب ومن بعيد –أي من جهة الأرض التي نحن فيها حدث فيها الفساد ومن جهة أراض بعيدة في السماوات وحدث فيها الفساد–، وهذا القول أكثر شُمولا، بالرغم من أنّ الأولى أن يُثْبَت هذا القياس في الأرض أولاً – فهي مكان عيش واستخلاف بني آدم لمن قبله من هذه المخلوقات والأولى من سياق الآية – ثم يُعَمم القياس إلى غيرها من الأماكن أو الأراضي التي خلقها الله سبحانه في السماوات، ولا يتعارض في الجمع بين هذا وذاك. والله أعلم.

أفسدوا في الأرض قبل آدم عليه السلام بل قابلة أن تُشير إلى أن مِنْ هذه المخلوقات مَنْ هم مِنَ الناس.

وسيزيد الأمر تأكيدا ووضوحا فيما يلي إن شاء الله .

والأمر الثاني في الخليفة: هو معنى الحاكم بأوامِر الله (الخليفة والوالي):

يقول ابن عثيمين: " قوله تعالى: {إني جاعل في الأرض خليفة} ؛ خليفة يخلف الله؛ أو يخلف من سبقه؛ أو يخلف بعضهم بعضاً يتناسلون. على أقوال: أما الأول: فيحتمل أن الله أراد من هذه الخليفة. آدم، وبنيه. أن يجعل منهم الخلفاء يخلفون الله تعالى في عباده بإبلاغ شريعته، والدعوة إليها، والحكم بين عباده؛ لا عن جهل بالله سبحانه وتعالى. وحاشاه من ذلك، ولا عن عجز؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، كما قال تعالى: {يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس} خليفة يخلف الله عزّ وجلّ في الحكم بين عباده." (1)

ويقول القرطبي: " وَالْمَعْنِيُّ بِالْخَلِيفَةِ هُنَا- فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ- آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي إِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انبئا كَانَ مُرْسَلاً؟ قَالَ: (نَعَمْ) الْحَدِيثَ(2) " (3). والأمر المهم الذي يترتب على هذا أنه لابد أن يكون آدم عليه السلام رسولا أو نبيا إلى أُمّة أو قوم وحاكماً بأوامر الله على قوم ما، قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (إبراهيم 4)، وقال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

(1)- ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، 1/112-113.

(2) - وهذا بعض نص الحديث كما رواه ابن حبان في صحيحه: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَم الْأَنْبِيَاءُ قَالَ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَم الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ قَالَ آدَمُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ قَالَ نَعَمْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَكَلَّمَهُ قِبَلاً (الحديث) "، رواه ابن حبان في صحيحه، 361، وغيره.

(3)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/263.

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24)، قال أهل التفسير كالقرطبي أنّه كان رسولا إلى بنيه،[1] وهذا القول ممكن لكن هذا من باب تضييق الواسع، فإن الرسول أو النبي عادةً يكون مرسلاً إلى قومه زيادة عن أهله بدليل الآيات السابقة، ولا يوجد في القرآن الكريم في علمنا أي آية تقول أن هنالك رسولا أو نبيا أرسله الله إلى أهله فقط دون غيرهم من الناس، ولا شك أن الذي أدى بالذين ظنوا أن آدم عليه السلام مُرسلٌ إلى أهله فقط إلى هذه النتيجة، هو بناؤهم استنباطهم على كونه أوّلُ رجلٍ وحيدٍ مع أهله على وجه كل الأرض، وهذا ما ليس عليه دليل، بل هنالك أدِلَّة تُثْبِت عكس ذلك كما مرّ معنا بفضل الله تعالى من قياس الملائكة على كائن قبله أفسد في الأرض، وفي المعنى الأول لكلمة (خليفة) التي تقتضي من آدم أو جنس بني آدم عموما أن يخلُفُوا شيئاً في الأرض (وسيأتي مزيد أدلة على هذا إن شاء الله تعالى). لذلك فإن إرسال آدم عليه السلام برسالة مِنَ الأولى أن تكون موجَّهة لأهله ولقوم غير أهله معاً، بل إقامة حكم الله في الأرض تشير أن آدم عليه السلام كانت عنده حكم أو ولاية أعظم من ولايته على بنيه فقط، – فإن القرطبي يقول: " هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي نَصْبِ إِمَامٍ وَخَلِيفَةٍ يُسْمَعُ لَهُ وَيُطَاعُ، لِتَجْتَمِعَ بِهِ الْكَلِمَةُ، وَتَنْفُذُ بِهِ أَحْكَامُ الْخَلِيفَةِ. "[2] – والعجيب أنّ هنالك مصدرا في دين سماوي آخر يؤكد أن آدم عليه السلام كان حقيقة ملِكاً، وسوف نذكره استئناسا إن شاء الله تعالى في فصل الأديان وهل هنالك بشرٌ قبل آدم عليه السلام –، والله أعلم.

من أهل التفسير من نقل أنه وُجد مخلوقات في الأرض قبل آدم عليه السلام بدلالة ذلك القياس من الملائكة في سفك الدماء، وقالوا أن تلك المخلوقات هي من الجن، حيث أفسدت في الأرض فأتت الملائكة بعدها وطردوهم إلى جُزُر البِحَار

---

[1]- المرجع نفسه، 264/1.

[2] – المرجع نفسه، 264/1.

وأطراف الجبال،[1] لكن لم نجد عزوا لهذه المعلومة إلى حديث صحيح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وحتى لو سلّمنا بها الخبر فإنه يمكن الجمع بين وجود بشر عاقل يشبه بني آدم سبق وجوده في الأرض مع وجود الجن معه كما هو واقع اليوم، أي عيش كل من الإنس وبجوارهم الجن، مع كون الأولى أن يكون القياس –من الملائكة في سفك الدماء– أقرب إلى قياس مخلوق شبيه بِبَني آدم كونه مخلوقاً من جنسه يشبِهُهُ ذي دَمٍ ولحمٍ، من أن يكون القياس بالجن لوحده الذي هو مخلوق من نار، فيكون استعمال لفظ (يسفك الدماء) أولى أن يكون مع الأول الذي هو مخلوق فيه دَم ويُسْفَك مِنْه حقيقة مِنْ أن يُسْقَط اللفظ على الجن فقط، فإن الجن مخلوق من نار ولا يُرى عادة، ولا ندري إن كان فيه دَم أم لا، مع أننا نُقِرُّ أنه ممكن أن يُسقط عليه لفظ سفك الدماء –أي على الجن– حقيقة أو مجازا، مع كون الاحتمال الأول أقرب – أي على الإنسان–، أو على الأقل على كليهما الإنس والجن فإن هذا غير مستبعد ومحتمل كذلك، لما فيه من الجمع بين القولين، فيكون بذلك قد عاش في الأرض قبل آدم عليه السلام أُناسَاً آخرين وجن، كما هو موجود في الأرض في الأحقاب بعد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، فإن الظاهر أنّ هذا الاختلاط القريب وتقاسم العالم بين الجن والإنس موجود منذ القديم وحديثا، ولا وجه لتخصيص أن الجنّ هم وحدهم من سكن الأرض قبل بني آدم، والله أعلم.

وقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية عن كثير من علماء التفسير أنّه كان في الأرض مخلوقات تسمى البن والحِن (بالحاء وليس بالجيم) وأنهم كانوا قبل الجن، وهذا كلام ابن كثير: " قَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ: خُلِقَتِ الْجِنُّ قَبْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ قَبْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ الْحِنُّ وَالْبِنُّ، فَسَلَّطَ اللَّهُ الْجِنَّ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ، وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا وَأَبَادُوهُمْ مِنْهَا، وَسَكَنُوهَا بَعْدَهُمْ بِسَبَبِ مَا أَحْدَثُوا. "[2] ولو سَلَّمنا بهذا الكلام فإنّه يدلُّ

---

[1]– انظر: الطبري، جامع البيان، 450/1.

[2]– ابن كثير، البداية النهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط الأولى، 1418هـ–1997م، 128/1.

على أنّ الجن لم يكونوا أول من في الأرض، وإذ افترضنا أن البن والحن هم صنف من أصناف الناس فإن هذا قد يقترب أو يتوافق أكثر مع الآية التي تذكر سفك الدماء، وقد يتوافق أيضا مع العلم الحديث الذي يثبت وجود أصناف من البشر عاشوا في الأرض قبل مئات الآلاف السنين بل المليون سنة.

وأورد بإذن الله هنا فتوى ابن باز كاملة التي لم ينفي فيها وجود أناس قبل آدم عليه السلام، بل نقل قول من قال بوجود أُنَاس قبله عليه السلام بصيغة "يُقَال"، وهذه نص الفتوى: [1]

السؤال:

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة 30)، يقول: هل معنى هذا أن الله خلق الإنسان قبل آدم عليه السلام، إذاً فكيف عرفت الملائكة أن الإنسان يُفسِد في الأرض ويسفك الدماء وما القصد من أن الله جاعل في الأرض خليفة، وخليفة عمن ؟

جواب ابن باز:

الآية الكريمة تدل على أن الله–جل وعلا–جعل هذا الإنسان وهو آدم–عليه السلام–خليفة في الأرض عمن كان فيها من أهل الفساد وعدم الاستقامة، وقول الملائكة يدل على أنه كان هناك قومٌ يفسدون في الأرض فبنت ما قالت على ما جرى في الأرض، أو لأسبابٍ أخرى اطلعت عليها فقالت ما قالت، فأخبرهم الله – سبحانه وتعالى – بأنه يعلم ما لا تعلمه الملائكة وأن هذا الخليفة يحكم في الأرض بشرع الله، ودين الله وينشر الدعوة إلى توحيده، والإخلاص له، والإيمان به، وهكذا ذريته بعده يكون فيهم الأنبياء يكون فيهم الرسل، و الأخيار، والعلماء الصالحون، والعباد المخلصون إلى غير ذلك، مما حصل في الأرض من العبادة لله وحده وتحكيم شريعته،

---

[1]– موقع ابن باز، رابط: https://cutt.us/elKaI موقع https://binbaz.org.sa/

والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه، هكذا جرى من الأنبياء والرسل، والعلماء الصالحين، والعباد المخلصين إلى غير ذلك، وظهر أمر الله في ذلك، وعلمت الملائكة بعد ذلك هذا الخير العظيم، ويقال إن الذي قبل آدم إنهم طوائف من الناس ومن الخليقة يقال لهم الجن والحِن، وبكل حال فهو خليفة لمن مضى قبله، وصل قبله في أرض الله ممن يعلمهم الله – سبحانه وتعالى – وليس لدينا أدلةٌ قاطعة في بيان من كان هناك قبل آدم، وصفاتهم، وأعمالهم ليس هناك ما يبين هذا الأمر، لكن جعله خليفة يدل على أن هناك من قبله في الأرض، فهو يخلفهم في إظهار الحق، وبيان شريعة الله التي شرع له، وبيان ما يرضي الله ويقرب لديه، وينهى عن الفساد فيها، وهكذا من جاء بعده من ذريته، قاموا بهذا الأمر العظيم من الأنبياء والصلحاء والأخيار، دعوا إلى الحق ووضحوا الحق وأرشدوا إلى دين الله وعمروا الأرض بطاعة الله وتوحيده والحكم بشريعته، وأنكروا على من خالف ذلك. نعم الله المستعان. (انتهت الفتوى)

دليل: حقيقة النفس الواحدة التي خلق الله الناس منها ليست بالضرورة والحَصْر آدم عليه السلام:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء 1).

لا يوجد أي حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفسّر النفس الواحدة هنا أنّها آدم لوحده حصرا، وإن فسّرنا أن النفس الواحدة هي آدم حصرا، فقد يعني (ليس بالضرورة) أن كل الناس جاؤوا من آدم عليه السلام وهذا ما لم يُصرِّح به القرآن صراحة ولا السنة، ولهذا نجد أن الله تعالى في هذا الموضع لم يقل : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من آدم وخلق منه زوجه)، أضف إلى ذلك أنه لا يوجد أيّة آية ولا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف كيفية خلق حواء بأنها

خلقت من ضلع آدم، وإنما كان ذلك التفسير من بعض التابعين كمجاهد وقتادة،[1] وأما إذا رجعنا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو العُمدة، فنجد أنه قال صلى الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[2]، فلا يوجد في هذا الحديث كما ترون أي ذكر أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام، أو أنّ حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام الأيسر وهو نائم كما نقل بعض أهل التفسير، حتى إنّ رشيد رضا والألباني رجّحا أنّ هذا الخبر الأخير في كيفية خلق حواء عليها السلام أنه من الإسرائيليات، وأكّد الألباني أنه لايثبت أي حديث في خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام.[3]

وأما حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)، فمن العلماء من حمله على الحقيقة ومنهم من حمله على المجاز مثل القاري والألباني، حيث ينقل الألباني في سلسلته: " وقال الشيخ القاري في "شرح المشكاة" (460/3) : "أي خلقن خلقاً فيه اعوجاج، فكأنهن خلقن من الأضلاع، وهو عظم معوج، واستعير للمعوج صورة، أو معنى ونظيره في قوله تعالى: {خلق الإنسان من عجل} ". قلت -أي الألباني-: وهذا هو الراجح عندي أنّه استعارة وتشبيه لا حقيقة، وذلك لأمرين: الأول: أنه لم يثبت حديث في خلق حواء من ضلع آدم كما تقدم. والآخر: أنه جاء الحديث بصيغة التشبيه في رواية عن أبي هريرة بلفظ: "إن

---

[1]- انظر: الطبري، جامع البيان، 515/7.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه، 3331، 5184، 5185، ومسلم في صحيحه، 1468.

[3]- انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 431/9-432، ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، ط الأولى، الرياض المملكة العربية السعودية، 1412 هـ - 1992م، 1139/13.

المرأة كالضلع.."."[1]وسواء حُمِل الحديث على الحقيقة أم على المجاز فلا يوجد فيه أن حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام، أو أنّ النفس الواحدة التي ذكرها الله في كتابه هي حصرا آدم عليه السلام، فمن جهة هذا الحديث لا يوجد أي إشكال.

جاء في تفسير المنار لرشيد رضا ناقلا عن شيخه محمد عبده –والذي يوافقه عموما في الرأي، ويسميه في تفسيره الأستاذ الإمام– في تفسير هذه الآية الأولى من النساء: " الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ بِالنَّصِّ، وَلَا بِالظَّاهِرِ، فَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ كُلَّ نِدَاءٍ مِثْلِ هَذَا يُرَادُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ،[2] أَوْ قُرَيْشٍ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا جَازَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ بَنُو قُرَيْشٍ أَنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ هِيَ قُرَيْشٌ أَوْ عَدْنَانُ، وَإِذَا كَانَ الْخِطَابُ لِلْعَرَبِ عَامَّةً جَازَ أَنْ يَفْهَمُوا مِنْهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ يَعْرُبُ أَوْ قَحْطَانُ. وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْخِطَابَ لِجَمِيعِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، أَيْ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَفْهَمُ مِنْهُ مَا تَعْتَقِدُهُ، فَالَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ يَفْهَمُونَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمُ، وَالَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْبَشَرِ أَبًا يَحْمِلُونَ النَّفْسَ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ (وَالْأَصْنَافُ الْكُبْرَى هِيَ الْأَبْيَضُ الْقُوقَاسِيُّ، وَالْأَصْفَرُ الْمُغُولِيُّ، وَالْأَسْوَدُ الزِّنْجِيُّ وَغَيْرُهُ، وَبَعْضُ فُرُوعِ هَذَا تَكَادُ تَكُونُ أُصُولًا كَالْأَحْمَرِ الْحَبَشِيِّ، وَالْهِنْدِيِّ الْأَمِرِيكِيِّ، وَالْمَلَقِيِّ " [3]، فليس حتما أن يكون الخطاب يتناول حصرا آدم وحواء وذريتهما

---

[1]– الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 13/1139-1140.

[2]– أي قوله تعالى: (يا أيها الناس)، يقول المفَسّر الواحدي في تفسير قول الله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ): " { يا أيها الناس } يا أهل مكة " (أبو الحسن الواحدي النيسابوري، العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية -دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، ص 251، وجاء في تفسير زهرة التفاسير للمفسر أبي زهرة: " يذكر بعض المفسرين أن النداء بـ " يا أيها الناس " يخاطب به أهل مكة، والنداء بـ " يا أيها الذين آمنوا " يخاطب به المؤمنين، وأخذوا ذلك من أن أكثر الآيات التي ابتدئت بـ " يا أيها الناس " نزلت بمكة ... "، (أبي زهرة أحمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، 3/1573.)

[3]– رشيد رضا، تفسير المنار، 4/265.

-فليس كل البشر يعتقدون أنهم من آدم وحواء- فقد أبهمـها الله (نفس واحدة وخلق منها زوجها) فالأفضل أن تُتْرك كما هي مبهمة.

والقرينة الأخرى الموجودة في نفس الآية والتي تدل على أن آدم وزوجه حواء عليهما السلام ليسا أبوين لكل الناس، في حال سلمنا أنّ النفس الواحدة وزوجها هي آدم وحواء عليها السلام -أو أنهما يدخلان في العموم المقصود منها-، قوله تعالى (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)، فلو كان آدم حواء عليهما السلام - أو بعبارة أصح هذه النفس الواحدة وزوجها التي أبهمهما الله - لقال الله تعالى : (وبث منهما الرجال والناس) - أي بالتعريف الألف واللام- أو لقال (بث منهما كل الرجال والنساء)، أي كلمة "الرجال" "والنساء" بالتعريف للدّلالة على العموم، أي كل الرجال والنساء، ولكن أتت الكلمتان نكرتان، ما يدل على أنّهما ليْسَا أبوين لكل الناس، وهنا ينقل رشيد رضا عن محمد عبده في تفسيره كلاما نفيسا ويوافقه إذ يقول: " قال: وَالْقَرِينَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا بِالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ قَوْلُهُ: وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً بِالتَّنْكِيرِ: وَكَانَ الْمُنَاسِبُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَقُولَ: وَبَثَّ مِنْهُمَا جَمِيعَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَكَيْفَ يَنُصُّ عَلَى نَفْسٍ مَعْهُودَةٍ وَالْخِطَابُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ "،[1] ثم يتابع المُفَسِّر ذكر أسباب أخرى تُؤَكِّد هذا الرأي ناقلا عن شيخه محمد عبده قائلا: " وَكَيْفَ يَنُصُّ عَلَى نَفْسٍ مَعْهُودَةٍ وَالْخِطَابُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ. وَهَذَا الْعَهْدُ لَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْرِفُونَ آدَمَ وَلَا حَوَّاءَ وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِمَا. وَهَذَا النَّسَبُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ مَثَلاً هُوَ مَأْخُوذٌ عَنِ الْعِبْرَانِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلْبَشَرِ تَارِيخًا مُتَّصِلاً بِآدَمَ، وَحَدَّدُوا لَهُ زَمَنًا قَرِيبًا. وَأَهْلُ الصِّينِ يَنْسِبُونَ الْبَشَرَ إِلَى أَبٍ آخَرَ، وَيَذْهَبُونَ بِتَارِيخِهِ إِلَى زَمَنٍ أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعِبْرَانِيُّونَ. وَالْعِلْمُ وَالْبَحْثُ فِي آثَارِ الْبَشَرِ مِمَّا يَطْعَنُ فِي تَارِيخِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ لَا نُكَلَّفُ تَصْدِيقَ تَارِيخِ الْيَهُودِ، وَإِنْ عَزَوْهُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَإِنَّهُ لَا ثِقَةَ عِنْدَنَا بِأَنَّهُ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَأَنَّهُ بَقِيَ كَمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى.قَالَ: نَحْنُ لَا نَحْتَجُّ عَلَى مَا وَرَاءَ

[1] - المرجع نفسه، 4/265.

مُدْرَكَاتِ الْحِسِّ، وَالْعَقْلِ إِلَّا بِالْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَإِنَّنَا نَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْوَحْيِ لَا نَزِيدُ، وَلَا نَنْقُصُ كَمَا قُلْنَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَقَدْ أَبْهَمَ اللهُ - تَعَالَى - هَهُنَا أَمْرَ النَّفْسِ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ مِنْهَا، وَجَاءَ بِهَا نَكِرَةً فَنَدَعُهَا عَلَى إِبْهَامِهَا. فَإِذَا ثَبَتَ مَا يَقُولُهُ الْبَاحِثُونَ مِنَ الْإِفْرِنْجِ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبَشَرِ أَبًا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ وَارِدٍ عَلَى كِتَابِنَا كَمَا يَرِدُ عَلَى كِتَابِهِمُ التَّوْرَاةِ لِمَا فِيهَا مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ مِمَّا حَمَلَ بَاحِثِيهِمْ عَلَى الطَّعْنِ فِي كَوْنِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ - تَعَالَى - وَوَحْيِهِ."[1]

ثم يذكر نفس التفسير[2] قرائن أخرى يُستأنس بها وهو ما نقله المفسر الألوسي في تفسيره عن الإمامية والصوفية في تعدد الآدميين إذ يقول: " وَقَدْ نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالصُّوفِيَّةِ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ آدَمَ الْمَشْهُورِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَعِنْدَنَا آدَمُونَ كَثِيرُونَ، قَالَ فِي رُوحِ الْمَعَانِي: وَذَكَرَ صَاحِبُ جَامِعِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسَ عَشَرَ خَبَرًا طَوِيلاً نَقَلَ فِيهِ أَنَّ اللهَ - تَعَالَى - خَلَقَ قَبْلَ أَبِينَا آدَمَ ثَلَاثِينَ آدَمَ بَيْنَ كُلِّ آدَمَ، وَآدَمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا بَقِيَتْ خَرَابًا بَعْدَهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ عُمِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ خُلِقَ أَبُونَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -. وَرَوَى ابْنُ بَابَوَيْهِ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ عَنِ الصَّادِقِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ بَشَرًا غَيْرَكُمْ، بَلَى، وَاللهِ لَقَدْ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفَ آدَمَ أَنْتُمْ فِي آخِرِ أُولَئِكَ الْآدَمِيِّينَ، وَقَالَ الْمِيثَمُ فِي شَرْحِهِ الْكَبِيرِ لِلنَّهْجِ: وَنُقِلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ أَنَّهُ قَالَ: قَدِ انْقَضَى قَبْلَ آدَمَ الَّذِي هُوَ أَبُونَا أَلْفُ أَلْفِ آدَمَ، أَوْ أَكْثَرُ. وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي فُتُوحَاتِهِ مَا يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ أَنَّ قَبْلَ آدَمَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ

---

[1] - المرجع نفسه، 266/4.

[2]- رشيد رضا يُقِّرُ في تفسيره أنه كان على عقيدة السلف، وعلى مذهبهم ومذهب أهل الحديث في أسماء الله وصفاته، ويثني بفضل كتب ابن تيمية وابن القيّم عليه، حيث يقول: " إِنَّنِي وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَهَدْيِهِمْ. عَلَيْهَا أَحْيَا وَعَلَيْهَا أَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَى "، وإنما كان نقله لاستدلالات بعض المذاهب المخالفة للاستدلال والاستئناس وتقوية للحجة في بعض المسائل، لما قد تحتويه من بعض الحق الذي يصلح أن يكون حجة ودليل، لا لكونه يعتقد أن مذهبه صحيح. انظر: المرجع نفسه، 211/1.

سَنَةٍ آدَمَ غَيْرَهُ. وَفِي كِتَابِ الْخَصَائِصِ (لِابْنِ بَابَوَيْهِ كَمَا فِي الْهَامِشِ) مَا يَكَادُ يُفْهَمُ مِنْهُ التَّعَدُّدُ أَيْضًا الْآنَ، حَيْثُ رَوَى فِيهِ عَنِ الصَّادِقِ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ لِلَّهِ - تَعَالَى - اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ، كُلُّ عَالَمٍ مِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرَضِينَ، مَا يَرَى عَالَمٌ مِنْهُمْ أَنَّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَالَمًا غَيْرَهُمْ " انْتَهَى الْمُرَادُ مِنْهُ. "[1]

والدليل الآخر الذي قد يُستدلّ به على أنّ النفس الواحدة في آية النساء ليست آدم عليه السلام حصرا، قول الله تعالى في نهاية سورة الأعراف: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف 189-190). فالإشكال الذي قد يظهر إن كانت (النفس الواحدة) هنا آدم عليه السلام و (زوجها) حواء عليها السلام، كيف يجعلان لله شركاء فيما آتاهما ؟،[2] ألم يُحرِم الله تعالى الشرك

[1]- المرجع نفسه، 4/266-267، وانظر: الألوسي، روح المعاني، المحقق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط الأولى، بيروت، 1415 هـ، 2/391-393.

[2]- وأمّا ما أورده بعض أهل التفسير من حديث يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: (لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته: عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)، فقد ضَعّفَه الألباني، وقال عنه: " ضعيف. أخرجه الترمذي (2 / 181 - بولاق) والحاكم (2 / 545) وابن بشران في " الأمالي " (158 / 2) وأحمد (5 / 11) وغيرهم من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعا، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .قلت-أي الألباني-: وليس كما قالوا، فإن الحسن في سماعه من سمرة خلاف مشهور، ثم هو مدلس ولم يصرح بسماعه من سمرة وقال الذهبي في ترجمته من "الميزان": كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث: عن فلان، ضعف احتجاجه. قلت: وأعله ابن عدي في " الكامل " (3 / 1701) بتفرد عمر بن إبراهيم وقال: وحديثه عن قتادة مضطرب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه. ومما يبين ضعف هذا الحديث الذي فسر به قوله تعالى {فلما آتاهما صالحا

حتى على أقرب الناس إليه الأنبياء، ولو أشركوا لحبط عملهم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر65)، أليس آدم عليه السلام نبيا والأنبياء أولى الناس تنزيها لربهم عن الشرك ؟، لذلك اختلف المفسرون في تفسير الآية، وأورد الرازي أوجها في تفسيره، أذكر منها إن شاء الله وجهين يُبعدان هذا الإشكال، أولهما يجعل أن هذه القصة جاءت من باب ضرب المثل بالجنس، ومعنى (جعل منها زوجها) أي جعل من جنسها زوجها، والثاني بأن يكون الخطاب لقريش على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي، يقول الرازي: " التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ: مَا ذَكَرَهُ الْقَفَّالُ فَقَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى تَمْثِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ وَبَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ صُورَةُ حَالَةِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَهْلِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ بِالشِّرْكِ، وَتَقْرِيرُ هَذَا الْكَلَامِ كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْ

جعلا له شركاء فيما آتاهما ...} الآية، أن الحسن نفسه فَسَّر الآية بغير ما في حديثه هذا، فلوكان عنده صحيحا مرفوعا لما عدل عنه، فقال في تفسيرها: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم، ذكر ذلك ابن كثير (2 / 274 – 275) من طرق عنه ثم قال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسّر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، وانظر تمام كلامه فإنه نفيس، ونحوه في " التبيان في أقسام القرآن " (ص 264) لابن القيم." (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 517/516/1). قلت: وكذلك قد أعلّ هذا الحديث ابن كثير في تفسيره من ثلاثة أوجه من بينها الوجه الذي ذكره الألباني عنه.

ويقول رشيد رضا في تفسيره على نفس الحديث في آدم وحواء السابق: " وَهُوَ عَلَى كَثْرَةِ مُخْرِجِيهِ غَرِيبٌ وَضَعِيفٌ كَمَا سَيَأْتِي، وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُفَصَّلَةً وَمُطَوَّلَةً وَفِيهَا زِيَادَاتٌ خُرَافِيَّةٌ، تَشْهَدُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا مِنَ الدَّسَائِسِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَهَذِهِ الْآثَارُ يَعُدُّهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبِيلِ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تُقَالُ بِالرَّأْيِ، وَالَّذِي نَعْتَقِدُهُ وَجَرَيْنَا عَلَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ مِنْهَا مَظِنَّةٌ لِلْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمُتَلَقَّاةِ عَنْ مِثْلِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ فَهِيَ لَا يُوثَقُ بِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَعَ ذَلِكَ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَا يُنْكِرُهُ الدِّينُ أَوِ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ قَطَعْنَا بِبُطْلَانِهَا وَكَوْنِهَا دَسِيسَةً إِسْرَائِيلِيَّةً، وَمِنْهَا مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ طَعْنًا صَرِيحًا فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَرَمْيًا لَهُمَا بِالشِّرْكِ، وَلِذَلِكَ رَفَضَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، وَتَكَلَّفَ آخَرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا بِمَا تُنْكِرُهُ اللُّغَةُ... " (رشيد رضا، تفسير المنار، 435/9).

جِنْسِهَا زَوْجَهَا إِنْسَانًا يُسَاوِيهِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَمَّا تَغَشَّى الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ وَظَهَرَ الْحَمْلُ، دَعَا الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا وَلَدًا صَالِحًا سَوِيًّا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِآلَائِكَ وَنَعْمَائِكَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا اللَّه وَلَدًا صَالِحًا سَوِيًّا، جَعَلَ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ لِلَّه شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، لِأَنَّهُمْ تَارَةً يَنْسُبُونَ ذَلِكَ الْوَلَدَ إِلَى الطَّبَائِعِ كَمَا هُوَ قَوْلُ الطَّبَائِعِيِّينَ، وَتَارَةً إِلَى الْكَوَاكِبِ كَمَا هُوَ قَوْلُ الْمُنَجِّمِينَ، وَتَارَةً إِلَى الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ كَمَا هُوَ قَوْلُ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيْ تَنَزَّهَ اللَّه عَنْ ذَلِكَ الشِّرْكِ، وَهَذَا جَوَابٌ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ وَالسَّدَادِ. التَّأْوِيلُ الثَّانِي: بِأَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِقُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ آلُ قُصَيٍّ، وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ قُصَيٍّ وَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا عَرَبِيَّةً قُرَشِيَّةً لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا آتَاهُمَا مَا طَلَبَا مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ السَّوِيِّ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا حَيْثُ سَمَّيَا أَوْلَادَهُمَا الْأَرْبَعَةَ بِعَبْدِ مَنَافٍ، وَعَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ قُصَيٍّ، وَعَبْدِ اللاَّتِ، وَجَعَلَ الضَّمِيرَ فِي يُشْرِكُونَ لَهُمَا وَلِأَعْقَابِهِمَا الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِمَا فِي الشِّرْكِ."[1]

ونقل أيضا هذا القول الأول الذي يؤكد أنّ النفس الواحدة هنا هي الجنس لا آدم عليه السلام القرطبي في تفسيره، إذ يقول: "... وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى جِنْسِ الْآدَمِيِّينَ وَالتَّبْيِينِ عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ. فَقَوْلُهُ: " جَعَلا لَهُ " يَعْنِي الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى الْكَافِرَيْنِ، ويعنى به الجنسان. وَدَلَّ عَلَى هَذَا (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وَلَمْ يَقُلْ يُشْرِكَانِ. وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ" مِنْ هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ وَشَكْلٍ وَاحِدٍ" وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها" أَيْ مِنْ جِنْسِهَا" فَلَمَّا تَغَشَّاها" يَعْنِي الْجِنْسَيْنِ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَا يَكُونُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ ذِكْرٌ فِي الْآيَةِ، فَإِذَا آتَاهُمَا الْوَلَدَ صَالِحًا سَلِيمًا سَوِيًّا كَمَا أَرَادَاهُ صَرَفَاهُ عَنِ الْفِطْرَةِ إِلَى الشِّرْكِ، فَهَذَا فِعْلُ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ- فِي رِوَايَةٍ (عَلَى

---

[1]- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ط الثالثة، بيروت، 1420 هـ، 428/15. وهاذان الوجهان أوردهما واستدل بهما رشيد رضا في تفسيره كذلك.

هذه) الملة- أبواه يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ ".[1] بل هنالك من التابعين من فسّر الآية أو آخر الآية بغير آدم وحواء منزها إياهما من الشرك مثل عكرمة – تلميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – والحسن البصري، يقول عكرمة: " لَمْ يَخُصَّ بِهَا آدَمَ، وَلَكِنْ جَعَلَهَا عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بَعْدَ آدَمَ. "[2] ويقول الحسن البصري: " كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَلَمْ يَكُنْ بآدم. "[3]

وكذلك الألوسي في تفسيره ينقل قولاً يُقَرِّرُ بأن آدم عليه السلام ليس هو النفس الواحدة هنا وإنما المراد هو الجنس إذ يقول: " وعن الحسن وقتادة أن ضمير جعلا وآتاهما يعود على النفس وزوجها من ولد آدم لا إلى آدم وحواء عليهما السلام، وهو قول الأصم قال: ويكون المعنى في قوله سبحانه وتعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وخلق لكل نفس زوجا من جنسها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما أثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحا أي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم أن يئدوا البنات فلما آتاهما أي فلما أعطى الله تعالى الأب والأم ما سألاه جعلا له شركاء ... "[4] ومثل هذا القول أيضا من اختيار ابن المنيّر، يقول الألوسي: " ... نعم اختار ابن المنير ما مآله هذا في الانتصاف وادعى أنه أقرب وأسلم مما تقدم وهو أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى ولا يقصد معين من ذلك ثم قال: وكأنَّ المعنى والله تعالى أعلم هو الذي خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا إليهن فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الذي هو الأنثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت،

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 339/7.

[2] - أورده النحاس في معاني القرآن، 116/3، والبغوي في تفسيره 222/2، والقرطبي في تفسيره، 339/7.

[3] - رواه الطبري في تفسيره، 314/13.

[4]- الألوسي، روح المعاني، 131/5-132.

وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون لأن المشركين منهم فجاز أن يضاف الكلام إلى الجنس على طريقة قتل بنو تميم فلانا وإنما قتله بعضهم، ومثله قوله تعالى: وَيَقُولُ الْإِنْسانُ أَإِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا [مريم: 66] وقُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ [عبس: 17]...".[1]

وبعد هذا فإنّ هذه الآية من الأعراف تقاس عليها الآية الأولى من سورة النساء، وهذا ما يؤكد أن النفس الواحدة لا تُحمل بالضرورة أو بالحصر على آدم عليه السلام. ويذكر رشيد رضا كلام طويلا حَسَناً في تفسير هذه الآيات السابقة من سورة الأعراف، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191)) (الأعراف 189-191)، إذ يقول في تفسيره: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ افْتُتِحَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِدَعْوَةِ الْقُرْآنِ إِلَى دِينِ التَّوْحِيدِ، وَالْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ، وَتَلَاهُ التَّذْكِيرُ بِنَشْأَةِ الْإِنْسَانِ الْأُولَى فِي الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ اخْتُتِمَتْ بِهَذِهِ الْمَعَانِي وَهُوَ التَّذْكِيرُ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى. وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ، وَاتِّبَاعِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَاتِّبَاعُ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أَيْ: خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، صَوَّرَهَا بَشَرًا سَوِيًّا وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا سُكُونًا زَوْجِيًّا، أَيْ: جَعَلَ لَهَا زَوْجًا مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَا

[1] - المرجع نفسه، 132/5.

زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) (49: 13) كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (51: 49) وَإِنَّنَا نُشَاهِدُ أَنَّ كُلَّ خَلِيَّةٍ مِنَ الْخَلَايَا الَّتِي يُنَمَّى بِهَا الْجِسْمُ الْحَيُّ تَنْطَوِي عَلَى نُوَيَّتَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، يَقْتَرِنَانِ فَيُوَلَّدُ بَيْنَهُمَا خَلِيَّةٌ أُخْرَى، وَهَلُمَّ جَرًّا، وَنَعْلَمُ أَيْضًا كَيْفَ يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْحَامِ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (53: 45، 46) وَلَكِنَّنَا لَا نَدْرِي كَيْفَ ازْدَوَجَتِ النَّفْسُ الْأُولَى بَعْدَ وَحْدَتِهَا فَكَانَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، قَالَ تَعَالَى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) (18: 51) وَفِي التَّوْرَاةِ الَّتِي عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ، وَقَدْ أَمَرَنَا نَبِيُّنَا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَلَّا نُصَدِّقَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا نُكَذِّبَهُمْ، أَيْ فِيمَا لَا نَصَّ فِيهِ عِنْدَنَا لِاحْتِمَالِهِ، فَنَحْنُ نَعْمَلُ بِأَمْرِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي هَذَا الْخَبَرِ، وَإِنْ حَمَلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرُهُمْ حَدِيثَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا. فَإِنَّ الْمُتَبَادَرَ مِنْهُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ الشُّرَّاحُ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِخَلْقِهَا مِنْهُ أَنَّهَا ذَاتُ اعْوِجَاجٍ وَشُذُوذٍ تُخَالِفُ بِهِ الرَّجُلَ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ مَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ " إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ " فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) (21: 37) ... وَنَذْكُرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَ النَّاسَ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ بِمِثْلِ مَا حَكَاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ نَشْأَةِ جِنْسِهِمْ فِي كَوْنِهِ تَعَالَى خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ فِي بَيَانِ آيَاتِهِ فِي سُورَةِ الرُّومِ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (30: 21) فَهَذَا الْمَعْنَى عَامٌّ لَا خَاصٌّ بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ ".[1]

ما هي هذه النفس الواحدة ؟

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، 9/ 431-432.

أما عن ماهية هذه النفس الواحدة التي ذكرها الله في كتابه، فقد اجتهد الرازي في وجه من أوجه تفسيره -وقد أوردنا كلامه قبل قليل- ورشيد رضا في وصفها، على أنّه هو الإنسان - جنس الإنسان- أو الحقيقة الواحدة التي كان عليها الإنسان -وهذه الوصف الأخير يحتاج إلى تفكّر كونه قد يكون أكثر تحديدا-، يقول رشيد رضا بعدما بيّن الأدلة على أنّه لا يمكن حَصرُ النفس الواحدة في آدم عليه السلام -وأدلته مذكورة في هذا المبحث- : " وَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنْ لَفْظِ النَّفْسِ - بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الرِّوَايَاتِ، وَالتَّقَالِيدِ الْمُسَلَّمَاتِ - أَنَّهَا هِيَ الْمَاهِيَّةُ، أَوِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا الْإِنْسَانُ هُوَ هَذَا الْكَائِنُ الْمُمْتَازُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكَائِنَاتِ، أَيْ خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَكُلُّ قَوْلٍ يَصِحُّ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ هُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي كَانُوا بِهَا نَاسًا، وَهِيَ الَّتِي يَتَّفِقُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ، وَبِرِّهِمْ وَدَفْعِ الْأَذَى عَنْهُمْ عَلَى كَوْنِهَا هِيَ الْحَقِيقَةُ الْجَامِعَةُ لَهُمْ، فَتَرَاهُمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي أَصْلِ الْإِنْسَانِ يَقُولُونَ عَنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَصْنَافِ: إِنَّهُمْ إِخْوَتُنَا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، فَيَعُدُّونَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَنَاطَ الْوَحْدَةِ، وَدَاعِيَةَ الْأُلْفَةِ وَالتَّعَاطُفِ بَيْنَ الْبَشَرِ،...وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ مِنْ تَذْكِيرِ النَّاسِ بِأَنَّهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لِلْكَلَامِ فِي حُقُوقِ الْأَيْتَامِ، وَالْأَرْحَامِ ؛ وَلَيْسَ كَلَامًا مُسْتَقِلاًّ لِبَيَانِ مَسَائِلِ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ بِالتَّفْصِيلِ... ".[1]وإن كان هذا الوصف جميلا وأقرب أقوال أهل التفسير إلى الصواب، ولا يمنع آدم وحواء عليهما السلام أن يدخلا فيها كونها من ذات إنسانية، مع كون المعنى عندي والله أعلم قد يحمل معنًا جامعاً وأوسع وأبلغ مع حمله لهذا المعنى السابق-الإنسانية-، مثل الشيء المشترك الذي كان عليه الناس أو الماهية التي خلقهم منها الله، ولا أبلغ مما عَبَّرت عليه الآية على حالها، والله أعلم.

ولقد تركت في آخر كلامي على هذه الآية الأولى العظيمة من سورة النساء في هذا الموضع وجها مهما قد يَصْلُح أيضا أن يكون وجها يُفسر به هذه الآية، وهو في كلمة (الناس)، أُذكِّر بالآية؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

[1] - رشيد رضا، تفسير المنار،266/4.

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء 1)، إنّ كلمة (الناس) في القرآن الكريم لا يُقْصَد بها حصرا كل الناس، وإنما قد يُقصد بها " طائفة من الناس "، والأمثلة عل ذلك في القرآن كثيرة، كقول الله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (البقرة 199)، فليس كل الناس يحجُّون ويُفِيْضُون مِن عرفات، وفي مثال آخر قال الله تعالى في سحرة فرعون: (قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (الأعراف 116)، ومن المعلوم أن سحرة فرعون لم يسحروا أعين كل الناس في كل زمان ومكان، ومثال آخر قال الله تعالى في عيسى عليه السلام ومعجزة كـلامه في المهد: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران 46)، فعيسى عليه السلام لم يُكَلِّم كل الناس ولا كل بني إسرائيل في المهد. وهنالك أمثلة عديدة في القرآن الكريم في مجيء كلمة (الناس) بمعنى طائفة من الناس وجزء منهم وليس كل الناس في كل زمان ومكان، وسيأتي إن شاء الله ذِكر أمثلة أخرى في عنوان: " دليل: الآيات التي تذكر خلق الناس من طين لا تعني بالضرورة أنّ كل الناس في كل زمان ومكان هم من أبناء آدم عليه السلام "، بل من المفسرين من ذكر أن النداء بـ (يا أيها الناس) يُراد به يا أهل مكة – كما رأينا سابقا حين أشار رشيد رضا إلى هذا النّداء –، [1] وهذا ما يتوافق في معناه مع هذا الوجه الذي نذكره، أي يا أيتها الطائفة من الناس. فإذا أخذنا هذا المعنى أي أن كلمة (الناس) يُقْصَدُ بها جزء من الناس، ونظرنا إلى قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم

[1]– يقول المفَسّر الواحدي في تفسير قول الله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ): " { يا أيها الناس } يا أهل مكة " (أبو الحسن الواحدي النيسابوري، العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية –دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، ص 251، وجاء في تفسير زهرة التفاسير للمفسر أبي زهرة: " يذكر بعض المفسرين أن النداء بـ " يا أيها الناس " يخاطب به أهل مكة، والنداء بـ " يا أيها الذين آمنوا " يخاطب به المؤمنين، وأخذوا ذلك من أن أكثر الآيات التي ابتدئت بـ " يا أيها الناس " نزلت بمكة ... "، (أبي زهرة أحمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، 3/1573.)

مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)، ثم أخذنا قول من قال بأنّ النفس الواحدة هي آدم وزوجها حواء عليهما السلام – حتى وإن كانت الآية لا تلزم بالضرورة أن تُفسَّرَ حصرا بهذا القول كما بَيَنَّا سابقا –، فإنّه يظهر لنا معنى الآية: " يأيتها الطائفة من الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من آدم وخلق منه زوجه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "، فهنا يظهر المعنى واضحا أنّه ليس بالضرورة أنّ كل الناس من آدم عليه السلام، ومن غير الممتنع بل من المتوقع وجود أناس من غيره أو قبله، وهذا المعنى أيضا يستقيم ويتوافق مع الآية من سورة البقرة التي تذكر قياس الملائكة لإفساد بني آدم في الأرض على مخلوقات قبله، ويتناسب مع واقع آدم عليه السلام الزماني – والذي سوف نحسبه بالأدلة والقرائن فيما يلي من الكتاب بإذن الله – المتأخر كثيرا عن كثيرٍ من آثار وبقايا الإنسان التي اكتشفت في الأرض، وأدلة أخرى سوف نراها بإذن الله تعالى.

فليس كل إنسان من بني آدم بينما كل بني آدم إنسان، كما سيأتي مزيد برهان على ذلك بإذن الله.

دليل: تحريم زواج الأخ مع أخته:

قال الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (النساء 23-24).

الله تعالى حرم علينا الزواج من الأخت، وجعل ترتيب ذكرها في آية التحريم السابقة التي ذكر الله فيها المحرمات من النساء في الرتبة الثالثة من أربع عشر امرأة محرّمة، ما يدل شِدّة وأهمية تحريمها، والله أعلم.

وقد حرّمت أديان سماوية هذا الزواج، أي الأخت مع أخيها، كاليهودية والنصرانية[1] والمجوسية (الزرادشتية) الأصلية،[2] وحرّمته أديان شبه سماوية كالهندوسية -هي أصلها ديانة توحيدية لكن مُحرّف توحيدها- والبوذية،[3] والفِطَر السليمة تَنْفِر من مثل هذا النكاح، وحتى العلم أثبت أنّه كلما كان زواج الأقارب قريبا كلما زاد احتمال الإصابة بالأمراض، والتجربة تؤكد ذلك.

وكل هذا يدل أنّه من المستبعد أنّ آدم عليه السلام كان يُزوّج أبناءه مع بناته، لا سيما وأنه كان نبياً على شريعة، والشرائع السماوية حتى لو كان فيها بعض الاختلاف في بعض الفروع مع اختلاف الزمان أو المكان، كتحريم وتحليل بعض المأكولات، وكيفية أداء بعض العبادات، إلا أن ّفيها ثوابتاً لا تكاد تتغير مع الوقت، كتحريم القتل ظُلما، فالخبائث تبقى خبائثاً والطيبات تبقى طيّبات، قال الله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) (الأعراف157).

فشرائع الأنبياء تتقارب وتتشابه في الأصول ومثل هذه الأمور، يقول ابن تيمية: " وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ، وَلَمْ يَنْسَخْهُ النَّبِيُّ الثَّانِي، بَلْ أَقَرَّهُ؛ كَانَ اللَّهُ آمِرًا بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيٍّ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَعْثَةِ الثَّانِي مَا يُسْقِطُ وُجُوبَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ

---

(1) – انظر: الكتاب المقدس: سفر اللاويين الإصحاح السابع عشر.

(2) – انظر الأثر الذي روي عن علي رضي الله عنه، حيث ذكر فيه أن المجوس كانوا يحرّمون زواج الأخ مع أخته. انظر: الشافعي، المسند، 763. ويؤكد معنى هذا الأثر المؤرخ هيرودوتس في تاريخه، حيث روى نفس الحادثة بمعنى يقترب منها، انظر:

Hérodote, Histoire d'Hérodote, TraduiT par Larcher, CharpenTier libraire- édiTeur, 1850, 1/249.

(3) – انظر: مقال لمحمد علي البار بعنوان: زواج الأقارب والمحارم عند الأمم، موقع الإعجاز العلمي برابط:

https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/81-Number-XXIII/731-Inbreeding-and-incest-at-the-United

النَّبِيُّ الْأَوَّلُ وَقَرَّرَهُ النَّبِيُّ الثَّانِي. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَنْسَخُ بِالْكِتَابِ الثَّانِي جَمِيعَ مَا شَرَعَهُ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَإِنَّمَا الْمَنْسُوخُ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْكُتُبُ وَالشَّرَائِعُ ".[1]

أَماَّ ما نقله بعض أهل التفسير من أثر يُنْسَبُ فيه أنّ آدم عليه السلام كان يولد له في كل حمل زوج من التوائم ذكر وأنثى، وأنّه كان يُزَوّج غلام هذا البطن بأُنثى البطن الآخر، وأنثى هذا البطن بذكر البطن الآخر، فهذا الخبر نُسِبَ إلى الإسرائيليات، وهذا الأثر نذكره هنا كي يتبين الأمر إن شاء الله تعالى:

يروي ابن جرير الطبري في تفسيره أثرين يثبتان المعنى السابق، أحدهما يذكر في سنده أنه من خبر أهل الكتاب، وهو: " حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأوَّل: أن آدم أمر ابنه قابيل أن يُنكِح أختَه تُوْمَهُ هابيل، وأمر هابيل أن ينكح أخته تُوْمَه قابيل، فسلم لذلك هابيل ورضي، وأبى قابيل ذلك وكره، تكرمًا عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل، وقال: نحنَ وِلادة الجنة، وهما من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي! ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول: كانت أخت قابيل من أحسن الناس، فضن بها عن أخيه وأرادها لنفسه. فالله أعلم أيّ ذلك كان فقال له أبوه: يا بني إنها لا تحلُّ لك! فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه، فقال له أبوه: يا بني فقرّب قربانًا، ويقرّب أخوك هابيل قربانًا، فأيُّكما قَبِل الله قربَانه فهو أحق بها. وكان قابيل على بَذْر الأرض، وكان هابيل على رِعاية الماشية، فقرب قابيل قمحًا وقرّب هابيل أبْكارًا من أبكار غنمه وبعضهم يقول: قرب بقرة فأرسل الله جل وعز نارًا بيضاء فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، وبذلك كان يُقْبَل القُربان إذا قبله".[2]

---

[1]- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق على بن حسنن – عبد العزيز. ابن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية، 1419هـ – 1999م، 2/440.

[2] – الطبري، جامع البيان، 10/205-206.

فهذا الحديث ليس من كلام النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، بل هو من أقوال أهل الكتاب، بدليل نسبته إلى "بعض أهل العلم بالكتاب الأول" كما يقول سند الأثر، والكتاب الأول، هو كتب أهل الكتاب أو الكُتُب التي أنزلها الله قبل القرآن الكريم، وأما الإسرائيليات فلا نصدقها ولا نكذبها، إلا ما كان يُقِرُّه شرعنا، أو كان عليه دليل -أو قرينة مقبولة- دون معارضة شرعنا، وإذا صدّقناها كلّها فينبغي تصديق كل ما يقوله أهل الكتاب، ففي الأنبياء مثلاً؛ عندهم سليمان عليه السلام ارتَدّ عن دينه في آخر حياته وبنى معابد الأصنام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وغير ذلك من الأمور في أخبارهم التي يندى لها الجبين والله المستعان، وحتى ابن جرير الطبري روى أثرين فقط بهذا المعنى في زواج المحارم من أصل ستة عشر أثر، أي باقي الأربعة عشر أثرا التي رواها عن التابعين والصحابة لا يوجد فيها أنّ أبناء آدم عليه السلام كانوا يتزوجون أخواتهم، لذلك ينبغي الحذر من هذه الأمور إلا ما كان عليه دليل. وغالب الظن أنّ هذا الكلام السابق في زواج الأخوة مع الأخوات من أبناء آدم عليه السلام مجرد اجتهاد بشر بخاصة من أهل الكتاب، يُحَاوَل فيه الخروج من الإشكال بخبر لا يوجد له سند إلى الوحي أو عليه دليل - بناء ربما على تخيلهم بأن آدم عليه السلام كان وحده مع أهله على كل وجه الكرة الأرضية -، بل الشرائع السماوية والأعراف المستقيمة والفِطَر السليمة تَدّلُّ على عكس الفِعْل.

وبعد الأدلة والقرائن التي رأيناها سابقا والتي تُجوِّز وجود بشرٍ قبل آدم عليه السلام بل تشير إلى ذلك، وبعد الجمع بينها وبين الأدلة في تحريم زواج المحارم؛ فإنه يمكن القول أنّ آدم عليه السلام كان مُعاصرا لقوم آخرين من جنسه، وأنه على الصحيح قد تزوج أبناؤه وبناته معهم، ونشأت أجناس منهم، فنحن لسنا أبناء زواج محارم، هذا وسيأتي مزيد أدلةٍ وقرائنٍ ليزداد اطمئنان من ارتاب في ذلك، في خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى.

دليل: قول عبد الله بن عباس؛ سبع أراضٍ في كل أرضٍ آدم كآدم:

قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق12)، جاء في تفسير هذه الآية عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} قَالَ: سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى ".[1] فمعنى ذلك أنه يوجد أوادم آخرون، في أراضٍ أخرى.

---

[1]- أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، رقم: 831، 267/2، وأخرجه غيره. وقال الذهبي في كتاب " العلو للعلي الغفار " ما مُلخَّصه: "رواه الْبَيْهَقِيُّ فِي الصِّفَاتِ ، ورُوَاته ثِقَات ، وَرُوِيَ عَن عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ مُطَوَّلا بزِيَادَةٍ ، غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَعْتَقِدُ أن لذَلِكَ أصلا ، فَقَالَ الْبَيْهَقِيّ: أخبرنَا الْحَاكِم أنبأَنَا أَحْمد بن يَعْقُوب الثَّقَفِيّ حَدثنَا عُبَيْدُ بْنُ غَنَّام حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : "سبع أرضين، وَفِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمِكُمْ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى." شَرِيكٌ وَعَطَاءٌ فِيهِمَا لِينٌ لَا يَبْلُغُ بِهِمَا رَدَّ حَدِيثِهِمَا وَهَذِهِ بَلِيَّةٌ تُحَيِّرُ السَّامِعَ كَتَبْتُهَا اسْتِطْرَادًا لِلتَّعَجُّبِ وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ اسْمَعْ وَاسْكُتْ".(شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، العلو للعلي الغفار، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1416ه-1995م، ص75).

وقال السيوطي : "هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الحاكم فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ وَقَالَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَلَكِنَّهُ شَاذٌّ بِمَرَّةٍ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْبَيْهَقِيِّ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ صِحَّةُ الْمَتْنِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَصِحَّ الْإِسْنَادُ وَيَكُونُ فِي الْمَتْنِ شُذُوذٌ أَوْ عِلَّةٌ تَمْنَعُ صِحَّتَهُ، وَإِذَا تَبَيَّنَ ضَعْفُ الْحَدِيثِ أَغْنَى ذَلِكَ عَنْ تَأْوِيلِهِ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَقَامِ لَا تُقْبَلُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ الضَّعِيفَةُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُؤَوَّلَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمُ النُّذُرُ الَّذِينَ كَانُوا يُبَلِّغُونَ الْجِنَّ عَنْ أَنْبِيَاءِ الْبَشَرِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُسَمَّى كُلٌّ مِنْهُمْ بِاسْمِ النَّبِيِّ الَّذِي بَلَّغَ عَنْهُ." (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، 1424ه-2004م، 462/1).

قلت: نلاحظ أن العلماء اختلفوا في تصحيح الحديث، والذين ضعّفوه لم يضعفوه من سنده إنما ضعفوه من متنه، أي حكموا عليه بالشذوذ من المتن لأنه خالف عندهم ما ظنوا أنه معلوم عندهم من الدين

أو فيه علّة عند ظنهم، مع كونهم يعترفون أن رواته كلهم ثقات، حيث في كلام البيهقي "إسناده صحيح ولكن..."، وفي كلام الذهبي في رجلين من الحديث " شَرِيكٌ وَعَطَاءٌ فِيهِمَا لِينٌ لَا يَبْلُغُ بِهِمَا رَدَّ حَدِيثِهِمَا ..." (أي يُقبل حديثهما)، فالمسألة إذا هي حول نص الحديث، وهذا قابل للنقاش، وقابل أن يُناقش فيه من رآه أنه يعارض الكتاب أو السنة في رأيه واجتهاده، ولذلك نجد في كلام السيوطي دليلا عن إمكانية صِحّة هذا الحديث عنده، إذ إنه لم يجزم بأنه لا يصح، لذلك نجد أنه حاول أن يجعل له تأويلا بحسب اجهاده رحمه الله فقال: " وَيُمْكِنُ أَنْ يُؤَوَّلَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ..."، وإن كانوا مأجورين العلماء الذين قالوا باحتمال عدم صِحّته على اجتهادهم، إلا أن هذا الرأي ليس صواب، لأنه لا يوجد من الدين ما يعارض ذلك، بل العكس، فإن هذا الحديث يتوافق مع الآية الكريمة: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ }، فالأرض لا تكون فيها تراب وجبال و أشجار وجماد فقط، وإنما فيها أشياء أخرى من أهمها البشر الذين يسكنونها، وأهم البشر هم الأنبياء، فالمِثْليّة إذن بين هذه الأراضين ليست بالضرورة أن تكون محصورة في الجماد أو التراب أم ما في الأرض من المخلوقات من غير البشر، فقد تكون المِثْليّة أيضا في البشر الذين هم مُكَوِّن من تلك الأرض، إذ هم ينسبون إليها لكونهم من ساكنيها، وأهمهم الأنبياء كما قلنا، ولذلك نجد من المفسرين من رد هذا الرأي في تضعيف المتن وأثبت الحديث، مثلما قال الألوسي في تفسير الآية بعدما أورد كلام الذهبي: " قال الذهبي: إسناده صحيح ولكنه شاذ بمرّة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا. ... وأقول-أي الألوسي- لا مانع عقلا ولا شرعا من صِحّته، والمراد أن في كل أرض خلقا يرجعون إلى أصل واحد رجوع بني آدم في أرضنا إلى آدم عليه السلام، وفيه أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وإبراهيم وغيرهما فينا." (الألوسي، روح المعني، 338/14).

وسبحان الله نجد أن عبد الله بن عباس تُرجمان القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه والتأويل، قد أَحَسَّ بِعظم وَقْع هذه الآية على الناس، فاسْتشعر أنه سيكون من يُكذّب حديثه في تفسيرها، فنُقل عنه أيضا أنه قال رضي الله عنه في نفس الآية: "لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها". (رواه الطبري في تفسيره، 469/23).

قلت: حقيقة لا يوجد أي مانع نقلا ولا عقلا في نص الحديث، بل علم مقارنة الأديان وتاريخ الأديان يُؤيِّد ذلك، وقد وجدنا تشابهاً في شخصيات من المحتمل أنها أنبياء في ملل تلك الأمم، من بينها الأمة الفارسية والشعب الآري القديم، وسأذكر في المتن إن شاء الله أمثلة من ذلك، وقد ادخرت أمثلة

وقد وجدنا شواهداً واقعية وتاريخية لهذا الحديث تتوافق معه بل تؤكد معناه، حيث يوجد تشابه بين بعض الأنبياء في بعض المناطق المختلفة، مثل التشابه الموجود لبعض الشخصيات في الجنس الآري الفارسي القديم بينه وبين أنبياء الشرق الأوسط، "كالنَبِي يِيمَا" الذي يُشبه نوح عليه السلام، وزرادشت الذي يشبه محمد صلى الله عليه وسلم، وأبيهم كيومرث الذي هو بمنزلة آدم عليه السلام، وهذه التشابهات في أديان وأماكن أخرى، وأمم مختلفة يمكن الكلام عليها النحو التالي بإذن الله:

أخرى في أمم أخرى، تؤكد هذا الأمر أيضا، لأن المقام ليس مناسبا لإيرادها، وسأوردها في بحث آخر إن شاء الله، ولإن اكتفينا بالمثال الآري الفارسي لكان كافيا. ويمكن أن نقول بعدها أنّ هذا الحديث له شاهد علمي تاريخي يؤيده، بل شاهد واقعي، وهي سنة الله في تشابه الأراضي والأمم والأنبياء.

والمفتاح الآخر في فهم الآية هو معرفة أن لفظ أرض في القرآن لا يُقصد به حصاراً الكرة الأرضية بأكملها، وإنما قد يُقصد به جزء من الكرة الأرضية، مثل قول الله تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (الروم 2-3)، قيل أدنى الأرض: أقرب أرض الشام إلى فارس، (انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/14)، وقيل أدنى أرض الروم إلى أرض العرب (أدنى معناه أقرب)، يقول ابن عاشور: " وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى الرُّومِ فِي أَطْرَافِ بِلاَدِ الشَّام الْمُحادَّة بِلاَدِ الْعَرَبِ بَيْنَ بُصْرَى وَأَذْرُعَاتَ. وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَة فِي أَدْنَى الْأَرْضِ أَي أدنى بِلاَد الرّوم إِلَى بِلاَد الْعَرَب. فالتعريف فِي الْأَرْضِ لِلْعَهْدِ، أَيْ أَرْضِ الرُّومِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ، أَوِ اللاَّمُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ، أَوْ أَدْنَى أَرْضِ اللَّهِ. " (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/12.) بل قد يطلق لفظ الأرض في القرآن الكريم ليس على غير الكرة الأرضية فحسب، وإنما على غير أرض الدنيا، مثل قول الله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر74)، حيث الأرض المذكورة في الآية هذه هي أرض الجنة، (انظر: الطبري، جامع البيان، 342/21)، يقول ابن عاشور: " ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْأَرْضَ مُسْتَعَارًا لِلْجَنَّةِ لِأَنَّهَا قَرَارُهُمْ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ قَرَارُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى." (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 73/24).

وهذه الأدلة التي رأيناها سنرى مزيد منها إن شاء الله مشيرة إلى وجود بشر قبل آدم عليه السلام.

فمثلا فيما يؤمن به المجوس (الزرادشتيُّون) الفُرْس في أبيهم الذي يُسمُّونَهُ "كيومرث"، إذ يُقَرِر " الأبتساق " أو الأبستاه " الكتاب المقدّس الفارسي (الزرادشتي)[1] – والذي يحتوي حقيقة على بقيا وحي قديم بالرغم من ضياع كثير منه–

---

[1]– الابتساق (أو الأفيستا أو الأبستاه أو الأبستا أو الأوستا) وباللاتينية (AVESTA): هو الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، والابتساق الذي بين أيدينا هو جزء صغير من الابتساق الساساني (زمن الساسانيين)، والذي بدوره أُعيد جمعه في زمن الملك أردشير الساساني عن الأبتساق الأصلي الذي فُقد كثير من أجزائه نتيجة حرقه وسلبه من اليونانيين بقيادة الكسندر المقدوني، وبالرغم من هذا ومن التحريف كذلك، فإنه هذا الأبتساق الذي بين أيدينا قد حافظ على بعض الآثار ولو تقريبية من الأبتساق الأصلي لزرادشت، والذي ينقلون أن الله أنزله عليه، فهم يعتقدون نبوته، والصحيح أنّه نبي، ولو أنّ أكثر هذا الكتاب ضاع كما قلنا. والآن هذا الكتاب بما يتكون من أسفار هي بيد ما تبقى من مجوس الهند وإيران، وحسب رواية الفرس الأفيستا (الأبتساق) في الأصل يتكون من واحد وعشرين نَسْكًا (NASK) أي كتابا، والكتب الذي يتكون منها هي: الفنديداد (الذي ينقل أنه وصل كاملا من العهد الساساني)، و القسبرد، واليسنا، والخرده أفيستا، اليشتات.

أما الفنديداد: فهو كتاب دين وتمدين وفيه أبحاث عن خلق العالم ويتألف من اثنين وعشرين فَرْكَرْد (Fargard)، جاء معظمه على صورة مكالمة بين الله وزرادشت.

القسبرد: فهو كتاب خاص بالمراسيم الدينية وترتيبها، ويتألف من أربع وعشرين كردة أي فصلا.

اليسنا: تنقسم إلى اثنين وسبعين ها (ha) أي قسما. وهي عبارة عن أدعية تقرأ عند تقديم القرابين، وتشمل الكاثات (GaTha) والتي هي أناشيد مجوسية ترجع إلى مطلع القرن السادس قبل الميلاد، الخمس منها المكتوبة بلسان قديم جدا يقرؤها المجوسي في أهم أحواله وحياته.

الخرده أفيستا: مجموع صلوات وأدعية وأناشيد تتلا في أوقات من اليوم وفي الأيام المباركة والأعياد الدينية.

اليشتات: مجموع مدائح وتضرعات وصلوات وقرابين، وكثير من العلماء لا يعدون اليشتات كتابا قائما بذاته، بل يعتبرونه جزءا من الخرده أبستا، وعليه تكون كتب الأبتساق في نظرهم أربع فقط.

وكان الأبتساق (الأفيستا، الأبستا) مكتوب في البدأ باللسان الأبستي، وهي لغة قديمة كان يُتكلم بها في مناطق من فارس ثم اندثرت، ثم نقل الأبتساق إلى اللسان البهلوي على عهد الساسانيين. وتوجد

أنّ أول إنسان هو كيومرث[1]-أي في تلك الأمة-، ويعتقد الفرس أنهم مُنحدرون من هذا الرجل وأنه أبوهم، يقول الشهرستاني: " المجوس. وهؤلاء يقولون: المبدأ الأول من الأشخاص: كيومرث، وربما يقولون زروان الكبير، والنبي الثاني: زردشت. والكيومَرْثِيّة يقولون: كيومرث هو آدم عليه السلام، وتفسير كيومرث هو: الحي الناطق. وقد ورد في تواريخ الهند والعجم أن كيومرث هو آدم عليه السلام، ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ. "[2]ويقول المؤرخ القزويني على الفرس: " وأهلها أصحاب العقول الصحيحة والآراء الراجحة والأبدان السليمة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة، فلذلك تراهم أحسن الناس وجوهاً وأصحهم أبداناً وأحسنهم ملبوساً وأعذبهم أخلاقاً وأعرفهم بتدبير الأمور! ...كان أولهم كيومرث ... ".[3]

والصحيح بل نجزم أنّ كيومرث ليس آدم عليه السلام، وإنما هو على الراجح أبُ الفرس، والآريين أو جزء كثير منهم، مِن الأمة التي سكنت تلك المنطقة من وسط

أقسام منها بلسان السنسكريت يقرأها مجوس الهند (يسمون البارسي)، وتوجد تراجم باللسان الكجراتي والفارسي الحديث. وقد عنى الفرنج بالأبتساق ونقلوه إلى لغتهم ودرسوه، ولكن لم ينقل إلى العربية إلا حديثا (في هذا القرن الأخير)، وأول من ترجم جزءا منه (الفنديداد) إلى العربية فيما بلغ (داود الجلبي الموصلي) في كتاب عنوانه (كتاب الفنديداد أهم الكتب التي تتألف منها الأبستا وهي مجموع كتب المجوس الزرادشتيين) هذا القرن الأخير، (حوالي نهاية القرن الرابع عشر لهجرة النبي محمد صلى الله عيه وسالم، منتصف القرن العشرين) -ليطّلع عليه الباحثون العرب من الأمة الإسلامية-، ثم تلاه ترجمة للإبتساق (لخليل عبد الرحمن) تحت عنوان (أفيستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية) أكثر شمولا.

انظر: داود الجلبي الموصلي، كتاب الفنديداد أهم الكتب التي تتألف منها الأبستا، منشورات الجمل، ط الأولى، بيروت، 2011م، ص5-6، أرثر كرسيتنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص 41-42.

[1] – voir : Harlez, AvesTa livre sacré du zoroasTrisme, p cxx.

[2] – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، 38/2.

[3] – زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد والأخبار والعباد، دار صادر، بيروت، ص233.

آسيا (التي جمعت الجنس الآري)،[1] ويعدُّونه كذلك أوّل ملك في تلك الأرض (ناحية فارس، وآدم عليه السلام لم ينقل أنّه كان مَلِكا بتلك الأرض)، ينقل الشهرستاني: " الزرداشتية أولئك هم أصحاب زردشت ... زعموا أن لهم أنبياء وملوكا: أوّلهم كيومرث. وكان أول من ملك الأرض، وكان مقامه بإصطخر... ثم بعده أنبياء وملوك... حتى انتهى الملك إلى كشتاسب بن لهراسب، وظهر في زمانه زردشت الحكيم. " [2] فيكون بذلك كَيُومَرْثْ[3] بحسب الفُرس نبيا وأباً للفُرس في نفس الوقت، فهو بهذا بمنزلة آدم عليه السلام عندنا.

---

[1]- أما كنونه أب للآريين كذلك والتي تنسب إليهم الأمة الفارسية، انظر كذلك: الموسوعة الإيرانية: -http://www.iranicaonline.org/articles/gayomart

[2]- الشهرستاني، الملل والنحل، 2/41.

[3]- فإن كان كَيومَرْثْ من نسل آدم عليه السلام (كما ذكر بعض مَنْ كَتَبَ في التاريخ، مثل ما جاء في السيرة النبوية لابن كثير: "كَانَ أول مُلُوكهمْ جيومرت بْنُ أَمِيمَ بْنِ لَاوَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نوح" (ابن كثير، السيرة النبوية، 218/1)، فلا يوجد إشكال، إذْ يكون بذلك أبا آخرا (ثانيا أو ثالثا) لأمة الفارسية الآرية ويكون أبوها الأول هو آدم عليه السلام، مثل أنّ نوح عليه السلام أبانا الثاني وآدم عليه السلام أبانا الأول. وإن لم يكن كيومرث من نسل آدم عليه السلام، فلا يوجد إشكالٌ أيضا اللهّم إلا الأمر المهِّم الذي نحن بصدده إثباته، وهو وجود بشر قبل آدم عليه السلام، إذْ يستلزم أن يكون كيومرث في هذه الحالة من غير آدم عليه السلام، أي من غير نسله، وفيه احتمالين: الاحتمال الأول أن يكون الله قد خَلقهُ خلقاً أولاً من غير أبٍ ولا أم؛ مثل آدم عليه السلام، ثم انحدرت منه الآريون والفُرس، فهو بذلك أباً أولاً منفصلاً للفُرس أو الآريين معاً في أرضه، مثل آدم عليه السلام في أرضهِ مع كثيرٍ من الشعوب التي انحدرت منه وانتشرت كالعرب واليهود وغيرهما من الشعوب. والاحتمال الثاني أنه يكون منحدرا من نسلٍ آخرٍ غَيرَ آدم عليه السلام وذريته، أي من أُناسٍ آخرين، ويكون بذلك أبا آخرا مجددا للفرس وإخوانهم ممن انحدر منه من الآريين، مثل نوح عليه السلام الذي هو أبا آخرا مجدا لنسل آدم عليه السلام أو جزءا من نسله، وقد انحدر من نوح عليه السلام بعدها كل من الساميين والحاميين واليافثيين. وأما إذا نظرنا إلى النصوص الزرادشتية فهي تميل إلى الاحتمال الأول كونها تذكر أن الله قد خلق كيومرث من الأرض -أي خلقا مستقلا- من تلك الناحية وسط آسيا وجعله ملِكاً ونبياً، أي

وعندهم كذلك نبي قديم في أسلافهم يشبه نوح عليه السلام ولكنه ليس نوحا عليه السلام، حيث يسمى هذا الرجل بـ "يِيمًا" (yima) وهو من أوائل الأنبياء الذين بُعثوا بحسب ما يصرح به الكتاب المقدس الزرادشتي " الأبتساق " -والذي ربما قد يظهر أنّه من أوائل الأنبياء الذين بُعثوا في جنسهم الآري القديم-، وحقيقة هذا الرّجُل

نواحي التركمنستان وأوزبكستا وكزكستان وما جاورها، وكان مقامه بإصطخر في إيران (انظر في هذا: الشهرستاني، الملل والنحل، 174/2، موقع الموسوعة الإيرانية http://www.iranicaonline.org/articles/gayomart- ، وموسوعة الأديان في العالم، ص76) أمّا كون ما نقلته نصوصهم المقدسة أنه جعله الله مَلِكاً ونبيا يُبلّغ دعوته إلى الناس، فيفهم منها إلى أنّه كان يُعاصره أُناس آخرين بدليل أنّه كُلّف بتبليغ الرسالة إليهم وأنه كان ملكا عليهم، فإن هذا يدلّ إن صحّت هذه النصوص إلى أنّه من الإمكان أو من السنن أن يخلق الله رجلاً خلقا مستقلا من الأرض ابتداء، من دون أبٍ ولا أمٍ، ثم يجعله خليفة في أرضه، التي هي أصلا قد يكون فيها أناسٌ من غير نسله، ويجعله نبيا وملكا فيهم، ثم يكون أبا لنسل ينحدر منه، وأبا أولا لهم، ولهذا يؤمن الفرس و بعض من أقاربهم من الآريين أن كيومرث أباهم الذي يُنْسَبُون إليه -ونجد لذلك أثرا في نصوصهم المقدسة وبعض ميثولوجياتهم كأسكندناف،- وهذا ما قَدْ يدع إلى الخروج بتفسير مقارب لخلق آدم عليه السلام، وفي أنه قد خُلق مثل كيومرث، بأن يكون خلق الله آدم من الأرض التي عاش فيها، وجعله فيها نبيا، مع بشر آخرين عاصروه، ثم انحدرت منه ذرّيته، وهذا ما يُبْعِد احتمال أننا أبناء زواج محارم، أي لم يتزوج أبناء آدم مع بناته -فإني لم أجد أي حديث صحيح يؤكد هذا النكاح بين الأخوة والأخوات-، وأُنَبّه أن هذا الاستنتاج في آدم عليه السلام لم نستنتجه ابتداء من قصة خلق كيومرث، لكون من غير الممكن الاعتماد على النصوص الزرادشتية لوحدها لما فيها من زيادة ونقصان عبر الزمان، إلا إذا أتت طُرُقٌ وقرائن أخرى تُقوّيها، وإنما قد ظهر لي أدِلّةً أخرى تثبت ذلك قبل دراسة قصّة أب الفُرس أصلا، لما تناولت دراسة أديان أخرى وبخاصة أديان الأقوام البدائية في أستراليا وأمريكا -لاسيما أعمال العالمان أندرو لانج الإنجليزي و وليام شميد الألماني- وغيرها من الدراسات التاريخية والأثرية والعلمية، ثم قياسها على حديث عبد الله بن عباس في السبع أراضٍ، فوجدتها تتوافق معه، وقد زادت هذه النتيجة عندي يقينا لما درست الزرادشتية بأنبيائها وأبيهم كيومرث كما بيّنت في هذا الباب، بعدما وجدتُّها أيضا تتوافق مع هذا الأثر ومع فكرة تعدد وتشابه الأوادم والأنبياء.

تشهد على وجوده ثلاث جهات، من المجوس والهندوس والأسكندناف -إذ يدخلون هؤلاء الشعوب الثلاثة في أصول مشتركة في شعب واحد آري قديم- ما يَدُلُّ على حقيقة وجوده،[1] ووجه الشَّبه في ذلك أنّ الله أمر يِيما الذي آتاه المُلْك بأن يَتَّخِذ ملجأ، وأن يجمع فيه ما اصطفاه الله معه من بعض الناس، والحيوانات، والطيور، والحصاد، وأن يبني لهم ملجأ كبيرا داخل الأرض، فيجعلهم فيه، قبل أن تهب عاصفة ثلجية باردة عظيمة على العالم الآثم العاصي -يعني أرض تلك الأمة-، وتُهْلِك الخلق إلا من كانوا معه.[2] وبهذا يمكن تسمية يِيما بنوح الآرِيين نظرا للتشابه بين القِصتين.

والتشابه الآخر المُهِم الموجود هو بين النبي زرادشت -سُمِّيت عليه الزرادشتية- الذي يجعله المجوس الفُرْس أعظم رسول أرسله الله عندهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يوجد بينهما أوجهٌ مشتركة متعددة، كالصَّلاَح وحُبُّ الخُلْوَة والاعتزال قبل البِعْثَة، وكيفية نزول المَلَك عليهما أول مرة في الخلاء، وإنزال الله عليهما كتابا فصيحا، وتجديد الشريعة على غِرار الرُّسل الذي يبعثون بكتاب، وكثرة من التَّبَع لهما، واشتهار دعوتهما، والتشابُه بين شريعتيهما، وإعراج الله تعالى بهما إليه، وقد فَصَّلت في هذه الأمور وإثبات أنّ الزرادشتية ديانة سماوية، والأدلة على نبوة زرادشت وحتى

---

[1]- خليل عبد الرحمان، أقستا، روافد للثقافة والفنون، ط الثانية، ص 240، ص248 فصاعدا، و

Spiegel's- ArThur henry Bleek, AvesTa – Vendidad, Three volumes, HerTFord Muncherjee Hormusjee Cama, 1864, vol 1, p13-14 a p19

Harlez, Avesta livre sacré du zoroastrisme, p CXL

وقد ورد اسم هذا النبي "ييما" في الشاهانمة باسم "جامشيد"، انظر: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1943م، 1/ 69.

[2] - خليل عبد الرحمان، أفيستا، ص 240، ص248 فصاعدا، و Bleeck, Avesta, vendidad, vol 1, p13-14 a p19

Harlez, Avesta livre sacré du zoroastrisme, p CXL

تبشيره بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابي الآخر " الزرادشتية الديانة السماوية التي بَشَّرت بالمحمد صلى الله عليه وسلم. " [1]

والشواهد على حديث عبد الله بن عباس لا تقتصر على الزرادشتية والجنس الآري فحسب وإنما هنالك شواهد أخرى، في أديان وعقائد شعوب آخرين، قد ظهرت لنا بفضل الله بعد دراسات مُهمّة في أديان وعقائد شعوب قديمة، إذ تبيّن لنا أنّ ثمة بعض الشخصيات تشبه بعض أنبيائنا المعروفين، أنبياء الشرق الأوسط الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم، وبعض تلك الشخصيات جُعل آلهة بفعل الغلو مثلما فعلت اليهود والنصارى مع بعض أنبيائهم.[2] أذكر هنا على سبيل المثال شخصية "مانو"

---

[1]– انظر: لعربي أمين رياض، الزرادشتية الديانة السماوية التي بشّرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، عنوان: سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ وَآدَمُ كَآدَمَ وَنُوحٌ كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى كَعِيسَى.

[2]– وكذلك عند الوثنيين، فكثير من الأنبياء أُلِهُّوا بعد موتهم، مثل المسيح عليه السلام جُعِل ابنا لله، وإدريس عليه السلام، جُعِل الإله أوزِريس عند المصريين، بعد تحريف الدين، يقول محمود الشرقاوي في قدماء المصريين: " ولما طال على الناس الأمد وقست قلوبهم نسجوا حول إدريس عليه السلام الأساطير وجعلوه أُزِريس قاضي الموتى من يضع الموازين القسط ليوم القيامة. " (محمد الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب، 10/1). وقد قال الله تعالى: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) (80)، وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم قائلا: (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ). (رواه البخاري في صحيحه – الصلاة 425، ومسلم في صحيحه – المساجد ومواضع الصلاة 829.) فإن كان فعلها اليهود والنصارى مع أنبيائهم فكذلك فعلها آخرون، ولذلك قد نجد في كثير من أساطير الأمم آلهة على هيئة بشرية، وما هي في كثير من الأحيان إلا أنبياء، غلا فيهم أقوامهم من بعدهم، حتى جُعلوهم آلهة مع الله.

بل هنالك إعجاز في القرآن الكريم في ذكر مشابهة أهل الكتاب لأهل الأوثان؛ قال الله تعالى في مشابهة اليهود والنصارى للكفار من الوثنين وأمثالهم قبلهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

" Menu "عند هنود الهند، إذْ هذا الرجل في قصته يشبه نوحا عليه السلام إلى حد كبير، لكنه ليس بنوح عليه السلام، حيث تذكر المصادر أنّ الإله أنجاه من طوفان عظيم، بعدما أُمِر ببناء سفينة، ثم حمل فيها أهله وبضع أناس، وحمل حيوانات وبذور، ولما بدأت السماء تمطر فاض الماء وحمل السفينة بأمواج عاتية، ثم انتهى بهم المطاف إلى أن وقَّفَ "مانو" السفينة على قمّة جبل لم تغمره المياه في انتظار زوالها، ويُنْسَب إلى "مانو" كتاب فيه شرائع وقوانين،[1] فمن المحتمل دون أن نجزم بذلك، أنّ هذا الكتاب قد يكون من وحي الله كما أوحى إلى أنبيائه كتبا.

وهذه القصة تُشبه قِصة نوح عليه السلام كما هو على الظاهر، لكن هنالك اختلافا في الأمور والتفاصيل تجعل من هذه القِصّة ليست قِصة نوح عليه السلام، أوَّلها اختلاف المكان الذي تُروى فيه كل من القصتين؛ فإحداهما في الأمة الهندية البعيدة عن منطقة الأديان الإبراهيمية، والقصة الثانية هي قصة طوفان نوح عليه السلام المعروفة التي يرويها أهل الأديان الإبراهيمية والتي حدثت في جِهَتِهِم، وبُعْد المسافة بين كل من الأمتين يدلّ على أنهما حادثتان منفصلتان لاسيما وأنه سيأتي معنا إن شاء الله إثبات كون طوفان نوح عليه السلام قد حدث في ناحية مُعَيّنَة من الأرض وليس كل العالم –في ناحية تركيا–، وهذا ما لا يُناقض الوحي ويتّفق مع الإثبات العلمي الحديث لهذا الطوفان، فالأمة الهندية الكبيرة والمُتَشَعِّبة بأديانها وأعرافها بعيدة عن مناطق الأديان السماوية الثلاثة، ومن غير الممكن أن يُهلكهم الله بطوفان نبي لم تبلغهم دعوته، فكما قال رسول

ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) (التوبة30). يضاهئون أي يشابهون. فَهُنا الإعجاز، ليأتي العلم الحديث وعلم الأديان والتاريخ يَصْطفُ وراء القرآن، الذي سبق كل ذلك بمئات السنين في إثبات هذا التشابه العقدي، بين أهل الكتاب وبين أهل الأوثان من قبل.

(1) – voir : https://mythologica.fr/hindou/manu.htm . George Feber, The origin oF pagan idolatry, vol 2, R.and R.gilberT, ST.jhon's Square, 1816, p 149-150.

الله صلى الله عليه وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)،[1] فلا ينبغي لنوح عليه السلام أن يَدعُوَ أمماً متعددة في الشرق الأوسط وفي الهند جملة واحدة، ولا أن يكون موجودا في أمكنة مختلفة في نفس الوقت، ومن المؤكَّد أن يكون الله قد أرسل إلى الهند أنبياء من أُمَـتِّهِم وجِنسهم الآري لا يعرفهم العرب ولا بنو إسرائيل.[2]

ومن أوجه الاختلاف بين القصتين عدم تشابه الاسمين "نوح" و "مانو" إذ لو كان الشخص واحدا لكان الاسم واحد حتى ولو نَقَلهُ لسان أعجمي، إذ إن اسم "نوح" بعد آلاف السنين بقي كما كان لم يتغير، فإن اللغة اللاتينية بالرغم من ترجمة الاسم واختلافها عن اللغات السامية والسريانية، نجد أنّ الاسم بقي على حاله، ونطقه متقارب ويكاد يكون متطابق، فمثلا بالعربية "نوح" وبالإنجليزية " Noah " وبالفرنسية " Noé "، فُيعلم ضرورة أن الشخص المقصود واحد في كل من اللغات الثلاث، وإذا

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه 335-483.

[2]- ويذكر رشيد رضا كلاما نفيسا حول بقايا التوحيد والنبوة في الأمم الوثنية القديمة والهند، جاء في تفسير المنار: " أَنَّ الْمَجُوسَ وَالصَّابِئِينَ وَوَثَنِيِّي الْهِنْدِ وَالصِّينِ، وَأَمْثَالِهِمْ كَالْيَابَانِيِّينَ أَهْلُ كُتُبٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى التَّوْحِيدِ إِلَى الْآنِ، وَالظَّاهِرُ مِنَ التَّارِيخِ وَمِنْ بَيَانِ الْقُرْآنِ أَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ بُعِثَ فِيهَا رُسُلٌ، وَأَنَّ كُتُبَهُمْ سَمَاوِيَّةٌ طَرَأَ عَلَيْهَا التَّحْرِيفُ كَمَا طَرَأَ عَلَى كُتُبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّتِي هِيَ أَحْدَثُ عَهْدًا فِي التَّارِيخِ "، (رشيد رضا، تفسير المنار، 160/6.)

ويذكر نفس الْمُفَسّر أسبابا لعدم ذكر البوذيين والهندوس والكنفشيوسية في القرآن الكريم قائلا: " وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْقَدِيمَةِ الصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْبَرَاهِمَةَ وَالْبُوذِيِّينَ وَأَتْبَاعَ كُونْفُوشْيُوسَ ؛ لِأَنَّ الصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ كَانُوا مَعْرُوفِينَ عِنْدَ الْعَرَبِ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِالْقُرْآنِ أَوَّلًا ؛ لِمُجَاوَرَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْنِ، وَلَمْ يَكُونُوا يَرْحَلُونَ إِلَى الْهِنْدِ وَالْيَابَانِ وَالصِّينِ فَيَعْرِفُوا الْآخَرِينَ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ حَاصِلٌ بِذِكْرِ مَنْ ذُكِرَ مِنَ الْمِلَلِ الْمَعْرُوفَةِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِغْرَابِ بِذِكْرِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْمُخَاطَبُونَ فِي عَصْرِ التَّنَزُّلِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْأُخْرَى، وَلَا يَخْفَى عَلَى الْمُخَاطَبِينَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْبَرَاهِمَةِ وَالْبُوذِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ أَيْضًا. " (رشيد رضا، تفسير المنار، 156/6.)

قارناه بـ " Menu "، فنجد اختلافا بينه وبين اسم "نوح"، سواء كان بالعربية أو باللاّتنية، مما يعني أن كلاً من الاسمين يدلاّن على شخصين مختلفين، أي أن "نوحا" ليس "مانو".

وهنالك أدلة أخرى في التفاصيل تختلف بين القصتين تدُلّ أنهما حادثتان منفصلتان، مثل وجود حُوتٍ صغير التقى مانو وطلب منه أن يحميه من الحيتان الكبيرة، فأخذه وربّاه عنده، وعندما كبر الحوت أطلق سراحه؛ فأخبره الحوت بعدها بأن طوفانا عظيما سوف يضرب،[1] فإن أثر هذه الواقعة غير موجود في قصة نوح عليه السلام. هذا وهنالك أدِلّة وقرائن أخرى تؤكد هذا الاختلاف مع تشابه القصتين، مما يدل أنّ كُلاً من الشخصيتين لرجلين مختلفين ومنفصلين، مثل أن طوفان نوح عليه السلام كان محصورا في منطقة محدودة –على الصحيحة تركيا وما جاورها– ولم يصل إلى الهند كما سيأتي إن شاء الله إثبات ذلك في الفصل الأخير، ويزيد من احتمال نبوة "مانو" هذا، وأنه من المحتمل أنه بمنزلة نوح عليه السلام عندنا.

ولستُ الوحيد من فَرّق بين بعض قصص الهند وقصص أنبياء الشرق الأوسط، وتنبّه إلى الفرق مع إثبات بعض التشابه، فالباحث صافي حمدون توصَّل عموما إلى نفس النتيجة كذلك، إذ هنالك قصص في أُمَمٍ أخرى مُتشابهه لكنها ليست نفس القصص، وهذه سنن التشابه موجودة في كثيرٍ من خلق الله كذلك، وهذا ما يَتَوافق مع آية السبع أراضٍ التي نحن بصدد الحديث عنها، وحديث عبد الله بن عباس في تفسيرها، إذ أنّ هذا الباحث توصل إلى نفس النتيجة كما قلت، مثبتاً وجود أوادم آخرين، حيث وجد هذا التشابه في ميلثوجيّات وأساطير وقصص الشعوب المختلفة، ووجد مطابقتها لحديث عبد الله بن عباس، وقد سلك طُرُقاً علمية أخرى غير التي سلكتها؛ من علم الآثار والسفر إلى البلدان وغيرها من البحوث، وحَكَّمَّ ما وجد إلى القرآن الكريم والسنة حتى خرج إلى نفس هذه النتيجة. وقد عجبت شخصيا أني التقيت معه في هذه النتيجة

---

[1] – voir : https://mythologica.fr/hindou/manu.htm

قبل أن أقرأها في بحوثه – فهو متقدّم علي في السّن ووقت إجراء البحوث ونشرها–، وحينما اطلعت عليها جعلني ذلك أعجب وأَطْمَئِن، كوننا التقينا عموما في تلك النتائج في ظل حديث عبد الله بن عباس السابق مع سلوك كل واحد منا طريقا ومنهج بحث خاص به، وهذا ما زاد الأمر تأكيدا، فأنا سلكت وجهة البحث في كُتب الزرادشتية وعقائدها، وكُتب أديان الأقوام البدائية وما كانوا عليه من أديان وعقائد فِطرية كقبائل الأستراليين الأصليين وهنود الأمريكيين وغيرهم، وكذلك في دراسة أديان حضارات كبيرة كالهند وأمريكا الجنوبية. حيث وجدتُ أكثر من مثل في تشابه شخصٍ أو أشخاصٍ مع نبي أو أنبياء معروفين في الشرق الأوسط، وهذا في أقوام بعيدة كل البعد من الشرق الأوسط والأديان الإبراهيمية كأستراليا وأمريكا اللاتينية، بل بعضهم ظل معزولا عن العالم لأحقاب طويلة.

ومن الأمثلة عن هؤلاء الأقوام التي تُعدّ شواهدا أخرى لحديث عبد الله بن عباس السابق، والتي يُستأنسُ بها على وجود أوادم آخرين للبشرية؛ القبائل الأصلية لأستراليا "الأبوريجان"، حيث وُجِد عند بعض هذه القبائل الاعتقاد بوجود إله أعلى ! وأنّه عندهم خلق أول إنسان من طين !.[1] عِلمًا أن هذه الشهادات أُخِذَت من هذه القبائل من طرف باحثين قبل أكثر من قرن من الزمن –أي في بداية احتكاك المستعمر الأبيض مع السكان الأصليين المنعزلين–، حيث أكد هؤلاء العلماء الذين درسوهم عدم تأثر هؤلاء القبائل بالأديان والعقائد الخارجية بما فيها النصرانية، لا سيما وأنّ اكتشاف تلك القارة كان حديث عهد، ولم يبدأ استعمارها من طرف بريطانيا إلا في القرن التاسع عشر.[2] أما هذا الرجل الأول أو أباهم الذي يقولون أنه خُلق من طين فيمكن أن يُعتبر

---

(1) – voir : Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, presse universiTaire de france, 4e édiTion, 1960, p 411-412.

(2)– انظر: مقال للمؤرخة إليزابات بيرنيي Isabelle Bernier (HisTorienne) تحت عنوان Qui a découverT l'Australie ?، (2019/01/03)، رابط:

أب تلك القبائل (أو جزء منهم) وليس له علاقة بطبيعة الحال مع آدم عليه السلام، لا سيما وأنّ الدراسات الجينية الحديثة (dna) التي أجريت على الأسترالين الأصليين تؤكد عُزلتهم لقرابة من خمسين ألف 50.000 سنة أو أكثر، حيث تُرجِع أصلهم إلى عِرق إفريقي هاجر من إفريقيا قديما (خمسين ألف 50.000 سنة) والتحلق بتلك المناطق وعاش هناك،[1] وهذا يدل على أمرين: الأمر الأول أنّ هذا الأب الذي يؤمنون به ليس آدماً عليه السلام بدليل أنهم كانوا مُتواجدين في أستراليا لما نزل آدم في قرابة السبعة آلاف سنة من الآن إذ كانوا آنذاك معزولين فيها، وبعيدون جدا عن المكان الذي كان فيها آدم عليه السلام أي الشرق الأوسط. والأمر الثاني: أن أصل عِرْقِهم أقدم من آدم عليه السلام، فيلزم من ذلك أنّ أباهم الأول كان متقدما زمانا على آدم عليه السلام، وحتى لو فَرَضْناَ أنهم يقصدون أباً لهم أكثر تأخرا من التاريخ السابق، فإنه ليس آدماً عليه السلام بدليل العُزلة والبعد المكاني الشاسع، فأستراليا تبعد آلاف الأميال عن الشرق الأوسط وعن مكة التي بنى فيها آدم عليه السلام الكعبة.

---

https://www.futura-sciences.com/planete/questions-reponses/australie-decouvert-australie-10472/

[1] - انظر: صحيفة لوموند الفرنسية "Le Monde" بعنوان " Premier séquençage du génome d'un Aborigène d'Australie"، (2011/09/22)، رابط:

https://www.lemonde.fr/planete/article/2011/09/22/premier-sequencage-du-genome-d-un-aborigene-d-australie_1576529_3244.html

وأيضا مقال بعنوان Aborigènes ausTraliens et Européens Il y a 50 000 ans enracinés en Afrique للكاتب STeFan AniTei رابط:

https://news.softpedia.com/news/Both-Aborigines-and-Europeans-Rooted-in-Africa-54225.shtml

والعجيب أيضا أنه كان في هؤلاء الأستراليين من يؤمن برجل عظيم كان في القديم فيهم، يُسمى "مونغان نكاوة" Mungan-ngaua يعيش في الأرض وكان متزوجاً، ومعلما وداعيا كبيرا، علَّمَهُم كل الصناعات والفُنُون وتصنيع الأسلحة والقوارب...وكانوا يُعظِّمونه ويُعَظِّمون تعاليمه ويتناقلونها وهي: الاستماع لكبراء السِّن وطاعتهم، العيش بسلام مع بعضهم البعض، اقتسام ما يملكون مع أصحابهم، عدم إقامة علاقة مع الفتيات أو النساء المتزوجات، مُرَاعاة أكل الأطعمة المحرمة ...، عدم المتاجرة مع زوجة آخر، عَدَم فعل أعمال تخالف الفطرة (الطبيعة)، وأن لا يكونوا سيِّئِين، وكانوا ينْقُلون قِصّة عِصيان قومٍ لهذا الرجل، حيث نقضوا عهده وخالفوا ما أمرهم به، فنزل عليهم عذابٌ من نار من السماء، وطوفان عظيم أغرقهم وأُغْرقت تقريبا كل البشرية وما نجى منهم إلا القليل، وبعد ذلك صَعِد ذلك الرجل إلى السّماء، وقد ترك ولدا –له– عدد من أفراد تلك القبائل يرجع نسلهم إليه.[1]

وما نستطيع أن نقوله أنّ اجتماع هذه الصفات في هذا الرجل رُبَّما تجعله من زمرة الأنبياء، للأسباب التالية بإذن الله:

- **"من تعاليمه الاستماع لكبراء السِّن وطاعتهم"**: لقد ورد في الإسلام ما يدعُ إلى توقير الكبير واحترامه، إذ هو من دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم القائل: (إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ ...).[2]

---

[1] - voir : AlFred HowiTT, The native Tribes oF soTh-esT ausTralia, London MACMILLAN AND CO Limited, NEW YORK : THE MACMILLAN COMPANY, 1904, p 543-585-629 a 633. P-Guillaume wilhelm schmiT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU, Librairie alphonse picard eT Fils, 1910. p 90-91.

[2] - رواه أبوداود في سننه رقم 4843.

- **"من تعاليمه مُرَاعاة أكل الأطعمة المُحَرَّمة"**: فيه دليل أنّ شرع هذا المُعَلِّم يُحَرِّم بعض الأطعمة، والشرائع السماوية تُحرِّم بعض الأطعمة كذلك، كاليهودية والنصرانية -الأولى قبل تحريفها- والإسلام، ففي الإسلام مثلا حرَّم الله بعض الأطعمة، قال الله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة 173).

- **"أمرهم بالعَيْش بسلام مع بعضهم البعض"**: هذا يُشْبِه قوله صلى الله عليه وسلـم: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ...).[1] وشرعنا يدعو المسلمين إلى العيش بسلام مع بعضهم البعض، قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).[2]

- **"دعاهم إلى اقتِسام ما يملكون مع أصحابهم"**: هذا من الزُهد والإيثار والذي يُعَد من أكارم الأخلاق، وقد يدلّ هذا الأمر أنّ صاحبه لم يكن مبتغيا الدنيا، وهذا يُشبه إلى حد ما ترغيب شرعنا الحنيف في الإحسان إلى إخواننا في الدين وأن نحب لهم ما نحب لأنفسنا، وإلى خُلق الإيثار والزهد، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر 9)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).[3]وقال أيضا: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).[4]

---

[1] - رواه البخاري رقم 10.

[2] - رواه مسلم في صحيحه رقم 2586.

[3] - رواه مسلم في صحيحه رقم 2586.

[4] - رواه البخاري في صحيحه رقم 13.

- **"من تعاليمه عدم إقامة علاقة مع الفتيات أو النساء المتزوجات"**: وهذا من الزنا الذي تحرمه الشرائع السماوية والإسلام خاصة، سواء كان مع المرأة المتزوجة أم مع غير المتزوجة، قال الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) (الإسراء 32).

- **"كان متزوجا"**: في مقابلة تحريم هذا المُعلم الكبير للزنا نجد أنه كان متزوجاً، وهذا من التفريق في شرعه بين الزنا القبيح والزواج الحلال الذي أحلته الشرائع السماوية –فالإلحاد مثلا لا يكاد يفرق بين الزنا والزواج–، بل الزواج من سُنَّة الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) (الرعد 38).

- **"من تعاليمه عدم فعل أعمال تخالف الفطرة (الطبيعة)"**: يبدو أن شريعة هذا الرجل لها اعتبار للفِطَر السليمة والطبائع القويمة، التي تميل إلى استحلال الطيبات وإلى استقباح الخبائث، بدليل أنه حَرَّم فعل الأمور التي تخالف الفطرة أو الطبيعة. وفي الإسلام جاءت الأدلة على أن الله فطر الإنسان على الدين السليم، قال الله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الروم 30)، وهذه هي الفطرة السليمة التي فطر الله عليها الإنسان.

- **"كان مُعَلما كبيرا"**: كذلك الأنبياء في أقوامهم كانوا مُعلِّمون كِبَارا.

- **"دعاهم أن لا يكونوا سيِّئِين"**: فهذا يعني أن هذا المعلم دعا قومه أن يكونوا طيبين وأن لا يكونوا سيئين، وهذه دعوة خيرٍ تجتمع عليها كل الشرائع السماوية والأنبياء.

- **"قصة هذا الرجل مع قوم، حيث نقضوا عهده وخالفوا ما أمرهم به، فنزل عليهم العذابُ"**: وهذا يشبه قصص الأنبياء مع أقوامهم المكذبين، فمن عادة سنن الله تعالى أن ينزل العذاب على أقوام الأنبياء الذين يكذبونهم، ولنا أمثلة كثيرة في القرآن الكريم على مثل ذلك؛ كقوم نوح وقوم هود وقوم لوط وقوم صالح وقوم موسى (في الشرق الأوسط)، ولا شك أن الحال يقتضي وجود أقوام آخرين كذبوا أنبياءهم في أماكن بعيدة

غير الشرق الأوسط فحلَّت بهم نفس السُنَّة. قال الله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (الإسراء17).

- **"علمّ قومه أشياء كثيرة، كل الصناعات والفُنُون وتصنيع الأسلحة والقوارب"**: فمعناه أنه كان مُتَعَلِّما ومُعلِّما لهذه الصناعات، وكذلك مِن الأنبياء مَن كان مُتعلِّماً ومُعَلِّمًا لصناعات في قومه، فنجد مثلا أنّ داود عليه السلام علمه الله شيئا من هذه الصناعات الحرْبيّة، قال الله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء 80)، يقول الطبري: "واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رُمحا"،[1] وقال قتادة: "أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الدُّرُوعَ دَاوُدُ. وَإِنَّمَا كَانَتْ صَفَائِحُ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَرَدَهَا وَحَلَّقَهَا." [2] وكذلك إدريس عليه السلام وما علّمه الله وآتاه، فقد علّم أهل مصر الكثير وأنجز أمورا مُهمة كما نقل أهل التفسير والتاريخ، فَنُقِل أنّه أول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، وأول من بنى الهياكل ومَجَّد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه،[3] وقيل أنه بنى الهرمين الكبيرين...[4]، وكذلك ما آتا الله لنبيه سليمان عليه السلام من نحاس وأسباب

---

[1]- الطبري، جامع البيان، 480/18.

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 320/11.

[3]- وعندما يُقَال "أولّ من فعل ..." ليس بالضرورة أنّه الأول في كل زمان ومكان، وإنما قد يكون الأول في ذلك المكان أو الزمان.

[4]- انظر: جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط الأولى بيروت -لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ص12. الألوسي، روح المعاني، 366/3. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 62/17. وإدريس عليه السلام غُلي فيه بعد موته، كعادة الناس مع أنبيئِهم، وجُعِل الإله أوزِريس المشهور عند المصريين، بعد تحريف الدين، يقول محمود الشرقاوي في قدماء المصريين: " ولما طال على الناس الأمد وقست قلوبهم نسجوا حول إدريس عليه

وجِن يعملون له ما يشاء، قال الله تعالى: (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (سبأ 12)، يقول السعدي: "أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها." [1] وقال الله تعالى: (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ 13). فالأنبياء دعوا الناس إلى عبادة الله، ومنهم من علّم قومه كثيرا من أمور دنياهم "كمختلف الصناعات وعمارة الأرض"، فكثير منهم كان مُتفوِّقا في الدنيا والآخرة وهذا من تمام المعجزة الإلهية في حقهم.

- **"فنزل عليهم عذابٌ من نار من السماء، وطوفان عظيم أَغرقهم وأُغرقت تقريبا كل البشرية ونجى منهم إلا القليل"**: أما كيفية تعذيبهم في مسألة "نزول النار من السماء" فهذا قد يدلُّ أن عذابهم كان فيه نوع من المعجزة، فالنار عادة لا تنزل من السماء، وأما كونهم "أُغرقوا بطوفان عظيم وأغرقت تقريبا كل البشرية ونجى منهم إلا القليل" فهذا لا شك أنّه يُشْبِه طوفان نوح عليه السلام إلى حد بعيد، فطوفان نوح عليه السلام أَغْرَق الناحية التي ضرب فيها من الشرق الأوسط –ووصف الناس بأنه أُغرقت كل البشرية–[2]،

السلام الأساطير وجعلوه أُزِريس قاضي الموتى من يضع الموازين القسط ليوم القيامة." (محمد الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب، 10/1)

[1]- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص676 .

[2]- اقْتِران كل من النار والطوفان في هذا العذاب يَدُلُّ أنّ الأستراليين يصفون طوفان آخر غير طوفان نوح عليه السلام، لأن هذا الأخير لم يكن فيه نار، فضلا عن كونه الواقعتين متباعدين عن بعضهما البعض عشرات الآلاف من الأميال –والرجلين كذلك–، فَهُما لا شك عذابين مختلفين وفي نفس الوقت مُتشابهين.

وعندما يُعَبِّر الناس عن مثل هذه الطوفانات أنها أهلكت البشرية ليس بالضرورة أن يكون أغرق كل الناس في الكرة الأرضية، فالناس خصوصا في القديم يصفون الأحداث من زاويتهم، فالناس في المناطق التي قد يَعُمُّهَا مثل هذا العذاب يظنون أن كل العالم قد عمّه هذا العذاب أو الغرق، وفي حقيقة

وهذا الشهادات من طرف هؤلاء الأستراليين لا يمكن إهمالها، بل ينبغي تصديقها، لأنه من شبه المستحيل أنّ يمُرَّ عليهم حدث في مثل هذه العظمة ولا تتذكرها أجيالهم، وهذا مثل طوفان نوح عليه السلام الذي روته كثيرٌ من الأمم والحضارات في الشرق الأوسط -كالبابليين والإسرائيليين وبعض الأقوام من شرق أروبا والمسلمين وغيرهم-، فمن الراجح إذن أن هذا الطوفان الذي وصفه الأستراليون قد وقع عندهم في أستراليا، وهذا الدليل هو الذي يجعلنا نُشبِّه هذا المعلّم الكبير "مونغان نكاوة" Mungan-ngaua بنوح عليه السلام، ويمكن بعدها أن نسميه نوح الأستراليين.

- **وقد ترك "مونغان نكاوة" Mungan-ngaua وَلدًا، عدَدٌ من أفراد تلك القبائل يرجع نسلهم إليه**: هذا يدلّ على أن عدداً من تلك القبائل ترجع إلى هذا المـُعلِّم وابنه رُبَّما مثل رجوع عدد من الناس إلى نوح عليه السلام وأبنائه الثلاث (سام وحام ويافث)، وهذا ما يزيد درجة الشّبه بين الرجلين "مونغان نكاوة" ونوح عليه السلام.

- **وبعد ذلك صعد "مونغان نكاوة" Mungan-ngaua إلى السماء**: فيما يظاهر هنا أنه قد صَعِد بكل بدنه إلى السماء، وهذا إن صحَّ فيه تأكيد أنّ هذا الرجل ليس كباقي الناس، وأنّ هذه مُعْجِزَة تحدث للأنبياء، وهذا ما يُقَوِّي القول بِنُبوة هذا الرجل.

هذا وهناك نبي آخر مُحْتَمَل في أمريكا الجنوبية يُشبه عيسى عليه السلام سوف أذكره وأُفَصِّلُ فيه في كتابي الآخر الذي يتكلّم على التوحيد القديم والأنبياء في مختلف الأمم، وأحَاوِل أن أُثْبِت فيه أنه كان طوفان آخر ضرب تلك الناحية من أمريكا بالأدلة، فارتقبوا الكتاب بإذن الله تعالى كما وَعَدْت، وقد تنبَّه لهذا النّبي المـُحْتَمَل وهذا التشابه

الأمر ليس كذلك، لاسيما وأنّهُم يُعبِّرون على ما شاهدوا وعلِمُوا من أحداث في مناطقهم، فإن أكثرهم لا يدرون أن هنالك قارات متباعدة وأماكن متفرقة لم يصلها هذا العذاب، فإنّ بدائيتهم وتأخرهم التكنلوجي مقارنة بهذه الأزمنة لا تمكِّنُهم من معرفة ما يوجد ما وراء البحار وخارج أوطانهم وقاراتهم، ونفس الشيء الذي نقوله حول هذا الطوفان الأسترالي نقوله أيضا حول طوفان نوح عليه السلام الشرق أوسطي، كما سيأتي إثبات ذلك بالأدلة الشرعة والعلمية إن شاء الله تعالى.

واحدا -أظنُّه من غير المسلمين-، وجعله على شكل بحث في شريط فيديهو في النّت "بالفرنسية" مُسْتندًا إلى مراجع تاريخية مُعتبرة، وروايات تناقلها الهنود الجنوبيون لأمريكا سجّلها عنهم مؤرخ إسباني في بداية احتكاك الرجل الأبيض معهم، وسأذكر روابط شريط الفيديهو في الهامش استئناسا فقط، إن شاء الله تعالى.[1]

وكل هذه الأدلة الآنفة وقصص مختلف هؤلاء الشخصيات السابقة تدُلُّ على وجاهة القول بوجود أوادم وأنبياء آخرين في غير أرض الشرق الأوسط أرض آدمنا، وأنّ هؤلاء الأنبياء مُتشَابهون مع عدد من أنبياء الشرق الأوسط المعروفين، بل بعض هؤلاء الأوادم والأنبياء قد يكون في أزمنة أخرى غير زمن آدمنا عليه السلام كما هو ظاهر، رُبّما أقدم منه بعدد لا يعلمه إلا الله من السنين، فلا ينبغي جعل آدم عليه السلام أباً لكل الناس في كلّ زمان ومكان.

دليل: اصطفاء الله لآدم، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران 33):

في هذه الآية وجهان يُشِيران لاحتمال وجود بشرٍ قبل آدم عليه السلام:

الوجه الأول: الاصطفاء يكون عادة مِنْ شيء سابق أو من شيء موجود:

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران 33).

اصطفى في هذه الآية يعني اختار.[2]

---

[1]- انظر: هذان الرابطان يتحدث فيهما على هذا النّبي المحتمل للاستئناس فقط:
https://www.youtube.com/watch?v=OMiBaq5MgIY
https://www.youtube.com/watch?v=jC35LoXim2k

[2]- انظر: الطبري، جامع البيان، 326/6، وغيره من التفاسير.

فمِنْ مَن اصطفى (اختار) الله آدم ؟ ففي كثيرٍ من الأحيان يكون الاصطفاء والاختيار من شيء موجود أو ممّا مضى، فما هو في هذه الحالة المحتملة الشيء أو الأمّة التي اصطُفِيَ منها آدم عليه السلام ؟ فإن كان نوح وآل إبراهيم وآل عمران عليهم السلام اصطفاهم الله مِن مثل جنسهم من بني آدم، فما المانع أن يصطفي الله كذلك آدم مِن مثل جنسه من الناس ؟

يقول النبي محمد صلى الله عليه السلم: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)،[1] فالنبي صلى الله عليه وسلم اصطفاه رَبُّه مِن بشرٍ آخرين قبله وسابقين له كما يَدُلُّ عليه الحديث، فلماذا لا يكون اصطفاء آدم عليه السلام مثل هذا الاصطفاء للنبي صلى الله عليه وسلم، أي من بشر سابقين له، بل من المحتمل أنّه كذلك، لأنه عادة الاصطفاء يأتي بهذا المعنى، وهذا لا يتعارض مع كَوْنه قد يدخُل في معنى هذا الاصطفاء أيضا الاصطفاء المُسْتقبلي القَّدَرِي، أي أنَّ آدم عليه السلام قد اصطفاه الله من الناس الذين سوف يأتون من بعده، مثل أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد اصطفاه واختاره الله على من بعده -ومن كان قبله أيضا-، لكن لا ينبغي الاقتصار على هذا المعنى فقط دون الأول، كون الاصطفاء كثيرا ما يأتي بالمعنى الأول ولما فيه من إعمال السَّبَبِيَّة في تسلسل الأمم والأحداث، فالسببية من سنن الله تعالى في خلقه، ولما فيه من ظهور معنى الاصطفاء على من مضى. والله أعلم.

ملحوظة: لا نُنْكر أبدا ما جاء في القرآن والسنة في كيفية خلق آدم عليه السلام، وأنه يحتفظ بخاصيته في ذلك، بأنه خلقه الله سبحانه بيده، وخلقه من طين، ونثبت بذلك كل ما أثبتاه الكتاب والسنة، لكن الكيف لا نعلمه، وليس ما قد تتخيَّلُه بعض العقول

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة -2276. ورواه غيره.

في ذلك صحيح، إلا ما كان له دليل، كما سنورد إن شاء الله آيات وأحاديث في ذلك لاحقا.

الوجه الثاني: الاصطفاء والتفضيل في القرآن الكريم لا يُقْصد به بالضرورة الاصطفاء على كل زمان ومكان وإنما قد يأتي بمعنى الاصطفاء على زمان ومكان محددين:

هنالك وجه استدلال آخر في الآية؛ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران 33)، وهي مسألة مُهِمَّة في الاصطفاء، فإن الاصطفاء والتَّفْضِيل في القرآن الكريم لا يُقْصَد به ضرُورَةً الاصطفاء والتَّفْضِيل على كل زمان ومكان، والدليل على ذلك قول الله تعالى في مريم عليها السلام: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران42)، جاء في تفسير الجلالين: " {وَاصْطَفَاك عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} أَيْ أَهْل زَمَانك "،[1] وجاء في تفسير هذه الآية في التفسير المُيَسَّر الذي ألّفَهُ جمع من أساتذة التفسير المعاصرين: " واختاركِ على نساء العالمين في زمانك." [2] وكذاك قول الله تعالى في بني إسرائيل: (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) (الجاثية16)، يقول الطبري في هذه الآية: " (وفضلناهم على العالمين) يقول: وفضلناهم على عَالَمَي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام ".[3] فمعنى ذلك أنّه يأتي التفضيل ويُقْصَدُ به التفضيل على ناحية مُعَيّنة وزمن مُحَدَّد وليس بالضرورة على كل الأزمنة والأمكنة، ولذلك نجد في كتب التفاسير من أشار إلى هذا المعنى في تفسير الاصطفاء من آية آل عمران (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ

---

[1] – نخبة من علماء وأساتذة التفسير، التفسير المُيَسَّر، للآية اثنان وأربعين من سورة آل عمران.

[2] – جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، للآية اثنان وأربعين من سورة آل عمران، دار الحديث، ط أولى، القاهرة.

[3] – الطبري، جامع البيان، 22/69.

وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)، إذ جاء في تفسيرها في التفسير المُيسَّر: " إنَّ الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم." [1] فمعنى ذلك أنّ هؤلاء المذكورون في الآية ومن جُملتهم آدم عليه السلام قد اصطفاهم الله تعالى في زمن مُعَيَّن وأراضٍ مُحدَّدَة، وليس في كل زمان ومكان، وهذا ما يجعل هذا المعنى غير معارضٍ لوجود أُناسٍ آخرين في أزمنة غابرة وأراضٍ أخرى[2] لا يشملهم بالضرورة هذا الاصطفاء المذكور في الآية، بمعنى أنه ليس شرطا أن يكون المذكورون في الآية أفضل المخلوقات على الإطلاق في كل زمان ومكان، وهذا لا يُنقِص من كون آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران هم من المُصطفين الأخيار في أمة آدم عليه السلام الأخيرة، وبالتالي لا يمنع من احتمال وجود أمُمْ أخرى من غير بني آدم لها آباؤها وأنبياؤها المصطفين مِن بني جنسهم. وأماّ عن مدى اصطفاء آدم والنبيين المذكورين في الآية مقارنة عن الأمم الخارجة عنهم وعن آدم فالله أعلم بمداه بالضبط، فالظاهر أن آدم وهؤلاء الأنبياء قد يكون لهم شيء من مزية اصطفاء على الأمم الغابرة القديمة التي ليست منهم، كون أمة آدم عليه السلام هي آخر أمة قبل قيام الساعة – فمن علامات قروب الساعة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم – والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر نبي قبل قيام الساعة وهو من ذرية آدم عليه السلام، وبخاصة في الكرة الأرضية التي نعيش فيها، لكن ينبغي التَّوَقُّف والسُكوت عن ما ليس لنا علم به، وينبغي الحذر من السقوط في الأخطاء التي سقطت فيها الكنيسة في القرون الوسطى؛ كجعل الأرض مركز الكون وجعل آدم عليه السلام أبا لكل الناس وكل الأمم في كل زمان ومكان، وغير ذلك من تعميم الأشياء التي لم يُعَمِمْها الشارع الحكيم، وبالمقابل عدم الإقدام على تضييق الآيات ذات المعاني

---

[1] – نخبة من علماء وأساتذة التفسير، التفسير المُيسّر، الآية ثلاثة وثلاثين من آل عمران.

[2]– لهم أنبياؤهم ولهم أراضيهم، رُبَّمَا كانوا في قارات أو شبه قارات أخرى غير الشرق الأوسط أو في أراضٍ أخرى لا نعرفها، كما يَدُلّ على ذلك بقايا النبوات في الملل الوثنية وبعض بقايا الأديان السماوية كالزرادشتية والهندوسية والكنفوشيوسة وغيرها من الملل، أو الأُحفُورَات والآثار الإنسانية لقدماء البشر التي أثبتها العلم الحديث.

الواسعة، كقول الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء70)، فمفهوم الآية يدل أنه ثمت مخلوقات غير مفضل عليها بنوا آدم، ويعني ذلك أنّ ثمة أمم أفضل من آدم عليه السلام وأمته، وأُذَكِّرُ بقول المفسر طاهر بن عاشور في تفسير الآية: " وَلَا شَكَّ أَنَّ إِقْحَامَ لَفْظِ كَثِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا مُرَاد مِنْهُ التَّقْيِيد وَالِاحْتِرَازُ وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي لَا غُرُورَ فِيهِ، فَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ ثَمَّ مَخْلُوقَاتٍ غَيْرَ مُفَضَّلٍ عَلَيْهَا بَنُو آدَمَ تَكُونُ مُسَاوِيَةً أَوْ أَفْضَلَ إِجْمَالًا أَوْ تَفْصِيلاً ... ".[1]

فآيات القرآن الكريم ومن بينها قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) كما نرى لا تمنع معانيها وجود بشرٍ أو أمم آخرين من غير آدم عليه السلام ولا تتناقض مع ذلك، بل ربما قد تشير إلى ذلك بمعنى أنّ الله قد اصطفاه واختاره على أقوام أخرى قبله، لكن بشرط عدم تَضْيِيق المعنى الواسع الموجود فيها، مثل كلــمة (اصطفى آدم) فالاصطفاء هنا قد يكون من شيء سابق -أمم أخرى- كما يأتي معناه في كثير من الأحيان، وبالمقابل عدم توسيع المعنى الخاص الموجود فيها مثل كلمة (على العالمين) أي على عالمي زمانهم ومكانهم.

دليل: لفظ الأرض في القرآن الكريم لا يُقصَدُ به حَصْرًا كل الكرة الأرضية:

هنالك من قال أن آدم عليه السلام هو أول من سكن الأرض من الإنس، واستَدلَّ بقول الله تعالى مثلا: (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة 30)، فحتى إن كانت هذه الآية لا تدل على أنّه أول إنسان سكن الأرض، بل قد تَدُلُّ على عكس ذلك كما بَيَّنا سابقا في معنى لفظ (خليفة) وسُقنا بعض أقوال أهل التفسير، والذي يعني أنه خَلَفَ شيئاً قبله في الأرض، قد يكون يُشبِهُهُ أو قريب منه، وزيادة في الدليل قياس الملائكة سفك الدماء من بني آدم بمخلوق قبله. ولكن عند الرجوع إلى من استدل بهذه

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 166/15.

الآية ومثلها بأنّ آدم عليه السلام هو أول من سكن كل الكرة الأرضية، فإن هذا لا يلزم من الآية، لأنّ لفظ (الأرض) في القرآن الكريم لا يُقصدُ به حصرا كل الكرة الأرضية، ومن الأدلة على ذلك؛ قول الله تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (الروم 2-3)، قِيل أدنى الأرض: أقرب أرض الشام إلى فارس،[1] أو أدنى أرض الروم إلى أرض العرب (أدنى معناه أقرب)، يقول ابن عاشور: " وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى الرُّومِ فِي أَطْرَافِ بِلاَد الشَّام المُحادَّةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ بَيْنَ بُصْرَى وَأَذْرُعَاتَ. وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ أَي أدنى بِلاَد الرّوم إِلَى بِلاَد الْعَرَب. فالتعريف فِي الْأَرْضِ لِلْعَهْدِ، أَيْ أَرْضِ الرُّومِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ، أَوِ اللاَّمُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ، أَوْ أَدْنَى أَرْضِ اللَّهِ "،[2] [3] بل إنّ كل أقوال أهل التفسير هنا في تفسير الأرض تتفق أنها ليست كل الكرة الأرضية.

بل قد يُطلق لفظ الأرض في القرآن الكريم ليس على غير الكرة الأرضية فحسب، وإنما على غير أرض الدنيا، مثل قول الله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر74)، حيث الأرض المذكورة في الآية هنا هي أرض الجنة،[4] يقول ابن عاشور: " ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْأَرْضَ مُسْتَعَارًا لِلْجَنَّةِ لِأَنَّهَا قَرَارُهُمْ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ قَرَارُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى. " [5]

---

[1]- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/14.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/12.

[3]- وقيل أقرب الأرض قياسا إلى مكة وقيل هي أرض الشام وقيل غير ذلك، (انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/14). وكل الأقوال تتفق أنها ليست الأرض المذكورة في الآية كل الكرة الأرضية.

[4] - انظر: الطبري، جامع البيان، 342/21.

[5]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 73/24.

وبهذا يتبيّن أن كلمة (الأرض) في القرآن الكريم تُطلق على أكثر من معناً، ولا يُقْصَد بها حصرا كل الكرة الأرضية أو كل الأرض، بل قد يُقصد بها ناحية من الأرض، وعلى مثل ذلك قَد يُحمل لفظ أرض في قوله الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة).

ويَلزم من هذا لازم مُهم، وهو حتى على قول من قال أنّ أول من سكن من الإنس في الأرض آدم عليه السلام، فيمكن أن يُحمل قوله في هذه الحالة أنّه أول من سكن ناحية من الأرض -كما بيناّ أن الأرض لا يُقصد بها حصرا كل الكرة الأرضية-، كالشرق الأوسط وما جاورها، فأمريكا أرض، والصين أرض، وأستراليا أرض، وإفريقيا أرض، وأروبا أرض... وبذلك يُحل الإشكال عند من يقول بهذا القول، وإن كانت مسألة الأولِيَّة بمعنى أوليّة شيء على غيره من الأشياء لها تفصيل، فليس كل أوّلية يُقصدُ بها الأولية المطلقة، فقد يكون شيء أو بشر أوَّل في مكان أو زمن معين أو أمّة معينة ويُسمَّى أَوَّلاً، ولنا مثال عن ذلك في القرآن الكريم يمكن أن يُقاس به هذا المعنى، قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام 162-163)، فالآية تقول على النبي صلى الله عليه وسلم أنّه أوّل المسلمين بالرغم من أنّ الإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين، ومن المعلوم أنهم سبقوا النبي صلى الله عليه وسلم زمانا، فكيف يكون أولهم إسلاما ؟، وبهذا يكون المعنى أنه أول المسلمين من هذه الأمة، يقول ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُلَّهُمْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْإِسْلاَمِ، وَأَصْلُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبِيَاءِ: 25] ، وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يُونُسَ: 72] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [الْبَقَرَةِ : 130 -132] ، وَقَالَ يُوسُفُ، عَلَيْهِ

السَّلاَمُ: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يُوسُفَ: 101] ".[1]

فيمكن بعدها لمن يقول أنّ آدم عليه السلام هو أوَّل الناس، أن يُصحِّحَ المعنى ويقول أنّ آدم عليه السلام كان الأول في أمته مثل أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أوَّل المسلمين في أُمَّتِه. - وإن كان القول بالأولية المُطلقة لآدم عليه السلام ليس عليه دليل، بل هنالك أَدِلَّة وإشارات تدلُّ على غير ذلك كما رأينا سابقا -.

دليل: خطاب الله تعالى للناس بـ (يا بني آدم) في القرآن الكريم لا إشكال فيه ولا ينفي كونه مُوَجَّها إلى كل الناس بما فيهم غير ذرية آدم عليه السلام:

أما خطاب الله تعالى الناس بـ (يا بني آدم) في القرآن الكريم؛ فهذا لا إشكال فيه ولا ينفي وجود أُناس آخرين من غير ذرية آدم، وكون الخطاب مُوَجَّهاً إليهم كذلك، جاء في تفسير المنار: " وَمَا وَرَدَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى مِنْ مُخَاطَبَةِ النَّاسِ بِقَوْلِهِ: (يَا بَنِي آدَمَ) لَا يُنَافِي هَذَا، وَلَا يُعَدُّ نَصًّا قَاطِعًا فِي كَوْنِ جَمِيعِ الْبَشَرِ مِنْ أَبْنَائِهِ، إِذْ يَكْفِي فِي صِحَّةِ الْخِطَابِ أَنْ يَكُونَ مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ فِي زَمَنِ التَّنْزِيلِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ قِصَّةِ آدَمَ فِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَهُ نَوْعٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ أَفْسَدُوا فِيهَا، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ. "[2]

وهنا يمكن أن نطرح سؤالا يكون وجها آخراً في هذه المسألة، فإن قلنا هل الجن مخاطبين بالقرآن الكريم ؟ كان الجواب لا ريب فيه نعم، فمن باب أولى إذاً أن يكون جميع الناس من بني آدم ومن غير بني آدم مخاطبين بالقرآن الكريم وبقول الله تعالى: (يا بني

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/382.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، 4/266.

آدم)، لاسيما وأنهما متقاربان في الجنس أكثر من مقاربة الجن. فالله تعالى خاطب باقي الناس من غير بني آدم مثلما خاطب الجن.

وكذلك استعمال أسلوب الخاص لا يمنع تعميم المعنى في القرآن الكريم، أو كما تقول القاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، فهنالك أحكامٌ أو أسباب نزولٍ أو أوامرا في القرآن الكريم جاءت في حق النبي صلى الله عليه وسلم أو نسائه أو أصحابه لكن أحكامها تلحق بجميع الأمة.

وهناك وجه آخر وهو الذي يكون من باب خروج اللفظ مخرج الغالب ولا ينجر منه مفهوم، كقول الله تعالى في المحرمات من النساء وتحريم الزواج من الربيبة التي في الحجر: (وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ) (النساء 23)، يقول ابن كثير: " وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} فَجُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّبِيبَةَ حَرَامٌ سَوَاءٌ كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِهِ، قَالُوا: وَهَذَا الْخِطَابُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ، فَلاَ مَفْهُومَ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النُّورِ: 33] " [1]. فيكون الخطاب التحريم والتحريم يشمل كل من الربيبة التي في حجر الرجل والربيبة التي ليست في حجره، ومثل هذا أرى إمكانية قياس خطاب الله تعالى الذي جاء بصيغة (يا بني آدم)، فيدخل فيه بنو آدم حقيقة وغيرهم من الناس الذين ليسوا من نسل آدم. والله أعلم.

ويمكن أن نذكر وجها آخرا، كأن يقال جاء خطاب (يا بني آدم) من باب ذكر الشيء بأهم أجزائه، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الحجّ عرفة)، مع العلم أن عرفة ليست كل الحج، وإنما هي جزء من أجزائه. والله أعلم.

أو يمكن أن يحمل على وجه آخر؛ مثلا في ما درج عليه العرب في لسانهم؛ في تذكير الجماعة من الإناث إذا دخل عليهم رجل واحد بحكم الغالب، وفي غير التذكير قد يكون التغليب لكثرة أو مناسبة أو أهمية، كون المخاطب به هو الغالب وليس شرطا

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/251.

أن يكون أكثر عددا. أو كذلك مثل خطاب نصوص الشريعة التي قد تظهر أنها للرجال دون النساء، لكن في الحقيقة يُلْحق بهم النساء كذلك، وكما يقول حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي اتُّخِذَ قاعدة في هذا الباب (النساء شقائق الرجال)[1]، أي أن النساء مساويات في ما فرضه الله تعالى على الرجال إلا فيما استثناه، فكذلك الناس من غير بني آدم هنا شقاق بني آدم فيما خاطبهم به ربهم وفرض عليهم. فلا إشكال بعدها في مخاطبة الله تعالى الناس بقوله تعالى (يا بني آدم). والله أعلم.

وربما يمكن أن نذكر وجها آخرا في تشبيه إطلاق الأُبُوَّة في هذه الحالة؛ فإن هذا له شبهًا أيضا بكلمة "بني إسرائيل" في تسمية اليهود، فليس كل بني إسرائيل من اليهود، وليس كل اليهود من بني إسرائيل (وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام)، فنجد من بني إسرائيل من هو يهودي ومن هو نصراني بل نجد مَنْ هُم مِنَ الأنبياء عليهم السلام، مثل يوسف وعيسى عليهما السلام، ونجد من اليهود من هو من غير نسل نبي الله إسرائيل أي من غير يعقوب عليه السلام، ومثل هذا كلمة (بني آدم) فليس كل الناس من بني آدم بينما يجوز خطابهم بهذه الصيغة مثل كلمة "بني إسرائيل"، والله أعلم.

دليل: قال الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج 78)، فالله تعالى سمى إبراهيم أبانا بالرغم من أنّهُ ليس أباً لكل الناس:

إن المُتفكِّر في آيات القرآن الكريم يجد الدليل أن الأُبُوة في كلام الله تُطلق على المُخَاطَبِين ولا يُقصد بها أُبُوَّة الشخص على كل الناس أو كل المخاطبين، والدليل على ذلك ما قاله الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) (الحج 78)، وهنا يُفْهم أن إبراهيم عليه السلام هو أب جزء من العرب و للقوم الذين أنزل فيهم القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم أو إبراهيم صلى الله عليه وسلم له الحرمة على

---

[1] - أخرجه أحمد في مسنده 26195، والترمذي في سننه 113، وابن ماجة في سننه 612، وأبي داود في سننه 263.

المسلمين كحرمة الأب على أبنائه، وليس إبراهيم أبا بالنسل لكل الناس كما هو معلوم، وهذا من باب أولى أن يُقَاس أيضا على آدم عليه السلام، فهو من جِهَة أب أمّة من الناس بما فيهم إبراهيم وجزء كبير من السكان الذين أصلهم من الشرق الأوسط، والتي نزلت فيهم الأديان الإبراهيمية – وهذا بالرغم من أنّه فيهم أُناس ليسوا من ذرية آدم عليه السلام كما سيأتي مزيد أدلة على الأدلة السابقة إن شاء الله تعالى –، وهذا ما تُؤَيِّدُهُ الآية التي تقول: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) (الأعراف 27)، وهذا مع أنّ الآية لا تذكر أصلا أنّ آدم هو أبٌ لكل الناس، فالأبوّة المذكورة في الآية هي أُبُوَّة آدم على بنيه فقط (يا بني آدم، أبويكم)، فلم يقل الله تعالى: يا أيها الناس لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة. ومن جهة فإن آدم عليه السلام هو بمنزلة أب لكل الناس بمعنى استحقاق الحُرمة والتعظيم مثل أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أب للأمة الإسلامية بمثل هذه المنزلة كذلك.

ويمكن أن نخرج بنتيجة أنه يمكن أن تأتي الأُبُوّة بمعنى أُبوّة شخص على المخاطبين زمن نزول القرآن، وهذا أيضا بمعنى الغالب، فحتى إبراهيم ليس أبا لكل العرب، فقد اختلط بعض نسله مع بعض العرب التي كانت في الجزيرة قبل مجيء إسماعيل إلى مكة مع أمه عليهما السلام –فقد تزوج منهم إسماعيل عليه السلام –، أو يمكن أنّ تأتي الأُبُوَّةُ بمعنى وجوب احترام الشخص وحفظ حَقِّه كما يجب احترام الأب، يقول المُفسِّر طاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج 78): " ثُمَّ إِنْ كَانَ الْخِطَابُ مُوَجَّهًا إِلَى الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِضَافَةُ أُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِمْ بِاعْتِبَارِ غَالِبِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ غَالِبَ الْأُمَّةِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمُضَرِيَّةِ وَأَمَّا الْأَنْصَارُ فَإِنَّ نَسَبَهُمْ لَا يَنْتَمِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْقَحْطَانِيِّينَ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ وِلَادَةٌ مِنْ قِبَلِ الْأُمَّهَاتِ. وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ إِضَافَةُ أُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ فِي الْحُرْمَةِ وَاسْتِحْـقَاقِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) [الْأَحْزَاب: 6] ، وَلِأَنَّهُ أَبُو النَّبِيءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُحَمَّدٌ لَهُ مَقَامُ الْأُبُوَّةِ لِلْمُسلمين وَقد قرىء قَوْلُهُ تَعَالَى:

(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الْأَحْزَاب: 6] بِزِيَادَةِ وَهُوَ أَبُوهُمْ." [1] يقول المفسر البغوي: "فَإِنْ قِيلَ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ} وَلَيْسَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَرْجِعُ نَسَبُهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ؟. قِيلَ: خَاطَبَ بِهِ الْعَرَبَ وَهُمْ كَانُوا مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ. وَقِيلَ: خَاطَبَ بِهِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِبْرَاهِيمُ أَبٌ لَهُمْ، عَلَى مَعْنَى وُجُوبِ احْتِرَامِهِ وَحِفْظِ حَقِّهِ كَمَا يَجِبُ احْتِرَامُ الْأَبِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} (الْأَحْزَابِ: 6) ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ [لِوَالِدِهِ][2] ".[3] ويقول القرطبي في تفسيره: "وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْكُلُّ مِنْ وَلَدِهِ، لِأَنَّ حُرْمَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَحُرْمَةِ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ." [4]

فيمكن أن تأتي الأُبُوَّةُ بلفظ (أبيكم أو أبويكم) على أُمَّة معينة؛ أي أُمة إبراهيم أو أمة آدم عليهما الصلاة والسلام، وتكون هذه الأمّة مقياسا لغيرها من الأمم، كون خطاب الشرع ليس محصوراً فيها وإنما موجهاً لغيرها من الناس كذلك، وهذا الأسلوب موجود في القرآن الكريم، مثل بعض الآيات التي تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم لكن أحكامها عامة للأمة، مثل قول الله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (التوبة 84)، وهذا في حق المنافقين الذين ماتوا على كفرهم، قال ابن كثير: " وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ عُرِفَ نِفَاقُهُ. "[5] أو أوامرا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم تُلحق أحكامها بباقي نساء الأمة، قال الله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

---

[1]- طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 17/350-351.

[2]- رواه أبي داوود 6، وابن ماجة 313، وصححه ابن حبان وحسّنه الألباني، انظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، 1/385.

[3]- البغوي، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، 1417ه-1997م، 5/403-404

[4]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 12/101.

[5]- ابن كثير، تفسر القرآن العظيم، 4/193.

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الأحزاب 32-33)، قال ابن كثير: " هَذِهِ آدَابٌ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنِسَاءُ الْأُمَّةِ تَبَعٌ لَهُنَّ فِي ذَلِكَ ".[1]

وعندنا مثالٌ أخرٌ على كون الشخص إذا نُسِبَت أُبُوَّتُهُ على قوم ليس بالضرورة أن يكونا أبا لهم حقيقة ونسلاً، فإن هذا له شبه أيضا بكلمة "بني إسرائيل" في تسمية اليهود، فليس كل بني إسرائيل من اليهود، وليس كل اليهود من بـني إسرائيل (وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام)، فنجد من بني إسرائيل من هو يهودي ومن هو نصراني بل نجد هم من الأنبياء عليهم السلام، مثل يوسف وعيسى عليهما السلام، ونجد من اليهود من هو من غير نسل نبي الله إسرائيل أي من غير يعقوب عليه السلام.

وبعد هذا يمكن استنباط نتيجة مفادها، أنَّ الله لم يذكر في القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام هو أبٌ على الناس كَافَّة، وإنما نَسَب سبحانه أُبُوَّتَه على بَنِيه فقط قال الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ)، وهذا ما يتناسب مع القول الذي يقول أنه ليس أباً على كل الشعوب، لكن يمكننا تسمية آدم عليه السلام أباً على باقي الشعوب الذين ليسوا من ذريته وتكون بذلك أُبُوَّتَه أُبُوَّة تكريم وتشريف واستحقاق الحرمة، وهذا قياسا على ابنيه إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم الذي جعلهما الشارع كأنهما آباء لكل المسلمين حرمة وتكريما.

دليل: الله تعالى خلقنا وخلق الذين من قَبْلِنا:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (البقرة 21)، فمن هم الذين خلقهم الله من قبلنا ؟

---

[1] - المرجع السابق، 408/6.

دليل: الله جعلانا خَلاَئِفَ الأرض:

قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام 165)، ينقل الطبري في تفسيره عن السدي: " أما " خلائف الأرض "، فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم. "[1] ويقول القرطبي في تفسير الآية: " خلائف الأرض خلائف جمع خليفة، ككرائم جمع كريمة. وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة. "[2] فمن هؤلاء القوم الذي استخلفنا الله نحن بني آدم في مكانهم ؟ فإن استبدال أقوام مكان أقوام من سنن الله في خلقه، وبخاصة استبدال الذين يكفرون ويظلمون بأقوام آخرين.

دليل: قال الله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (سورة ص72-71):

ينقل أهل التفسير أن (بشرا) هنا هو آدم عليه السلام،[3] لكن هل في الآية دليل على أنه عليه السلام أول وأب كل البشر ؟ الجواب لا، لأن الله تعالى في الآية لم يقل إني خالق أب البشر من طين، أو أب كل البشر من طين، أو أول البشر من طين.

وكما رأينا أنّه على الصحيح أنّه كان موجودٌ في الأرض بشرٌ آخرون من غير آدم عليه السلام – وسيأتي إن شاء الله مزيد أدلة –، فيظهر إذاً؛ أنّ مزيّة آدم عليه السلام مقارنة مع كثيرٍ من البشر الباقين، هي كونه سبحانه خلقه بيده، قال الله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص 75)، وأنّه خلقه سبحانه خلقاً مستقلاً كمثل عيسى عليه السلام ولا يعني هذا أنه أول كل جنس البشر، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران 59).

---

(1)– الطبري، جامع البيان، 288/11.

(2) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 158/7.

(3)– انظر: الطبري، جامع البيان، 238/21.

دليل: الله تعالى خلق آدم عليه السلام خلقا مستقلاً يُشْبِه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران 59):

إنّ قول الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران 59) يجزم في الأمر، بأنّ خَلْقَ الله تعالى لآدم عليه السلام مغاير لخلق باقي البشر. فبِالرَّغْم من أنّ زمن نزوله إلى الأرض لا يتجاوز العشر آلاف سنة، بمعنى أن هنالك عددٌ من بشر قبله في الأرض،[1] إلا أنّهُ عليه السلام خلقٌ مستقلٌ مثل عيسى عليه السلام، والسؤال الذي يُطرح ما هي درجة المِّثْلِيّة بينهما؟ [2] نقول لا ينبغي ترك المجال للتكهنات والتخيُّلات العقلية ونُرْجِع كل ذلك لكتاب الله وسنة نبيه صلى

[1]– وسأتي إن شاء الله البُرهان على هذا الزمن، والبحث في العدد الافتراضي لسكان العالم في تلك الحقبة وما يقوله العلم الحديث في احصاء عدد النسمة إذ ذاك.

[2]– أما في كيفية خلق المسيح عليه السلام، فإن الله هو الذي أرسل روحه جبريل عليه السلام لينفخ في مريم عليه السلام فحملت به، أما مدة الحمل فقد جاء فيها أقوال، يقول ابن كثير في تفسيره: " ثُمَّ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مُدَّةِ حَمْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ –قَالَ: وَلِهَذَا لَا يَعِيشُ وَلَدٌ لِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَسُئِلَ عَنْ حَبَلِ مَرْيَمَ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ. وَهَذَا غَرِيبٌ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ ظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} فَالْفَاءُ وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّعْقِيبِ، وَلَكِنَّ تَعْقِيبَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسْبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا} [الْمُؤْمِنُونَ: 12 –14] فَهَذِهِ الْفَاءُ لِلتَّعْقِيبِ بِحَسْبِهَا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ بَيْنَ كُلِّ صِفَتَيْنِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَقَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرَّةً} [الْحَجِّ: 63] فَالْمَشْهُورُ الظَّاهِرُ –وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ– أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ كَمَا تَحْمِلُ النِّسَاءُ بِأَوْلَادِهِنَّ " ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/222.

الله عليه وسلم، وها هي بإذن الله الآيات والأحاديث التي ينبغي أن نرجع إليها في كيفية خلق آدم عليه السلام إذ هي الفصل في ذلك:

قال الله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) (سورة ص75)، فالله تعالى خلق آدم بيديه سبحانه.

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ).[1]

وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ، بَيْنَهُمْ...).[2]

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه 2611. جاء في شرح فؤاد عبد الباقي: " (يطيف به) قال أهل اللغة طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا وأطاف يطيف - إذا استدار حواليه (فلما رآه أجوف) الأجوف صاحب الجوف وقيل هو الذي داخله خال ومعنى لا يتمالك - لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب والمراد جنس بني آدم "، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، 2016/4.

[2] - وهذه تتمة الحديث: (... فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ، أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ -قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كُتِبَ لَهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ.) أخرجه الترمذي (3368) والنسائي في

عن أبي موسى الأشعري عن النبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ.

"اليوم والليلة" (218) وابن خزيمة في "التوحيد" (1/ 160) وابن حبان (6167) وأبو الشيخ في "العظمة" (1035) والحاكم (1/ 64 و 4/ 263) والبيهقي (10/ 147) وفي "الأسماء" (ص 410 – 411)، وابن أبي عاصم في "السنة" (206) وابن منده في "التوحيد" (452 و 508)، وابن منده في "التوحيد" (570) وإسماعيل الأصبهاني في "الحجة" (194)، قال الترمذي: حسن غريب" وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم" وقال ابن منده: هذا حديث صحيح"، والحديث إسناده حسن كما أكدّ محقّق فتح الباري نبيل البصارة. انظر: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ – 2005 م، 2/1589-1591.

هنالك رواية ضعيفة لا تصحُّ فمقدمتها تختلف عن الحديث الصحيح الذي أوردناه، وهي: التي يرويها إسماعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة رفعه (إنّ الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا، خلقه وصوّره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار. قال: فكان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه روحه، فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه. فعطس فلقاه الله حمد ربه. فقال الرب: يرحمك ربك. ثم قال الله: يا آدم، اذهب إلى أولئك النفر، فقل لهم، وانظر ما يقولون. فجاء، فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله. فجاء إلى ربه فقال: ماذا قالوا لك؟ – وهو أعلم بما قالوا له– قال: يا رب، لما سلمت عليهم، قالوا: وعليك السلام ورحمة الله. قال: يا آدم، هذا تحيتك وتحية ذريتك...) (الحديث) (وهذه الرواية مختلفة عن لأولى في تتمة الحديث في عمر داود إذ تجعل له ستين بدل عن أربعين الذي في الرواية الصحيحة السابقة). أخرجه أبو يعلى (رقم6580) إسناده ضعيف فيه إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ ضَعَّفَهُ الْجُمْهُورُ، انظر: المرجع السابق، 2/1989. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ-1994م، 8/197. وحكم عليها كذلك محقق مسند أبي يعلى حسين سليم أسد بالضعف، انظر: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، مسند أبي يعليالموصلي، المحقق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، 1404هـ – 1984م، 11/453.

جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ.) [1]

فالظاهر من الآيات والأحاديث أنّ آدم عليه السلام خلقه الله بيديه سبحانه خلقا مستقلاً، لكن لايوجد دليل في القرآن ولا في السُّنة أن الله تعالى قد خلقه وابتدعه خلقا جديدا على غير مثال سابق، أي بدون أن يشبه أي مخلوق من مخلوقات الله السابقة.

وهنالك وجه استدلال مُهِّم في هذا الأمر؛ وهو أنّ الله خلق عيسى عليه السلام خلقا شِبه مستقلٍ مِنْ أُمٍّ بغير أبٍ، مع كونه مسبوقا ببشر، وخلقه الله يشبههم، فإذا نظرنا في هذه الجهة -أي في جهة كونه مسبوقاً بِبَشر- وقِسناها بخلق آدم عليه السـلام؛ فإننا نجد أن آدم عليه السلام كذلك خُلق مسبوقاً بِبَشر، وخلقه الله على شبههم، فَكِلاَهُمَا عليهما السلام في هذه الحالة مسبوقان بأُناس مع كونهما خلقين مستقلين، خُلِقَا وأُدْمِجا في الأرض في زمن كان الناس فيه موجودين، وفي هذه الحالة يكون التماثل بين عيسى وآدم عليهما السلام أعظم مما كان يُظَن.

ونحن مُطالبون بعدها بالتفكُّر أكثر على ضوء الكتاب والسُّنَة في التماثل الذي ذكـره الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران 59)، واستخلاص الحِكَم من ذلك. والله أعلم.

---

[1]- أخرجه ابن سعد (1/ 26) وأحمد (4/ 400 و406) وعبد بن حميد (549) وأبو داود (4693) والترمذي (2955) والطبري في "تفسيره" (1/ 214) وفي "تاريخه" (1/ 91) وابن خزيمة في "التوحيد" (1/ 151 - 152 و 152 - 153) وابن حبان (6160 و6180) وأبو الشيخ في "العظمة" (1002 و 1003) وابن بطة في "الإبانة" (1330 و1331) والخطابي في "العزلة" (ص 49) والحاكم (2/ 261 - 262) وأبو نعيم في "الحلية" (3/ 104 و 8/ 135) والبيهقي (9/ 3) وفي "الأسماء" (ص 413 - 414) والمزي في "التهذيب" (23/ 603 و 603 - 604).

قال الترمذي: حسن صحيح، والحديث صحَّحَه كذلك ابن حبان والألباني، انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، 172/4.

بل قد يزداد التشابه والتماثل بينهما في انبثاق أمتين منهما؛ فإن قال القائل إنّ أمة آدم عليه السلام معروفة فأين هو نسل عيسى عليه السلام الذي يقول النصارى عنه أنّه لم يتزوج ؟ فالجواب على هذا؛ أين الدليل أنّ عيسى عليه السلام لم يتزوج، فإن كان مجرد قول النصارى فهاذا ليس دليلا؛ ألم يقل النصارى كذلك أن المسيح هو بن الله ؟ ألم يقل النصارى أن الله ثالث ثلاثة ؟ تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيرا، لا سيما وقد ظهرت حديثا ما يُسمَّى بِشِيْفَرَة دافَانتِشِي (da vinci code)؛ حيث نَقَل هذا الكِتَاب لـ"دان براون" من بعض النصارى أنفسهم وعلماء "كلِيُونارْدُو دافانشي" و"إسحاق نيوتن" معلومة مفادها -قيل أنها كانت مُخبأة وسرية يعلمها خَوَاصٌ مِن النصارى في أوروبا منذ مئات السنين، حيث كانت الكنيسة تتكتم عليها- أنّ المسيح عليه السلام قد تزوج من مريم المجدلية -إحدى حوارييه- وأنجب منها بِنْتاً، ثم استمر هذا النسل في بعض الأنحاء من أوروبا بعدما نجت وحُفظت تلك البنت الأولى على أيدي أوئل مِنَ النصارى مِنَ أيدي المضطهدين مِنَ اليهود أو الرومان، ولا يزل إلى حد اليوم هذا النسل الذي يُنْسب إلى المسيح عليه السلام منتشرا في بعض بقاع أوروبا،[1] وهذا لا يُستغرب إن ظهر مثل هذه الخبر للعلن، كون الكنيسة تَكتَّمت ولا تزال تتكتّم على كثيرٍ من الأسرار عبر التاريخ، حتى إنّ مكتبة الفاتيكان الكبيرة منعوها لعوام الناس لما فيها من الأسرار التي لا يعلم حقيقتها إلا الله .

ولكن بِغَضّ النظر عن تفاصيل هذا النسل وهذه القصة إن كانت صحيحة أم لا، وإذا نظرنا في أمر زواج عيسى عليه السلام لوحده وإمكان إنجابه؛ ورجعنا في ذلك إلى شرعنا وإلى القرآن الكريم الذي هو الفصل، لوجدنا أن القرآن الكريم لم ينفي ولم يثبت زواجا أو ذرية للمسيح عليه السلام؛ بينما أثبت أن يحيى عليه السلام هو حَصُورٌ

---

[1] -انظر: دان براون، شيفرة دافانتشي، ترجمة سمة عبد ربه ، الدار العربية للعلوم، 2004م.

(أي الذي لايقرب النساء)[1]، فالذي يظهر إن كانت هذه ميزة عيسى عليه السلام لذكرها الله تعالى في حَقّه مثلما ذكرها في ابن خالته عليهما السلام، اللّهم إن كان فيه حكمة يعلمها الله لعدم نسبتها للمسيح، والله أعلم، بل إن الله تعالى أثبت أن الأنبياء في العموم يتزوّجون ويكون لهم ذرية؛ قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) (الرعد 33)؛ جاء في تفسير السمعاني للآية: " معنى قَوْله: { وَجَعَلنَا لَهُم أَزْوَاجًا وذرية } وَكَذَلِكَ عَامَّة الْأَنْبِيَاء تَزَوَّجُوا وَوُلَد لَهُم. " [2] فليس من المستبعد بعدها أن يكون لعيسى عليه السلام ذرية أو نسل دون أن نجزم بذلك، وهذا الاحتمال ينطبق عليه كذلك عند نزوله قبل قيام الساعة، فيمكن أن يتزوج وينجب، فيكون في هاتين الحالتين يشبه آدم عليه السلام، حيث كلاهما خلقهما الله خلقاً مستقلاً أو شبه مُستَّقِلٍّ، وكانا مع أُناس آخرين وعاشا معهم وخالطاهم، وكان لكل من آدم وعيسى عليهما السلام نسلٌ فيهم – عيسى عليه السلام على سبيل الاحتمال وليس القطع كما قلنا –، وإن كان آدم عليه السلام أَوكَد في ذلك –فأمته مثبتة–، حيث كان له أمة عظيمة شبه مستقلة حتى ولو اختلط بعضها فيما بعد بباقي أُمَمِ البشر الذين كانوا قبله، إذ كان بعض نسلهم موجود على وجه الكرة الأرضية، وبالرغم من ذلك اصطفاه الله ليكون أباً لأمة جديدة، بل اختار الله تعالى أن يجعل الشريعة الخاتمة في محمد صلى الله عليه وسلم والعرب الذين هم من أمَّة آدم عليه السلام وذريته، وجعل أمَّة آدم عليه السلام عِبرةً لسائر البشر بواسطة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي جاءت للناس كافَّة بالرغم من أنّ كثيرا من هؤلاء البشر ليسوا من ذرية آدم عليه السلام، حيث خوطبوا بها في

---

[1] – وهذا قول عدد من السلف كابن مسعود وعبد الله بن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطية وأبي الشعثاء، ونُقِلَ أقوال أخرى في الحصور. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 38/2، وغيره من التفاسير.

[2] – أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418ه–1997م، 99/3.

القرآن الكريم " أي قوله تعالى: (يابني آدم) "[1] ، ولِحقَت أحكامهم –أي باقي البشر– الدينية بأحكامها – أي بِأُمَّة آدم عليه السلام –، وتكاليفهم الشريعية بتكاليفها، وكانت في أمة آدم عليه السلام أشهر الأديان والرسل، والتي قَصّ الله قصص كثير من هؤلاء الأنبياء في القرآن دون التركيز على غيرهم من أنبياء الأمم الأخرى، أي من غير ذرية آدم عليه السلام – مثل أنبياء أمريكا والصين والبِقَاع البعيدة التي لانعرفهم كونهم لم يقصصهم الله في القرآن الكريم –.

وهنا قد تَتَضِّح حِكمة من حِكم الله تعالى في ذكره لأنبياء الشرق الأوسط في القرآن الكريم دون غيرهم؛ فعسى أن يكون اصطفاء الله تعالى لآدم واستخلافه في أرض الشرق الأوسط بعدما نزل من الجنة، وعَيْشُه هو وذريته في تلك المِنْطَقة وما انجرّ منهم من أمَّةٍ عظيمة، مع اصطفائه كذلك لأنبيائها منها؛ كنوح وآل إبراهيم وآل عمران ومحمد عليهم الصلاة والسلام؛ فَلَعلَّها من بين الأسباب التي بسببها نجد أنّ القرآن الكريم يُرَكِّز على أنبياءها الذين هم من الشرق الأوسط وعلى أنبياء اليهود والعرب، مُخَلِّدَهُم بالذكر والقصص والعِبَر، وكذلك كون كل من الشعبين –اليهود والعرب، أو كثير منهما– هم من ذرية آدم عليه السلام الحقيقية، التي عاشت في أرض الشرق الأوسط، مهبط أبيها عليه السلام، ومجمع ومبدأ أهم الأديان السماوية المشهورة وبخاصة الأديان الإبراهيمية، وهذا هو عين الاصطفاء الإلهي، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران

---

[1]– فهي قد تكون من باب ذكر الشيء بأهّم أجزائه كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الحجّ عرفة". وتُحمل على الأوجه التي ذكرنا سابقا، مثل دخول الجن في هذا الخطاب، فمن باب أولى أن يدخل غير بني آدم من الناس كذلك في هذا الخطاب بقوله تعالى: (يا بني آدم)، راجع باقي الأوجه فيكما ذكرناه آنفا.

34). -وقذ ذكرنا بعض الحِكَم الأخرى المُهِمَّة في الهامش: راجع أسفل الصفحة-[1] والله أعلم.

[1]- والله تعالى أثبت وجود أنبياء في كل الأمم، قال الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر24)، وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (غافر 78)، وقال الله تعالى: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد 7).

ومن بين الحِكَم أيضا في تركيز الله تعالى في القرآن الكريم على ذِكْر أنبياء الشرق الأوسط:

لعلّ من بين الأسباب ذِكْر أنبياء الشرق الأوسط (جزيرة العرب، الشام، مصر، العراق، تركيا) في القرآن الكريم؛ كالتركيز على أنبياء اليهود والعرب دون غيرهم من أنبياء الأمم البعيدة كالصين والهند والفُرس؛ اشتهار أنبيائهم وظهور أديان طائفة منهم على غيرها، وبخاصة في العالم الحديث؛ فنصرانية المسيح عليه السلام التي حرُّفت وإسلام محمد صلى الله عليه وسلم يُشكلان أتباعهما أكثر من نصف أديان وعقائد العالم، وأيضاً أن ذلك المكان من العالم أي الشرق الأوسط ظل يَضُّم بيت الله الكعبة والمسجد الأقصى، وكان مُلْتَقاً مُهماً لحضاراتٍ كبيرة وشعوبٍ كثيرة (حضارة بابل، وسومر، ومصر، واليونان، والروم، واليمن القديمة)، إضافة إلى أنه قد سكن في تلك المنطقة كثيرٌ من البشر عبر التاريخ، وتلك الناحية توسطت القارات وربطت بينها.

ولعلّ الله رأى في بعض أهلها مرضا قلبيا زائدا بخاصة بني إسرائيل فكثّر فيهم الأنبياء، فالبلد الذي يكثر فيه الوباء قد يحتاج إلى زيادة في الأطباء – وهذه ليست قاعدة مضطردة لأن بعثة الأنبياء تتعلق بحكمة الله تعالى التي تتلائم مع الأزمنة والأمكنة وأحوال الناس، فقد لا يكون قوم أهلا لبعثة نبي لتكذيبهم من قبله من الأنبياء وعصيانهم إياه، وكفرانهم نعم الله، هذا وقد نزع الله النبوة من بني إسرائيل وجعل ختامها في العرب فلم يكونوا بذلك أهلا أن تختم فيهم النبوة، والله تعالى أعلم حيث وكيف ومتى وأين يجعل رسالته –، ولعلّ الله رأى في الأمة العربية والإسلامية، خاصةً إيمانية، ومزية فريدة، في قُبول دِينه ونُصرها لهُ، فَجَعَل فيهم خاتم أنبيائه، محمد صلى الله عليه وسلم. ولَعَلّ ذِكْر القرآن الكريم لأنبياء بني إسرائيل لأنهم أعظمهم عبرة، ومُلاءمة للحال والزمان والمكان، ولكفاية قصصهم عن غيرها، قال المفسر الطاهر بن عاشور: " وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ اشْتُهِرُوا عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مُحَاجَّتُهُمْ. وإنَّما ترك الله أن يقصّ على النّبي صلى الله عليه وسلم أسماء

كثير من الرسل للاكتفاء بمن قصّهم عليه: لأنّ المذكورين هم أعظم الرسل، والأنبياء، قصصاً ذات عِبر." (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 35/6).

وكذلك لما فيه تمام إقامة الحجة على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومجادلتهم ومحاجاتهم بأنبيائهم، لأنهم يعرفون أكثر تلك الرسل التي ذكرها الله في القرآن الكريم ويؤمنون بهم، فلا يكون ذلك جديدا عنهم، فإن كثيرا منهم مذكورون في كتبهم ويعرفونهم معرفة جيدة؛ كإبراهيم وموسى ويعقوب ويوسف وعيسى وغيرهم، ولهذا قال ابن عاشور: " وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ اشْتُهِرُوا عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مُحَاجَّتُهُمْ ". لا سيما وأن أبناء إسماعيل من العرب الذين بعث الله فيهم محمد صلى الله عليه وسلم هم أبناء عم اليهود، فهم أولى أن يرسل فيهم –أي العرب– من يصحح ملة بني إسرائيل ويجادلهم بجنس عِلْمِهِم ويقيم الحجة عليهم، من أن يَبعث هذا النبي في غيرهم من شعوب العالم البعيدة، فالعرب أقرباؤهم وجيرانهم، فهم يعرفون أنبياء المنطقة –مثل قصة أبيهم المشترك إبراهيم مع هاجر وإسماعيل في مكة، وغيرها من أخبار المعذبين مثل قوم لوط–، وآباءهم مشتركين كإبراهيم ونوح وآدم صلى الله عليهم وسلم. فالحكمة أبلغ من أن يخاطبهم الله بأنبياء لا يعرفونهم من قارات أخرى بأخبار غريبة عنهم. ويلحق هنا بمجادلة اليهود النصارى كذلك، كون النصارى هم على ملة وشريعة نبي من بني إسرائيل عيسى عليه السلام، ويدينون بعدد من عقائد بني إسرائيل، مثل إيمانهم بكل أنبياء اليهود، حتى إن كتابهم المقدس جزؤه الأول هو العهد القديم بما حواه من أسفار أنبياء بني إسرائيل على رأسها توراة موسى صلى الله عليه وسلم أو ما تبقى منها.

فلو خاطبهم الله بأنبياء لا يعرفونهم، ومن بلاد بعيدة واقتصر على ذلك؛ كالصين واليابان وأستراليا والأمريكتين ولم يذكر لهم أنبيائهم المعروفين، لما كانت الفائدة المقصودة في ذلك، ولربما قالوا أنّ هذا القرآن لا يخاطبهم ولا يعنيهم، وأنه غريب عليهم، ومن أين أتى بهؤلاء الأنبياء الذين لا يعرفهم أحد؟ وكيف يترك القريب ويذكر البعيد؟ ولا اتخذوا ذلك ذريعة للطعن فيه، مثل قولهم أنّ القرآن لا يذكر أعظم قصص مرت بالمنطقة وطَبَعت سكانها الأقدمين؛ مثل قصة طوفان نوح صلى الله عليه وسلم، وقصة عُبور موسى ببني إسرائيل البحر بعدما شقّه الله له، وقصة إهلاك المؤتفكة من قوم لوط صلى الله عليه وسلم، وقصة يوسف الكريم صلى الله عليه وسلم، وغيرها من قصصهم التي ذاعت في القديم عند أهل الكتاب، وذُكرت في التوراة، حتى أن القرآن الكريم صَحَّحَ ما حُرّف منها،

وبيّن لهم أكثر الذي اختلفوا فيه، قال الله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (النمل76). بل نجد أن القرآن فيه أمرٌ عجيبٌ في ملاءمة المكان والزمان، والبيئة العربية التي نزل فيها، وهو ذكره كذلك لقصص كان يَسمع بآثارها العرب، كقصة النبي صالح صلى الله عليه وسلم مع قومه (شمال غرب جزيرة العرب) وإهلاك المكذبين منهم، وهود صلى الله عليه وسلم مع قومه عاد وإهلاك الله للمكذبين منهم، في جنوب جزيرة العرب، فخاطبهم بما كانوا يسمعون، ولا شك أن العِبرة أكمل وأفضل؛ من أن يذكر الله أقواما لأنبياء كذّبوهم ثم أهلكهم في فارس أو الهند أو أستراليا أو أدغال إفريقيا أو أمريكا الشمالية أو أمريكا الجنوبية أو سيبيريا، أو غيرها من المناطق البعيدة التي لا يعرفها العرب ولا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ثم يطيل فيها التفصيل.

وهذا لا ينفي أن مثل هذه القصص لأنبياء آخرين في مثل هذه المناطق البعيدة غير موجودة، وقد وجدنا بفضل الله آثارا لبعض أمثال تلك القصص من أنبياء مفترضين مع أقوام أهلكهم الله بذنوبهم، في كتب بعض المستشرقين وأنثربولوجيين غربيين – منها ما نقلوها عن القبائل المعزولة والبعيدة، وسأبسط فيها أدلة في كتابي الآخر الذي يتحدث عن توحيد الله والأنبياء، في مختلف قارات العالم والأمم القديمة بإذن الله تعالى –، وهؤلاء الباحثين جاؤوا ببحوث درسوا فيها أديان البدائيين في أستراليا وأمريكا والجزر المعزولة وبعض الأقوام القديمة لكن لم يفرزها المسلمون، –ومن أمثال علماء الغرب الذين درسوا أديان البدائيين ووجدوا عقيدة إله أعلى، وبقايا عقائد وشرائع سماوية وأخبار أمم قديمة لا يمكن تفسيرها إلا بالوحي والنبوة، العالمان: أندرو لانج (Andrew lange) البريطاني ووليام شميت (wilhelm SchmiT) الألماني –، ولو نَقَّبنا أكثر في الكتب المقدسة للأديان، وكتب الميثلوجيا، وبحوث الأنثروبولوجين والمستشرقين الذين درسوا أديان الشعوب المتفرقة في القرن التاسع عشر ونهاية القرن العشرين لوجدنا العجب، فلا تكاد تخلوا قارة من القارات ولا ملة من الملل من مثل هذه القصص التي طبعت قدماء الشعوب والقبائل المتباعدة، وتناقلوها أبا عن جد، ولو أن كثيرا منها زِيْد فيه وأنقص، لكن بعد شيء من التدقيق، يمكن تمييز جزءٍ كبير من الحق فيها وفصله، فكثير من الأساطير لها أصول صحيحة.

ولعل من بين أسباب ذكر القرآن للأنبياء المعروفين عند أهل الكتاب؛ قُرب المسافة بين مواطن الأديان الإبراهيمية السماوية، وتقارب كثير من نسل أنبيائها، فخاتم النبين محمد صلى الله عليه

وسلم من ذرية إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم، وإبراهيم بدوره أبُ أنبياء بني إسرائيل، فالأقربون أولى بالذكر وأولى بالاعتبار من غيرهم.

ولعلّ من أسباب تركيز الله تعالى في القرآن على تلكم الأنبياء من الشرق الأوسط لأنهم ببساطة من ذرية آدم عليه السلام وأمته، فهم مصطفون من أمة آدم عليه السلام الذي اصطفاه الله بدوره، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران 33)، وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ (مريم 58). ولحكم الله الأخرى البالغة في ذلك، والله أعلم.

وتركيز الله على ذكر أنبياء الشرق الأوسط لا يعني أنّ الله لم يبعث أنبياء في الأمم الأخرى كما قلنا حاشا وكلا، بل بعث فيهم أنبياء كُثُر حتى وإن لم نعلم كل أسمائهم، وإن كان بدأ بعضهم يظهر، حين بلغت الدراسات ما بلغت، (كزرادشت نبي الفُرس، وكذلك على الراجح كُل من كنفوشيوس، وسُقرَاط، وبُوذا)، وحتى هنالك من المعاصرين من أثبت نبوة هؤلاء وله دراسات جِدّية في ذلك، وقد نشرها في الشبكة العنكبوتية، كالباحث نهرو طنطاوي –أثبت نبوتهم ما عدا سُقراط–، راجع رابط: (http://www.ahl-alquran.com/arabic/profile.php?main_id=555)

وأما في ما يتعلق بإثبات نبوة زرادشت والأصل التوحيدي للزرادشتية والتنبؤ بمحمد صلى الله عليه وسلم الموجود في كُتبها فراجع كتابي الآخر: رياض أمين لعريبي، الزرادشتية الديانة السماوية التي بشّرت بمحمد صلى الله عليه وسلم)، وهنالك من ذهب إلى نبوة بعض الشخصيات الأخرى، مثل الباحث فريدريك ترونغ Frédéric Truong في كتابه بالفرنسية (ما أدري إن كان سوف يُترجم): الأصل التوحيدي لِكُل الأديان والدور الأساسي لمحمد خاتم الرسل، (L'origine MONOTHEISTE de l'ensemble des religions et le rôle primordiale de Mohamed sceau des prophèTes)، حيث ذهب إلى نبوة شخصيتي كل من كِرِشْنَا و رَامَا في الهندوسية و شخصية لَاَوْتزُه في الصين القديمة.

وكذلك بالمقابل فإن الأديان السماوية القديمة غير الإبراهيمية التي شرعها الله في بلدان أخرى، وقارات بعيدة، على الصحيح أن الله خاطبهم بما مضى فيهم من أنبياء وقصص ارتبطت مع شرائع الله التي كانت فيهم وجاورتهم، كما مرّ بفضل الله بعض الأمثلة على ذلك في الزرادشتية وبلاد فارس

وهذا بالرغم من مخالفة هذه الحقيقة لكثير مما اعتاده الناس من أمم الأديان السماوية الثلاثة، المسلمين واليهود والنصارى، وبالرغم من اختلاط جزء من ذريات آباء العالم لا حقا بعضها ببعض، وبالرغم من جهل أكثر الناس بهذه الحقيقة، وأوائل أنساب البشرية بتفاصيلها، فالله هو العليم بكل نسب ومنتهاه، فلا يزال جزء مُهِمٌّ من تاريخ البشرية غامضاً، ولو تطوَّر العلم الإنساني، فإنه لا يُقَارن بعلم الله، ولا يبلغ ذرةً منه، فإن الله تعالى قال: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) (الكهف51). وحتى لو سمينا كل البشر ببني آدم تجاوزاً،

القديمة والكبيرة، وهذا مثل الإسلام مع الأديان السماوية التي جاورته (في الشرق الأوسط)، وارتباط قصص أنبياء بني إسرائيل ونسلهم ومكانهم بأنبياء العرب، على رأسهم خاتمهم صلى الله عليهم وسلم. ويستثنى من ذلك ذكره صلى الله عليه وسلم في كتب الأولين، فقد نجد له أثرا في كتب السابقين ولو البعيدة إذا تفحصناها بدقة، لكون الله تعالى قال في كتابه: (وإنه لفي زبر الأولين)، أي " أن ذكر القرآن وارد في كتب الأولين، أي جاءت بشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول يجيء بكتاب". (الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 191/19) (دون أن يحصر هذه الكتب للأولين) وقد وَجَدَ بعضها حقيقةً بعض الباحثين المسلمين؛ في كتب الهند، وفي كتب البوذية، وفي كتب الزرادشتية حيث فصّلنا في هذا الأمر في كتابي الآخر الذي تناول الزرادشتية بفضل الله تعالى (ذكرنا عنوان الكتاب قبل قليل)، ومن أهم هؤلاء الباحثين الذين أثبتوا ذكره صلى الله عيه وسلم في كتب الأولين؛ الباحث عبد الحق فديارثي في كتابه " محمد في الكتب المقدسة العالمية " " Muhammad in Wolrld ScripTures " قبل حوالي قرن، والداعية ذاكر نايك...، وإن كان ذكره صلى الله عليه وسلم في هذه المِلَل، يدل على الأصل التوحيدي السماوي التي كانت عليه وأن شرائعهم كان فيها من تعاليم الوحي، وأنها كانت تشبه الإسلام، وتشبه اليهودية والنصرانية قبل تحريفهما، وأن أصحاب تلك الملل والتي تنسب إليهم والذين تنبؤوا بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ هم في على الأرجح من الأنبياء،مَثَلُهم كَمَثَلِ زرادشت، ويَدُلُّ كذلك ذكره في تلك الكتب على عظمة منزلته صلى الله عليه وسلم، وأهمية ووجوب اتباع أصحاب تلك الأديان والكتب لرسالته الأخيرة، والإيمان بشريعته الخاتمة، فإن أنبياءهم أقاموا الحجَّة عليهم بإرشادهم للنبي الخاتم، ويدل أنّ دينه صلى الله عليه وسلم ناسخٌ لكل الأديان ومجدد لها، وعامٌ لكافة الناس.

أو غلبةً، فإن الشيء لا بُدّ من إدراكه على حقيقته، قبل أن يأتي الملحد ليشككنا في ديننا بدعوى عِلم حازه أو داروينية، أو يحاول أن يتعالم على ما استأثر الله بعلمـــه من تفاصيل أنساب البشر بدعوى عدم توافق إنساني ادّعاه بعلمه القاصر الذي فرح به، قال الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء 85).

ويبقى الأصل كل الأصل والمفتاح كل المفتاح في فهم هذا الأمر وأصل بدأ شعوب البشرية؛ هو الفهم الصحيح للكتاب والسنة على مراد الله ورسوله، وعدم حصر كلام الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الواسع معناهما، في تَصَوُّرَات ورثناها، أو مفاهيم معينة نُقِلَت لنا من أهل الكتاب، ضيّقَت شاسعا، وحَجَّرت واسعا، حتى إنّ العلم الحديث في آخر المطاف يأتي ليتّبع الوحي طوعا أو كرها، لا العكس، ويُصدّقه في كل شيء، بل وليسجد له، فالله تعالى هو الذي خلق وهو الذي يعلم ما خلق كيف خلق، قال الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك 14)، وهو الذي بَيَّنَ في كتابه كل شيء، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل89).

دليل: الآيات التي تذكر خلق الناس من طين لا تعني أنّ كل الناس في كل زمان ومكان هم من أبناء آدم عليه السلام:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ) (الحج 5). وقال الله تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة 7).

أولا: قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ)(الحج 5):

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " (فإنا خلقناكم من تراب) أي : أصل بُرْئِهِ لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم ، عليه السلام (ثم من نطفة) ... "،[1] لكن هل الآية الكريمة تَرْجِع أصل كُل الناس في كل زمان ومكان إلى آدم عليه السلام ؟، الجواب لا، لأنّ لفظ (النَّاس) في القرآن الكريم لا يَرِدُ مَعْنَاهُ دَائِمًا بمعنى العُموم المُطْلَق أي كل الناس، والآيات التي تدلّ على ذلك كثيرة، أمثلة بإذن الله تعالى:

قال الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ) (البقرة 13)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: " " ويعني بِـ " الناس ": المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله. " [2]

ويقول السعدي في نفس الآية: " أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم "،[3] وعلى هذا فإنّ (الناس) في هذه الآية لا يُقصد به كل الناس في كل زمان ومكان، وإنما هم طائفة من الناس، قد يكونون الأقلية من حيث العدد وبخاصة في ذلك الزمن، حيث كان يسود في الأرض الشرك والمشركين الذي كانوا الأكثرية قبيل بعثت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القائل عن الزمن قبل بعثته: (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ...)،[4] يقول النووي في شرح هذا الحديث: " المقت : أشد البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل. " [5]وبعدما بُعث صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب كان أتباعه من أصحابه أقلِّية مقارنة بباقي مشركي

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 395/5.

[2]- الطبري، جامع البيان، 292/1.

[3]- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 43.

[4]- رواه مسلم 2865.

[5] - النووي، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 2، 1392ه، 195/17

العرب في الجزيرة الكبيرة، - مدينة واحدة مؤمنة تحيطها مدن كثيرة مشركة - وبالرغم من هـذا سمّاهُم الله (الناس).

وقال الله تعالى: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة 24)، فليس كل الناس هم وقود النار، إنما يدخلها من هو أهل لها، من الكافرين وغيرهم من الفاسقين وما شاكلهم، وأماّ الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات فينجيهم الله من النار و لا يدخلونها.

وقال الله تعالى في عيسى عليه السلام ومعجزة كلامه في المهد: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران 46)، فعيسى عليه السلام لم يُكَلِّم كل الناس ولا كل بني إسرائيل في المهد.

وقال الله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران 173)، ينقل غير واحد من أهل التفسير أنّ المقصود بقوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) هم ركبٌ -قوم- بعثهم أبو سفيان ليثبطوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخبروهم أن قريشا قد جمعوا لهم فاخشوهم، يقول الطبري: " و"الذين" في موضع خفض مردود على"المؤمنين"، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول. و"الناس" الأوّل، هم قوم -فيما ذكر لنا- كان أبو سفيان سألهم أن يثبِّطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد. و"الناس" الثاني، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد. " [1] فكلمة (الناس) في كل من الموضعين في الآية لا يُقْصَد بها كل الناس.

وقال الله تعالى في سحرة فرعون: (قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (الأعراف 116)، ومن المعلوم أن سحرة فرعون لم يسحروا أعين كل الناس في كل زمان ومكان.

---

[1]- الطبري، جامع البيان، 7/405.

وقال الله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (البقرة 199)، فليس كل الناس يحجون ويُفيضون من عرفات، وهذه الآية تتكلم عن أحكام الحج.

وقال الله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) (نصر 1-2)، يقول الطبري: " إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش، والفتح: فتح مكة (وَرَأَيْتَ النَّاسَ) من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم، وقبائل نزار (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)."[1] فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد في حياته دخول كل الناس من كل مكان في الإسلام، إنما شاهد دخول جزء من الناس، بخاصة العرب الذين كانوا بجواره في جزيرة العرب.

وهنالك مواضع أخرى في القرآن الكريم لا يسع المقام لذكرها جاءت فيها كلمت (الناس) ليس بمعنى كل الناس. وعلى هذا الوجه فإن لفظ (الناس) في قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ) لا يعني بالضرورة أنّ كل الناس في كل زمان ومكان يرجع خلقهم إلى التراب أو إلى آدم عليه السلام، فالآية قد تثبت أنه طائفة من الناس هم الذين يرجعون إلى آدم عليه السلام وبالتالي خلقهم من تراب. بل يوجد من المفسرين من ذكر أنّ النداء بـ (يا أيها الناس) في القرآن الكريم يعني به العرب أو أهل مكة؛ يقول المُفَسّر الواحدي في تفسيره: " {يا أيها الناس} يا أهل مكة "،[2]جاء في تفسير زهرة التفاسير للمُفَسِّر أبي زهرة: " يذكر بعض المُفَسّرين أنّ النداء بـ " يا أيها الناس " يخاطب به أهل مكة، والنداء بـ " يا أيها الذين آمنوا " يخاطب به المؤمنين، وأخذوا ذلك من أن أكثر الآيات التي ابتدئت بـ " يا أيها الناس " نزلت بمكة ... "،[3] وجاء في تفسير المنار للمفسر رشيد رضا: " إِنَّ كُلَّ نِدَاءٍ مِثْلِ هَذَا

---

[1]- المرجع نفسه، 667/24.

[2]- أبو الحسن الواحدي النيسابوري، العزيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 251.

[3]- أبي زهرة أحمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، 1573/3.

– أي يا أيها الناس – يُرَادُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، أَوْ قُرَيْشٍ "، [1] وهم من العرب، ولقد تَرَجَّح لنا مما سبق أنّ أبناء آدم عليه السلام وأمّته التي جاءت منه قد سكنت الشرق الأوسط، وكانت تتواجد في البيئة والمنطقة التي أصبحت لاحقا موطنا للعرب والتي نزل فيها القرآن، وقد رأينا فيما سبق أنّ العرب وبني إسرائيل أو جزء كبير منهما هم من ذرية آدم عليه السلام بتلك الجهة من الشرق الأوسط – وسيأتي إن شاء الله مزيد تفصيل في عنوان: من هم سكان العالم الذين ليسوا من أبناء آدم عليه السلام ولا نَسْلِه ؟ –.

بل حتى على قول من قال أن هذه الآية تَقصِد بـ (الناس) كل الناس في كل زمان ومكان، فإنها لا تُصَرِّح على أنهم كلهم من أبناء آدم عليه السلام، بل تُرْجِعُهُم إلى التُّرَاب، وهذا ممكن، فرُبَّما آباء البشرية أو الأوادم الآخرون –الذي تكلمنا عليهم سابقا– قد خلقهم الله أو بعضهم من تراب، مثل آدمنا المعروف من الشرق الأوسط عليه السلام، وربُماً باقي الأصول المجهولة لتلك الأمم – من غير أمة آدم عليه السلام – ترجع إلى التُّرَاب كذلك بكيفية علمناها أو جهلناها، أو في أصل مادة تكوين وكيفية خلق كل الناس كان من طين كما سنذكر بعد قليل إن شاء الله رأياً من اجتهاد أهل التفسير في تفسير قول الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة 7)، ورأياً من العِلْم الحديث.[2]

وقد مرّ معنا وأن أخذنا كلمة (الناس) بمعنى "جزء من النّاس" أو "طائفة من النّاس"، أو "أهل مكة"، ونظرنا بهذا المعنى إلى الآية الأولى لسورة النساء وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

---

[1]– رشيد رضا، تفير المنار، 265/4.

[2]– يقول المفسر المراغي في تفسير هذه الآية: " ... وقد يكون المعنى إن الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي أصله منيّ، والمنيّ من الغذاء والأغذية إما حيوانية، وإما نباتية. والحيوانية ترجع إلى النباتية، والنبات وجوده بالماء والتراب وهو الطين." (أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 106/21.)

مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونساءً) (النساء 1) – والتي أطلنا الكلام عليها سابقا في أوائل الكتاب –، ثم أخذنا قول من قال بأنّ النفس الواحدة هي آدم وزوجها حواء عليهما السلام – حتى وإن كانت الآية لا يلزم بالضرورة أن تُفسَّرَ حصرا بهذا القول كما بَيَنَّا سابقا – فإنّه يظهر لنا بعدها معنى الآية: " يأيتها الطائفة من الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من آدم وخلق منه زوجه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "، فهنا يظهر المعنى أنّه ليس بالضرورة أنّ كل الناس من آدم عليه السلام، وهذا المعنى أيضا يستقيم ويتوافق مع باقي الأدلة من القرآن – وسيأتي إن شاء الله أدلة أخرى من السنة – التي تشير إلى الإمكانية الصريحة لوجود أُناس من غير آدم عليه السلام وقبله، ويتناسب أيضا مع واقع آدم عليه السلام الزمني – والذي سوف نحسبه فيما يلي من الكتاب بإذن الله – ويتناسب مع واقع وزمن أّمته التي خرجت من صلبه مقارنة مع أزمنة الإنسان القديم في الأرض، والتي بإذن الله سوف نجزم تدريجيا أنها – أي أمة آدم عليه السلام – إلا جزء من باقي الأمم الإنسانية.

ثانيا: قول الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة 7):

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: " {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} وذلك بخلق آدم عليه السلام ... "،[1] قد يُقَال بناء على هذا التفسير؛ أنّ هذه الآية تعني أنّ كل إنسان في كل زمان ومكان خُلق من طين وبالتالي فهو من آدم عليه السلام فكيف تقولون أنه يوجد بشر من غير آدم عليه السلام ؟ جوابنا على هذا السؤال أنه لا يلزم من الآية الكريمة أنّه كل الناس هم من ذرية آدم عليه السلام ونسله، وذلك من أكثر من وجه، سوف نوردها إن شاء الله تعالى كما يلي:

الوجه الأول: ليس ضرورة أن يُفَسَّر (الإنسان) في الآية بآدم عليه السلام حصرا:

إن الله في هذه الآية لم يقل أن الإنسان هو حصرا آدم عليه السلام، ونجد من المفسرين من حاول إيراد وجه آخر في تفسير الآية بحسب اجتهاده، حيث يقول المفسر المراغي في تفسيره لقول الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ): " ... وقد يكون

[1]– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 653.

المعنى إن الطين ماء وتراب مجتمعان، والآدمي[1] أصله منيّ، والمنيّ من الغذاء والأغذية إما حيوانية، وإما نباتية. والحيوانية ترجع إلى النباتية، والنبات وجوده بالماء والتراب وهو الطين." [2] فليس بالضرورة أن يُحصر تفسير الآية بآدم عليه السلام، فلا حرج في تفسيرها بغير حَصرِها في آدم عليه السلام، بحيث أنّ مادة الطين قد تَكَوّن منها الإنسان أو تدخل في أصول مُكَوِّنَاتِهِ وخِلْقَتِه بطريقة أو بأخرى، بشرط أن يكون اجتهادا صحيحا مبنيا على الأدلة. أما من ناحية العِّلْم الحديث فقد ظهرت نظرية مُهِمّة تقول أن الحياة رُبَّما نشأت من الطين.[3]

الوجه الثاني: لفظ (الإنسان) في القرآن الكريم لا يُقصَد به ضرورة كل الناس:

إنّ لفظ الإنسان في القرآن الكريم يأتي بأكثر من معناً حسب السياق، يقول الهرري في تفسيره: " الإنسان من الناس اسم جنس يقع على المذكر، والمؤنث، والواحد،

---

[1]- لا يُحمَل معنى الآدمي على المعنى اللفظي، إنما المقصود هنا في استدلالنا هو البشر، لأن المُستقر عند أكثر أهل التفسير أن الآدمي هو البشر، ولكن في الحقيقة هذا فيه تفصيل إن أردنا التحديد، وخاصة في كتابنا هذا، فليس كل بشر من بني آدم بينما كل بني آدم من البشر (كما سنزيد بسط أدلة على ذلك تدريجيا بإذن الله)، لكن يمكن أن يُسَمَى الإنسان بالآدمي تجاوزا، ويمكن أن تُصَنَّف الكلمتان من باب الكلمات التي إذا اتفقتا اختلفتا في المعنى، وإذا تفرقتا التقتا في المعنى، مثل كلمة الإيمان وكلمة الإسلام.

[2]- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 106/21.

[3]- يعني أوائل الجزيئات الحية، صاحب هذه النظرية هو الاختصاصي في الكيمياء العضوية "الكسندر جراهام كرينز سميث" "Alexander Graham Cairns SmiTh" من جامعة كلاسكو في اسكتلندا، انظر: مقال: 7 Theories on the Origin oF LiFe، لِـ Charles Q.Choi (2016/03/24):

https://www.livescience.com/13363-7-theories-origin-life.html

وانظر "بالعربية": https://www.ida2at.com/origins-of-life-puzzle-clay-crystals-is-the-solution/

والجمع "،[1] وبما أنّه اسم جنس من كلمة (الناس)، فإنّه يمكن حمل كلمة (الإنسان) على كلمة (الناس) والتي قد مر معنا أنها تأتي في القرآن الكريم في مواضع متعددة ولا يُقصد بها جميع الناس، وإنما جزء منهم.

بل تُوجَد أدلة صريحة في أكثر من موضع في القرآن الكريم تذكر كلمة (الإنسان) ولا تعني بها كل الناس في كل زمان ومكان، وهذه الآيات أكثر صراحة في الاستدلال، سنذكر إن شاء الله أمثلة منها على النحو التالي:

قال الله تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم 34)، جاء في تفسير القرطبي: " (إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) الْإِنْسَانُ لَفْظُ جِنْسٍ وَأَرَادَ بِهِ الْخُصُوصَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَادَ أَبَا جَهْلٍ. وقيل: جميع الكفار." [2] وجاء في تفسير الجلالين: " {إنَّ الْإِنْسَان} الْكَافِر." [3] فيعني أن كلمة (الإنسان) هنا لا يردا بها كل إنسان أو جميع الناس، وإنما المراد بها على أوسع القولين السابقين " جزء من الناس " أي الكافرين.

وقال الله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنْسانُ أَإِذا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) (مريم66)، يقول القرطبي في تفسيره: " قوله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنْسانُ أَإِذا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) الْإِنْسَانُ هُنَا أبي ابن خَلَفٍ وَجَدَ عِظَامًا بَالِيَةً فَفَتَّتَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ: زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّا نُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَهُ الْكَلْبِيُّ ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ وَالثَّعْلَبِيُّ وَالْقُشَيْرِيُّ وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ

---

[1]- محمد بن عبد الله الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان، إشراف ومراجعة: د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 226/16.

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 367/9.

[3]- تفسير الجلالين للآية.

بْنِ الْمُغِيرَةِ وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ." [(1)] وجاء في تفسير الجلالين " {ويقول الإنسان} المنكر للبعث أبي بن خَلَف أَوْ الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة النَّازِل فِيهِ الْآيَة ".[(2)]

وقال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ) (الحج 66)، ينقل القرطبي في تفسيره حول (الإنسان) هنا: " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْأَسْوَدَ ابن عَبْدِ الْأَسَدِ وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَالْعَاصَ بْنِ هِشَامٍ وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ كُفْرُ النِّعَمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ: 13]." [(3)] وجاء في تفسير الجلالين: " {إنَّ الْإِنْسَان} أَيْ الْمُشْرِك {لَكَفُور} لِنِعَمِ اللَّه بِتَرْكِهِ توحيده." [(4)] فعلى كل هذه الأقوال فإنّه لا يَدُلُّ لفظ (الإنسان) هنا على أنّه كل إنسان.

وقال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (يس 77)، ينقل ابن كثير في تفسير هذه الآية: " عَنِ ابن عباس، أن العاصى بْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ ففتَّه بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يدخلك جهنم". قال: وَنَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخَرِ "يس." وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَذَكَرَهُ وَلَمْ يَذْكُرِ "ابْنَ عَبَّاس." وَرُوِيَ مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بِعَظْمٍ ففتَّه وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ. وَهَذَا مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ مكية، وعبد الله بن أبي بن سَلُولَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ. وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ سَوَاءً كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ قَدْ نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَوْ [فِي] الْعَاصِ [بْنِ وَائِلٍ]، أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ. وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: {أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ}

---

(1)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 131/11.

(2)- تفسير الجلالين للآية.

(3)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 93/12.

(4)- تفسير الجلالين للآية.

لِلْجِنْسِ، يَعُمُّ كُلَّ مُنْكِرٍ لِلْبَعْثِ." ويقول المفسر السعدي: " ... فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ} المنكر للبعث والشَّاك فيه ".[1] فالآية لا تتناول المؤمن ولا تشمله كلمة (الإنسان) هنا.

وقال الله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) (القيامة 3)، جاء في تفسير الجلالين: " {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَان} أَيْ الْكَافِر ".[2]

وهنالك آيات أخرى لا يَسَع المقام لذكرها لا تعني بكلمة (الإنسان) كل الإنسان، وإنما تعني أفرادا أو جزء من الإنسان، ولهذا فإن (الإنسان) في قوله الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) لا يعني ضرورة كل إنسان، فإن كُنّا نجزم أن الإنسان الذي هو من نسل آدم عليه السلام وأمّتِه يرجع إلى أبيه الذي خلقه من طين، وبالتالي فيمكن أن نَنْسِب خلق هذا الإنسان إلى الطين، لكن الإنسان الذي ليس من آدم عليه السلام ليس بالضرورة أن يكون مخلوقا من طين، فإنّ هذه الآية تحتمل هذا الاستثناء احتمالا بدليل الآيات السابقة التي رأيناها. وحتى على قول أنّ هذا الإنسان الذي ليس من آدم عليه السلام أيضا مخلوقٌ من طين باحتمال أنّه قد يُقصد في الآية من كلمة (الإنسان) كل الناس –وهذا القول أيضا محتمل– فإنّ هذه الكيفيّة لا تجعل كل إنسان منسوبا لآدم عليه السلام، لأن الآية في هذا الوجه تُرجع الإنسان ككل إلى الطين ولا يوجد فيها أي ذكر لآدم عليه السلام، فيمكن أن يكون أصل المادة المشتركة التي خُلِق منها كل الناس أو أصولهم –أو التي دخلت في تكوينهم الأول– هي الطين، ربما بكيفية وصفتها الاجتهادات التفسيرية أو النظرية الحديثة التي رأيناها أو بطريقة لا يزال علمها عند الله.[3]

---

[1]– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 699.

[2]– تفسير الجلالين للآية.

[3]– وحتى لو فرضنا أن الإنسان من غير آدم عليه السلام قد خلقه الله من طين، سواء بخلق آباء الأجناس أو أصوله المجهولة أو أصل مادته من طين، أو خلقه بطريقة علمناها أو جهلناها من طين،

دليل: آيات التهديد باستبدالنا بقوم آخرين، وما يدرينا أنّ الله فعلها من قبل:

قال الله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) (فاطر 15 - 17)، وقال تعالى : (والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (محمد 38)، وقال الله تعالى : (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) (النساء 133)، فربما فعل الله هذا التهديد من قبل ؟ وما يُدرينا أن الله فعل هذا التهديد مع أقوام قبل آدم عليه السلام، كما فعله مع قوم نوح المكذبين وما شابههم من الأمم المكذبة من بعد آدم عليه السلام. وربما استبدلهم بنا نحن بنوا آدم مكانهم، أو أذهب أقواما منهم واستخلفنا في الأرض ؟

وربما لنا مثالٌ علميٌ في مثل هذه السنة الإلهية؛ فيما يقوله علماء الإنسان من اختفاء وانقراض أجناس بشرية كاملة مثل جنس النيندرتال وبقاء آخرين مثل الهوموسابين (وهو الإنسان المعاصر).[1] والذي يظهر أن علم الأنثروبولوجيا اكتشف أيضا أجناسا أخرى من أُناس عندهم بعض الاختلاف عن البشر الأحياء، انقرضت أجناسهم منذ آلاف السنين،[2] مع كوننا نؤكد أنهم أناس عاقلون، والله أعلم.

دليل: الله أنشأنا من ذرية قوم آخرين:

قال الله تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام 133).

فمن هم ذُريّةُ القومِ الآخرين الذين أنشأنا الله منهم ؟

فإن هذا لا يَدُلُّ أنّ هذا الإنسان من آدم عليه السلام، وهذا ما تدُلُّ عليه الآية، فإنها لا تُصَرِّح أن كل هذا الإنسان من آدم عليه السلام. وهذا ما بيناه في الوجه الأول.

[1] – voir : Richard G. Klein, PerspecTives, WhiTher The NeanderThals?, Science, Vol 299, 7 MARCH 2003, p 1526.

[2] – سيأتي التَّعَرُّفُ على بعضهم في الفصل الأخير بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: هل يثبت حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

دليل: لايوجد أي حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ينفي وجود أُناس قبل آدم عليه السلام:

وهذا أمر مُهِم، فلو تأملنا فيما بلغنا من سنة نبينا الصحيحة، والذي لم يترك صلى الله عليه وسلم شيئا إلا ذكر لنا منه علما، فإننا لا نجد فيها نفيا لوجود أناس قبل آدم عليه السلام على وجه كل الأرض.

دليل: آدم عليه السلام كان سِرْيَانِياً وتكلم بالسِّريَانِية، والسِرْيَانيُّون قَبْلُهُم بشرٌ كثير:

جاء في جزء من حديث أبي ذر الطويل الذي كان يسأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجيب:

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟، قَالَ: "مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ؟، قَالَ: "ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ؟،[1] قَالَ: "آدَمُ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ؟، قَالَ:

---

[1]- وقد مرّ معنا وأن فصَّلنا في معنى كلمة "الأول"، فإن أولية شيء أو شخص على غيره ليست بالضرورة أولية مطلقة في كل زمان ومكان، وإنما تطلق كلِمَة أوّل قد يُقصد بها الأول في زمان معين أو مكان محدد أو أمّة، فآدم عليه السلام الأول في أمته وأنبياء أمته، وقد ذكرنا سابقا مثال في قول الله تعالى في النبي صلى الله عليه وسلم: (وأنا أول المسلمين) (الأنعام 163) بالرغم من أن الذين قبله

"نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قِبَلاً" ثُمَّ، قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (الحديث)).[1]

من الأنبياء كانوا مسلمين، ونقلت قول أهل التفسير في الآية أنه المقصود منها أنه أول المسلمين في أمته، وعلى هذا يُحْمَل الحديث السابق هنا لآدم على أنه أول الأنبياء في أمته وبنيه.

[1]- رواه ابن حبان في صحيحه (361) والطبراني في "الكبير" (1651) وفي "المكارم" (1) والآجري في "الأربعين" (40) وأبو الشيخ في "العظمة" (259) وأبو نعيم في "الحلية" (1/ 18 و 166 - 168) وأبو عمرو الداني في "البيان في عد آي القرآن" (ص 21 - 22) والشجري في "أماليه" (1/ 73) والقضاعي (651 و 740 و 837) والبيهقي في "الأسماء" (ص 510 - 511) وفي "الشعب" (4325 و 7668) وابن عبد البر في "التمهيد" (9/ 199)، وغيرهم. اختلف أهل الحديث في هذا الحديث، حيث أُخرج له أحد عشر طريق روي منها كلها ضعيفة، انظر: (أبو حذيفة الكويتي، أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، 518/1)، فالألباني يُضَعِفه بينما ابن حبان يُصَحِحُه، لكن الظاهر أنه بكثرة طرقه يتقوّى، فقد وُجِدَ له قرابة أحد عشر طريق كما قلنا، عسى أن يتقوى بها، وقد حكم ابن حبان بصحّته، وأورده في صحيحه، والذي اعتبره بعض أهل العلم رابع الكتب من حيث ترتيب درجة الصحة بعد صحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة، نظرا لدرجة شروط ابن حبان في رجاله، وقد استدل بجزء من الحديث ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 198/16)، ولبعض أجزاء الحديث شواهد من طرق صحيحة أخرى، كعدد الرسل (انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، 852/7، وموسوعة الألباني في العقيدة، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ط الأولى، 1431 هـ - 2010 م، 139/8). وأما عدد الأنبياء المذكور في هذا الحديث (أي في هذه الرواية الابن حبان مائة وعشرون ألف) فهو غير دقيق ربما لسُوء ضبط من بعض الرُّواة، فإن العدد الذي في بعض الطرق الأخرى الصحيحة كذلك هو مائة ألف وأربعة وعشرون ألف (أي 124.000 نبي)، (انظر: الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق

الدليل الموجود في هذا الحديث والذي يدلّ أنّ آدم عليه السلام مسبوقٌ بأُناس، هو الشاهد الذي جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنّ آدم عليه السلام كان سِرْيانياً، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ).

والصحيح أن آدم عليه السلام كان يتكلم بالسريانية، وقد رجّح عدد من العلماء أنها كانت لغته والحديث دليل على ذلك، يذكر العَيْني في عمدة القاري: " وَكَانَ آدم عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم يتَكَلَّم باللغة السريانية وَكَذَلِكَ أَوْلَاده من الْأَنْبِيَاء وَغَيرهم غير أَن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم حولت لغته إِلَى العبرانية حِين عبر النَّهر أَي الْفُرَات " [1]

ويقول ابن حجر في كتابه فتح الباري : " اسْمٌ سُرْيَانِيٌّ وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ آدَامُ بِإِشْبَاعِ فَتْحَةِ الدَّالِ بِوَزْنِ خَانَامَ وَزْنُهُ فَاعَالُ وَامْتَنَعَ صَرْفُهُ لِلْعُجْمَةِ وَالْعَلَمِيَّةِ". [2]

ويقول المناوي في فيض القدير: " (آدم) أبو البشر من أديم الأرض أي ظاهر وجهها، سمي به لخلقه منه أو من الأدمة وهي السمرة، قيل اشتقاقه يؤيد أنّه عربي. ومنع بأنَّ توافق اللغتين غير ممتنع، وبأنه لا دلالة على أنّ الاشتقاق من خواص كلام العرب. ورد بأن الأصل عدم التوافق واطراد الاشتقاق، وهو وإن صح تكلمه بكل لسان، لكن الغالب بالسرياني كما تَدُلّ عليه أسامي أولاده." [3]

الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، بيروت، 1985م، 1599/3، الألباني، السلسلة الصحيحة، 360/6). أما فيما يتعلق بهل آدم عليه السلام نبي أو رسول ؟ فهنالك اختلاف في ذلك، فهذه الرواية لابن حبان تذكر أنه رسول بينما هنالك رواية أخرى تذكر أنه نبي، والله أعلم.

[1] - بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 52/1.

[2] - ابن حجر، فتح الباري، 364/6.

[3] - عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، ط الثانية، بيروت، 47/1.

والمعنى الذي يُمكن أن يُسْتَخْلَص من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في وصف آدم عليه السلام أنّه كان سريانيا ثمّ أقوال العلماء أنّه كذلك يُفْضِي إلى احتمالين، وفي كِلاَ الاحتمالين يظهر أنّ آدم عليه السلام مسبوق ببشر، وهما بإذن الله كالتالي:

الاحتمال الأول: أنّه آدم عليه السلام من السريانيين؛ بمعنى أنه أصبح منهم بمخالطتِهِ لهم وعيشِهِ معهم بعدما نزل من الجنّة، وتكلم بلسانهم، فمعنى ذلك أنّه مسبوقٌ بنسل، وهذا يعني أنّه وُجد نسلٌ قبله عليه السلام، فهو مسبوق ببشر وليس أوّلهم في الأرض.

الاحتمال الثاني: أنّ آدم عليه السلام أبو السريان، وأنهم انحدروا منه بعد نزوله من الجنَّة، وكان يتكلم السريانية. وهنا يمكن القول أنّ السريان جنسهم منفصل عن الصينين مثلاً، ولا يمكن لسرياني أن يكون أباً للصينين، فذاك جِنْس وقُدَماء الصينيين جنس آخر بدليل أنّ كِلاَ من الشعبين كانا مُتَعَاصِرين –فإنّ الصين كشعب ثم كحضارة زمنها متقدم–،[1] وتلك حضارة والأخرى حضارة منفصلة، ولا يوجد بين الشعبين شَبَه

---

[1] – فالأقوام المزارعة كانت تعيش في الصين منذ حولي عشرة آلاف 10.000 سنة، وثقافة صينية مُتَمَيِّزة كان يمكن تمييزها ابتداء من ستة 6000 سنة من الآن. انظر:

https://www.metmuseum.org/toah/hd/cneo/hd_cneo.htm

http://news.bbc.co.uk/2/hi/asia-pacific/6669569.stm

أمّا عن أقدم آثار الإنسان في الصين، فهي قديمة إذ يرجع أقدم عظم بشري اكتشف في تلك المنطقة، والذي اشتهر تحت اسم رجل بيكين Peking Man إلى حوالي سبعمئة وثمانين ألف سنة 780.000 سنة بحسب تقنيات تأريخ زمني حديثة. أمّا عن كيفية حِساب مثل هذه الأزمنة البعيدة والتي تُعَدُّ بمئات وملايين السنين، والتي عاش في بعضها الإنسان القديم؛ فهي تعتمد على تقنيات تَأْريخ حديثة، بقياس إشعاع أيونات محددة وتصوير شعاعي دقيق مختلف عن الكاربون أربعة عشر (c14) المشهور لأنه لا يصلح لحساب هذه الأزمنة البعيدة، وإنما يُسْتَعمل الكربون أربعة عشر في حساب تأريخ العظام وبعض الأثار التي لا يتجاوز عمرها عشرات الآلاف من السنين (حوالي أربعين ألف سنة)، أماّ في تأريخ الأزمنة الأبعد التي تُعدّ بمئات الآلاف من السنين فأكثر؛ فإنه يُستعمل في ذلك قياس إشعاع

خِلْقي، أو تقارب مكاني، بل بينها آلاف الأميال، ولم أسمع من جعل نسبا قريبا بينهما، فكيف يكون آدم عليه السلام السرياني أبا للصينيين ؟. بالرغم كذلك من أنّه لم نسمع في عِلمنا أنّه من علماء الآثار أو علماء الإنسان من جعل أنّ الصينيين وشعوب أخرى؛ كالأفارقة أو الأستراليين الأصليين أو الإسكمو أو الهنود الحمر الأمريكيين مِنْ نسل السِريان وأبنائهم كون هذه الشعوب كانت متعاصرة.

أضف إلى ذلك أن السِّريان كحضارة قد لا تَفُوق نصف الألف الثالثة قبل الميلاد، أي حوالي 2500 قبل الميلاد، فهي بذلك قديمة لكن ليست أقدم من الحضارة المصرية مثلا، والتي تقدّر بِدايتها قبل الألفية الثالثة قبل الميلاد، أي حوالي 3150 قبل الميلاد. أما من ناحية السريانية بعباداتها وشعبها ولغتها وثقفتها ومُدنها فهي قديمة نواعا ما، إذْ يُقدرها الباحثون إلى قرابة الألفية الرابعة قبل الميلاد، أي حوالي 3800 قبل الميلاد،[1] لكن بالرَّغْم مِن هذا التقدم النِّسْبِي مقارنة مع بعض الحضارات إلا أنّ

أيونات مثل: البريليوم المُشع Béryllium 10، والألومينيوم المُشع Aluminium-26، والبُوتاسيوم أرغون Potassium-Argon، والرنين المغناطيسي الإلكتروني (ElecTron paramagneTic resonance) –يبلغ مداه إلى خمسة ملايين 5 ملايين في تأريخ العظام– وغيرها من المواد والطرق التي قد يؤرخ بها أزمنة بمئات وبملايين السنين، ويختلف استعماله هذه الطُرُق بحسب الحالة المُقاسة باستعمال تقنيات وآلات حديثة.-[1]انظر:

http://www.archeologiesenchantier.ens.fr/spip.php?article9

http://acces.ens-lyon.fr/acces/thematiques/paleo/variations/paleoclimats/syntheses/dation-des-echantillons/les-techniques-de-datation-1

https://www.nature.com/articles/nature07741

[1]– والظاهر أنه لا يزال يجهل العلماء تاريخ ظهور اللغة السريانية بالضبط، والتي قد يمكّن معرفته من إعطاء معلومات أكثر حول ظهور السريان كشعب، يقول جبرائيل صوما في كتابه الثقافة السريانية: " أصبحت اللغة السريانية بعد ظهورها ومرور الأزمنة عليها والأجيال، فلا يمكن للإنسان أن يعرف زمن ظهورها بالضبط ... وقد ظهرت هذه اللغة في بلاد ما بين النهرين ومنها انتقلت إلى

السريانيين كشعب بعيدون جدا عن الآثار القديمة المكتشفة للإنسان؛ فحتى على سبيل المثال لو زدنا تحرزا ألف سنة أخرى في زمن السريان، فإننا نصل إلى حوالي الخمس آلاف سنة قبل الميلاد، أي قرابة سبع آلاف سنة من الآن - وهو الزمن التقريبي لآدم عليه السلام -[1] فهذا بعيد جدا عن زمن تواجد الإنسان في كثير من الأماكن في العالم، والذي يُعَدُّ بعشرات الآلاف، بل بمئات آلاف، بل بملايين السنين، - كما سيأتي إن شاء الله الكلام على ذلك في الفصل الثالث: هل العِلْم يثبت وجود إنسان قبل آدم عليه السلام؟- وهنا يتبين أنّه في كل هذه الاحتمالات لا بُدّ أن يكون آدم عليه السلام ليس أبا لكل الناس، ويَتبيّن أنه مسبوقٌ بناس، ومعاصِر لأُناس آخرين ليسوا من جنسه.

مناطق عديدة وامتدت إلى أقطار كثيرة وعمّت البلاد التي وطئتها أقدام الشعوب السريانية كالبابلين والكلدانيين والكنعانيين (الأموريين الفينيقيين) والآراميين وقد سميّت هذه الشعوب بحسب أسماء المناطق التي سكنوها وكان ذلك حتي الأجيال المتأخرة وقبل الميلاد عُرفت باللغة السريانية...عُرفة اللغة السريانية باسم اللغة الكلدانية أو اليابلية في أوائل الجيل الرابع قبل المسيح في إقليم أكَدْ وسُومر الواقعة في جنوب ما بين النهرين، إذ آنذاك لم تكن تخرج من ضمن حدود المنطقة ومحلها، ويعتبر زمن ظهورها بالنسبة للإنسان مجهولا وحتى زمن حياتها أيضا، ولهذا السبب نكتفي بمبدأ كلامنا منذ زمن ثقافتها الكائنة منذ الألف الرابع قبل المسيح سنة 3800 ق.م. حيث أخذت تنتشر اللغة إلى خارج حدود الأكاديين بواسطة الفتوحات والانتصارات التي قام بها الملك سرجون الأول (الأكدي مؤسس الدولة الأكدية ما بين النهرين -2470 ق.م 2418 ق.م- ومنذ ذلك الحين أخذت اللغة تنتشر إلى بلاد أخرى تدريجيا ...". جبرائيل صوما، الثقافة السريانية، ترجمة الشماس بطرس قاشا، مركز دراسة الوحدة العربية، ص34-35. قلت: وحتى لو زدنا للسريان ولغتهم وثقافتهم ألفين أو ثلاث آلاف سنة فلن يصلوا إلى الأثر الإنساني الذي اكتشف في الأرض، والذي يُعَدّ بمآت الآلاف سنة بل يفوق المليون سنة بكثير.

[1]- في ما يَخصُّ هذا الزمن لآدم عليه السلام انظر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأنبياء، ص 50. وسيأتي بعد قليل إن شاء الله مزيد بحث وأدلة في زمن لآدم عليه السلام.

دليل: زمن آدم عليه السلام لا يتجاوز السبعة آلاف سنة 7.000 استنادا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع جمعه ببعض آثار الصحابة والتابعين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان بين آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ، وبين نوحٍ وإبراهيم عشرةُ قرونٍ)، وتبقى حِسَاب المُدّة بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، والتي هي مُدّة في جملتها قصيرة كما تدّل آثار الصحابي عبد لله بن عباس والتابعين مقارنة بين آثار البشر وبقاياهم التي يُقدر زمن بعضها بمئات الآلاف من السنين بل يفوق المليون سنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان بين آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ، وبين نوحٍ وإبراهيم عشرةُ قرونٍ).[1]

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (أنّ رجلاً قال: يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال:" نعم، مُعلَّمٌ مُكلَّمٌ ". قال: كم بينه وبين نوح؟ قال:" عشرة قرون ".قال: كم كان بين نوح وإبراهيم ؟ قال:" عشرة قرون ". قالوا: يا رسول الله ! كم كانت الرسل؟ قال: "ثلاث مئة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً ".)[2]

هاذان الحديثان صريحان عن النبي صلى الله عليه وسلم في كون الزمن بين آدم ونوح عليهما السلام هو ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام هو ألف سنة

---

[1]- أخرجه الحاكم (262/2) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (8/145-139)، وصَحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم 3289، 852/7.

[2]- رواه الطبراني في المعج الأوسط (1/24/2/398 ترقيم الألباني)، قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم "، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي:"رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح؛ غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة". وكذلك صَحَّحَه الألباني في سلسلة الصحيحة، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 852/7.

كذلك، وهذا على من قال أنّ القرن المقصود هو مائة سنة وهو المشهور بين العلماء،[1] وحتى إن كان هذان الحديثان لم يذكر فيهما النبي صلى الله عليه وسلم الزمن بينه وبين آدم عليه الصلاة والسلام، إلا أنّه ذكر أمرا مُهِمًّا في تِبيَان الزمن بين نوح وإبراهيم وأبيهما آدم عليهم الصلاة والسلام، والذي سيساعد كثيرا إن شاء الله في تحديد الزمن بين محمد وبين أبينا آدم صلى الله عليهما وسلم.

[1]- اختلاف العلماء في تقدير القرن، لكن هذا اختلاف لا يضُرَّ هنا في هذا الاستدلال، لأنّه من أكثر ما قيل فيه هو مائة وعشرين سنة كما نقل ابن حجر، ما يجعل زيادة نسبة الارتياب في الحساب هنا قرابة عشرين سنة لكل قرن، أي عشرين مضروب في عشرين، أي أربع مائة سنة ما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، وهذا لا يصل إلى مئات الآلاف من السنين أو أكثر من مليون سنة من وجود البشر، كما سنكمل البرهان على ذلك إن شاء الله تعالى، يقول ابن حجر في فتح الباري : " وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ لَكِنْ لَمْ أَرَ مَنْ صَرَّحَ بِالسَّبْعِينَ وَلَا بِمِائَةٍ وَعَشَرَةٍ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ بِهِ قَائِلٌ وَذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالثَّمَانِينَ وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَرْنَ مِائَةٌ وَهُوَ الْمَشْهُورُ وَقَالَ صَاحِبُ الْمَطَالِعِ الْقَرْنُ أُمَّةٌ هَلَكَتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَثَبَتَتِ الْمِائَةُ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الله بن بسر وَهِي ماعند أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَذْكُرْ صَاحِبُ الْمُحْكَمِ الْخَمْسِينَ وَذَكَرَ مِنْ عَشْرٍ إِلَى سَبْعِينَ ثُمَّ قَالَ هَذَا هُوَ الْقَدْرُ الْمُتَوَسِّطُ مِنْ أَعْمَارِ أَهْلِ كُلِّ زَمَنٍ وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ وَبِهِ صرح بن الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَقْرَانِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ الْمُخْتَلِفُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِمَّنْ قَالَ إِنَّ الْقَرْنَ أَرْبَعُونَ فَصَاعِدًا أَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ دُونَ ذَلِكَ فَلَا يَلْتَئِمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ... " ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379ه، 5/7. ونص الحديث الذي يُؤيِّد القول أن القرن هنا مائة سنة، وهو الحدث الذي أشار إليه ابن حجر أي قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عبد الله بن بسر: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الطَّائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَتُدْرِكَنَّ قَرْنًا) ، قَالَ: فَبَلَغَنَا أَنَّهُ أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ سَنَةٍ)، أخرجه البزار في مسنده، 430/8، وحكم الحديث حسن، انظر: مقبل بن هادي الوادعي، الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، مكتبة بن تيمية، ط الأولى، القاهرة، 1416ه-1995م، 417/3.

إن أول إشارة مُهِمّة يمكن استخلاصها من الحديثين السابقين هي: أنّه من المُحال أن يُتصور أنّه كان الزمن بين آدم وإبراهيم عليهما السلام ألفي سنة – جمعا بين الحديثين – أن يكون الزمن بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم مئات الآلاف من السنين فضلا عن ملايين السنين، لأنه ما يمكن تصوُّره في الزمن بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم أن يكون يُعد ما بين ألفين إلى أربع آلاف سنة، وأقصى ما يمكن تصوّره في ذلك أن لا يتجاوز بضع آلاف من السنين لا أكثر.

ويمكن البحث في حساب هذا التاريخ الذي ينقصنا من أكثر من طريق، من طريق خبري ومن طريق علمي حديث –science–، وسأكتفي هنا بإذن الله بالطريق الخبري وأُؤجّل الطريق العلمي إلى " فصل: هل يثبت العِلْم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟ "، وأشير أن البرهان الذي يستند على العلم الحديث سوف يبحث في زمن الطوفان، وبعد إثباته إن شاء الله يبقى فقط زيادة ألف سنة التي بين نوح وآدم عليهما السلام التي ثبتت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي مرّ معنا، أما الآن سأذكر أدلة خبرية قد تكفي لوحدها لمعرفة الزمن التقريبي لآدم عليه السلام، وهذا بالبحث عن تكْمِلَة الزمن بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وكل هذا بإذن الله تعالى.

جاءت بعض الآثار عن الصحابي ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، والتابعي الكبير قتادة، وعن بعض العلماء كذلك، إذ نسرد إن شاء الله الآثار التي نسبت إليهم كالتالي:

روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس: " قَالَ ابْن عَبَّاس: وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ،[1] وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ ".[2]

ولمزيد أمانة ودِقَّة في البحث قد رُوِيَ حديث آخر عن بن عباس يقول فيه: " كَانَ بَيْنَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَعِيسَى بن مريم الف سنه وتسعمائة سَنَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَتْرَةٌ، وَإِنَّهُ أُرْسِلَ بَيْنَهُمَا أَلْفُ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سِوَى مَنْ أُرْسِلَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ بَيْنَ مِيلادِ عيسى والنبي خمسمائة وَتِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةٍ ".[3]

وروى السيوطي في تفسيره الدرر المنثور: "عَن قَتَادَة قَالَ: كَانَ بَين آدم ونوح ألف سنة وَبَين نوح وَإِبْرَاهِيم ألف سنة وَبَين إِبْرَاهِيم ومُوسَى ألف سنة وَبَين مُوسَى وَعِيسَى أَرْبَعمِائَة سنة وَبَين عِيسَى وَمُحَمّد سِتّمائَة سنة ".[4]

وروى الطبري في تاريخه وابن سعد في الطبقات الكبرى (واللفظ للطبري): " حدثني الحارث بْن محمد، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا محمد بن عُمَرَ بْنِ وَاقِدٍ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالُوا: كَانَ بَيْنَ آدَمَ ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، وَالْقَرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ. "[5]

---

[1]- وهذا ما يُقَوِّي القول أنّ القَرن هو مئة سنة، إذ ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق أنّه بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، وهنا في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ألف سنة، فعشرة قرون هي ألف سنة على أرجح الأقوال.

[2]- رواه الحاكم في مستدركه، 654/2، وانظر: السيوطي في الدرر المنثور، تحقيق عبد المحسن التركي، ط أولى، مركز هجر، القاهرة، 1424ه-2003م، 138/5.

[3]- رواه الطبري في تاريخه، 236/2.

[4]- رواه السيوطي، الدرر المنثور، 138/5.

[5]- رواه الطبري في تاريخه، 235/2، ابن سعد الطبقات الكبرى 44/1.

وروى كذلك الطبري في تاريخه عن التابعي وهب بن منبه قوله: "قد خلا من الدنيا خمسه آلاف سنه وستمائه سنة."[1]

قال ابن حجر: " وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ النَّقْلِ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الْيَهُودِ إِلَى بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَمُدَّةَ النَّصَارَى مِنْ ذَلِكَ سِتُّمِائَةٍ. "[2]

شرح هذه الآثار وحساب زمن آدم عليه السلام:

أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قَالَ ابْن عَبَّاس: وَبَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى سَبْعُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ ". فمن خلال هذا الأثر لعبد الله بن عباس نجد أن الزمن بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم هو ألف وتسع مائة سنة، أي بعد عملية جمع بين فترات ما بين إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، وإذا أضفنا هذا العدد إلى الألفي سنة التي بين آدم وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق، سوف نخلص إلى ثلاثة آلاف وثمان مائة سنة 3800 سنة تفصل محمد عن أبيه آدم صلى الله عليهما وسلم، وإذا أضفنا إلى ذلك المُدّة التي تفصلنا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أي ألف وأربع مائة سنة، فسوف نحصل في هذه الحالة على مدة إجمالية بين آدم عليه السلام وزمننا تقدر بخمسة آلاف ومائتان سنة 5200 سنة.

ولمزيد تحري نرجع إلى الرواية الأخرى لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي يقول فيها: " كَانَ بَيْنَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَعِيسَى بن مريم الف سنه وتسعمائة سَنَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَتْرَةٌ، وَإِنَّهُ أُرْسِلَ بَيْنَهُمَا أَلْفُ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سِوَى مَنْ أُرْسِلَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ بَيْنَ مِيلادِ عيسى والنبي خمسمائة وَتِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةٍ "، فإذا استندنا إلى هذه الرواية فسوف نجد أهم اختلاف بين الأولى وهذه، وهذا الاختلاف هو أساسا في الزمن بين

---

[1] - رواه الطبري في تاريخه، 236/2.

[2] - ابن حجر، فتح الباري، 449/4.

موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم، إذ أنّ الرواية الأولى تقدره بـخمس مائة سنة بينما هذه تقدره بألف وتسع مائة سنة، فإذا أخذنا الرواية في هذه الحقبة الأكثر طولا وزدناها إلى الأولى وحسبناها، فإننا نجد أن الزمن بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأبيه آدم صلى الله عليه وسلم هو خمسة آلاف ومائتان سنة 5200 سنة، ويصبح الزمن بيننا وبين آدم صلى الله عليه وسلم بعد زيادة الألف وأربع مائة سنة، ستة آلاف وست مائة سنة 6600 سنة.

أثر قتادة بن دعامة السدوسي: "عَن قَتَادَة قَالَ: كَانَ بَين آدم ونوح ألف سنة وَبَين نوح وَإِبْرَاهِيم ألف سنة وَبَين إِبْرَاهِيم ومُوسَى ألف سنة وَبَين مُوسَى وَعِيسَى أَرْبَعمِائَة سنة وَبَين عِيسَى وَمُحَمّد سِتّمِائَة سنة "، من خلال أثر قتادة نجد أن المدّة بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم هي ألفي سنة، وإذا أضفنا الألفين التي تفصل آدم عن إبراهيم صلى الله عليهما وسلم نجد أربع آلاف سنة 4000 سنة، وهي المدة التي تفصل آدم عن محمد صلى الله عليهما وسلم، وإذا أضفنا ألف وأربع مائة سنة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فسوف نحصل على المدة التي تفصلنا بآدم عليه السلام وهي خمسة آلاف وأربع مائة سنة 5400 سنة.

الأثر الذي رواه الطبري عن غير واحد من أهل العلم: قَالُوا:" كَانَ بَيْنَ آدَمَ ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، وَالْقَرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ"، من خلال هذا الأثر نجد الزمن بين موسى وإبراهيم هو ألف سنة، وهو زمن معقول ينطبق مع أثر قتادة ويقترب من أثر عبد الله بن عباس الأول.

أثر التابعي الكبير وهب بن منبه: "قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنه وستمائه سنة." الظاهر أن وهب بن منبه قد حسب الزمن بينه -أي أهل زمانه- وبين آدم عليه السلام، بدليل أنّ الطبري أورد هذا الأثر مع أثر عبد الله بن عباس السابق وغيره في ذكر الفترات بين آدم عليه السلام وبين غيره من الأنبياء، وهذا التعبير من وهب يشير أنه كان يظن أنّ الدنيا تبدأ مع آدم عليه السلام ورُبَّما هذا لِما قد كان شائعا قديما وبخاصة عند

أهل الكتاب من أنّ خلق البشر والدنيا قد بدأ مع آدم عليه السلام ومن المعلوم أن هذا الظن ليس بصحيح، أو كان تعبيره هو عن آدم عليه السلام ببداية الدنيا، وربما أيضا كان هذا نتاج سوء فهم الأيام الستة التي خلق الله فيها الخلق بحيث جعلوها على أنها أياماً كأيامنا نحن. أمّا عن المصدر الأصلي لهذا الخبر من وهب بن منبه رحمه الله؛ فربما كان من أثر أخبار أهل الكتاب كون وهب بن منبه كان عالما بأخبارهم[1]، وبِغَضّ النظر عن هذا التقدير، فإن الذي يَهُمّنا من حديث وهب هذا، هو التقدير الزمني لآدم عليه السلام، والذي هو خمسه آلاف سنه وستمائه سنة من زمن هذا التابعي الذي عاش في القرن الأول بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه ينتج لنا بعد أن نزيد ألف أربع مائة سنة التي مضت من وهب بن منبه إلى زمننا إلى هذا الرقم الذي ذكره سبع آلاف سنة من آدم عليه السلام، أي 5600 زائد 1400 يساوي 7000 سنة، وهذا ما يقترب من التقدير المشهور الذي ذُكر في زمن آدم عليه السلام، وهو كذلك بعيد عن أثر الإنسان الذي يُقَدَّر بمئات الآلاف من السنين، بل يفوق المليون سنة بكثير.

قول ابن حجر العسقلاني: " وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ النَّقْلِ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الْيَهُودِ إِلَى بَعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَمُدَّةَ النَّصَارَى مِنْ ذَلِكَ سِتُّمِائَةٍ. "

وهذا القول إن بدأنا العَدّ من بعد زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مباشرة، كون اليهود يبدؤون بعده – فهم أبناء إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام –، فإننا نجد أنّ المدّة بين إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم تفوق أو تقرب حوالي الأفي عام، وهذا القول يقترب من قول عبد الله بن عباس الأول وقول قتادة.

---

[1]– يقول عليه الذهبي: "وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ". شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت –لبنان، 1419ه – 1998م، 77/1.

نتيجة في زمن آدم عليه السلام:

بعد حديث النبي صلى الله عليه وسلم، الذي هو صريح في كون أنه بين آدم وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم عشرون قرن، وبعد دراسة الآثار والأخبار التي مرت معنا، يمكننا أن نخرج بنتيجة حول الزمن التقريبي لآدم عليه السلام وهي:

أقل تقدير: مائتان وخمسة آلاف سنة 5200. أعلى تقدير: سبعة آلاف سنة 7000.

وعلى أقصى تقدير من التقديرين فإن آدم صلى الله عليه وسلم يبقى متأخرا على آثار كثيرٍ من قُدماء الناس الذين وُجِدُوا في الأرض، وسنأتي بأمثلة من آثار من أولئك الناس في مَحَلِّها إن شاء الله تعالى.

دليل: عمر آدم عليه السلام استنادا إلى سلسلة نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ومن ثمة زيادة مُدَّة عشرة قرون بين إبراهيم وآدم صلى الله عليهما وسلم المثبتة في الحديث الصحيح:

قال الذهبي في نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم: " هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ عَمْرُو، بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ، بْنُ قُصَيٍّ وَاسْمُهُ زَيْدُ، بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بن فهر بن مالك ابن النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ، وَاسْمُهُ عَامِرُ، بْنُ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَعَدْنَانُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ، بِإِجْمَاعِ النَّاسِ.

لَكِنِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَبَيْنَ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْآبَاءِ، فَقِيلَ: بَيْنَهُمَا تِسْعَةُ آبَاءٍ، وَقِيلَ: سَبْعَةٌ، وَقِيلَ: مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ. لَكِنِ اخْتَلَفُوا فِي أَسْمَاءِ بَعْضِ الْآبَاءِ، وَقِيلَ: بَيْنَهُمَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَبًا، وَقِيلَ: بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ أَبًا وَهُوَ بَعِيدٌ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَرَبِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: مَا وَجَدْنَا مَنْ يَعْرِفُ مَا وَرَاءَ عَدْنَانَ وَلَا قَحْطَانَ إِلَّا تَخَرُّصًا.

... قال هشام ابن الْكَلْبِيِّ: سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَعَدًّا كَانَ على عهد عيسى ابن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَأَمَّا أَنْسَابُ الْعَرَبِ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِأَيَّامِهَا وَأَنْسَابِهَا قَدْ وَعَوْا وَحَفِظُوا جَمَاهِيرَهَا وَأُمَّهَاتِ قَبَائِلِهَا، وَاخْتَلَفُوا فِي بَعْضِ فُرُوعِ ذَلِكَ. وَالَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ هَذَا الشَّأْنِ أَنَّهُ: عَدْنَانُ بْنُ أُدَدِ بْنِ مُقَوِّمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحِ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ابن آزر، واسمه تارح بن ناحور بن ساروح بن راعو بْنِ فَالَخَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بن لامك بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السلام، بن يَرْدَ بْنِ مِهْلِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ يَانِشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: وَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ أَصْحَابُ ابْنِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَسْمَاءِ." [1]

وقال الحافظ ابن حجر: " رَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " اسْتَقَامَ نَسَبُ النَّاسِ إِلَى مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ".[2] والناس المقصود به العرب العدنانية الذين هم من ذرية عدنان.

وقال ابن حِبّان: " قال أبو حاتم: نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصِحُ إلى عدنان، وما وراء عدنان فليس عندي فيه شيء صحيح أعتمد عليه غير أني أذكر اختلافهم فيه بعضهم لبعض من ليس ذلك من صناعته: فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب- واسم عبد المطلب شيبة- بن هاشم- واسم هاشم عمرو- بن عبد مناف- واسم عبد مناف المغيرة- بن قصي- واسم قصي زيد- بن كلاب- وهو المهذب- بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر- وهو قريش- بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا ليس

---

[1]- هنا ينتهي نقل الذهبي: (شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م، 1/478-479).

[2]- ابن حجر، فتح الباري، 6/529.

بين النَّسَابَة خلاف فيه؛ ومن عدنان هم مختلفون فيه إلى إبراهيم الْخَلِيلِ ابن آزر، واسمه تارح بن ناحور بن ساروح بن راعو بْنِ فَالَخَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بن لامك بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السلام، بن يَرْدَ بْنِ مِهْلِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ يَانِشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ: وَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ أَصْحَابُ ابْنِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَسْمَاءِ."[1] ثم ينقل ابن حبان بعد ذلك خمسة أقوالا في أسماء الآباء بين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم، أقصرها من جعل بينهما أربعة آباء، وأطولها من جعل بينهما عشرين أباً، أي حتى إسماعيل عليه الصلاة السلام. [2]

يُستخلص من أقوال العلماء السابقين أن نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان مُجمع عليه، فإننا رأينا أنّ نفس النسب الذي نقله الذهبي إلى عدنان ونقل الإجماع فيه هو نفس الإجماع الذي أورده ابن حبان ونقل أيضا الاتفاق فيه، وإنما الخلاف فيما بعد عدنان إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ولا بُد هنا أن نُذَكِّر أنّ الذي يهمنا في هذا البحث هو حساب المدةّ التقريبية بين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم، فلا يهمنا أسماء الرجال بينهما بقدر ما يهمنا عددهم، فابن حبان جمع أقوالا أقلُّها من يجعل بينهما عليهما الصلاة والسلام أربعة آباء وأطولها عشرون أباً، وأما الذهبي ذكر أقوالا ما بين السبعة آباء إلى الخمسة عشر أباً وقد استبعد من قال أربعين أبا. وعلى هذا احترازا نأخذ أكثر عدد الآباء في الأقوال التي ذكرها العالمان وهو قول من قال أربعين رجلاً مع العلم أن هذا القول قد يكون مُبالغا فيه لكن نأخذه من باب الحِيْطة ولاحتمال أن يكون فيه نسبة من الصِّحة، فالذي يهمنا هو الزمن ما بين النبيين ولو على أقصى تقدير، فإذا أضفنا هذا العدد أربعين الذي هو بين عدنان وإبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى عدد الآباء بين محمد صلى

[1]- محمد بن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1417 هـ، 39/1.

[2]- انظر: المرجع نفسه، 40/1 إلى 42.

الله عليه وسلم وعدنان المُجمَع عليه؛ والذي هو واحد وعشرين رجلا باحتساب عدنان، فإننا نتحصل على واحدا وستين رجلا بين النبي محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم.

فإذا افترضنا أنّ كل أب من آباء النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى غاية إبراهيم صلى الله عليه وسلم قد أنجب ابنه في حوالي الأربعين السنة، فإنه لا بُدَّ من ضرب هذا العدد في واحد وستين كي نحصل على الزمن التقريبي بين النبيين عليهما السلام على حد هذا القول، أي 61 * 40 = 2460 سنة، أي نحصل على ألفين وأربعمائة وستين سنة، وهذا الذي كان يَهمُّنا لحساب الزمن التقريبي بيننا وبين آدم عليه الصلاة والسلام من هذا الطريق، فإنه إذا أضفنا هذا العدد الأخير إلى العشرين قرن التي تفصل بين إبراهيم وأبيه آدم عليهما الصلاة والسلام الواردة في الحديث الصحيح فإننا نحصل إن شاء الله على؛ 2460 زائد 2000 = 4460 سنة، وهذا الزمن بين محمد بين أبيه آدم عليهما الصلاة والسلام، وإذا أضفنا إليه الألف وأربع مائة سنة التي تفصل بينا وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإننا نحصل على الزمن التقريبي الذي يفصل بيننا وبين آدم عليه السلام؛ 1400 زائد 4460 = 5860 سنة، أي قرابة الستة آلاف سنة من الآن، مع العلم أن زمان هبوط آدم عليه السلام قد يكون أبعد من هذا بقليل كونه عاش ألف سنة إلاَّ ستين عاما، وهذا ما يجعل زمن آدم عليه السلام في حوالي الستة آلاف إلى السبعة آلاف سنة من الآن، وهذا الزمن يقترب من الأزمنة التي مرت معنا من خلال حساب بعض الآثار للصحابة والتابعين –بل قد يقترب حتى مما يقدره به أهل الكتاب–، و لا يهمنا الدقة العالية في تحديده بقدر ما يهمنا أنّ هذا الزمن إجمالا لا يتعدى الثمن آلاف سنة، وهذا الطريق في حساب زمن آدم عليه السلام من جهة النسب، يُقَوِّي الأقوال السابقة في كون زمنه عليه السلام يدور تحت الثمان آلاف سنة، وهو قصير مقارنة بزمن وجود البشر في الأرض الذي يُعدُ بمئات الألاف من السنين بل يفوق المليوني سنة (2 مليون سنة). وهذا ما يؤكد وجود بشر قبل آدم عليه السلام في الأرض.

دليل: توضيح حديث (أنتم بنوا آدم، وآدم من تراب):

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللهَ قد أذهبَ عَنكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّة، وفَخْرَهَا بالآباءِ، إمَّا مُؤمِنٌ تَقِيٌّ، أو فَاجِرٌ شَقِيٌّ، أنتُمْ بَنُو آدمَ، وآدمُ من تُرَاب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فَخرَهم بأقوامٍ ما هُمْ إلا فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهنَّم، أو ليكُونَنَّ على الله أهْوَنُ من الجُعَل الذي يَدْفعُ بأنفِهِ النَّتَنَ.) [1]

فإذا قِيْل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أنتم بنوا آدم) وفي رواية (كُلُّكُم لآدم) فكيف يكون هنالك أناس آخرون من غير آدم عليه السلام ؟ وإن وجدوا كيف يكون الخطاب موجها لجميع الناس بهذه الصيغة ؟ فنقول أنّه لا إشكال في ذلك والجواب على ذلك سهل:

ألم يقل الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج 78)، فيمكن أن نقول بمفهوم الآية: نحن أبناء إبراهيم، بالرغم من أنّ إبراهيم ليس أبا لكل الناس أو أبا على كل واحد منّا، كما مرّ معنا الاستدلال بهذه الآية في موضع سابق في إثبات أنّ الأُبُوَّة قد تُطْلَق ولا يُقصد بها الأبوة الحقيقية على كل الناس وسواء هذا كان بحكم ما يغالب على المخاطبين زمن النزول، أو على معنى التشبيه في الحُرْمَة واستحقاق التعظيم، حيث يقول الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: " ثُمَّ إِنْ كَانَ الْخِطَابُ مُوَجَّهًا إِلَى الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِضَافَةُ أُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِمْ بِاعْتِبَارِ غَالِبِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ غَالِبَ الْأُمَّةِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَرَبِ الْمُضَرِيَّةِ وَأَمَّا الْأَنْصَارُ فَإِنَّ نَسَبَهُمْ لَا يَنْتَمِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

---

(1)- رواه الترمذي في سنه 3270 والبيهقي في الشعب 4773، صحَّحَه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، 7/270.

وقال ابن مندة عقب الحديث: هذا حديث مشهور عن هشام، مُتَّصِلٌ صحيح. وذكر ابن تيمية الوجه الأول في (اقتضاء الصراط المستقيم) (1/ 219) وصححه. انظر: إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش، الأحاديث المرفوعة والموقوفة في كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدَّمِيري، 1431هـ /1432هـ حديث رقم 109، 1/654.

لِأَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْقَحْطَانِيِّينَ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ وِلَادَةٌ مِنْ قِبَلِ الْأُمَّهَاتِ. وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ إِضَافَةُ أُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ فِي الْحُرْمَةِ وَاسْتِحْقَاقِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الْأَحْزَاب: 6]، وَلِأَنَّهُ أَبُو النَّبِيءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُحَمَّدٌ لَهُ مَقَامُ الْأُبُوَّةِ للْمُسلمين وَقد قرىء قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الْأَحْزَاب: 6] بِزِيَادَةِ وَهُوَ أَبُوهُمْ. "[1]

وعلى مثل هذا المعنى يدخل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: (أنتم بنو آدم)، فالناس الذين كان يخاطبهم كانوا من الصحابة، والصحابة عرب، وكثيرٌ من العرب هم من أبناء آدم عليه السلام حقيقة أو غلبة-وكذلك من اليهود وعدد معتبر من الناس الذين أصلهم من شعوب الشرق الأوسط-، فَنَسَبَهُم صلى الله عليه وسلم إلى أبيْهم الحقيقي، فلم يكن يتـحدّث النبي صلى الله عليه وسلم مع الصينيين، أو الأفارقة السود أو هنود الأمريكتين الشمالية والجنوبية أو الأستراليين الأصليين – والذين ليس أغلبهم من آدم عليه السلام –، وهذا لا يعني أنّ خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس مُوجّهاً لكل الناس كذلك، والله تعالى يقـول: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف 158)، فإن هذه الأُبُوَّة لآدم عليه السلام التي ذكرها صلى الله عليه وسلم تُحْمَلُ كذلك على باقي المسلمين، كما حُمِلَت أُبُوَّة إبراهيم ومحمد عليهما السلام عليهم، أي على التشبيه في الحرمة واستحقاق التعظيم، ولأنَّ آدم عليه السلام هو أب لكل من إبراهيم ومحمد عليهما السلام اللذان لهما مقام الأُبُوَّة السابقة على المسلمين.

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق: (أنتم بنو آدم) كذلك يشبه قول الله تعالى: (يا بني آدم) في القرآن الكريم، مع كون الخطاب موجها لجميع الناس، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المعنى، وقد ذكرنا آنفا أوجها في الآية منها:

أنّه إن قلنا هل الجن مخاطبون بالقرآن الكريم ؟ كان الجواب لا ريب نعم، فمن باب أولى إذاً أن يكون جميع الناس من بني آدم ومن غير بني آدم مخاطبين بالقرآن الكريم

---

[1]- طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 17/350-351.

وبقوله الله تعالى: (يا بني آدم)، لاسيما وأنهما متقاربان في الجنس بل يكادون يتطابقون. فالله تعالى خاطب باقي الناس من غير بني آدم مثلما خاطب الجن.

وهناك وجه آخر وهو الذي يكون من باب خروج اللفظ مخرج الغالب ولا ينجر منه مفهوم، كقول الله تعالى في المحرمات من النساء وتحريم الزواج من الربيبة التي في الحجر: (وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ) (النساء 23)، يقول ابن كثير: " وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} فَجُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّبِيبَةَ حَرَامٌ سَوَاءٌ كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِهِ، قَالُوا: وَهَذَا الْخِطَابُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ، فَلاَ مَفْهُومَ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النُّورِ: 33] "[1].

وهنالك أيضا وجه آخر مهم قياسا عن القرآن الكريم، والذي نقله رشيد رِضا في تفسيره وهو يشبه قول الطاهر بن عاشور السابق في أُبُوَّة إبراهيم عليه السلام، إذ يذكر رِضا: " وَمَا وَرَدَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى مِنْ مُخَاطَبَةِ النَّاسِ بِقَوْلِهِ: (يَا بَنِي آدَمَ) لَا يُنَافِي هَذَا، وَلَا يُعَدُّ نَصًّا قَاطِعًا فِي كَوْنِ جَمِيعِ الْبَشَرِ مِنْ أَبْنَائِهِ، إِذْ يَكْفِي فِي صِحَّةِ الْخِطَابِ أَنْ يَكُونَ مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ فِي زَمَنِ التَّنْزِيلِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ قِصَّةِ آدَمَ فِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَهُ نَوْعٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ أَفْسَدُوا فِيهَا، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ ".[2]

ويمكن أن يُقاس أيضا حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الأخرى: (كُلُّكم لآدم)، بحديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو (أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)،[3] فيظهر أن لفظ كلكم هنا قد يكون فيه استثناء، مثل الطفل الذي لم يبلغ فيجري عليه القلم، بل حتى الذي بلغ حديثا ولا يكون عنده شيء يرعاه كي يُسْأل عنه، وربما الرجل الذي ليس له أولاد ولا زوجة ولا شيء من الغير

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/251.

[2]- رشيد رضا، تفسير المنار، 4/266.

[3]- رواه البخاري في صحيحه 2409، ومسلم في صحيحه 1829.

مسؤول عنه، والمرأة التي مثله، وما شابههم، وحالات أخرى مثل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة، وغير ذلك من الحالات، فيكون اللفظ هنا في الحديث "كُلُّكُم" خرج مخرج الغالب.

بل أيضا يمكن أن نقيس نفس الحديث السابق (كلكم لأدم)، بقول الله تعالى في قوم عاد: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (الأحقاف21-25)، وجه القياس (كل شيء) في الآية مع (كُلُّكم لآدم) في الحديث، حيث نرى في الآية الكريمة أن الله تعالى استعمل لفظ (كل) بالرغم من أنه يوجد استثناء من الأشياء التي لم تُدمرها الريح، وهي مساكنهم، وهذا المعنى يُسْتَعْمَلُ في القرآن -وفي كلام العرب- كما قال الله تعالى: (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم)، فهذا يدلُّ أنَّ لفظ (كل) قد يُطْلَق في اللغة ويكون معه استثناء، وقد سمى بعض أهل التفسير (كل) هنا بمعنى "التكثير"، يقول الألوسي في تفسيره: " كل للتكثير والتفخيم كما في قوله تعالى: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها) "، [1] ويقول الطهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: " كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَعْمَلٍ فِي كَثْرَةِ الْأَشْياءِ فَإِنَّ (كُلاًّ) تَأْتِي كَثِيرًا فِي كَلَامِهِمْ بِمَعْنَى الْكَثْرَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ) فِي سُورَةِ يُونُسَ [97] "،[2] فعلى هذا الحال يكون لفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم (كلكم لآدم) بمعنى الكثرة، وكثيرٌ من

---

[1]- الألوسي، روح المعاني، 452/7.

[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 50/26.

عرب مكة كانوا من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، واللذان هما من نسل آدم عليه السلام.

دليل: آدم عليه السلام كان نبيا أَرْسله الله، من هم القوم الذين أَرْسَلَهُ الله إليهم ؟:

جاء في جزء من حديث أبي ذر الطويل الذي كان يسأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجيب:

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟، قَالَ: (مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ؟، قَالَ: (ثَلاثُ مِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلَهُمْ ؟، قَالَ: (آدَمُ) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ؟، قَالَ: (نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قِبَلاً) ثُمَّ، قَالَ: يَا (أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (الحديث)).[1]

---

(1)- رواه ابن حبان في صحيحه (361) والطبراني في "الكبير" (1651) وفي "المكارم" (1) والآجري في "الأربعين" (40) وأبو الشيخ في "العظمة" (259) وأبو نعيم في "الحلية" (1/ 18 و 166 – 168) وأبو عمرو الداني في "البيان في عد آي القرآن" (ص 21 – 22) والشجري في "أماليه" (1/ 73) والقضاعي (651 و 740 و 837) والبيهقي في "الأسماء" (ص 510 – 511) وفي "الشعب" (4325 و 7668) وابن عبد البر في "التمهيد" (9/ 199)، وغيرهم. اختلف أهل الحديث في هذا الحديث، حيث أُخرج له أحد عشر طريق روي منها كلها ضعيفة، انظر: (أبو حذيفة الكويتي، أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، 518/1)، لكن الظاهر أنه ربما بكثرة طرقه يتقوى، فقد وُجِدَ له قرابة أحد عشر طريق كما قلنا، عسى أن يتقوى بهم والله أعلم، وقد حكم ابن حبان بصحّته، وأورده في صحيحه، والذي اعتبره بعض أهل العلم رابع الكتب من حيث ترتيب درجة الصحة بعد صحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة، نظرا لشروط ابن حبان في رجاله، وقد استدل بجزء من الحديث ابن تيمية في مجموع الفتاوى، انظر: ابن

في هذا الحديث قرينة تدلّ على أنّه يوجد أُناس قبل آدم عليه السلام وهي:

فيما يلزم الرسول أو النبي أن يُبَلّغ إلى أمة أو قوم:

هذا الحديث يشهد أنّ آدم عليه السلام رسول ونبي، وليس نبيا فقط،[1] بدليل ما جاء فيه (قلت: يا رسول الله أنبي مرسل؟، قال نعم)، ولهذا شاهد من حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم يؤكده في الجمع بين لفظ النبوة والرسالة، التي تعني أنه رسول من الله وليس نبيا فقط، وهي قوله صلى الله عليه وسلم لما صحّح الجملة للبراء بن عازب حين علّمه دعاء النوم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، فعن البراء بن عازب (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ

تيمية، مجموع الفتاوى، 198/16. وأما عدد الأنبياء المذكور في هذا الحديث فهو غير دقيق ربما لسوء ضبط من بعض الرواة، فإن العدد الذي في بعض الطرق الأخرى الصحيحة هو مائة ألف وأربعة وعشرون ألف (أي 124.000 نبي)، انظر: الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، مشكاة المصابيح، 1599/3، الألباني، السلسلة الصحيحة 360/6.

ونقل بن قتيبة الدينوري (ت276 ه) عن بن عباس رضي الله عنهما أثر قد يقترب من الحديث السابق للنبي صلى الله عليه وسلم، يقول فيه ابن عباس: (أوّل المرسلين آدم، وآخرهم محمد- صلّى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وكانت الأنبياء مائة ألف، وأربعة وعشرين ألف نبيّ، الرّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا ويقال: ثلاثة عشر رسولا. منهم: خمسة عبرانيون، وهم: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم وخمسة من العرب، وهم: هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب، ومحمد. وأوّل أنبياء بنى إسرائيل: موسى. وآخرهم: عيسى، عليهما السلام.) ابن قتيب الدينوري، المعارف، تحقيق ثورة عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، 56/1. فهذا الأثر الذي نُقل عن عبد الله بن عباس يثبت أنّ آدم عليه السلام رسولٌ ما قد يُقَوّي القول بأنّ آدم رسول وليس نبي فقط.

[1]- فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

كَلاَمِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: " قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ")،[1] فوجه الشاهد قوله (نبيك الذي أرسلت) ما يدل على أن هذه اللفظ يعني الجمع بين الرسالة ونبوة في شخص واحد، لأن محمد صلى الله عليه وسلم كان رسول ونبياً، يقول القاضي عياض في شرح هذا الحديث: " ... على أن قوله: " ورسولك الذى أرسلت " لا يفيد من جهة لفظه إلا معنىً واحداً وهو الرسالة، وقوله: " ونبيك الذى أرسلت " يفيد من جهة نطقه النبوة والرسالة. وقد يكون نبي ليس برسول. واعتمد على ما قلناه من اتباع اللفظ المسموع من الشرع، وإنما ذكرنا هذا الفرق ليشير إلى معنى ما يفترق فيه اللفظان. "[2] وقياسا على هذا فإن اللفظ في حديث آدم عليه السلام (أنبيٌّ مُرسل؟ قال نعم) يظهر لنا منه أنه نبي ورسول يحمل رسالة من الله في نفس الوقت مثل محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل. وهذا القول بأن آدم عليه السلام رسول هو مذهب القرطبي إذ يقول في تفسيره: " وَالْمَعْنِيُّ بِالْخَلِيفَةِ هُنَا- فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ- آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي إِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انبئا كَانَ مُرْسَلاً؟ قَالَ: (نَعَمْ) الْحَدِيثَ ".[3]

وهذا للعودة إلى السؤال المهم الذي مرّ معنا آنفا والذي يترتّب حتما عن ذلك، من هم القوم الذين أُرسل إليهم آدم عليه السلام؟ والله تعالى يقول: (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (الذاريات 52)، يقول المفسر السعدي في تفسير هذه الآية: " فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو

[1]- رواه مسلم في صحيحه، 2710. وغيره.

[2]- عياض بن موسى السبتي (القاضي عياض)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 8/208.

[3]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/263.

الجنون. " [1] فهل يوجد قوم رموا آدم عليه السلام بالسحر أو الجنون كما فُعِل بالرّسل ؟ فكل رسول أرسله الله إلى قوم إلا قالوا عنه ساحر أو مجنون، فهل هنالك دليل أن نلصق هذه التهمة بأبنائه عليه السلام، لا أظن ذلك. وكذلك لنا دليلٌ في قوله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24)، يقول القرطبي في تفسيرها: " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أي سلف فيها نبي "،[2] فما هي إذاً الأمة أو القوم الذين أرسل إليهم آدم عليه السلام ؟

وحتى على قول من قال أنّ آدم عليه السلام نبي فقط وليس رسول، استنادا على حديث آخر أو رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِل فيها عن آدم عليه السلام: (أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال: نعم مُعلم مُكلم)،[3] فإن هذا لا يُغيّر من الأمر الكثير، بالرغم من أنّ هذه الرواية تقتصر على النبوة – حتى وإن كان اقتصار إثبات هذا الحديث للنبوة فإن هذا لا يعني نفي الرسالة–، بل قد يزداد الأمر تأكيدا، بدليل قول الله تعالى السابق: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ)، إذ أن النُّذُر ليْسُوا رُسلا فقط، إذ يدخل فيهم الأنبياء كذلك، وكلام القرطبي السابق يؤكد هذا، وكذلك الأنبياء يؤمرون بالتبليغ، فالعلماء يُبلغون إلى غيرهم فمن بَاب أولى الأنبياء. وإنَّ من أصحّ ما قيل في الفرق بين الرسول والنبي؛ أنّ الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قَبْله، أو يُراد بالرسول من بُعث بكتاب والنبي من بُعِثَ بِغَير كتاب،[4] فكِلاهما يُبعثان للتبليغ، فيبقى السؤال نفسه؛ من هي الأمة أو القوم

---

[1]– السعدي، تيسير الكريم الرحمن، 812.

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 340/14.

[3] – أخرجه الحاكم، 262/2، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أيضا. انظر: الألباني، موسوعة الألباني، 140/8.

[4] – أو يُراد نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلق الإرسال بهما، انظر: الألوسي، روح المعاني، 165/9.

الذين أُمر آدم عليه السلام بتبليغ الدعوة إليهم ؟ بل إنّ النبي يُبعث لتقرير شرع من قبله كما قلنا، فإن كان آدم عليه السلام نبيا فرضا بصحة هذا القول وليس رسولا، فما هي شريعة النبي الذي كان قبله وأتى لُيُقِرّ شرعه حسبما يقول التعريف السابق للنبي؟ لذلك يمكن الخُلوص بعد هذه القرائن أن آدم عليه السلام كان مسبوقا بأناس، وأنّه على الأرجح قد وُجِّهَت نُبُوَّتُه إلى قوم، إذ أنّ دعوته لم تكن خاصَّة بأهله فقط، وإن كان هذا يُستنبط من استقراء النُّصُوص والقرائن وليس شرطاً من أدلة مباشرة.

دليل: لم يثبت أي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في كيفِيّة خلق حواء عليها السلام:

مرَّ معنا قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (النساء 1)، وقد أثبتنا سابقا بالأدلة أن النفس الواحدة ليست بالضرورة آدم عليه السلام، ومعناه تَعدّيا ليست بالضرورة أن زوجها هنا هي حواء عليها السلام، إذ رأينا أن النفس الواحدة معناها أوسع؛ فقيل أنها الإنسانية (جنس

وهنالك من أثبت أن لآدم عليه السلام صُحف (انظر تفسير: المولى أبو الفداء، روح البيان، دار الفكر، بيروت، 18/9)، إضافة إلى أن الصابئة يؤمنون بِصُفِ آدم ككتاب مُقدّس لهم، وهذا إلى الآن ويسمونه الكنزاربا، (انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة، 1420 هـ، 715/2) وهذا قد يستأنس به كذلك في القول بأنه رسول وليس نبي فقط، عملا بالتعريف السابق أي " يُراد بالرسول من بُعث بكتاب والنبي من بُعِثَ بِغَير كتاب ". والله أعلم.

الإنسان) أو الحقيقة التي بها الإنسان إنسانٌ كما نقل رشيد رضا،[1] أو الأصل الذي كان عليه الناس.

فالآية إذن لايوجد فيها أن حواء خُلِقَت من ضلع آدم وهو نائم وإنما كان ذلك التفسير من بعض أهل التفسير والتابعين كمجاهد وقتادة،[2] إذ مرّ معنا أن ذكرنا أنه لم يثبت أي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في كيفيّة خلق حواء عليها السلام، ولا أنها خُلقت من آدم عليه السلام، وأما إذا رجعنا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو العُمدة، فنجد أن الحديث الوحيد الوارد في الباب لا يذكر آدم ولا حواء، وإنما يذكر أنّ النساء -بصيغت الجمع- خُلقنّ من ضِلع لا أكثر ولا أقل، وهو الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلــم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[3]، فلا يوجد كما ترون أي ذكر لحواء أنها خلقت من آدم عليه السلام في الحديث، وإنما ذكر النساء بصيغة الجمع، ولم يذكر الحديث أنهن خلقن من الرجال أصلا.

وأشرنا أنّ الآثار التي وردت واصفة أنّ حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام الأيسر ليس لها حكم الرفع، أي أنها لا تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل رجّح

[1]- راجع: دليل حقيقة النفس الواحدة التي خلق الله كل الناس منها ليست بالضرورة آدم عليه السلام: قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (النساء 1).

[2]- انظر: الطبري، جامع البيان، 115/7.

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، 3331، 5184، 5185، ومسلم في صحيحه، 1468.

كل من العالمين، المحدث الألباني والمجدد رشيد رضا أنها من الإسرائيليات،[1] وأكّد الألباني أنّه لايثبت أي حديث في خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام.[2]

أما معنى هذا الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم -(استوصوا بالنساء خيرا)- فيقول الألباني: " وقال الشيخ القاري في "شرح المشكاة" (3/460) : " أي خلقن خلقاً فيه اعوجاج، فكأنهن خلقن من الأضلاع، وهو عظم معوج، واستعير للمعوج صورة، أو معنى ونظيره في قوله تعالى: {خلق الإنسان من عجل} ". قلت -أي الألباني-: وهذا هو الراجح عندي أنه استعارة وتشبيه لا حقيقة، وذلك لأمرين: الأول: أنه لم يثبت حديث في خلق حواء من ضلع آدم كما تقدم. والآخر: أنه جاء الحديث بصيغة التشبيه في رواية عن أبي هريرة بلفظ: "إن المرأة كالضلع ... "." [3] فهو على قول الألباني استعارة وتشبيه لا يراد منعناه الحقيقي، أي شبّه فيه صلى الله عليه وسلم خلق المرأة بالعظم لاعوجاجٍ فيه.

فإذا علمنا أنه لا يظهر لنا في علمنا القاصر نص في كيفية خلق حواء عليها السلام، فَنُفَوِّض أمر خلقها الحقيقي التفصيلي إلى الله، وهذا لا يعني ترك التفكر في آيات الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، قال الله تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد 24)، عسى أن نجد إشارات وقرائن في ذلك بإذن الله، أو على الأقل نسكت على ذلك دون الإخلال بالمعنى.

وسأذكر كما يسأتي بإذن الله تعالى استئناسا بعض عقائد أديان أخرى في كيفية خلق حواء عليها السلام، لعلّ تلك الأخبار تُرشدنا إلى فهم سليمٍ وعميقٍ لنصوصنا والتفكر فيها أكثر.

---

[1]- انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 9/431-432، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 13/1139.

[2]- انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 13/1139.

[3]- الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 13/1139-1140.

فإنه يمكن القول؛ إن كان بعض أهل التفسير نقلوا هذا القول في كيفية خلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام اجتهادا منهم من أهل الكتاب من اليهود أو النصارى في ذلك، فيمكن أيضا أن ننقل بالمقابل اجتهاد واستئناسا منّا قولا آخرا من المجوس وهم أهل كتاب كذلك – سيأتي إن شاء الله ذكر الأدلة على أنهم على الصحيح أهل كتاب –، فإنه يوجد في كتبهم عقيدة تقول أن الأبوين آدم وحواء عليهما السلام، قد نُجّيا واصطفيا من دورة بشرية سابقة ليكونا آباء لدوة بشرية جديدة،– وسأذكر إن شاء الله استئناسا هذه المسألة في الماجوسية (الزرادشتية) بمراجعها لاحقا؛ في فصل: هل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام في الأديان السماوية ؟ بل سأزيد إن شاء الله استئناسات من أديان أخرى في وجود بشر قبل آدم عليه السلام –،[1] ولو صحت مثل هذه العقائد، فيمكن أن تفتح الباب أمام فهم علمي أو تاريخي في ظل الكتاب والسنة لهذه المسألة –لكن ينبغي أن يكون مَبْنِياً على الدليل–، والوحي لم ينهنا عن البحث في آيات القرآن الكريم أو أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والتفكر فيها بالعلم الصحيح، فعسى هذا أن يُساعد بإذن الله على معرفة تفاصيل من أهم القصص في خلق آدم وزوجه عليهما السلام، وبداية أمة آدم عليه السلام العظيمة، ومعرفة أصلنا، وكيف كان حال الأرض ومن سكن فيها حين نزولهما من الجنة، وأين عاشا؟ ومع من التقيا؟ ومع من تزَوّج أبناءهما؟ فإن القرآن مليء بالإعجاز والبحث والعلم يَكتشف بعض أسراره كلما مرّ الزمن، فربما قد يتمكن العلم والبحث الصحيح من كشف مزيد من الأسرار في قصة آدم عليه السلام العظيمة.

---

[1]– أي في الفصل الثاني: هل تثبت الأديان السماوية وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟، حيث سأذكر بإذن الله اعتقاد الصابئة والمجوس (الزرادشتية) والهندوسية في ذلك. وهذا استئناسا وليس إيمانا، فإننا لسنا مُطالبين بأن نؤمن بذلك ابتداء، لكن لعلّ تِلْكَ الأخبار تُرشِدُنا إلى فهم سليم وعميق لنصوص وحينا والتَّفكر فيها أكثر بإذن الله.

دليل: حديث قتل من تزوج امرأة أبيه:

(عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ : لَقِيتُ خَالِي وَمَعَهُ الرَّايَةُ ، قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : بَعَثَنِي النَّبِيُّ – صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ).[1]

هذا الحديث يحمل على من استحل نكاح امرأة أبيه ويدخل فيه من استحلّ نكاح المحارم من النساء بشكل عام، وهذا يدل على عظم جرم نكاح المحارم، والذي تنفر منه النفوس السليمة، لكونه فاحشة فوق فاحشة الزنى، وقبيحة فوق القبيحة، والسؤال المهم الذي ينجر من وراء هذا الاستدلال، كيف يرضى آدم عليه السلام والذي كان نبيا مرسلا بمثل هذا الزواج المحرّم في بنيه، فيزوج الأخ مع أخته، وحتى إذا تَنَّزلنا إلى قول من يقول بأنه أول بشر في كل الخليقة، فإن الخوض في هذه المسألة والجزم بأن أبناء آدم عليه السلام تزوجوا بعضهم من بعض هو رجم بالغيب، لعدم ورود أي دليل على ذلك، فكان حلِيًّا على من يعتقد هذا القول أن يتوقف ويسكت على الأمر، حتى يتبين له الدليل.

وإن كنا نرى في كل هذا قرينة على أنه عليه السلام لم يكن وحيدا على كل وجه الكرة الأرضية الكبيرة الواسعة، وإنما على الأرجح أنه كان في الأرض أقوام آخرون، من الأرجح أنهم تزاوجوا وتناسلوا مع ذريته عليه السلام، كما رأينا سابقا في مثيل هذا الدليل في تحريم زواج المحارم في القرآن الكريم وغير ذلك من الأديان، والله أعلم.[2]

---

[1]– رواه ابن ماجه في سننه 2607، وأبي داود سننه 4465، وأحمد في مسنده 18557، والنسائي في سننه 3313، رواه الحاكم في مستدركه 2830 واللفظ له.

[2]– ولمن أراد أن يستزيد بحثا، فليرجع إلى بحوث الباحث صافي حمدون على الشبكة العنكبوتية، بكتابة عبارة "بشر قبل آدم صافي حمدون" أو ما شابه في محركات البحث. إلا أني أشير أن الصافي حمدون قد أصاب في أصول فكرته، إذ توصل إلى نفس النتيجة معي فيما يخص وجود بشر قبل آدم عليه السلام، لكني أخالفه في جزء من تفاصيل بحوثه، وهذا من طبائع البشر، فهم يخطؤون ويصيبون، والذي يهمنا من نتائجه، أنه خلص من بحوثه لقرابة الثلاثين سنة، أنه يوجد بشر قبل آدم عليه السلام، وأنه حين هبط كان أعدادٌ من البشر يُعَمرّون قبله الأرض (في الصين والهند ومصر والحجاز وغيرها من

دليل: البحث في طول آدم عليه السلام الحقيقي:

روى البخاري في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ

البلدان)، وأنه آدم عليه السلام كان في ناحية الحجاز ومكة -أو ناحية الشرق الأوسط عموما-، وأنه تزوّج أبناؤه مع أولئك الناس الذين كانوا في تلك الناحية، وكان من ذريته العرب. والذي يظهر لنا أن هذه النتائج الأقرب إلى الصواب في جملتها، وبحوثي الشخصية التي قمت بها تعضدّ ذلك، أولها وأهمها البحث في القرآن الكريم والسنة، والتفكُّر فيهما جيدا، واعتبار أقوال القِلّة القليلة من أهل التفسير، وبخاصة من العلماء المعاصرين الذين نقلوا القول بوجود بشر آخرين من غير ذرية آدم عليه السلام، كالمجدد محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، وبعض نقول الألوسي، ثم من ناحية أخرى، أي من ناحية دراسة الأديان القديمة التي لها أصول سماوية، وعقائد قدماء الفرس والهنود والصابئة، وعقائد الأقوام البدائية التي جمعها ونقل جُلّها علماء غرب في القرن التاسع عشر -وهي موجودة الآن في كتب-، ثم البحث فيما يقوله العلم الحديث في آثار قدماء البشر، وهذا الكتاب الذي بين أيديكم هو زبدة ما خلصت إليه، وإن كان لا يزل الاجتهاد مفتوحا في الجواب على بعض الأسئلة حول آدم عليه السلام وذريته، مثل من أيّ مكان هبط بالتحديد وأي أسباب اتخذها في هبوطه من الجنة، وهل هذه جنة الخلد أم جنة أخرى غير جنة الخلد -والصحيح أنها غير جنة الخلد وهو رأي طائفة من أهل التفسير-، وأين التقى مع زوجه حواء في الأرض أم هبط معها؟، وكيفية عيشه عليه السلام في الأرض، ودرجة الحضارة التي كان عليها، ومع من تزاوجت ذريته وتفاصيل الأنساب والشعوب التي انحدرت منه بالضبط؟، وغير ذلك من الأسرار التي نسأل الله أن يُوفِّقنا إلى اكتشاف شيء منها، كي نفهم تاريخنا على حقيقته، قبل أن يأتي المخالفون ويملوا علينا شيئا من فهمهم وعلمهم القاصر، والذي لو تُركَ دون وحي، لم يُفِد في كِثيرِ شيء، بل لوقع فيه إشكالات معرفية، قال الله تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا) (النساء 82)، فيبقى وحي ربنا هو الميزان، وفهمه الصحيح هو المفتاح، في التقدم في مثل هذه البحوث، بل في كلّها، فهو الذي يُسَيِّرُ العلم في الوِجْهَة الصحيحة، وفي الطريق المُراد، لِيُصْبِح خادما له، ومعينا في التدبر في الآيات والتفكر فيها، لتفصح عن خباياها، وكنوزها المعرفية، فَتُكْتَشَف الأَسرار، وتَسْقُط أحقاب بعيدة من الأستار، لتتبين أهم قصص طبعت البشرية، والتي ذكر الله أصلها في كتابه لنتدبّرها، ولنقرأها في قرآنه حقّ قِراءتها.

المَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ.) (1)

وقد اختلف العلماء في طول جسد آدم عليه السلام الحقيقي على وجه الأرض، فمنهم من قال أنّ طوله هذا ستون ذِراعًا كان في الجنة ثم لما نزل إلى الأرض نزل على صورةٍ عادية، وهنالك من قال أنّه نزل على تلك الصورة الطويلة على الأرض.

ومِنْ مَن يرى أن طول آدم هذا أي ستون ذراع كان في الابتداء فقط لا في الأرض، ابن حجر العسقلاني، إذ يقول في فتح الباري في شرح هـذا الحـديث: " وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ خُلِقَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ عَلَى طُولِ سِتِّينَ ذِرَاعا وَهُوَ الْمُعْتَمد ".(2)

ويقول ابن خلدون: " لم يَثْبُتْ عندنا من حال عماراتهم أنه كان طولهم ستون ذِرَاعًا في زمنٍ، بل بيوتُهم في الارتفاع فيما مضى كما هي اليوم. " (3)

وجاء في فيض الباري على صحيح البخاري لمحمد أنور الهندي: " قوله: (سُتُّونَ ذِرَاعًا في السَّماءِ)، أي في الطول، ويُحْتَمَلُ أن يكونَ مرادُ الحديث أنه كان قدر طولهم هذا في الجنة، فإذا نَزَلُوا عادوا إلى القِصَر. فإن الأحكامَ تَتَفَاوت بتفاوُت البلدان، والأوطان. كما أن يومًا عند ربك كألف سنةٍ مما تَعُدُّون، فهو يومٌ في العالم العلويِّ، وألف سنةٍ في العالم السفليِّ، هكذا يُمْكِنُ أن تكونَ قاماتهم تلك في الجنة، فإذا دَخَلُوها عادوا إلى أصل قامتهم. " (4)

(1)- رواه البخاري في صحيحه 3326.

(2) - ابن حجر، فتح الباري، 367/6.

(3) - محمد أنور شاه الهندي، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 342/4.

(4) - المرجع نفسه، 342/4-343.

وجاء في فتح الباري لابن حجر: "وَقَالَ بن التِّينِ قَوْلُهُ فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ أَيْ كَمَا يَزِيدُ الشَّخْصُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَلَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ السَّاعَتَيْنِ وَلَا الْيَوْمَيْنِ حَتَّى إِذَا كَثُرَتِ الْأَيَّامُ تَبَيَّنَ فَكَذَلِكَ هَذَا الْحُكْمُ فِي النَّقْصِ وَيَشْكُلُ عَلَى هَذَا مَا يُوجَدُ الْآنَ مِنْ آثَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ كَدِيَارِ ثَمُودَ فَإِنَّ مَسَاكِنَهُمْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَامَاتِهِمْ لَمْ تَكُنْ مُفْرِطَةَ الطُّولِ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ التَّرْتِيبُ السَّابِقُ وَلَا شَكَّ أَنَّ عَهْدَهُمْ قَدِيمٌ وَأَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آدَمَ دُونَ الزَّمَانِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَظْهَرْ لِي إِلَى الْآنَ مَا يُزِيلُ هَذَا الْإِشْكَالَ."[1]

وهنالك من حمل الحديث على كل من الجنة والدنيا، أي بأن آدم عليه السلام نزل إلى الأرض أيضا وطوله ستون ذراع، أي قرابة الثلاثين متر أو أكثر.

ويمكن بإذن الله أن نسوق أدلة على هاذين القولين في طول آدم عليه السلام على النحو التالي:

أ. فيمكن الاستدلال على أنّ آدم عليه السلام نزل بقرابة طول باقي البشر بأدلة يمكن أن نجملها بعضها إن شاء الله في ما يلي:

- لأسباب قد رأينا بعضها سابقا، مثل كونه من المستبعد أن يكون آدم عليه الصلاة والسلام قد أنكح المحارم من بناته مع أبنائه، فلا بُدَّ أن يكونوا قد تزوجوا مع غيرهم من النسل الذي كان موجودا في الأرض من ذوي الطول العادي، فمن الصعب أن يتزوج رجل وامرأة مختلفين في الطول والحجم بهذه النسبة العالية، لأن الأبناء لا بُدَّ أن يكونوا على حجم آبائهم، فمخالطتهم مع الأقوام الذين كانوا في الأرض يدل على أنهم كانوا على شاكلتهم في الخلق الجسدي. وكذلك يمكن الاستئناس بنُبُوّة آدم عليه السلام، والتي رجحنا آنفا أنها لم تكون نُبوَّتُه موجهة حصرا لأهل فقط، حيث أنه من غير المرجّح أن يكون هناك نبياًّ يُبعث في قوم ويكون هذا الفارق الجسدي الكبير بينه وبين القوم الذين بُعث فيهم. وكذلك هذا الكلام يُقال على نوح عليه السلام الحفيد القريب لآدم عليه

---

[1] - ابن حجر، فتح الباري، 367/6.

السلام –فالحفيد تقترب خِلْقَته مع خِلْقة أبيه وبخاصة إن كان قريبا منه–، وقصته مع قومه والذين لم يكونوا بذلك الحجم اعتمادا على ما يُستنبط من الوحي، إذ لم يرد في الوحي اختصاصهم بذلك الطول كما اختُصّ قوم عاد.

– ويمكن أن يُستأنس كذلك هنا بالعلم الحديث (علم الإنسان والآثار) والمشاهدة، فإن الهياكل العظمية البشرية المُعْلنة التي وُجِدَت للبشر في فترة آدم عليه السلام، أي حوالي سبعة آلاف سنة من الآن وقبله كذلك، هي عظام بشرية ذات طول عادي في جُلِّها،[1] ولا أقول أنّه لا يوجد استثناء، لأن هذا الدليل العلمي يُستأنس به –لكونه قد يُقَوّي قول على قول آخر–، فقياس آدم عليه السلام على الغالب أكثر احتمالا ورُجْحَانا من قياسه على الاستثناء، وهذا يُفِيد أيضا في معرفة قامة غالب البشر الذين كانوا في ذلك الزمن الذي عاش معهم آدم عليه السلام في الأرض، والله أعلم. وليس عيبا أن تُستعمل مثل هذه الدراسات العلمية الحديثة في الترجيح بين الأقوال، وقد رأينا كيف استعمل بعض العلماء السابق ذكرهم مشاهدة آثار الأمم الماضية في ترجيح قول أنّ آدم عليه السلام لم يكن في الأرض بذلك الطول العظيم، مثل ابن خلدون، والله أعلم.

– أما الاستدلال بوجود قوم عاد الذين كانوا طِوَالاً فإنه يُجاب عليه بإذن الله مِنْ أكثر من وجه، الوجه الأول: هذا ليس بدليل على حمله على آدم عليه السلام في الأرض، كون هؤلاء كانوا ضِخاما في الأرض، أما آدم عليه السلام فقد سكن كل من الجنة والأرض –والقاعدة تقول: إذا دخل الاحتمال سقط الاستدلال–، فالله أسكنه ابتداء في

---

[1]– انظر كمثال عظام الإنسان الذي عاش ما قبل السبعة آلاف سنة، وهذا بإذن الله مرجع علمي يثبت هذا الكلام، ويتكلم عن صفات الإنسان ما بين خمسة وأربعين ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة من الآن، ويثبت في الجملة أن حجم الإنسان كان عاديا، انظر: إلى هذه دراسة التي نشرت على موقع السيانس دايلي science daily –الشهير في الباب– تحت عنوان: The geneTic history oF Ice Age Europe ،May 2, 2016: https://www.sciencedaily.com/releases/2016/05/160502131231.htm

لكن أؤكّد أنه يوجد استثناء كما سوف أسوق أدلة علمية بعد قليل إن شاء الله.

الجنّة، ولا يوجد دليل صريح أنه هبط إلى الأرض بهذه الصورة (ستون ذراعا أي قرابة الثلاثون متر أو أكثر)، فالذي يظهر على هذا القول أنّه كان طويلا في الجنّة بهذه الصورة ثم نزل إلى الأرض بصفة أصغر -كما ذكر هذا الاحتمال العلماء السابقون كما رأينا-، والوجه الثاني: لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كل من يدخل الجنة سوف يدخلها على صورة آدم عليه السلام كما في الحديث (فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ)، أي على طوله وجماله وحُسنه كما جاء شرح الحديث[1]، ومعنى ذلك أن الإنسان سيُغّير الله طوله من الصغر في الأرض إلى الكبر في الجنة، فما المانع أن يكون الله قد غَيّرَهُ من الكُبْر في الجنة إلى الصغر في الأرض. والوجه الثالث: أَنَّهُ في نفس الوقت كان يُعاصر قوم عاد أُناس ذوو قامة عادية، بدليل أن الله تعالى ذكر هذا النوع من الاختصاص والمِنّة التي خصّهم بها على كثير من غيرهم على لسان نبيه هودا، قال الله تعالى في كتابه: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأعراف 69)، قال ابن كثير: " (وزادكم في الخلق بسطة) أي : زاد طولكم على الناس بسطة، أي : جعلكم أطول من أبناء جنسكم "[2]، أي يُفهم من الآية أنه كان لهم زيادة في الخلق على غيرهم، وهذا يدلّ أنّه كان هنالك قوماً مِن العماليق معاصرين لأناس عاديين، فلماذا هذا التفريق بأنه يُقارن هذا الجنس من العماليق بآدم ولا يُقَارن الجنس العادي به عليه الصلاة والسلام لا سيما وأنّ الأُناس العادين هم الأصل أو الأغلب بإشارة الآية نفسها، كون الآية كأنها قد جعلت تلك النّعمة في الزيادة في بسطة الخلق استثنائية وتفضيلية في عاد (الذي يظهر في المكان الذي عاشوا فيه) فَذَكّرَهُم الله بها، ولهذا قال ابن كثير: "زاد طولكم على الناس"، أي أن غالب الناس ليس لهم طولكم، فلماذا القِياس على الاستثناء وترك القياس على العموم. والذي أريد أن أخرج به في هذا الرأي الأول؛ أنّه ليس بالضرورة أن يكون تلازم بين آدم عليه الصلاة والسلام وقوم عاد في الطول والجسم. والذي يظهر والله أعلم أنّ الآية السابقة قد يكون فيها إشارة أخرى

---

(1) - انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 209/15.

(2) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 434/3.

خفِّيَة إلى أن طول آدم عليه السلام كان أقصر من طول قوم عاد، لأنها تُشير إلى أنّ طول قوم عاد كان أطول من طول قوم نوح عليه السلام، فقد قال الله تعالى: (خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)، أي يدخل في المعنى أن زيادة البسطة لعاد ليست على الأقوام التي عاصرتهم فقط وإنما زيادة في البسطة على قوم نوح عليه السلام، وعندما نقول قوم نوح فكأننا نتحدث على طول آدم عليه السلام ومن عاصره، لأنه عليه السلام ليس بينه وبين نوح عليه السلام الكثير، ألف سنة كما جاء في الحديث أي قرابة عمر آدم عليه السلام، حتى أنه ورد أثر لابن عباس يقول فيه: "أن آدم لم يمت حتى ولد له نوح".[1] فمِن غير المعقول أن يُناقض طول الجدّ طول الحفيد القريب.

ب. ويمكن أن يُستدل بالمقابل أن آدم عليه السلام نزل في الأرض بطول ستين ذراع بأدلة يمكن أن نجملها بعضها إن شاء الله فيما يلي:

- مجيء نصوص الوحي أنّ قوم عاد زادهم الله في الخلق بسطة، قال الله تعالى: (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)،حيث نقل أهل التفسير أنهم كانوا طِوَالاً، وقد سكنوا الأرض، فما المانع أن يكون آدم عليه الصلاة والسلام مثلهم ؟

- طول السن الذي عاشه آدم عليه السلام ألف سنة إلا ستين عام، ومن قرب من نسله مثل نوح عليه السلام الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وهذا يوحي ربماّ أنّ أجسامهم كانت ضخمة كي يعيشوا مثل هذا السن، والذي يظهر أن العلم قد يتناسب مع هذا أكثر مما يتناسب مع طول عمر كهذا في إنسان صاحب الطول العادي، وهذا بحكم المشاهدة والتجربة كذلك، فالإنسان المعاصر قليلا ما يتجاوز التسعين. وقد نجد قياسا في ذلك على الحيوانات، إذ أنه في كثير من الأحيان الحيوانات الأكبر أكثر تعميرا من الحيوانات الصغيرة والحشرات.

- ادعاء عدم وجود آثار أو بِنَايَات تدلّ على عدم وجود أناس بهذا الطول ادعاء خاطئ بل العكس،فقد ثبتت أدلة على وجود أقوام من العماليق عاشت في الأرض – وإن

[1]- رواه السيوطي في الدرر المنثور، 6/437، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 62/244.

كان الدليل القرآني في قوم عاد وحده يكفينا، لكن لا حرج في أن نبين هذا علميا أو مشاهدة تَنَزُّلاً مع المتشككين في ذلك أو المخالفين في العقيدة - مثل بعض الأبنية الضخمة التي وجدت في أنحاء مختلفة من الأرض، والتي من الصعب أن يبنيها بشر ذوو طول عادي في ذلك الزمن، مثل وجود آثار: في ناحية بَعْلَبَك في لبنان تحتوي على أعمدة وآثار ذات ارتفاع كبير وتزن عشرات الأطنان، حيث قيل أنّ الحجارة المستعملة في شيء من الأبنية يقدر وزنها ما بين 800 طن و 1200 طن،[1] وبعض المناطق في اليونان القديم، ورومانيا، وربما مصر القديمة، وغيرها من المناطق.

- هذا وقد بدأت بعض البحوث في الزمن الحديث تأتي بأدلة على إثبات وجود أقوامٍ من العمالِيق طولهم ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار – حيث تحاول بعض الأوساط التَّنكُّر لهذه البحوث– وعاشوا بجوار شعوب عاديين، بل وقع بينهم حروب وقتال. ومن بين هذه البحوث، ما قام به أحد الباحثين الفرنسيين مؤخرا من إثباتٍ -بالأدلة العلمية والأثرية القويّة- وجود قوم من العمالِيق يتراوح طولهم ما بين ثلاثة إلى أربع أمتار عاشوا في القديم وسكنوا منطقة في رومانيا -دولة رومانيا الحديثة- حوالي ألفي 2000 سنة من الآن، وقد دخلوا في حرب مع الرومان، لكن بفعل كثرة الجنود الرومان هُزِمُوا، وأُبِيدُوا عن بِكْرَة أبيهم وانقرضوا بعدها، وقد أثبت الباحث في شريط علمي وجود آثار لهم ومخلفات، كخوذات ضخمة وخواتيم -جمع خاتم- كبيرة، بل حتى شهادات شهود على هياكل عظمية ضخمة، حتى أن قدماء الرومان - أعني الحضارة الرومانية القديمة (الإيطاليين)- قد أشاروا إليهم في بعض المباني، وقد اجتهدت بعض الأوساط الخفيّة حديثا في كتمان واخفاء تلك الآثار، حيث ضُغِطت على الحكومة الرومانية -دولة رومانيا

---

[1] - انظر:

https://www.kabbos.com/index.php?darck=1060

https://www.greatsciences.com/167/hl-altarykh-aldhy-ndrsh-hqyqy-am-mzwr-wmhrf-hl-alshkhsyat-walahdath-alty-ntlmha-n-alaghryq-w-alywnan-w-alrwman-walbyznt-hqyqyt

الحديثة- للتستر عليها، لكن مثل هذه البحوث تساهم في اسدال الأستار عن مثل هذه الحقائق، واسم الوثائقي العلمي هو بالفرنسية: L'AuTre Terre des Dieux، وبالإنجليزية: .The OTher Land oF Gods وهذا يدُلُّ أنّ هنالك بعض النظريات العلمية أو الحقائق لا يُراد لها الرَّواج، وأنه يوجد حكومات سرية وأيدي خفية في الغرب تجتهد في كتمان حقائق لا تخدم مصالحها، وأنّ العلم الحديث في بعض الأحيان مُقَيَّد ومخطوطٌ له حدود محرمٌ عليه اجتيازها، وهذا على عكس ما يظن فيه بعض المفتونين بالغرب وأبحاثه واعتقادهم فيها أنها حقيقة مطلقة لا تخضع للضغوط. وإن كنا نحن المُسلمين لا نحتاج إلى مثل هذه البحوث في إثبات وجود العماليق كي نؤمن بهم كونهم مذكورين في القرآن الكريم في قصة عاد، حيث يفهم من القرآن إثبات وجود مثل هؤلاء العماليق، فالوحي يُغنِينَا غِناً تاما، لكن قد تحتاج الحكمة في دعوة المخالفين إلى استعمال شيء من هذه الأدلة العلمية، لا سيما في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الشبهات والتشكيك في الثوابت الإيمانية، فأصبحت لغة العلم أداة مُهِمَّة في محاجّات المخالفين في العقيدة، وقد أمرنا الله باستعمال الحكمة في الدعوة إليـــه، قال الله تعالى: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل 125). وبالموازاة في كثير من الأحيان يظهر الإعجاز العلمي للوحي في استعمال البحوث العلمية، مثل حالة العماليق هنا التي تُصَدِّق ما جاء به الوحي، فمن الذي علمّ محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يوجد عماليق في الأرض قديما ؟

ت. نتيجة في طول آدم عليه السلام:

أرى أنّ القول الأول بأن طول آدم عليه السلام في الأرض كان يماثل أو أقرب إلى طول الإنسان المعاصر هو الأرجح بين القولين، لقوة الأدلة السابقة، مع كون خلقه الأصلي الأول كان طويلا كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ستُّون ذراعاً. والله أعلم.

دليل: الفرق في السِّن بين آدم عليه السلام وبنيه وبين باقي البشر:

هنالك شيء مُهِمٌ قد يدلّ من طريق آخر أنّ هنالك بشر قبل آدم عليه السلام، وهو الفرق في السِّن بين آدم عليه السلام وبنيه المباشرين وبين باقي البشر والتي أعمارهم في العموم مثلنا اليوم، وهذا ما يَدُلُّ كذلك على وجود بعض الاختلاف بين الجنسين. فنعلم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم عليه السلام كان عُمره طويل، حيث أنه عاش تسع مائة وأربعين سنة، إذ يقول صلى الله عليه وسلم -في الحديث الصحيح- فيما يرويه من حوار الله تعالى مع آدم: (قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كُتِبَ لَهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ.)[1]

وقد جاءت الآية الصريحة في نوح عليه السلام والذي هو حفيد قريب من آدم عليه السلام أنّه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما (وقد اختلف أهل التفسير في زمن عيشه عليه السلام، فقالت طائفة أن هذا العُمْر هو زمن لبثه مع قومه فقط وإنما هو

---

[1]- أخرجه الترمذي (3368) والنسائي في "اليوم والليلة" (218) وابن خزيمة في "التوحيد" (1/ 160) وابن حبان (6167) وأبو الشيخ في "العظمة" (1035) والحاكم (1/ 64 و 4/ 263) والبيهقي (10/ 147) وفي "الأسماء" (ص 410 - 411)، وابن أبي عاصم في "السنة" (206) وابن منده في "التوحيد" (452 و 508)، وابن منده في "التوحيد" (570) وإسماعيل الأصبهاني في "الحجة" (194)، قال الترمذي: حسن غريب" وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم" وقال ابن منده: هذا حديث صحيح"، والحديث إسناده حسن كما أكدّ محقّق فتح الباري الشيخ نبيل البصارة. انظر: أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 2/1589-1591.

قد عمّر أكثر من ذلك وهذا هو ظاهر الآية والله أعلم).[1] ونُذّكر هنا إن شاء الله ما نُقل في نسب نوح عليه السلام إلى جده آدم عليه السلام كي يزداد الأمر تأكيدا أنّ نوح عليه السلام هو من ذريته القريبة المباشرة، فقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية: " هُوَ نُوحُ بْنُ لَامَكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ، بْنِ خَنُوخَ وَهُوَ إِدْرِيسُ بْنُ يَرْدَ، بْنِ مَهْلَاَئِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ " [2] فليس بين نوح آدم عليهما السلام آباء كثيرون.

وربما الأثر الذي رواه السيوطي في الدرر المنثور وابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الله بن عباس يزيد هذا الفرق وضوحا، أي الفرق بين سِن آدم عليه السلام وذريته المباشرة كنوح عليه السلام وبين غيرهم من الناس الذين كانوا يعيشون في ذلك الزمن من غير نسل آدم عليه السلام، يقول عبد الله بن عباس: " أنَّ نوحا بُعِث في الألف الثاني وأن آدم لم يَمُت حتى وُلِدَ لَهُ نوح في آخر الألف الأول وكان قد فشت فيهم المعاصي وكثرت الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا وكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية صبورا حليما ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه ويُضْرب في المجالس ويُطْرد وكان لا يدع على ما يصنع به أن يدعوهم ويقول : يا رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فكان لا يزيدهم ذلك إلا فرارا منه حتى إنَّهُ ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل أصابعه في أذنيه لكيلا يسمع شيئا من كلامه فذلك قول

---

[1] – ينقل ابن كثير بعض الأقوال في ذلك قائلا: " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةٍ، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ عَامًا، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا. وَقَالَ قَتَادَةُ: يُقَالُ إِنَّ عُمُرَهُ كُلَّهُ [كَانَ] أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، لَبِثَ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَلَثَمِائَةِ سَنَةٍ، وَدَعَاهُمْ ثَلَثَمِائَةٍ وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. وَقَالَ عَوْنُ بْنُ أَبِي شَدَّادٍ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةِ سَنَةٍ، فَدَعَاهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَهَذَا أَيْضًا غَرِيبٌ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَقْرَبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 268/6.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، 237/1.

الله {جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم} (نوح الآية 7) ثم قاموا من المجلس فأسرعوا المشي وقالوا : امضوا فإنه كذاب ، واشتد عليه البلاء وكان ينتظر القرن بعد القرن والجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا وهو أخبث من الأول وأعتى من الأول ويقول الرجل منهم : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا فلم يزل هكذا مجنونا وكان الرجل منهم إذا أوصى عند الوفاة يقول لأولاده : احذروا هذا المجنون فإنه قد حدثني آبائي : إن هلاك الناس على يدي هذا ، فكانوا كذلك يتوارثون الوصية بينهم حتى أن كان الرجل ليحمل ولده على عاتقه ثم يقف به وعليه فيقول : يا بني إن عشت ومت أنا فاحذر هذا الشيخ فلما طال ذلك به وبهم {قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين} (هود الآية 32). "[1] فالظَّاهر على حسب هذا الأثر أنّ نوحا عليه السلام كان يعيش أكثر من قومه، حيث كانوا يموتون في حياته، ويتداول عليه الأجيال جيل بعد جيل والقرن بعد القرن، حتى يوصي السلف منهم الخلف بتكذيبه، وهذا يدل على طول عمره مقارنة بهم، وهذا دليلٌ على أن آدم عليه السلام وبنيه وأحفاده القريبين المباشرين كنوح عليه السلام كانوا أكثر تعميرا من باقي الناس، ودليلٌ على نوع ما من اختلاف آدم عليه السلام ونسله عن باقي البشر الذين كانوا موجودون عند نزوله.

وأرى أنّ نقصان العمر التدريجي من آدم عليه السلام إلى الأجيال اللاحقة، والذي نُقل عن بعض السلف؛ فعن مجاهد أنّ عبد الله بن عمر قال له: " كَمْ لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. قَالَ: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا فِي نُقْصَانٍ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَأَحْلاَمِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا. "[2] فهذا النُقصان في العمر التدريجي يَخُص نسل آدم عليه السلام ويبدأ بِهِ ثُمَّ ذُرِيَّتِهِ الأوائِل إلى أن ينتهي النقصان إلى العمر الحالي للبشر، إذ أن آدم وبنيه الأوائل هم الذين كانوا يعيشون طويلا، وليس هذا النُقصان يشمل البشر الآخرين من غير آدم عليه السلام، سواء الذين قبله أو المعاصرين له، كونهم

---

(1) – رواه السيوطي في الدرر المنثور، 6/437، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 62/244.

(2)– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/268.

كانوا يعيشون مثلنا أو أقل، أي أقل بكثير من آدم عليه السلام وأبنائه، وهذا مثبت علمياً، أي أنّ عمر قُدماء البشر في العموم كان قصيرا مقارنة مع آدم عليه السلام وبنيه، فهنالك دراسات علمية حديثة تقول أنَّ قابلية تعمير البشر المحتملة (هوموسابين -الاسم العلمي-) هي حوالي اثنتين وتسعين سنة 92، وأمَّا النياندرتال (صنف من البشر عاش قبلنا قديما ثم انقرض يرجع أصله إلى أكثر من 400.000 سنة) هو حوالي ثلاثة وتسعين سنة 93، وأما مُتوسط عُمُر قدماء البشر؛ فمثلا في فرنسا القديمة بِنَاحية (بيكاردي) (Picardie) ما بين ألفين وأربع مائة قبل الميلاد 2400 ق.م إلى ألف وثمان مائة قبل الميلاد 1800 ق.م كان متوسط عمر الوفاة حوالي اثنان وخمسون سنة 52 (بنسبة ارتياب ثلاثة سنين).[1] بل هنالك دراسة نشرت في الموقع العلمي الشهير (sciencedaily) أثبتت أنّ أمل عُمر الإنسان القديم (الذي عاش حوالي قبل 150000 سنة) على الراجح يتشابه ويقترب من أمل حياة الإنسان الحديث.[2] وهذا يدل أنّ قدماء البشر من غير آدم عليه السلام في العموم كانوا أقرب في مدة العيش من البشر المعاصرين ولو كانوا أقدم من آدم عليه السلام كرجل النياندرتال وغيره من قدماء الهوموسابين -الإنسان الحديث-.

وأرى أن هذا النقصان في عُمر آدم عليه السلام وبنيه المباشرين والأقربين يمكن أن يُفَسّر عِلمِياً وعقلاً، بمعنى أن آدم عليه السلام لما أنزله الله إلى الأرض مع زوجه حواء عليها السلام، بدأت ذريتهم تتزوَّج وتتخالط تدريجيا مع بقيّة البشر الذين أعمارهم تقارب أعمارنا الآن، وكانوا أغلب البشر إذ ذاك (انظر مخطط تِعْدَاد شعوب العالم منذ

---

[1] – voir : pierre L.Thilaud, Pour une approche de la vieillesse en Préhistoire, HisToir des sciences médicales, Tome XLVII – N° 4 – 2013, p 496.

[2] – voir :
https://www.sciencedaily.com/releases/2011/01/110111133254.htm

القديم بعد قليل بإذن الله)، فبدأ يختلط عِرْق هؤلاء مع نسل آدم عليه السلام، وبدأت أعمار نسل آدم عليه السلام من ذُرِيَتِه بالتناقص تدريجيا بِغَلَبة العِرْق، لأن الآخرين كانوا الأكثرية (وهذا بدليل تعداد سكان العالم في حولي السبعة آلاف وخمس مئة سنة 7500 من الآن وهو الزمن التقريبي لآدم عليه السلام، إذ كان تعداد السكان بحسب بحوث علمية هو حوالي عشر 10 ملايين نسمة، انظر المخطط العلمي اللاحق بإن الله)، ولعلّنا نرى شاهدا على الحلقة الوسيطة في إبراهيم عليه السلام الذي جاء بعد آدم عليه السلام بعشرين قرناً كما مرّ معنا الحديث الصحيح، فقد جاءت الأخبار أنّه عاش ما بين المائة وخمس وسبعين سنة 175 إلى مائتي سنة 200 [1]، وهو من ذرية آدم عليه السلام، بَيْنَما ابنَه إسحاق عليه السلام نُقِلَ أنّه تُوُفِي عن مائة وثمانين سنة 180،[2] وهذه الأعمار من الصعب لعامة البشر أن يبلغوها مع كونها أصغر من عمر آدم عليه السلام بكثير، ويزداد العُمر في العموم قِصَرًا في ذرية آدم من الأنبياء عليهم السلام كُلَّمَا زاد البعد عن أبيهم آدم عليه السلام واختلط النسل أكثر، فقد نُقِل مثلا في عُمر موسى عليه السلام الذي هو من

---

[1]- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ عاش بعد ذلك ثمانين سنة." قال الألباني: (صحيح الإسناد موقوفاً ومقطوعاً...) الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص483. وهنالك مع روى هذا الحديث مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ابن حبان في صحيحه (84/14)، لكن اختلفوا في تصحيحه، فابن حبان يُصَحِحُهُ بينما الألباني يضعف لفظ (عاش بعد ذلك ثمانين سنة)، وقد ناقش ابن كثير عُمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر ثلاثة أعمار: قيل مائة وخمسة وسبعين 175 سنة، وقيل مائة وتسعين 190 سنة، وقيل مائتي 200 سنة. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 403/1.

[2]- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 455/1. وقيل مائة وثلاثين سنة، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 150/1.

أحفاد إبراهيم عليه السلام [1] أنّه عاش مائة وعشرين سنة 120،[2] بينما يزداد العمر كلماّ رجعنا صاعدا إلى آدم عليه السلام، إذ ينقل ابن كثير في البداية والنهاية عن أهل الكتاب أعمار سلسلة آباء إبراهيم عليه السلام قائلاً: " هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ تَارَخَ 250-سنة- بْنِ نَاحُورَ 148-سنة- بْنِ سَارُوغَ 230-سنة- بْنِ رَاغُوَ 239-سنة- بْنِ فَالَغَ 439-سنة- بْنِ عَابَرَ464-سنة- بْنِ شَالَخَ 433-سنة- بْنِ أَرْفَخْشَدَ 438-سنة- بْنِ سَامِ 600-سنة- بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. هَذَا نَصُّ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي كِتَابِهِمْ "،[3] -الأعمار هي بالأرقام إلى جانب الاسم- أما عمر نوح عليه السلام فهو 950 سنة أو أكثر وآدم عليه السلام فَكُتب له ألف سنة تصدق بستين منها لداود عليه السلام كما مرّ معنا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح، فهذا التّصاعد التدريجي في سلسلة الأعمار بَيِّنٌ وواضح، وهذا ما يتوافق مع عِلْم الجينات الحديث، فَكُلما زادت الأجيال وبعدت واختلطت مع باقي الناس كلما نَقُصَ العُمُر وقَصُر،[4] وبل يكون في هذا توافق بين الشرع والعقل والعِلْم، والأدلة التي رأيناها في هذا الكتاب تتوافق مع هذا المعنى. والله أعلم.

---

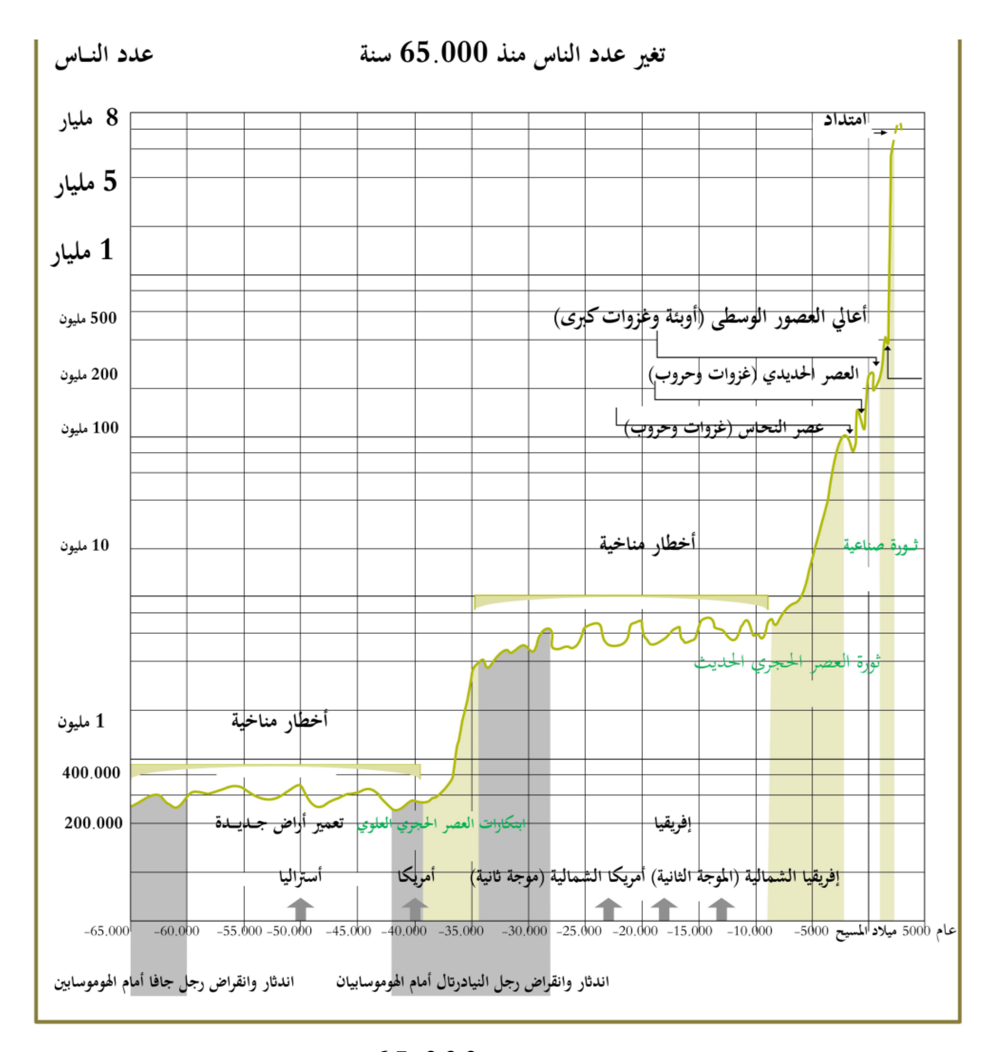
[1]- ينقل ابن الأثير في نسب موسى عليه السلام: " قِيلَ: هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَوُلِدَ لَاوِي لِيَعْقُوبَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ قَاهِثُ لِلَاوِي وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ لِقَاهِثَ يَصْهَرُ، وَوُلِدَ عِمْرَانُ لِيَصْهَرَ وَلَهُ سِتُّونَ سَنَةً، وَكَانَ عُمُرُهُ جَمِيعُهُ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً. " ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 150/1.

[2] – انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 226/2.

[3]- ابن كثير، البداية والنهاية، 324/1.

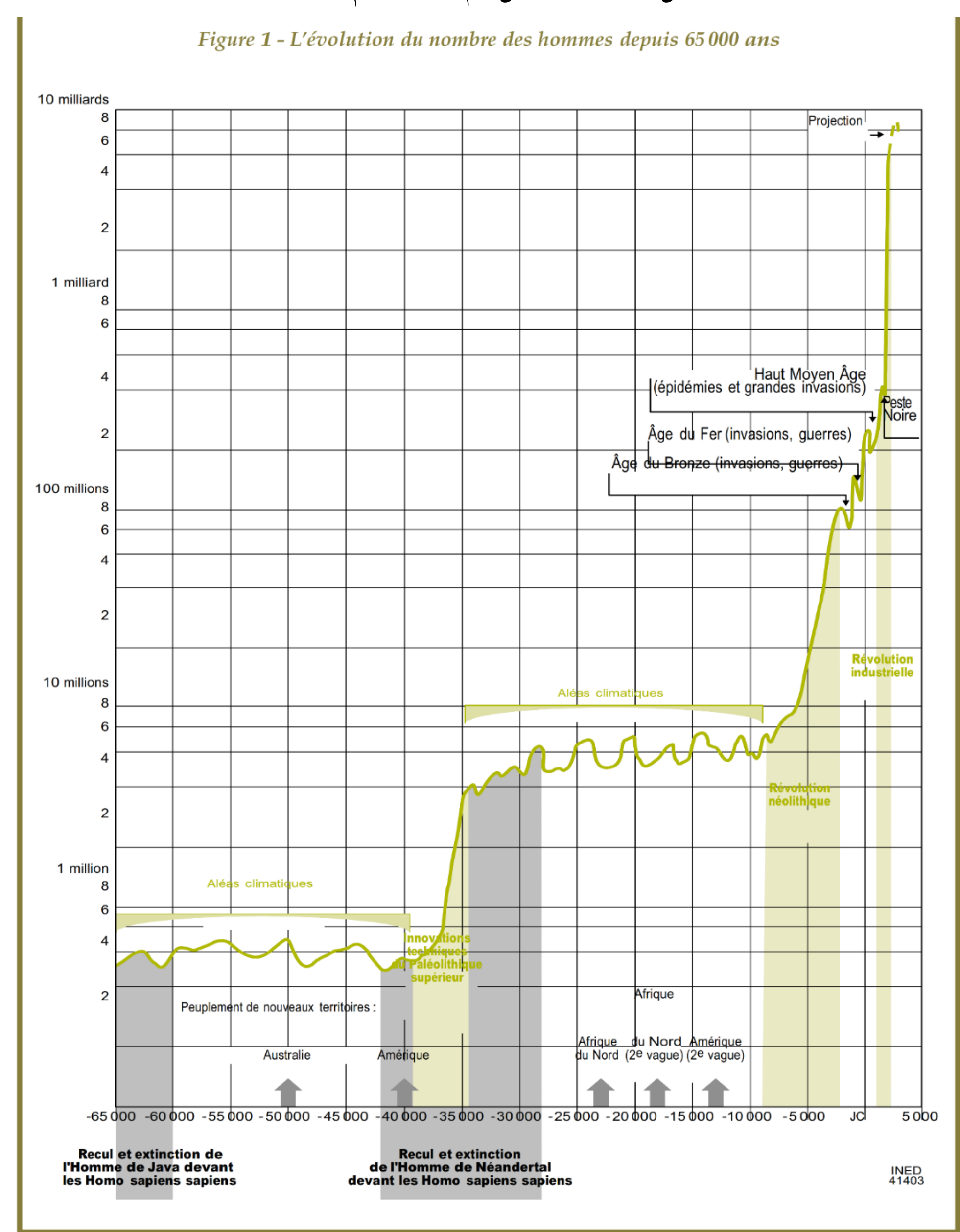
[4] – ويمكن أن نمثل على ذلك بإنسان أبيض ذهب إلى العيش في إفريقيا مع السود، فعاش معهم وتزوج منهم وتناسل فيهم، فإن أبنائه المباشرين قد يظهر فيهم اللون الأبيض أو التوسط بين البياض والسواد، وأحفاده يكون فيهم البياض أقل، وأبناء أحفاده يغلب عليهم السواد، إلى أن يختفي ذلك البياض تدريجيا من خلال الأجيال.

وهذا بإذن الله منحنى إحصاء شعوب العالم منذ القديم بحسب دراسات علمية:



منحني يوضح تقديرات سكان العالم منذ 65.000 سنة قبل الميلاد، فعن اليمين عدد السنين يقابله

عدد الناس بالملايين، المصدر: (PopulaTion eT SociéTés n° 394, octobre 2003, Jean-Noël Biraben, L'évoluTion du nombre des hommes, p 3)



المنحني الأصلي بالفرنسية يُوضح تقديرات سكان العالم منذ 65.000 سنة قبل الميلاد، فعن اليمين عدد السنين يقابله عدد الناس بالملايين، المصدر: (PopulaTion eT SociéTés n° 394, octobre 2003, Jean-Noël Biraben, L'évolution du nombre des hommes, p3)

ملاحظات من خلال المنحني: عدد السكان في زمن آدم عليه السلام:

من خلال المنحني السابق يمكننا معرفة عدد سكان العالم –على تقدير هذه الدراسة– في زمن آدم عليه السلام، حيث إذا علمنا مما سبق أنّ آدم عليه السلام قد سكن في الأرض حوالي السبعة آلاف سنة من الآن، فإن عدد سكان العالم في زمانه من خلال هذه الدراسة يكون حوالي العشر ملايين 10 نسمة، وهذا ما يعني أنّ العالم إذ ذاك كان فيه عدد لا يُستهان به من الناس وإنْ لم يبلغوا الكثافة المعاصرة، إلا أنَّ هؤلاء كانوا في الأرض قبل نزول آدم عليه السلام وعاصروه. ولنا بعدها أن نتصور عدد سكان الشرق الأوسط (أرض آدم) حين نزوله عليه السلام إلى ذلك المكان، أي رُبَّما كان في حدود المئات الآلاف إلى المليوني 2 نسمة، وهؤلاء على الصحيح هم الذي جَاورُوه في الأرض وتزوجت منهم ذريته واختلطت بهم فيما بعد.

ويمكن أن نقول أن آدم عليه السلام كان شبيها في العموم –باستثناء طول السّن– بالبشر الموجودين حين سكن الأرض، بدليل أنّ ذريته اختلطت معهم، وتزوجوا بعضهم البعض، وأن كثيرا من الأنبياء في الشرق الأوسط والناس هم من ذُرِّيته.

المطلب الثالث: نتيجة حول الفصل الأول: موقف الإسلام من وجود إنسان قبل آدم عليه السلام:

- القرآن الكريم لا ينفي وجود أناس آخرين في الأرض قبل آدم عليه السلام، ولا يثبت أبدا أن آدم عليه السلام هو أول كائن عاقل أو أوّل إنسان سكن كل الكرة الأرضية، أو أنّه أبُ كل الناس الأولين والآخرين.

- القرآن الكريم يشير إلى وجود مخلوقات أفسدوا في الأرض قبل آدم عليه السلام بل قابل أن يُشير إلى أن مِنْ هذه المخلوقات مَنْ هم مِنَ الناس، وذلك في آيات متعددة أهمها الآية في سورة البقرة التي تذكر أنّ آدم خليفة لمن سبقه والتي فيها قياس الملائكة على إفساده في الأرض على من قبله.

- القرآن الكريم يشير أنّ آدم عليه السلام تولى الوِلاَية والحكم بما أنزل الله على قوم، ولا يوجد دليل أنّ هذا الحكم والنُبُوَّة كانت بالضرورة على أهله وأبنائه فقط دو غيرهم وذلك في معنى كلمة (خليفة).

- لا يثبت القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام هو أبٌ لكل الناس خلافا للمفهوم الإسرائيلي الذي انتقل إلينا، وهذا ما لا يُعارض فكرة وجود بَشَرٍ قبل آدم عليه السلام، وكذلك لا يعارض فكرة كل بني آدم إنسان وليس كل إنسان بني آدم.

- لا يوجد في القرآن الكريم أن حواء خُلقت من ضلع آدم عليهما السلام، والآثار الواردة في ذلك على الصحيح أنها من الإسرائيليات كما أكّد ذلك الألباني ورشيد رضا، وذكر الألباني أنّه لم يثبت أي حديث في خلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام.

- حقيقة النفس الواحدة التي خلقنا الله منها وذكرها في أوئل سورة النساء وأواخر الأعراف ليست بالضرورة آدم عليه السلام، ومن أحسن الأقوال من قال المراد بها هي الإنسانية، أي جنس الإنسان.

- لايوجد في القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام كان يُزَوِّج أبناءه مع بناته أو أي إقرار بزواج المحارم في ما قبلنا من الشرائع السماوية، والأدلة في القرآن الكريم تشير على تحريم مثل هذا الزواج.

- تفسير عبد الله بن عباس لقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: 12) بقوله "(سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى)، يَدُلُّ صراحة على وجود أوادم غير آدم عليه السلام وآباءً آخرين.

- يوجد أمثلة عن شخصيات يُعتَقَد أنّ منهم مَن هُم أباء وأنبياء في أجناس وأديان أخرى تشهد لحديث عبد الله بن عباس في الأراضي وتتوافق معه في الجُمْلة، كَكِيُومرث أب الفُرس والذي هو بمثابة آدم عليه السلام، والنبي ييما الذي هو بمثابة نوح عليه السلام، وزرادشت الذي هو بمثابة محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء عند الفُرس، وهنالك شخصيات في شعوب ومِلَل قديمة أخرى تحتوي على بقايا وَحْي فِيْها شَبَه هي كذلك بأنبياء الشرق الأوسط، كشخصية مانو في الهندوسية الذي يشبه نوح عليه السلام لكنه ليس نوح عليه السلام، وكل هذا يقوي وجه الاستدلال بحديث عبد الله بن عباس، وُيستنبط به وجاهة القول بوجود أوادم آخرين غير آدم عليه السلام، وأنّهُم أو بعضهم أسبق منه عليه السلام.

- رُبَّما قد يُشير قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران 33) أنّ الله قد اصطفى آدم من شيء أو أجناس قبله، فإن الاصطفاء في كثيرٍ من الأحيان ما يكون من شيء ماضٍ.

- خطاب الله تعالى للناس بـ (يا بني آدم) في القرآن الكريم لا ينفي كونه موجّها إلى كل الناس بما فيهم غير ذرية آدم عليه السلام، وذلك من أوجه عديدة منها، إن كان الجن مخاطبين بها فمن باب أولى أن يكون غيرهم من الإنس مخاطبون بها كذلك. وكذلك استعمال أسلوب الخاص لا يمنع تعميم المعنى في القرآن الكريم، أو كما تقول القاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، فهنالك أحكام أو أسباب نزولٍ أو أوامرٌ في

القرآن الكريم جاءت في حق النبي صلى الله عليه وسلم أو نسائه أو أصحابه لكن أحكامها تلحق بجميع الأمة. وغير ذلك من الأوجه.

- الله تعالى لم يذكر في القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام هو أبٌ على الناس كَافَّة، وإنما نَسَب سبحانه أُبُوَّتَه على بَنِيه فقط قال الله تعالى: (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)، وهذا ما يتناسب مع القول الذي يقول أنه ليس أباً على كل الشعوب، لكن يمكننا تسمية آدم عليه السلام أباً على باقي الشعوب الذين ليسوا من ذريته وتكون بذلك أُبُوَّتَه أُبُوَّة تكريم وتشريف واستحقاق الحرمة، وهذا قياسا على ابنيه إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم الذي جعلهما الشارع كأنهما آباء لكل المسلمين حرمة وتكريما.

- هنالك أدِلّة في القرآن الكريم تثبت أنّ الله خلق مخلوقات مساوية أو أفضل من بني آدم، ومن غير الممتنع أن بعض هذه المخلوقات سكن الأرض، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء 70)، فقال (على كثير) ولم يقل (على كل).

- لا يزال جزء مُهِمٌّ من تاريخ البشرية غامضاً، ولو تطوّر العلم الإنساني الحديث وبلغ ما بلغ، فإنه لا يُقَارن بعلم الله، ولا يبلغ ذرةً منه، فإن الله تعالى قال: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) (الكهف51). وحتى لو سمّينا كل البشر ببني آدم تجاوزاً، أو غلبةً، فإن الشيء لا بُدّ من إدراكه على حقيقته، قبل أن يأتي الملحد ليشككنا في ديننا بدعوى عِلم حازه أو داروينية، أو يحاول أن يتعالم على ما استأثر الله بعلمه من تفاصيل أنساب البشر بدعوى عدم توافق إنساني ادّعاه بعلمه القاصر الذي فرح به، قال الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء 85).

- يبقى الأصل كل الأصل والمفتاح كل المفتاح فهم أصل شعوب البشرية وكيفية خلقهم؛ هو الفهم الصحيح للكتاب والسنة على مراد الله ورسوله، وعدم حصر كلام الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الواسع معناهما، في تَصَوُّرَات ورثناها، أو

مفاهيم معينة نُقِلَت لنا من أهل الكتاب، ضيّقَت شاسعا، وحَجَّرت واسعا، حتى إنّ العلم الحديث في آخر المطاف يأتي ليتّبع الوحي طوعا أو كرها، لا العكس، ويُصدّقه في كل شيء، بل وليسجد له، فالله تعالى هو الذي خلق وهو الذي يعلم ما خلق كيف خلق، قال الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك 14)، وهو الذي بَيَّنَ في كتابه كل شيء، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل89).

- الظاهر من الآيات والأحاديث أن آدم عليه السلام خلقه الله بيديه سبحانه خلقا مستقلاً، لكن لايوجد دليل في القرآن ولا في السُّنة أن الله تعالى قد خلقه وابتدعه خلقا جديدا على غير مثال سابق، أي بدون أن يشبه أي مخلوق من مخلوقات الله التي قبله.

- إنّ الله خلق عيسى عليه السلام خلقا شِبه مستقلٍ مِنْ أُمٍّ بغير أبٍ، مع كونه مسبوقا ببشر، وخلقه الله يشبههم، فإذا نظرنا في هذه الجهة -أي في جهة كونه مسبوقاً بِبَشر- وقِسناها بخلق آدم عليه السـلام؛ فإننا نجد أن آدم عليه السلام كذلك خُلق مسبوقاً بِبَشر، وخلقه الله على شبههم، فَكِلاَهُمَا عليهما السلام في هذه الحالة مسبوقان بأناس مع كونهما خلقين مستقلين، خُلِقَا وأُدْمِجا في الأرض في زمن كان الناس فيه موجودين، وفي هذه الحالة يكون التماثل بين عيسى وآدم عليهما السلام أعظم مما كان يُظَن.

- لعلّ من بين الحِكَم في تركيز الله تعالى على ذكر أنبياء الشرق الأوسط (جزيرة العرب، الشام، مصر، العراق، تركيا) في القرآن الكريم لأنهم أعظمهم عبرة وملاءمة للحال والزمان والمكان، ولاكتفاء قصصهم عن غيرها، ولاشتهار أنبيائهم وظهور أديان طائفة منهم على غيرها، ولمحاجّة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وإقامة الحجّة عليهم، لا سيما وأن أبناء إسماعيل من العرب الذين بعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم هم أبناء عم اليهود، فهم أولى أن يرسل فيهم -أي العرب- من يصحح ملة بني إسرائيل ويجادلهم بجنس عِلْمِهِم ومن ما يعرفون من أنبياء ويقيم الحجة عليهم، من أن يبعث هذا النبي في غيرهم من شعوب العالم البعيدة، فالعرب أقرباؤهم وجيرانهم، فهم يعرفون أنبياء المنطقة،-مثل قصة أبيهم المشترك إبراهيم مع هاجر وإسماعيل عليهم

السلام في مكة، وغيرها من أخبار المُعذبين من قوم لوط- وآباؤهم مشتركين كإبراهيم ونوح وآدم صلى الله عليهم وسلم، فالحكمة أبلغ من أن يخاطبهم الله بأنبياء لا يعرفونهم من قارات أخرى بأخبار غريبة عنهم. ويلحق هنا بمجادلة اليهود النصارى كذلك، كون النصارى هم على ملة وشريعة نبي من بني إسرائيل عيسى عليه السلام، ويدينون بعدد من عقائدهم، مثل إيمانهم بكل أنبياء اليهود، حتى إن كتابهم المقدس جزؤه الأول هو العهد القديم بما حواه من أسفار أنبياء بني إسرائيل على رأسها توراة موسى صلى الله عليه وسلم أو ما تبقى منها. فلو خاطبهم الله بقصص أنبياء في أمريكا أو أستراليا أو غيرها من الأماكن البعيدة وترك ذكر أنبياء المنطقة، لتذرعوا ولزاد اتهامهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب –وحاشاه-، ولقالوا لماذا أتى هذا القرآن بأخبار هؤلاء الأنبياء الذين لا يعرفهم أحد ؟ وأنّ القرآن لا يعنينا؟ وكيف يترك القريب ويذكر البعيد؟ ومن أين أتى بهؤلاء الأنبياء الذي لا يعرفهم أحد؟ ولا اتخذوا ذلك ذريعة للطعن فيه، مثل قولهم أنّ القرآن لا يذكر أعظم قصص مرت بالمنطقة وطَبَعت سكانها الأقدمين؛ مثل قصة طوفان نوح صلى الله عليه وسلم، وقصة عُبور موسى ببني إسرائيل البحر بعدما شقّه الله له، وقصة إهلاك المؤتفكة من قوم لوط صلى الله عليه وسلم، وغيرهم من القصص، وكذلك لعل من بين أسباب ذكر القرآن للأنبياء المعروفين عند أهل الكتاب؛ قُرب المسافة بين الأديان الإبراهيمية السماوية، وتقارب كثير من نسل الأنبياء، على رأسهم كون خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم، وإبراهيم بدوره أبُ أنبياء بني إسرائيل، فالأقربون أولى بالذكر وأولى بالاعتبار من غيرهم، وهذا ما نجده في القرآن الكريم، ولعلّ الله رأى في الأمة العربية والإسلامية، خاصةً إيمانية، ومزية فريدة في قُبول دِينه ونُصرها لهُ، وأهلية عزيزة، فَجَعَل فيهم خاتم أنبيائه، محمد صلى الله عليه وسلم. ولعلّ من أسباب تركيز الله تعالى في القرآن على تلكم الأنبياء من الشرق الأوسط لأنهم ببساطة من ذرية آدم عليه السلام وأمته، فهم مصطفون من أمة آدم عليه السلام الذي اصطفاه الله بدوره، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران

33)، وقال تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩) (مريم 58).

- إنّ تركيز الله على ذكر أنبياء الشرق الأوسط لا يعني أنّ الله لم يبعث أنبياء في الأمم الأخرى كما قلنا حاشا وكلا، بل بعث فيهم أنبياء كُثُر حتى وإن لم نعلم كل أسمائهم، وإن كان بدأ بعضهم يظهر، حين بلغت الدراسات ما بلغت، (كزرادشت نبي الفُرس، وكذلك على الراجح كُل من كنفوشيوس، وبُوذا، وسُقرَاط، بالرغم من تحريف دعوتهم) حتى هنالك من الباحثين المسلمين المعاصرين من أثبت نبوة هؤلاء وله دراسات جِدّية في ذلك.

- إنّ الله بعث أنبياء في الأمم الأخرى البعيدة كما بعث في الشرق الأوسط أنبياء، وشرع فيهم أديان سماوية، وعلى الصحيح أن الله خاطبهم بما مضى فيهم من أنبياء وقصص ارتبطت مع شرائع الله التي كانت عندهم في أراضيهم وجاورتهم، كما مرّ بفضل الله بعض الأمثلة على ذلك في الزرادشتية وبلاد فارس القديمة وأستراليا، وهذا مثل الإسلام مع الأديان السماوية التي جاورته (في الشرق الأوسط)، وارتباط قصص أنبياء بني إسرائيل ونسلهم ومكانهم بأنبياء العرب، على رأسهم خاتمهم صلى الله عليهم وسلم. وأن محمد صلى الله عليه وسلم مذكور عند تلك الأمم البعيدة كالهندوس والبوذيين على غرار الزرادشتية بالرغم من بعدهم عن الشرق الأوسط، وقد أثبت ذلك باحثون مسلمون معاصرون ذكره صلى الله عليه وسلم في كتب تلك الملل (وخاصة باحثين مسلمين من الهند)، كالهندوسية والبوذية - على غرار الزرادشتية التي تناولنا في هذا الكتاب إشارة على ذكره صلى الله عليه وسلم فيها - ما يوحي أن أصحاب تلك الملل التي تنسب إليهم هم على الأرجح من الأنبياء، مثلهم كمثل زرادشت، وأن شرائعهم كان فيها من تعاليم الوحي.

- لقد جاءت كلمة (الناس) و كلمة (الإنسان) في مواضع متعددة من القرآن الكريم دون أن يعني بها كل الناس أو كل إنسان، وعلى هذا فليس بالضرورة أن يكون

قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)، وقوله الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) يعني به كل الناس أو كل إنسان، وإنما قد يعني به جزء أو أفراد من الناس والإنسان، فإن كُنّا نجزم أن الإنسان الذي هو من نسل آدم عليه السلام وأمّتِه يرجع إلى أبيه الذي خلقه من طين، وبالتالي فيمكن أن نَنْسِب خلق هذا الإنسان إلى الطين، لكن الإنسان الذي ليس من آدم عليه السلام ليس بالضرورة أن يكون مخلوقا من طين، فإنّ الآيتين تحتملان هذا الاستثناء بدليل الآيات المتعددة التي تذكر (الناس) و (الإنسان) بمعنى جزء منهم. وحتى على قول أنّه يُقْصَد بهما كل الناس أو كل إنسان وهذا مُمْكِن؛ فإنه ليس بالضرورة أن يكونوا كلهم أبناء لآدم عليه السلام؛ لأنّ الآيتين تُرْجعهم إلى التراب ولا يوجد ذكر لآدم عليه السلام فيهما، وهذا مُحْتَمل بحيث يكون كل الناس مخلوقين من تراب من غير أن يرجعوا كلهم لآدم عليه السلام، بحيث أنشأهم الله جميعهم من تُرَاب بطريقة علمناها أو يعلمها الله.وقد نقلنا رأياً من اجتهاد أهل التفسير في كيفية ذلك، ونقلنا رأياً من العِلم الحديث يقول باحتمال نشأة الحياة من الطين

– لا يوجد أي حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ينفي وجود أناس قبل آدم عليه السلام.

– على الراجح أنّ آدم عليه السلام كان سريانيا وتَكَلَّم بالسريانية، والسِّرْيانِيُون قبلهم بشرٌ كثير.

– زمن آدم عليه السلام لا يتجاوز السبعة آلاف سنة استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع جمعه ببعض آثار الصحابة والتابعين، وهذا ما يعني أنّ آدم صلى الله عليه وسلم يبقى متأخرا على كثيرٍ من قُدماء الناس الذين عَمَّروا قديما الأرض.

– طريق حساب زمن آدم عليه السلام استنادا على سلسلة نسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلف كثيرا عن الزمن الذي يُثْبِتُه الحديث جمعا مع الآثار، أي أقل من ثمانية آلاف سنة وهذا ما يزيد زمن آدم عليه السلام تأكيدا، وبالتالي يُؤكِّد تقدم كثيرا من البشر زمنيا على آدم عليه السلام.

- حديث (أنتم بنوا آدم) لا يعني أن كل الناس في كل زمان ومكان هم أبناء آدم عليه السلام، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب العرب من قومه الذين كانوا حقيقة من آدم عليه السلام أو أكثرهم، والخطاب زمن التنزيل إذا كان موجها إلى البعض فإنه في كثير من الأحيان موجه إلى باقي الأمة كما هو من أساليب القرآن الكريم، أما بالنظر إلى باقي الناس فإنَّ الأُبُوَّة ليس بالضرورة أن تكون حقيقية، وإنما تأتي بمعنى التشريف والتعظيم، كما جاء هذا المعنى في قول الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج 78)، فمن المعلوم أنّه ليس كل الناس من أبناء إبراهيم عليه السلام، ورغم ذلك جعله الله أبا على كل الناس، وهذه تُسَمّى أُبُوّة التشريف والتعظيم كما نقل أهل التفسير وليس الأُبوة الحقيقة، وعلى هذا أيضا يمكن حمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم بنوا آدم) على الذين ليسوا من نسل آدم عليه السلام، أي أنّه أبٌ بمعنى التشريف والتعظيم.

- آدم عليه السلام كان نبيا أرسله الله وهذا ما يُشَكِّك في كونه كان مبعوثا إلى أهله فقط، ويطرح الفرضية المحتملة أنّه كانت بعثته مُتَعَدّية وليست مقتصرة على أهله فقط.

- اختلف العلماء في طول آدم عليه السلام الحقيقي على وجه الأرض، والذي يظهر أنّه كان يقترب أو يساوي طول الناس اليوم، مع كون خلقه الأصلي كان ستين ذراعا كما ينُّص الحديث الصحيح.

- ربماّ الفرق بين سِن آدم عليه السلام وذُرِّيَته القريبة -أي عمرهم الطويل- وبين سِن حياة باقي شعوب العالم -أي عمرهم قصير كعُمرنا الآن- يدلّ على اختلاط تدريجي لذرية آدم عليه السلام مع باقي شعوب العالم التي كانت تمثل الأكثرية آنذاك - والتي كانت تعيش كما تقول الدراسات العلمية تقريبا مثل عُمْر الإنسان الحديث-، فأدى ذلك إلى نُقْص تدريجي في أعمار ذُرِيّة آدم عليه السلام بحكم غلبت العِرْق، فاختفت تدريجيا الأعمار الطويلة التي كان يعيشها آدم عليه السلام مع ذريته المباشرين.

- كان يُقَدر عدد سكان كل العالم في زمن آدم عليه السلام حسب احصائيات علمية بحوالي عشرة ملايين نسمة، ما يؤكد وجود بشر كثير كانوا قبله ويعاصرونه عليه السلام، حتى وإن لم يبلغوا الكثافة المعصرة.

الفصل الثاني:

هل تُثْبِت الأديان السماوية وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إنسان قبل آدم عليه السلام في التوراة واليهودية:

المطلب الثاني: إنسان قبل آدم عليه السلام في الزَّرادشتية (المجوسية):

المطلب الثالث: إنسان قبل آدم عليه السلام عند الصَّابئة:

المطلب الرابع: النصرانية ووجود إنسان قبل آدم عليه السلام:

المطلب الخامس: نتيجة حول الفصل الثاني: إنسان قبل آدم عليه السلام في الأديان السماوية:

الفصل الثاني: هل تُثْبِت الأديان السماوية وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

في هذا الفصل سوف نرى إن شاء الله نظرة من الأديان ذات الأصول السماوية حول آدم عليه السلام، وهل هو أول البشر في الأرض أم هو مسبوق بأناس ؟، عسى أن نستدلّ أو نستأنس بتلك المعلومات، لا سيما وسوف نستشهد إن شاء الله تعالى بأديان سماوية، قد يكون بقي في كتبها المقدسة ومصادرها علمٌ نافع في هذا الأمر.

المطلب الأول: إنسان قبل آدم عليه السلام في التوراة واليهودية:

إذا رجعنا إلى التوراة (العهد القديم)، في القصة الشهيرة للأخوين ابنَيْ آدم عليه السلام، فإننا نجد أن قابيل لما قتل هابيل، طرده الله من أرضه، حيث جاء في سفر التكوين 14/4: (إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي)، هنالك عبارة غير صريحة قد تشير إلى وجود بشر آخرين في الأرض، هي (كل من وجدني يقتلني)، فلو كانت الأرض فارغة وموجود فيها عائلة صغيرة من أبوين وإخوة قابيل فقط لكان من غير المرجح أن يقول (كل من وجدني يقتلني)، وإنما يقول مثلا (من وجدني من أبي وإخوتي يقتلني)، فقد يبدو أنّه سمع بواقعة القتل آخرين من غير أهله، لذلك نجد أنّ قابيل كان خائفا، وكل هذا مع احتمال الأخذ بعين الاعتبار ما نقله الطبري بأن قابيل هو أول أبناء آدم وأكبرهم سِنًا،[1] ما يعني أنّ احتمال من يقدِرُ على قتله من إخوته قليل، ما قد يلزم من ذلك أن لفظ "كل من وجدني" له معنى أوسع من أن يشمله أهله لوحدهم، - ربما يدخل في ذلك قوم كانوا تحت حُكْم أبيه. وهذا ما قد يتوافق مع اسم (خليفة) أي (الحاكم) المذكور في حق آدم عليه السلام في سورة البقرة، كما رأينا سابقا آراء أهل التفسير

[1]- انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ط ثانية، دار التراث، بيروت، 1387ه، 1/145.

كالقرطبي وغيره (أي معنى خليفة الحاكم أو الوالي) [1]–، وكذلك يتوافق استئناسا مع الزرادشتية – سوف يأتي ذكرها مع مصادرها بعد قليل بإذن الله –، والتي تذكر بعض مصادرها أن آدم عليه السلام بالإضافة إلى نبوته كان ملكاً، لكن لا بُدَّ من التوضيح أنّ العبارة التوراتية السابقة ليست صريحة في الدلالة كي يعتمد عليها لوحدها كون قد يقتصر معناه على أهل آدم عليه السلام فقط، لكن هنالك قرينة أَصْرح تأتي من بعدها مباشرة، حيث يذكر نفس السِّفْر أنّ قابيل بعد فِعلته غادر إلى مكان آخر وتزوج منه بامرأة، جاء في الأعداد التي بعد السابق: (فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: " لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ ". وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ. فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ. وَعَرَفَ قَايِينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ.) (تكوين4/15–16–17)، فيظهر هنا أنّ امرأته ليست أخته، وأنها من ذلك المكان "أرض نود". وهذا ما يَدعُ إلى التساؤل، من أي جنس كانت امرته التي تزوجها في ذلك المكان "أرض نود" ؟ فلا بد أن تكون هذه المرأة من قومٍ آخرين كونها أجنبية عن الأرض الأصلية لقابيل، فمن أي نسل ينتمي أولئك القوم الذي تزوج منه قابيل ؟

وهذا العدد من التوراة لسْتُ أنا الأول من استدل بالإشارة الموجودة فيه على أناس آخرين من غير آدم وبنيه، وإنما استدلَّ به بعض أهل الكتاب وبخاصة من بعض اليهود الذين يرون أن توراتهم تُشير إلى وجود أناس آخرين قبل آدم عليه السلام وأنه ليس أول كل الناس، وهم من الذين يعتقدون بوجود بشر قبل آدم عليه السلام. وقد ظهر هذه الموضوع في العصور المتأخرة تحت مسمى "ما قبل الآدميين" بالإنجليزية "pre-adamiTe" وبالفرنسية " préadamisme".

وقد ظهر في اليهود بعض التيارات أو شخصيات وبخاصة في العصر الحديث؛ تُقّر بوجود بشر آخرين من غير آدم عليه السلام وبنيه، فقد سمعنا بطائفة منهم تسمى

[1]– انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/262–263.

"الميمونيون"، وقد سمعت بأذني بشخصية يهودية معاصرة تستدل بهذا العدد السابق من سفر التكوين، الذي فيه أنّ زوجة قابيل كانت من قبيلة أخرى، وهذه إشارة من التوراة إلى وجود أشخاص من غير آدم عليه السلام وبَنِيه.

المطلب الثاني: إنسان قبل آدم عليه السلام في الزرادشتية (المجوسية):

تعريف الزرادشتية: هو الدين المجوسي الذي كان يدين به الأمة الفارسية قبل أن يدخل الإسلام إلى فارس (إيران)، والزرادشتية نسبة إلى زرادشت، حيث يعتقدون أنه نبي، ويمكن أن تسميتها بالمجوسية، ولاتزال بعض الطوائف في الهند وإيران تَدين بهذه الملة بعدما دخل أكثرهم في الإسلام عقب الفتوحات الإسلامية.[1]

مرّ معنا بفضل الله وتوفيقه أن أثبتنا في كتاب آخر تحت عنوان " الزرادشتية الديانة السماوية التي بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم "؛ أن الزرادشتية (المجوسية) أصلها ديانة توحيدية سماوية، وأن رسولها هو زرادشت الذي أرسله الله إلى الأمة الفارسية القديمة، بكتاب وشريعة ربانية صافية تقترب من شريعة الأديان السماوية عامة والإسلام خاصة، ونريد من خلال هذا المبحث إن شاء الله تعالى، معرفة مذهب الزرادشتية في إثبات أو نفي أن يكون أناسٌ قد عاشوا في الأرض قبل آدم عليه السلام، لا على سبيل اعتقادها بداية ولكن على سبيل الاستئناس بها كما قلنا.

---

[1] – هنالك فرق بين الزرادشتية (المجوسية المتأخرة) وبين الدين المجوسي القديم الذي كان يدين به الفرس قبلها (المجوسية القديمة)، والذي كان فيه بقايا تعاليم أنبياء آريين وفرس لكنه تعرض للتحريف ودخل فيه الشرك، ثم جاءت الزرادشتية في تلك الأمة لترجع ما نساه المجوس، من دعوة النبوة الأولى، لتجدد بدعوتها التوحيدية دين الله تعالى، وتدع لعبادة الله وحده، قبل أن يدخلها التحريف تدريجيا هي بدورها، وانظر كتابي الآخر: رياض لعريبي، الزرادشتية الديانة السماوية التي بشرت بالنبي صلى الله عليه وسلم.

1) إثبات أنّ المجوسية (الزرادشتية) أصلها ديانة كتابية سماوية:

ويمكن تلخيص أهم الأدلة على أن الزرادشتية (المجوسية) أصلها ديانة توحيدية سماوية، وأن المجوس هم أهل كتاب فيما يلي:

أولا: بيان أن المجوس (الزرادشتيون) أصلهم مِنْ أهل الكتاب مِنْ القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (الحج:17).

يقول المفسر رشيد رضا في تفسير الآية: "فَقَدْ جَعَلَ الْمَجُوسَ قِسْمًا مُسْتَقِلاًّ، وَجَاءَتِ السُّنَّةُ بِمُعَامَلَتِهِمْ كَأَهْلِ الْكِتَابِ فِي انْتِهَاءِ قِتَالِهِمْ بِالْجِزْيَةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، وَإِنْ لَمْ يُحْفَظْ مِنْهُ مَا يُصَحِّحُ إِطْلَاقَ اللَّقَبِ عَلَيْهِمْ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَجَزَمَ بِهِ الشَّافِعِيُّ فِي الْأُمِّ".[1]

وقال الله تعالى: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) (الزخرف 6).

يقول المفسر عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملا، فكم { أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ } يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له ".[2]

وقال الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24).

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (غافر 78).

وقال الله تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (النساء 164).

وقال الله تعالى: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد 7).

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، 255/10.

[2]- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص762.

وقال الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) (القصص59).

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل 36).

والمجوس أمّة، فيستلزم من هذه الآيات أنّ الله قد بعث فيهم نبيا أو أنبياء يَدْعُونهم إلى عبادة الله وحده واجتناب الشرك به، وهذا من عدل الله تعالى أن يبعث في كل أمّة رسولا، دون أن يحرم أمماً أخرى، فلم يختص الشرائع الإبراهيمية في الشام والحجاز والعراق ومصر فقط بالوحي دون غيرها من الأمم والبُلدان، وإنما بعث رُسلا في أُمَمٍ ومناطِق أخرى كما تَدلّ على ذلك الآيات الكريمة.

ثانيا: بيان أنّ المجوس (الزرادشتيون) أصلهم أهل كتاب من سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

أ. تؤخذ الجزية من المجوس كما تؤخذ من أهل الكتاب اليهود والنصارى:

روى البخاري في صحيحه: "... ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر ." [1]

عن "عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ" [2].

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه، -الجزية 2987.

[2]- رواه عبد الرزاق في مصنفه -أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ 9736، وغيره. وقال الألباني: "فهو ضعيف بهذا اللفظ، ويغنى عنه الحديث الآتي بعده." محمد نصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، 1405ه/1985م، 5/88. قلت: يقصد الألباني بالحديث الآتي بعده هو الحديث الذي رواه البخاري بلفظ: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا

ب. معاملة آنيتهم مثل معاملة اليهود والنصارى:

جاء في حديث: " أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَهْلُ صَيْدٍ قَالَ إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَأَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ قُلْتُ وَإِنْ قَتَلَ قَالَ وَإِنْ قَتَلَ قُلْتُ إِنَّا أَهْلُ رَمْيٍ قَالَ مَا رَدَّتْ عَلَيْكَ قَوْسُكَ فَكُلْ قَالَ قُلْتُ إِنَّا أَهْلُ سَفَرٍ نَمُرُّ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ فَلاَ نَجِدُ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا فَاغْسِلُوهَا بِالْمَاءِ ثُمَّ كُلُوا فِيهَا وَاشْرَبُوا... ". [1]

ج. ذَكَرَهم في حديث واحد مع أهل الكتاب اليهود والنصارى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ".[2]

وكل هذا يوحي أن للأديان الثلاثة بعض الأحكام المشتركة أو المتقاربة.

ثالثا: بيان أن المجوس أصلهم أهل كتاب من أقوال الصحابة:

"... قَالَ عليٌّ رضيَ اللَّهُ عنْهُ: أَنَا أَعلَمُ النَّاسِ بالمجوسِ كَانَ لهُمْ علمٌ يعلَمُونهُ وكتاب يدرِسونَهُ وأنّ ملكهُم سَكِر فَوَقَعَ على ابنَتِهِ أَوْ أختِه فاطّلع عَلَيْهِ بعضُ أهل مملكتِهِ فلمَّا صَحاَ جَاءوا يقِيمُونَ عَلَيْهِ الحدَّ[3] فامتنعَ منهُمْ فدعاَ آلَ مملَكَتِهِ فقَالَ: تعلَمُونَ ديناً خيراً

سفيان قال سمعت عمرا قال كنت جالسا مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثهما بجالة سنة سبعين عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم قال كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر ." وهو الحديث السابق ذُكر جزء منه في المتن بفضل الله.

[1]– رواه الترمذي في سننه – كتاب الصيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 1464. وغيره، قال الترمذي: " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ".

[2]– رواه البخاري في صحيحه– الجنائز 1292، ومسلم في صحيحه – القدر 2856.

[3]– لازم ذلك أن علياً رضي الله عنه كان يعلم أن في دينهم حُدوداً شرعية.

مِنْ دين آدَمَ فَقَدْ كَانْ آدَمُ يُنكِحُ بَنِيهِ مِنْ بَنَاتِهِ فَأنا عَلَى دِينِ آدَمَ ما يرغبُ بكُم عن دِينِهِ فبَايَعُوه وخَالفُوا الدينَ وقاتَلُوا الذين خالَفُوهم حَتى قتلوهم فأصْبَحوا وقد أسرى عَلَى كتاَبِهم فرُفِعَ من بَيْن أظهرهم وذَهَب الْعلمُ الَّذِي في صُدُورهم وَهُمْ أهلُ كتاب وقَدْ أخذَ رسولُ اللَّه صلى اللَّهُ عَلَيْه وسلم وأبو بكر وعُمرَ رضيَ اللَّهُ تعالى عنْهُما منهُمْ الجزْيَةَ."[1]

وأهم فائدة من هذا الحديث أن علي رضي الله عنه كان يعلم أن المجوس أهل كتاب، ومن بين الأدلة التي استند إليها في الحديث، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ منهم الجزية وأبو بكر وعمر، لأن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب.

وهذا الحديث عن علي رضي الله عنه له شاهد تاريخي، إذ أن هذا الملك الذي ذكره علي رضي الله عنه على الصحيح هو قمبيز، فقد نَقَل المؤرخ اليوناني هيرودوت عنه رواية تتفق مع قمبيز في زواج الأخت، إذ يقول هيرودوت في تاريخه: " كان قمبيز قد شغف بحب إحدى شقيقاته وأراد أن يتزوجها وذلك لم يسبق إليه، فاستدعى قضاة الملك وسألهم هل توجد شريعة تسمح للأخ أن يتزوج أخته إذا كان يشتهي ذلك. وكان هؤلاء القضاة مختارين من كل الفرس ويبقون في وظائفهم إلى آخر حياتهم ما لم يتحقق منهم شيء من المظالم، وهم مفسرو الشرائع وقضاة الدعاوى وكل المصالح تنتهي إلى مجلسهم، فلما سألهم قمبيز أجابوه جوابا يأمنون به الخطر بدون أن يمس جانب العدالة بضرر فإنهم قالوا: لا توجد شريعة تسمح للأخ أن يتزوج أخته، ولكن توجد شريعة تسمح لملك الفرس أن يفعل ما يريد. فبجوابهم هذا لم ينقضوا حكم الشرع مع أنهم كانوا خائفين من

---

[1]- رواه الشافعي في مسنده، 763. هنالك من ضعف الحديث بسب رجل في السند اسمه سَعِيدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ، لكن ابن حجر في الفتح نقل أن إسناده حسن، انظر: عبد الله الزيلعي، نصب الراية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة -السعودية، ط1، 1418ه-1997، 3/ 449-450. أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379ه، 6/ 261. قلت: وهذا الحديث له شاهد تاريخي أيضا يُصدّقه، إذ هو يتطابق مع ما نقله المؤرخ اليوناني هيرودوت في الملك قمبيز، ما يزيدُ قوةً محتوى ومتن هذا الحديث الذي نُقل عن علي رضي الله عنه.

قمبيز، ولكي لا يعرّضوا أنفسهم للهلاك بمنعه وجدوا سنة أخرى تسمح للملك بالزواج بما اشتهاه من تزوج أخته، فعلى هذا الجواب تزوج قمبيز التي يحبها، وبعد قليل من الزمن اتخذ زوجة واحدة أخرى من شقائقه وهي أصغرهن سنا، فهذه هي التي مضت معه إلى مصر وقتلها."[1]ومعنى ذلك أن حديث علي رضي الله عنه له شاهد تاريخي يؤكده.

وعن الصحابي عبد الله ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ فَارِسَ لَمَّا مَاتَ نَبِيُّهُمْ كَتَبَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمَجُوسِيَّةَ ".[2] الفائدة الأهم التي قد تظهر استنباطا من هذا الحديث؛ أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان يعلم أن الفرس (الزرادشتيون) أصلهم أهل كتاب، أي كانوا يعبدون الله على شريعة نبيهم، والفائدة الأخرى فيه إشارة من عبد الله بن عباس إلى نبي الفارسيين، وهذا النبي لا يكون إلا زرادشت كونه أشهرهم وأعظمهم وإن لم يذكره بالاسم، - فالصحيح أن زرادشت نبي أرسله الله تعالى إلى بلاد فارس القديمة والأدلة على ذلك معتبرة -[3]، والفائدة الثالثة هي دخول التحريف في دين فارس، بعد خلو نبيهم، وهذا يتفق عموما في ما كانت عليه الزرادشتية الأصلية زرادشتية زرادشت، ثم بعد ما مضى نبيهم دخلها التحريف بما سوّل لهم إبليس، (هذا لا يعني أن

---

[1] – Hérodote, Histoire d'Hérodote, TraduiT par Larcher, CharpenTier libraire- édiTeur, 1850, 1/249.

[2]– حسنّه الألباني، وقال: "حسن الإسناد موقوف"، الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، فهرسة أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث، رقم 3042. (مرقم آليا المكتبة الشاملة). والحديث رواه: أبو داوود، السنن -الخراج والإمارة والفيء 3042، والبيهقي، السنن الكبرى -الأشربة والحد فيها 17163.

[3]– راجع في هذا كتاب: رياض لعريبي، الزرادشتية الديانة السماوية التي بَشّرت بمحمد صلى الله عليه وسلم. وكتاب: ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم، جامعة الكويت. وكتاب: حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة النهضة، القاهرة مصر، 1956م.

التحريف كان جملة واحدة، وإنما كان ذلك تدريجيا، بعدما كانت الزرادشتية أحقابا على التوحيد.)

رابعا: رأي الفُقهاء في المجوس والصحيح أنهم أهل كتاب:

اختلف العلماء في المجوس هل هم أهل كتاب أم ليسوا كذلك، حيث ذهب الجمهور إلى أنهم ليسوا أهل كتاب، لكن ذهبت طائفة من العلماء أنهم أهل كتاب وهذا القول هو الصحيح، ومن ذهب إليه قتادة وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة [1]والشافعي وأبي ثور والبيهقي وابن حزم وجمهور الظاهرية،[2]ومن المعاصرين رشيد رضا [3]وغيرهم.

---

[1]- ينقل رشيد رضا أنّ: أبي حنيفة يُدخل الصابئين كذلك من جملة أهل الكتاب... ثم يقول-رضا-: "ويُقال: إن الفريقين -المجوس والصابئة- كانا أهل كتاب فقدوه بطول الأمد،" انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 154/6. والصحيح أنهما من أهل الكتاب؛ فإنّ كل من المجوس والصابئة كانوا يعبدون الله. وكان لهم شريعة ويؤمنون بالنبوة. وسيأتي بإذن الله مزيد بيان تفاصيل إيمان وشرائع الزرادشتية ويتضح حقيقة الكتاب والنبي الذي كان فيهم.

[2]- انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 92/1.

[3]- رشيد رضا يقول كانوا أهل كتاب، انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 154/6. وتنزّلاً حتى مع الفرض بقول من اعتبرهم من الفقهاء الذين قالوا أنهم ليسوا من أهل الكتاب، فإنه لا يدل ضرورة أنهم لم يكن فيهم توحيد وكتاب وأنبياء، لأن نسب التحريف تختلف من دين لآخر، فما لا يدركه جيل قد يدركه جيل آخر، ولأنه قد يظهر زيادة بحث في الأديان، لاسيما في ظل تطور علم التاريخ وعلم الإنسان والآثار، والعلم المعاصر عموما؛ بإظهار عقائد قديمة وأشياء كان يؤمن بها أقوام مُعيّنون، مثل اكتشاف التوحيد في الحضارة المصرية القديمة؛ حيث صرح عدة علماء مصريات غربيين بأصالة التوحيد عند قدماء المصريين (انظر: نديم السيار، قدماء المصريين أوائل الموحدين، 1/ 6)، حتى وإن كان في حال الزرادشتية التوحيد فيها أكثر وضوحا، وقد زادت البحوث الحديثة الأمر تحديدا-سواء كان من بعض المسلمين أو المستشرقين أو ما بلغنا من اليونان- بالإثبات الأصل السماوي لدين زرادشت كم رأينا بعض الأقوال سابقا، وسيأتي مزيد بإذن الله، بل الأهم من أقوال الباحثين، أن

والدليل أن المجوس أهل كتاب؛ وقد استدلّ به العلماء القائلون بذلك: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر، لأن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب، قال الشافعي: " الْجِزْيَةُ تُقْبَلُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا تُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ). " [1] وكذلك استدلوا بأثر علي رضي الله عنه السابق ذكره الذي شهد فيه أن المجوس هم أهل كتاب.

و ابن حزم أكدّ في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ أنّه كان عند المجوس (الزرادشتيين) كتاب، حيث ذكر أنه بقي شيء منه.[2]

إذ يقول في موضع آخر: " وَمِمَّنْ قَالَ أَن الْمَجُوس أهل كتاب عَليّ بن أبي طَالب وَحُذَيْفَة رَضِي الله عَنْهُمَا وَسَعِيد بن الْمسيب وَقَتَادَة وَأَبُو ثَوْر وَجُمْهُور أَصْحَاب أهل الظَّاهِر وَقد بَيّنا الْبَرَاهِين الْمُوجبَة لصِحَّة هَذَا القَوْل فِي كتَابنَا الْمُسَمّى الإيصال فِي كتاب الْجِهَاد مِنْهُ وَفِي كتاب الذَّبَائِح مِنْهُ وَفِي كتاب النِّكَاح مِنْهُ وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين ويكفى من ذَلِك صِحَة أَخذ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الْجِزْيَة مِنْهُم وَقد حرم الله عز وَجل فِي نَص الْقُرْآن فِي آخر سُورَة نزلت مِنْهُ وَهِي بَرَاءَة أَن تُؤْخَذ الْجِزْيَة من غير كتابي ".[3]

بعض الإشارات الأولى في إثبات الأصل السماوي للمجوسية كانت في القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم أقوال بعض الصحابة كما رأينا فيما سلف. أضف إلى ذلك أنّ العلم الحديث الصحيح – علم تاريخ الأديان والتاريخ والآثار والإنسان– والتعمق في البحوث قد يرجّح قولا على قول فقهي آخر، والله أعلم.

[1]- محمد أشرف بن أمير آبادي، عون المعبون شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، 203/8.

[2]- أي أقل من الثلث، انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 93/1. وألكسندر المقدوني هو الذي أحرق "الابتساق" كتابهم المقدس فضاع أكثره.

[3]- المرجع نفسه،92/1.

خامسا: شهادة علماء مسلمين وغربين على الأصل التوحيدي للزرادشتية ونُبُوّة زرادشت:

وسأتناول فيه بإذن الله بعض أقوال طائفة من باحثين مسلمين، ثم يليهم آراء مستشرقين غربيين درسوا معمقا الزرادشتية:

نقل الشهرستاني العالم في أديان الأمم والمذاهب (479 – 548 هـ)؛ ما قيل في عقيدة المجوس وفي قصة تنبؤ زرادشت، وتأييد الله له بالمعجزات، وإرساله إلى ملك من ملوك فارس كشتاسب (كشتساف) : " فبعثه الله تعالى نبيا، ورسولا إلى الخلق. فدعا كشتاسب الملك، فأجابه إلى دينه. وكان دينه: عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث. وقال: النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك يزدان وأهرمن، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة. والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو لا شريك له ولا ضد، ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، كما قالت الزروانية. " [1]

يقول المؤرخ والرحالة البحاثة المسعودي (ت346ه) في كتابه مروج الذهب، في نبوة زرادشت والكتاب الذي جاء به الأبتساق: " زرادشت بن أسبيمان، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس، واسمه عند المجوس بستاه نسياه، وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات، والكليات: هي الأشياء العامة، والجزئيات: هي الأشياء الخاصة، مثل زيد يموت يوم كذا، ويمرض فلان في وقت كذا، ويولد لفلان في وقت كذا، وأشباه ذلك، ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم، وليس في سائر اللغات أكثر حروفاً من هذا ... وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من الشرائع

---

[1]- الشهرستاني، الملل والنحل، 2/42.

والعبادات... ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه، وسموا التفسير زنداً "،[1] وفيه دليل من نقل المسعودي على نبوة زرادشت، فإن الله وحده هو الذي يُطلع الأنبياء على بعض الغيب آية منه، ويجعل لهم معجزات، كي يعرف الناس أنهم أنبياء.

وينقل المؤرخ والجغرافي أبو الفداء (672 - 732ه) عن عقيدة زرادشت: " وقال زرادشت بإله يسمى أرمزد بالفارسي وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاج النور بالظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، ولا يزال المزاج حتى يغلب النور الظلمة، ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر إلى عالمه ... ".[2]

ويقول الإمام في التفسير والحديث والتاريخ ابن كثير (700-774ه) في تفسيره: " وَالْمَجُوسُ يُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ زَرَادِشْتُ، ثُمَّ كَفَرُوا بِشَرْعِهِ، فَرُفِعَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " [3]

وقد ألّف حامد عبد القادر الأستاذ اللغوي، والباحث المختص في اللغات الشرقية والفارسية القديمة، وصاحب مؤلفات عدة؛ كتاب اسمه زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، أكدّ فيه أن أصل الزرادشتية ديانة سماوية موحاةٌ من الله، وأنّ الله أوحاها إلى نبيه زرادشت، إذ يقول في كتابه: " كانت الزرادشتية في أصلها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الإله الواحد هو ((أهورامزدا)) الله، وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى الطبيعة، وكانت جميع أدعيتها وصلواتها وآيات أسفارها تتجه إلى هذا الإله وحده، كما يظهر من التأمل في النصوص التي نقلناه من سفر الياسنا [4] وتصفه

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، 1409هـ، 1/252-253.

[2]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، 1/83.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/445.

[4]- هو جزء من الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين الأبتساق كما مر معنا.

بصفات القِدم والبقاء والقدرة والإرادة والعلم والمخالفة للحوادث، وأنه يُدرِك الأبصار ولا تُدركه الأبصار، ويَعلم حقيقة ما في السماوات والأرض ولا يصل أحد إلى معرفة حقيقته... بل إن اسم ((أهورامازدا)) في الفارسية يدل معناه على ذلك ... غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية فما بعد كثير من التحريف والتبديل، فانتهى بها الأمر في عصورها الأخيرة إلى أن أصبحت ديانة مثنوية أو ثانوية أي تعتقد بوجود إلهين اثنين: أولهما ((أهورامازدا)) وتجعله إلاها للخير؛ والآخر ((أهريمان)) وتجعله إلاها للشر...مع أن ((أهريمان)) هذا – وهو في الأصل ((أنكره مينو)) ومعناه الخبث أو الشر- لا يُذكر في أسفار الزرادشتيين مقابل ((أهورامازدا)) على أنه شريك له، ولكنه يذكر في مقابل ((سبنتامينو)) ومعناه القدسية أو الخير. فلم يكن في أصل العقيدة الزرادشتية إلهان." [1] ويقول في موضع آخر عن زرادشت : "إن هذا الرجل إذا قيس بمقياس التاريخ، وجب أن يُعدّ في صف كبار الأنبياء الذين ظهروا في شتى البيئات والعصور، وأرشدوا الناس إلى طريق الحق والخير؛ لما عُرف عنهم من دقة استقامة، وشدة إخلاص لربه، وتفرغه لتقديسه، وقوة إيمانه برسالته، وشدة تحمسه في نشر دعوته." [2] والكاتب يبين أهم الأسباب الدافعة للقول بنبوة زرادشت، ويوجزها في المعجزة، ونزول الوحي والدعوة إلى الإيمان بإله واحد هو أهورامزدا؛ أي: أنا خالق الكون.[3]

ويرى الدكتور كامل سعفان في كتابه معتقدات آسيوية أن دين زرادشت دينٌ صحيحٌ ربانيٌ توحيديٌ إذ يقول: "إنه قد ثبت الآن دين زارادشت كان دين التوحيد الذي يحرم الشرك بالله وعبادة الأصنام. وقد أبطل زرادشت جميع معتقدات المجوس القدماء

---

[1]- انظر: حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص80 إلى83، نقلا عن: عبد الواحد وافي، الأسفار المقدّسة للأديان السابقة للإسلام، ط1، مكتبة نهضة مصر، 1384ه-1964م، ص143-144.

[2]- حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم نبي قداما الإيرانيين، نقلا عن: مناهج جامعة المدينة العالمية، الأديان والمذاهب، جامعة المدينة، 1/383.

[3]- انظر: المرجع نفسه، 1/383.

(موغوش)، قائلا: ليس هنالك قوى روحية كثيرة للخير، ولا عفاريت كثيرة للشرِّ، إنما هو إله واحد، اسمه (أهورامزدا) الذي ليس كمثله شيء، وهو الواحد الأحد، القدُّوس، الصمد، وهو الحقُّ والنور، وهو الحكيم القادر الخالق الذي لا يشاركه في ملكه وربوبيته شيء، وإن القوى الرُوحية التي زعموها خالقة للخير ليست بخالقة، بل هي نفسها من خلق (أهورامزدا)، ... إن من العناصر الأساسيَّة للدين الزرادشتي، الاعتقاد بالحياة الأخروية، فقد قال زرادشت: لا تنتهي حياة الإنسان بموته في هذا العالم المادي، بل له حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، فالذين عملوا الصالحات في حياتهم الدنيا يدخلون عالم السعادة، والذين دنَّسوا نفوسهم بالشرور يدخلون عالم الشقاء. وكذا الاعتقاد ببقاء الرُّوح من معتقدات الدين الزرادشتي الأساسيَّة، فهو يقول بفناء الجسم، أما الرُوح فيبقى ويلاقي جزاءه".[1]

سادسا: آراء علماء من الغرب ومُستشرقين في التوحيد في الزرادشتية ونبوة زرادشت:

ظهرت دراسة من أوائل الدراسات الاستشراقية الجدّية للزرادشتية، بجامعة أوكسفورد، للمستشرق وعالم اللغويات توماس هايد (Thomas Hyde) (سنة 1700م)، تحت عنوان (تاريخ أديان الفرس والبَرْثيين والمِيديين)، اعتمد فيها هايد على كُتّاب الإغريق، وكتابات الرحالة والمؤلفات العربية، والنصوص الزرادشتية المتوفرة لـــديه، فتوصّل من خلال دراسته إلى نتيجة مفادها؛ أنّ زرادشت دعا إلى الوِحْدانية المطلقة، وهو رسول مرسل من قِبل الإله الأعظم، لينقل إلى الإيرانيين القدماء وصايا إبراهيم الخليل، ولكن اليونانيين شوّهوا تعاليمه وعَرَضُوها كأنها تدعوا إلى الاعتقاد بآلهة متعددة.[2]

---

[1]- كامل سعفان، معتقدات آسيوية، دار الندى، ط الأولى، 1419ه-1999م، ص107. وحقيقة نجدد نصوص تُحَرِّم عبادة الأصنام في الابتساق، انظر: خليل عبد الرحمن أقستا، ص582.

[2]- انظر: خليل عبد الرحمن، أقستا، ص9.

يرى المستشرق الألماني مارتن هوغ (MarTin Haug) (ولد سنة 1827م) والخبير بالديانة الزرادشتية واللغة الفارسية القديمة، أن الزرادشتية فيها توحيد خالص.[1]

يقــول البروفسور كـوسوويتز (Kossowicz) بجامعة سن بيترسبورغ الروسية، صاحب كتاب (ZaraThustricae GâThae Très posTeriores)، والذي درس الزرادشتية: " دين زرادشت يعترِف بإله واحد، خالق العالم، خالق كل أشياء الطبيعة وفيها الروح المقدسة والطيّبة ... القوة الإلهية تحكم ولها قِوَامة وتدبير كل شيء موجود. الرجل مُقَدَّر بحسب زرادشت للعيش في هذه الحياة ثم التمتع السماوي في الأخرى، كل شيء مخلوق مسخر للإنسان للتوجه نحو هذا الفوز، لكن هو مَتروك له الخيار لاختيار[2] الفوز بالحياة القادمة... " [3]، وفي هذا الكلام بعد الإقرار بعبادة الله في الزرادشتية، نجد الإيمان بالقضاء والقدر (الرجل مُقدر...).

يقول وليام كارتر (William CarTer) صاحب كتاب الزرادشتية واليهودية ZoroasTrianism and Judaism : " في كل موضع في النصوص المقدسة الإيرانية سيادة أهورمازدا معترف بها، ومن سمات هذا التفوق أن (المازداييزم) (Mazdaism) هو الاسم الذي تسمى به أحيانا هذه الديانة، أهورمازدا يدعا بـ (بالخالق، اللامع،

---

(1) – Harlez, Avesta livre sacré du ZoroasTrisme, p LXXIX.

(2)– من أهم الأشياء بعد كمال توحيد الخالق وقدرته في الزرادشتية من خلال كلام كوسوويتز (Kossowicz) ومما يفهم من بعض نصوص الابتساق، الإيمان بالقضاء والقدر على أنّ الإنسان ليس مجبورا على أفعاله. فالله لا يجبر الإنسان على أفعاله واختياراته، كما قيل: ألقاه في اليم مكتوف الأيدي وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء، ولاشك أن هذه هي العقيدة السليمة إن كان ذلك لا يخرج عن مشيئة الله وقدره، -أي التوسط بين الجبر والقدر-، قال الله تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) (المدثر37)، وقال الله تعالى: (لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (29) (التكوير 28-29).

(3) – ibid, p LXXIX.

المجيد، العظيم، الأفضل، الأجمل، الحازم، الحكيم، ...الأكثر مثالية، الذي يبلغ مراده بدون أي خطأ ... الذي خلقنا وسوّانا، الذي أطعمنا وحفظنا..." (1)، وأهورامازدا هو الله عز وجل عند الفارسيين. ويقول الكاتب على زرادشت في موضع آخر: " زرادشت نادى بعبادة أهورامازدا وحده وتجاهل كل الآلهة الصغيرة، وأراد أن ينقل الدين من الشرك إلى التوحيد، وجاهد ضد عبادة الشيطان والسحر والخرافات." (2)

يقول عالم الأعراق واللغوي الفرنسي شارل شوبل (charles shoebel) (1813-1888م): " إن الله قد عَرَّفَ نفسه والإنسان عن طريق الوحي، وأنّ هذه الحقيقة تتجلى بنور لا يقهر عند الأجناس الأكثر تباينا، وعند الأجناس التي اعتبرها رينان الأكثر تباعدا دينيا، عند الإيرانيين كما الساميين وفي الأفيستا كما في الكتاب المقدس، فهذه علاقة حقيقية بين الإنسان والله. لكن الإنسان يحرف هذه العلاقة –وهنا يشير إلى تحريف الدين– بنفسه، ويجد نفسه وثنيا محولا عن الدين الصحيح، فقد استمع لروح الشر واتبع هواه، وها هو مع الثالوث، والطبيعة الخارجية، والشيطان." (3)

فشوبل يؤكد هنا أن الإيرانيين قد تلقوا وحيا من الله تعالى، بل يجعل مقارنة بينهم وبين الساميين أجداد اليهود –أصحاب الأنبياء الكُثر– والعرب، فالله تعالى بوحيه و أنبيائه لم يخصّ الساميين دون غيرهم، وقد جعل –شوبل– الأفيستا والكتاب المقدس في نفس منزلة الوحي مقررا أن الإنسان بعد ذلك هو من يحرف الدين، متبعا الهوى

---

(1) – William Carter, Zoroastrianism and Judaism, Richard G.badger The gorham press, 1918, p41.

(2) – ibid, p 45.

(3) – voir : Charles shoebel, MEMOIRE SUR LE MONOTHEISME PRMITIF, challamel ainé libraire de la sociéTé d'éTnographie américane eT orienTale, paris, 1860, p 9.

والشيطان حتى يصل إلى نتائج إيمانية تناقض التوحيد مثل التثليث.[1] فسبحان الله، كل من الديانتين بدأتا بالتوحيد السماوي الذي أوحاه الله، وطرأ بعدها عليهما الثالوث الوثني الذي مَقَتَهُ الله.[2] بالرغم أن التحريف نحو الثنائية كان الأكبر في دين الفارسيين، مع بقاء التوحيد هو الأصل كما تشهد عليه النصوص الزرادشتية، وحتى علماؤهم.

---

[1]- يقـول عالم اللاهوت الإنجليزي فـيبر Feber: "هكذا الفرس كان عندهم أهورمازدا، مثرا، و أهرمان، أو في بعض الأحيان الأخرى كان مثرا – وحده – يقوم بدور الثالوث،" تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، (انظر: George Feber, The origin oF pagan idolatry, vol 3, R.and R.gilberT, ST.jhon's Square, 1816, 3/470)، و يمكن القول أن فارس فيها في بعض فترات التحريف؛ صنفان من الثالوث الأول يتمثل في: أهورمازدا، و هو اسم (الله) الإله الأعظم الواحد الذي كان يدعو إليه زرادشت النبي، و الذي كان الإله الواحد للزرادشتية بل لكل فارس قبل أن يحرف هذا الدين، و يخلطوا عقائده مع الوثنيات، فأضافوا إلى الإله الواحد أهورمازدا (الله) معبودين معه، أما المعبود الثاني فهو مِثرا حيث اعتبره الفرس معاونا لأهورمازدا، و المعبود الثالث في هذا الثالوث هو أهرمان الذي ينسب إليه الشر كله، و الذي هو الشيطان.(انظر: Douane, bible myth and there parrallels in other religions, The TruTh seeker CO, new york, sevenTh ediTion, 1910, p 376.) وفيه تشابه عجيب ومريب بين الثالوث النصراني والثالوث الفارسي، حيث كل من الثالوثين يجعل من الله بمنزلة الآب، ويتشابهان بجعل المسيح ابن لله تعالى ومثرا ابن لله تعالى، وكذلك بجعلهما مُخلِّصَين للبشرية، تعالى الله عن كل ذلك علوا كبيرا. وقد قال الله تعالى في مشابهة أهل الكتاب للكفار من الوثنين وأمثالهم قبلهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) (التوبة30). يضاهئون أي يشابهون. فَهُنا أيضا الإعجاز، ليأتي العلم الحديث وعلم الأديان والتاريخ يَصْطفُ وراء القرآن، الذي سبقه بمئات السنين في إثبات هذا التشابه العقدي، بين قول أهل الكتاب وقول أهل الأوثان من قبل.

[2]- نعم عقيدة الثانوية ظهرت فيما بعد في الزرادشتية بعد تحريفها أكثر من الثالوث، لكنها تحريفُ فهمٍ وليس أصلا، حتى وسوف نفصل بإذن الله أن التوحيد بقي دائما الأصل باعتراف علماء الزاردشتيين، وكون النصوص الدينية لا يزال أصلها التوحيدي واضحا، وإنما ذلك الفهم الثانوي

فإذا تبيّن لنا أن الزرادشتية (المجوسية) أصلها ديانة سماوية وتؤمن بآدم عليه السلام، فلا بد من التساؤل في هذا المقام ولو استئناسا، هل تذكر الزرادشتية أنّ آدم عليه السلام هو أول كل البشر، أم هنالك إنسانا قبله ؟

2) الزرادشتية (المجوسية) تثبت أنّ هنالك إنسانٌ قبل آدم عليه السلام:

تؤمن الزرادشتية بآدم عليه السلام ويسمونه (مهاباد)، وهو ليس (كيومرث) الذي يجعلونه أبا لهم، أي أب الفرس، والذي هو بعد مهاباد (آدم عليه السلام) المتقدم عليه زمانيا،[1] ولقد ذُكِرَ آدم عليه السلام (مهاباد) في المصدر الزرادشتي دساتير وهو كتاب فارسي تؤمن به طائفة زرادشتية،[2] ويُنْسب إلى أنبياء قدماء مضوا في الجنس الفارسي والجنس الآري القديم، وهذا الكتاب يحتوي على أسْفار، كل سِفر يُنْسب إلى نبي فارسي أو آري قديم (الفُرس هم من الشعوب الآرية)[3]، ويحتوي على بشارات تتنبأ

راجع إلى تحريف النصوص مع سوء فهمها. ومع كون كثير من الباحثين، يثبتون الأصل التوحيدي لهذا الدين كما رأينا، وعلماء الزرادشتية أنفسهم يقولون أنّ دينهم توحيدي، والظاهر من نصوص كتبهم كذلك.

(1) - voir : The desaTir or sacred wriTings oF The ancient Persian propheTs: in The original Tonge, Mulla firuz, Vol 2, courier press, bonbay, 1818, p22-23-194, p IV. John malcom,The hisTory oF persia, london,vol 1, Johne murray, london, p7-8-9-10.

(2)- وقد ذكر عبد الحق فديارثي أن كتاب دساتير هنالك من الزرادشتيين من يعتبره أوثق من الزند أفستا (الابتساق)، وهنالك من يعتبر الزند أفستا أوثق من دساتير. انظر: AbdUL HAQUE Vidyarthy, Muhammad in Wolrld Scriptures, vol III, Din Muhammadi Press, second ediTion, Lahore – Pakistan, 1975, p 998.

(3)- فإن الفرس هم والهنود من الآريين، إذ لهم أصول مشتركة مع أجناس أوروبية انحدرت من الأجناس الآرية كالألمان والأسكندناف والسكسون والكلت والسْلاَفْ "الروس وماجاورهم"

ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتَصِفْه بنعت يتطابق عليه، وأصول كتاب دساتير كما يُعتقد أقدم من الإسلام، وقد ذكرتها في الكتاب الذي أشرنا إليه آنفا (الزرادشتية الديانة السماوية التي بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم)، وذكرتها أيضا مختصون كعبد الحق فديارثي[1] في كتابه الذي يبحث في بشارات النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الزرادشتيين والهندوس والبوذيين.[2]

والإنجليز والفرنجة، وهم يشتركون كما أكدت بعض البحوث في شعب آري مشترك كان أصله في ناحية التركستان ثم هاجروا إلى باقي أنحاء أوروبا.

(1) – voir : Ibid, p 969 a 998.

(2) – جاء في نص البشارة في كتاب دساتير المجوسي والتي تتنبأ ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "بينما هم مُشتغلون في ذلك، سيقوم رجـل من بين التوارجيس–العرب–، بواسطة أتباعه، التّاج، العرش والحكومة، والدّين يُطاح بهم، ويَخضَعُ الأقوياء، وبدلاً من معبد الأوثان (أو عبادة الأوثان)، أو معبد النار الذي بِبَيْت عَبَاد –مهاباد– سَيُرى مكان تُوجّه نَحوَهُ الصلاة، مَنزُوع مِن صُورها – الكاذبة–، وحوله المياه المالحة، بعد ذلك سيقهرون نار المعابد التي بِمَدير وَكُلّمَا وُجِدَ بها ويَنفِجيد ونِيوَاك –مدينتي طوس وبلخ في فارس–، والأَماكن الكبِيرَة، ومُشَرِّعهم سيكون رجُلاً فصيحًا وكلماته بَلِيغة" (The desaTir or sacred wriTings oF The ancient Persian propheTs: in The original Tonge, Mulla firuz, Vol 2, courier press, bonbay, 1818, p 194.) شرح البشارة:

أما معنى التوارجيس فهم العرب، بدلالة الشارح الزرادشتي (مولا فيروز) لكتاب دساتير نفسه، إذ يؤكد في الحاشية أن توارجيس هم العرب، بل يُقِر أنّ هذه النبوة هي تخصّ انتشار الإسلام واتجاه القبلة إذ يقول: " هذه النبوة حول أصل وانتشار المحمدية، والقِبْلَة، وخصائص النبي، هي بالتأكيد متميزة بشكل كاف"، (حاشية المرجع نفسه، ص 194/ 194 p). وأما بيت عباد فهو بيت مهاباد أي آدم عليه السلام، وهي الكعبة بإقرار ساسان الخامس الزرادشتي (العصر الساساني) الذي يُنسب إليه إعادة جمع أسفار كتاب دساتير، إذ يقول هذا الأخير في هذا البيت بجوار متن البشارة: "البيت الذي هو من بين التوارجـيس –الـعرب– في الصحراء الرملية، الذي بناه عبـــاد –ماهاباد–"(المرجع

نفسه، ص194/ 194 p)، وأما كونه بنى الكعبة؛ فهذا يتوافق مع ما نقله علماء مسلمون في أن حقيقة آدم عليه السلام قد بنى الكعبة (انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 120/2).

أما الرجل الذي سيقوم من بين العرب فلا مرية في ذلك أنه محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو الذي تنطبق عليه كل هذه الأوصاف في هذه البشارة: له أتباع، سيُطيح بدين وحكومة وعرش وملك العرب، ويُخْضع الأقوياء والملوك، وبدلا من معبد الأوثان التي كانت عليه الكعبة في الجاهلية، ستنزع الصور التي تقول الكذب من الكعبة، وتصبح قِبْلَة يُتوجه نحوها في الصلاة.

وهذا ما حدث حقيقة بعد ما انتصر محمد صلى الله وصحابته على مشركي العرب، وظهر الإسلام على دينهم، وعند دخول النبي صلى الله عليه وسلم فاتحا مكة، طهّر البيت الحرام من الأصنام، ونزع الصور التي كانت على ظهره، والتي كانت تكذب في جعل إبراهيم مع إسماعيل عليهما السلام يتقاسمان بالأزلام، (كما تشير البشارة: منزوع من صورها -الكاذبة-)، (فقد جا في الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا رَأَى الصُّوَرَ فِي البَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيَتْ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِأَيْدِيهِمَا الأَزْلاَمُ، فَقَالَ " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلاَمِ قَطُّ ") (رواه البخاري في صحيحه 3352)، وجعل الإسلام البيت قِبلة يُتَوجّه نحوه في الصلاة (كما تشير البشارة: بِبَيْت عَبَاد -مهاباد- سَيُرى مكان تُوجّه نَحوَهُ الصلاة)، ومن بعدها انتشار الإسلام بالفتوح الإسلامية، وإخضاع الإمبراطوريات والملكات الكبرى بملوكهم وبلداتهم، من بينها فارس وأمصارها ومدنها، وقد ذكرت البشارة مدينتين مهمتين فيها (طوس وبلخ)، حيث سيدخل فيها المسلمون قاهرين لمعابد النيران الموجودة فيها، وقد ذكرت أيضا البشارة وصفا آخرا ينطبق على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث وصفت " أن مُشرّعهم سيكون رجلا فصيحا وكلماته بليغة "، ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله عليه شرعا "مشرعهم"، وكان كلامه فصيحا، وهل يوجد شيء أفصح من القرآن الذي أنزله الله عليه ؟، والذي تحدى الله فيه الإنس والجن وفصحاء العرب على الإتيان بمثله فعجزوا، حتى أقرّ له أعداؤه بفصاحته وإعجازه، إضافة إلى كونه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب نطق بالضاد وتكلم بجوامع الكلم، وبالكلام القليل ذي المعنى الكثير والغزير، فكان هو أفصحهم دون منازع، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "(رواه مسلم 532)، قال الهروي في جوامع الكَلِم: " يعني به القرآن جَمع الله تعالى

وقد ذكر هذا المصدر الماجوسي دساتير أنّ مهاباد كان أبَ البشر الحاليين[1]، وأنّه كان نبيا وملكا، وأنّه بنى الكعبة في صحراء العرب -ويُسميها بيت مهاباد-[2]. والعجيب أنّ هذه المُواصفات تتطابق مع آدم عليه السلام في الإسلام، وتؤكد أنّه هُوَ، فابتداء بنبوته؛ فآدم عليه السلام حقا نبيٌّ كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي مر معنا، في مبحث هل هنالك إنسان قبل آدم عليه السلام من حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما، وأما كونه مَلِكًا، فهذا يتوافق مع كلمة (خليفة) في القرآن الكريم،

في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني." (حاشية: مسلم، صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 371/1).

وهنالك بشارات أخرى مهمة في كتب الزرادشتية لا يسع المقام لذكرها، ومثل هذه التنبؤات لا يستغرب وجودها في كتب الأنبياء السابقين، كون الله سبحانه وتعالى قال: (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) (الشعراء 196)، وقال القرطبي في تفسير الآية: " وإنه لفي زُبر الأولين أي وإن ذكر نزوله- القرآن - لفي كتب الأولين يعني الأنبياء . وقيل : أي إن ذكر محمد عليه السلام في كتب الأولين؛ كما قال تعالى: يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل و " الزبر " الكتب، الواحد " زبور "، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1384ه-1964م، 138/13. قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: " فالمعنى أن ذكر القرآن وارد في كتب الأولين، أي جاءت بشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول يجيء بكتاب "، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 191/19. وَوُجُودُ مثل هذه البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب المجوسية (الزرادشتية) يُشير إلى كونها ديانة سماوية.

[1]- وهذا لا يعني أن المصدر الزرادشتي يصفه بأنه أب كل البشر في كل زمان ومكان، بل قد يُفهم كما أمكننا أن نستنتج رأيناه من قبل؛ بأنه أب جزء مهم من البشر على وجه الكرة الأرضية، في زمن معين، كما سيأتي إن شاء الله مزيد بيان واستنتاج ذلك.

[2] - voir : The desaTir or sacred wriTings oF The ancient Persian propheTs: in The original Tonge, Mulla firuz, Vol 2, courier press, bonbay, 1818, p22-23-194, p IV, John malcom,The hisTory oF persia, london,vol 1, Johne murray, london, p7-8-9-10,

والذي يدخل في معناها الخليفة بمعنى الوالي والحاكم (كما ذكرنا سابقا في تفسير قول الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة 30))، بل ويدعُ إلى التساؤل كما تسائلنا في الآية القرآنية من سورة البقرة؛ أيُّ قوم كان عليهم ملكا؟ وإلى من كان نبيا مرسلا؟. وأما كونه بنى الكعبة فهذه أيضا معلومة تتوافق مع ما نقله بعض العلماء المسلمين في آدم عليه السلام من كونه بنى البيت[1].

وأما فيما يتعلق بالسؤال هل يوجد بشرٌ قبل آدم عليه السلام ؟، فالذي يمكن أن يُستأنس به من الزرادشتية في هذا الأمر، هو ما يوجد من أمر عجيب في كتاب دساتير السابق، إذ يُشِير هذا المصدر أن آدم (مهاباد) وزوجه عليهما السلام كانا مسبوقين ببشر، لأنّهُما قد اُصْطُفِيا من دورة بشرية سابقة، فالبشرية بِحَسَبِه مقسّمَة إلى دورات بشرية، لكل منها آباء من البشر، فقد نجى كل من آدم وحواء عليهما السلام من دورة كبيرة، ليكونا أبوين لدورة بشرية لاحقة، التي نحن فيها. لذلك قدماء الفرس كانوا يعتبرون أنّه من المستحيل معرفة الآباء الأولين الحقيقيين لكل الأجناس البشري، وأنّ علم الإنسان كان قاصرا عن مثل هذا الإدراك.[2]

وهذا إن فرضنا بصحة هذا القول فإني لا أجد له معارضة صريحة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة في الإسلام، لا سيما وقد رأينا سابقا أنهما يشيران إلى وجود مخلوقات مكلّفة أو أناس قبل آدم عليه السلام، بل أرى في هذا القول نوعا من التماشي مع حديث عبد الله بن عباس السابق ذكره في إثبات أوادم آخرين في أراضٍ أخرى، وذلك في تفسير قول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: 12).

---

[1]- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 120/2.

[2] - voir : The desaTir or sacred wriTings oF The ancient Persian propheTs: in The original Tonge, Mulla firuz, Vol 2, p21 - p VII, John malcom, HisTory oF percsia, vol 2, p 8-9.

وأرى أنّ هذه العقيدة في وجود دورات بشرية أو أزواجا يكونون آباء للناس لها ما يُقَوِّيها داخل الزرادشتية نفسها وخارجها، فمن داخلها ما نقلناه من كونها تثبت أن آدم عليه السلام (عباد أو مهاباد) كان ملك على أُناس، فمن المستبعد أن يكون هؤلاء الناس هم بنوه فقط، إذن لكانت كافية عليهم ولاية الأبوّة، ولَما احْتَاج أن يكون ملِكاً. وكذلك كونه يجعلونه نبيا أوحى الله إليه،[1] وهنا يُعاد طرح السؤال السابق، إلى من كانت دعوته موجهة؟، هل إلى أبنائه فقط؟ فمن المستبعد ذلك، وهذا قد يقتضي وجود بشر كانوا معاصرين له، بحيث كان نبيا فيهم، وربما مَلِكًا على طائفة منهم، كما تشير إليه ظاهر تلك المراجع، والله أعلم. والأمر الآخر الذي يُقّوِي هذه العقيدة في الزرادشتية من خارجها، أي في وجود دورات بشرية قبل آدم عليه السلام؛ ما وُجِد في دين آخر شبه سماوي، وهو الهندوسية – إذ يوجد فيها توحيد أصيل وإنما الشرك والتعدد هو من التحريف –[2]؛ إذ نجد فيها تقريبا نفس هذه العقيدة في تقسيم الزمن إلى دورات، مع

---

[1] – voir : John malcom, HisTory oF percsia, vol 2, p 8-9.

[2]– يوجد في الكتاب المقدس للهندوس الفيدا؛ نصوص تشير إلى الأصل التوحيدي، فإنّه يعترف بذلك التَّطَوري الدارويني ماكس مولر، الذي درس أديان الهند والفيدا واللغة السنسكريتية لسنين كثيرة، بل يؤكده قائلا: "....هنالك توحيد يسبق الوثنية في الفيدا، وحتى في دعاء تلك الآلهة التي لا حصر لها يوجد ذكريات إله واحد لانهائي تكسر غيوم العبرات الوثنية، مثل السماء الزرقاء التي كانت تخفيها السحب العابرة." (Max muller, HisTory oF ancient SanskriT literaTure, Williams and norgaTe, paris- london, 1859, p559.)، حتى أن الذي يقرأ كلام مولر يجد اشكالا عظيم عنده؛ كون وجود التوحيد في الهند القديمة والفيدا بإقراره السابق يُسقط القول بتطور الدين من الوثنية إلى التوحيد، والذي نادى به هو والتطوريون مثله، إذ أنّ شعوب الهند تمثل جنس قديم، وهذا يدلّ أن التوحيد قديم، بل هو أصل أديان البشر، وهو فطري فيهم.

ونقل العالم المسلم البيروني (ت 440ه) أنّ خواص الهند كانوا يؤمنون بالله على غير العوام الذين كانوا يميلون للتجسيم وعدم تنزيه الله تنزيها يليق بجلاله، حيث قال في خواصهم: " واعتقاد الهند في الله سبحانه أنّه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ

إبقاء زوج بشري لكل دورة قادمة، كي يكونا خليفتين وآباءً لنسل جديد، (وتسمى عندهم يوغس Yugs أو Yuga) [1]–. وكل هذا أراه قد لا يتناقض أو يتوافق مع معنى (الخليفة) في حق آدم عليه السلام وبنيه؛ الذي جاء في سورة البقرة، قال الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة)، والذي يُقصد منه الاستخلاف، أي استخلاف مَن كان مِن قبل، وفي سورة الأنعام التي قال الله فيها: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام 165)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: " والله الذي جعلكم،

المحيي المدبّر المبقي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ..." (أبو ريحان محمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، ط ثانية، بيروت، 1403ه، ص24.)

ويقول عالم الأعراق واللغوي الفرنسي شارل سوبل في كتابه مذكرة حول التوحيد البدائي: " ولو درسنا الآن دين آريِيي الهند، نحصل على حقيقة مفادها أن التوحيد قد سبق الممارسات الشركية." (charle shoebel, Mémoire sur le MONOTHEISME primiTiF, p16).

وكذلك أورد المؤرخ الأمريكي وول ديورانت التقرير المرفوع للحكومة البريطانية قائلا: " فيما يلي عبارة مقتبسة من التقرير عن تعداد سنة 1901، المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند: "إن النتيجة العامة التي انتهيت إليها من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد راسخة في كائن واحد أعلى." (ول ديورنت، قصة الحضارة، دار الجيل بيروت، لبنان، والمنظمة العبية للثقافة والعلوم، تونس، 1408ه-1988م، حاشية مجلد 209/3).

ويقول المفسر رشيد رضا في تفسيره: " أَنَّ الْمَجُوسَ وَالصَّابِئِينَ وَوَثَنِيِّي الْهِنْدِ وَالصِّينِ، وَأَمْثَالِهِمْ كَالْيَابَانِيِّينَ أَهْلُ كُتُبٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى التَّوْحِيدِ إِلَى الْآنِ، وَالظَّاهِرُ مِنَ التَّارِيخِ وَمِنْ بَيَانِ الْقُرْآنِ أَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ بُعِثَ فِيهَا رُسُلٌ، وَأَنَّ كُتُبَهُمْ سَمَاوِيَّةٌ طَرَأَ عَلَيْهَا التَّحْرِيفُ كَمَا طَرَأَ عَلَى كُتُبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّتِي هِيَ أَحْدَثُ عَهْدًا فِي التَّارِيخِ"، (رشيد رضا، تفسير المنار، 160/6.)

[1] – voir : John malcom, The HisTory oF percsia, vol 2, p 8.

أيها الناس، (خلائفَ الأرض)، بأن أهلك مَنْ كان قبلكم من القرون والأمم الخالية، واستخلفكم، فجعلكم خلائف منهم في الأرض، تخلفونهم فيها، وتعمرُونها بعدَهم. و " الخلائف " جمع " خليفة "، كما " الوصائف " جمع " وصيفة "، وهي من قول القائل: " خَلَف فلان فلانًا في داره يخلُفه خِلافة، فهو خليفة فيها." [1] وينقل نفس المُفسِّر عن السدي قوله: " أما " خلائف الأرض "، فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم." [2] فما هي هذه القُرون التي استخلفنا الله نحن بنو آدم في مكانهم ؟، وهذه العقيدة في حال صحتها وثبوتها، لا يلزم حتما منها عدم بقاء بشر في الأرض يعاصرون آدم عليه السلام، والدليل على ذلك من وجهين: أولهما قد يكون الاستبدال أو الاستخلاف لطائفة من الناس وليس كُلّهم في تلك الناحية من الأرض التي اسْتُخْلِف فيها أبونا آدم عليه السلام، فيكون قد بقي يجاوره فيها آخرون – ناهيك عن الناس الذين كانوا في غيره من القارات– ، فآدم عليه السلام وبنوه استخْلَفوا طائفة معيّنة من البشر –ليس كلهم– بناحية مُعينة من الأرض، فلفظ الأرض في الشريعة لا يُقصد به حصرا كل الكرة الأرضية –كما قلنا– ، أي استخلف ناحية من الشرق الأوسط والحِّجَار مثلا (على الأرجح)، دون أن يكون قد عَمّرَ كل الكرة الأرض المترامية الأطراف والمتباعدة الزوايا والمنقطعة القارات. فيكون بذلك آدم عليه السلام قد عاش في الشرق الأوسط، الذي عمَّرته ذريته من بعده، وجاورت فيه شعوبا أخرى، ومن بعدما مرّت السنين والأحقاب، كثرُت ذريته وظهرت أمته العظيمة، واحتكت بعض شعوب هذه الأمة بشعوب أخرى وناسبتها، فكان بذلك أبا لتلك الأمم من باب الغالب أو من باب التّشريف، مع بقاء أمم أخرى بِرُمَّتِها من قارات ومناطق بعيدة ليست من ذرية آدم عليه السلام إلى اليوم، وهذا لا يطعن في كون آدم عليه السلام هو أب أُمّة عظيمة،[3] جعلها الله عبرة لباقي أمم الأرض، كونها

---

[1] – الطبري، جامع البيان، 288/11.

[2] – المرجع نفسه، 288/12.

[3]– وفي بحث الباحث صافي حمدون الذي أثبت فيه وجود بشر قبل آدم عليه السلام حيث استغرق بحثه سنين، يقول أنّ أبناء آدم هم العرب والأحباش والترك فقط وهذا ما توصل إليه، إلا أني لم أتمكّن

أنزلت عليها أشهر –وليس كل– الكتب السماوية؛ التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وخرجت منها الأديان الإبراهيمية، التي طبعت البشرية، حتى ظنّ الكثير، أن آدم عليه السلام هو أب كل سكان الأرض –أي الكرة الأرضية– في كل زمان ومكان.

المطلب الثالث: إنسان قبل آدم عليه السلام عند الصابئة:

أ. الصابئة يُلحقون بأهل الكتاب:

من الاطلاع على الأدلة التي اعتمد عليها في ذلك فلا أستطيع أن أؤكد أو أن أنفي هذا الأمر، مع كوني أرجح أنّ اليهود هم كذلك من ذرية آدم عليه السلام فأنّ قصته مذكورة في كتبهم وعلى لسان أنبيائهم، وأما بحثه في العموم فيقول أنّه قدَّمه إلى مُفتي المملكة و أنّ المفتي لم يُقَدِّم عليه ملاحظات أو اعتراض، وتم الاحتفاظ ببحثه وجاءه التوجيه الشفوي بالذهاب إلى وزارة الإعلام. وأما ما يمكن أن أقول عن بحثه بشكل عام أنه أصاب في جوهر الفكرة بوجود بشر قبل آدم عليه السلام وفي وجود أوادم ورسل آخرين يشبهون رسل الأديان الإبراهيمية، لا سيما وقد ساعده على ذلك سنين من البحث الطويل، إذ يقول أنّه طِوَال ثلاثين سنة كان يُسافر ويبحث في مثل هذه الأمور، فمن غير الصعب للذي يبحث بإنصاف أن يهتدي أن القرآن الكريم والسنة النبوية لا ينفيان وجود بشر قبل آدم عليه السلام بل يكتشف فيهما إشارات على ذلك، أضف إلى ذلك مختلف الأدلة الأثرية والعرقية والتاريخية والإنسانية التي تدلّ على قدم الجنس البشري وأسبقيته على آدم عليه السلام، هذا وقد تنّبه صافي حمدون على وجود أوادم آخرين في نَوَاحٍ أخرى من الكرة الأرضية، وهذا ما جعله يلتقي معي في هذه النتيجة، أي في التأكيد العلمي لحديث عبد الله بن عباس في السبع أراضٍ بالرغم من أنه سلك طُرُق أخرى في بحوثة، وهذا ما يزيد هذه الحقيقة تأكيدا. وقد توفي الباحث صافي حمدون رحمه الله منذ بضع سنين وأظن أنّ بحوثه بقيت عند بِنْته تنتظر من يطلع عليها ويدرسها بجدية، ويزيد بحثا عليها، وأن يؤخذ بصوابها ويُصَحح خطؤها، هذا وقد نشر بعضها في المنتديات في الشبكة العنكبوتية. انظر: http://cutt.us/CfTCg

http://www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=405118 وهنالك منتديات أخرى نشر فيها عددا من بحوثه.

ومن الأديان ذات الأصول السماوية التي يجدر بنا البحث فيها عن إمكانية وجود بشر قبل آدم عليه السلام الصابئة، إذ أن الفقهاء ألحقوا هذه الطائفة بأهل الكتاب، حتى إنّه لا يزال الأثر التوحيدي موجودا في كتابهم المقدس ودينهم، وأذكر هنا بعض الأدلة والأقوال على أنهم أهل كتاب، ابتداء من القرآن الكريم.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة 62).

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية : "وَالَّذِي تَحَصَّلَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ- فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ عُلَمَائِنَا- أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ مُعْتَقِدُونَ تَأْثِيرَ النُّجُومِ..."[1]

ويقول السدي : "هُمْ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ." [2]

وأبي حنيفة عنده الصابؤون كأهل الكتاب.[3]

يقول ابن تيمية: " وكذلك اختلاف الفقهاء في الصابئين هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ ويُذكر فيه عن احمد روايتان وكذلك قولان للشافعي والذي عليه محققوا الفقهاء أنهم صنفان فمن دان بدين أهل الكتاب كان منهم وإلا فلا ". [4]

ينقل رشيد رضا أنّ: ثم يقول-رضا-:"ويُقال: إن الفريقين -المجوس والصابئة-كانا أهل كتاب فقدوه بطول الأمد."[5]

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/435.

[2]- المرجع نفسه، 1/434. وهذا لا يعني أنهم لم يُحرفوا دينهم.

[3]- انظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 6/154.

[4]- ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، ص 456.

[5]- رشيد رضا، تفسير المنار، 6/154.

وجاء في الموسوعة المُيسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: " الصابئة المندائيون: وتُعدُّ من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد وهي بهذا الوصف تعتبر من الديانات السماوية ويعتبر أتباعها أتباع دين كتابي. " [1]

أما من الصابئة أنفسهم فقد جاء في مقدمة كتاب الصابئة المندائيون، والتي كتبها كل من الصابِئَين؛ نعيم بدوي وغضبان الرومي (وهما مترجما هذا الكتاب ومؤلفه الليدي دراوور): " إن الدين الصابئي دين قديم يعتقد معتنقوه أنه من أقدم الأديان إن لم يكن أقدمها، فهم ينسبون كتابهم (كنزه ربه) إلى آدم عليه السلام، ... والخلاصة فإن دين الصابئين كما هو مُدَوّن في كتبهم الدينية يتلخص في أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويؤمنون بالحساب والعقاب، وأنّ الأبرار منهم يذهبون بعد الوفاة إلى عالم النور وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام... " [2]

وقد افتتح كتابهم المقدس " الكنزا ربا " (الكنز العظيم) بالتوحيد، فقد جاء في أوله: " باسم الحي العظيم، مسبحٌ ربي بقلب نقي، هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم . هو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور، الغني عن أكوان النور . هو القول والسمع والبصر، والشفاء والظفر، والقوة والثبات . هو الحي العظيم، مسرة القلب، وغفران الخطايا . مُسبح ربي بقلب نقي . يارب الأكوان جميعا .. مُسبّحٌ أنت، مبارك ممجدٌ، معظم موقر قيّوم . العظيم السامي، ملك النور السامي . الحنان

---

[1]- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة، 1420 هـ، 712/2.

[2] – الليدي دراوور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط الثانية، لبنان، 2006 م، ص 14-15.

التواب الرؤوف الرحيم . الحي العظيم . لا حدّ لبهائه . ولا مدى لضيائه . المنتشرة قوته، العظيمة قدرته . هو العظيم الذي لايرى ولا يُحَدّ . لاشريك له في سلطانه ..." [1]

وبعد كل هذا فإن الصحيح أن أصل الصابئة من أهل الكتاب؛ وهذا على تقدير أنه كان منهم من يعبد الله، وكانت فيهم شريعة ويؤمنون بالنبوة.

ب. الصابئة ووجود بشر قبل آدم عليه السلام:

والجدير بالذكر هنا في ما يتعلق بالصابئة، فقد نَقل عنهم موسى بن ميمون الأندلسي أنهم يعتقدون بوجود بشر قبل آدم عليه السلام،[2]وهذا ما يدع إلى التفكير مجددا وطرح السؤال؛ لماذا هذا الدين الآخر، ذو الأصول السماوية، يثبت وجود بشر قبل آدم عليه السلام ؟

المطلب الرابع: النصرانية ووجود إنسان قبل آدم عليه السلام:

تَناقض العقيدة النصرانية (التثليثية) مع وجود أناس قبل آدم عليه السلام:

إنّ الإيمان بوجود بشر سبقوا آدم عليه السلام عقيدة تناقض النصرانية، لأنها تُناقض عقيدة الخلاص (التجسد والفداء) التي أصبحت جزء لا يتجزء من النصرانية بعد تحريفها، إذ يعتقد النصارى أن أول خطيئة بشرية ارتكبها آدم بأكله من شجرة معرفة

---

[1] – كنزاربا (الكنز العظيم)، شركة الدوان للطباعة، 1999م، (الكتاب الأول، التسبيح الأول، التوحيد)، ص1.

[2]– انظر: موسى بن ميمون الأندلسي، دلالة الحائرين " الله جلّ جلاله والملائكة والأنبياء في التوراة "، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ص322.

الشر والخير التي نهاه الله عنها [1]، وبذاك جلب على نفسه الموت الروحي وأورثها ذريته -من غير إرادتهم-، فصار كل إنسان إلا وقد حمل وزر أبيه آدم[2].

ومن عدل الله تعالى حسب زعمهم أنّه لا يترك خطيئة إلا وجب عليه مُعاقبتها وتكفيرها، ولهذا الغرض بعث ابنه الوحيد ليكون مخلصا للبشرية [3]- وكيف يكون هذا عدلا وقد نسبوا إلى الله الظلم بتحميل الناس خطيئة لم يرتكبوها فضلا عن اتخاذهم المسيح إله مع الله والله تعالى يقول: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (الأنعام 164) -، ولا يكون هذا الخلاص إلا بِتجسُّده في صورة المسيح الإنسانية، ثم يتحمل العقاب والعذاب على الصليب ليُكفر خطيئة كل البشر، وبعبارة مختصرة؛ تجسد الابن في جسد الإنسان (المسيح) ليكون فاديا ومخلصا للبشرية. فيوجد نوعٌ من التلازم إذا بين هذه العقيدة وبين أسبقية آدم على باقي البشر، وبالتالي فمن الصعب أن تُقْبَل عندهم فكرة بشر قبل آدم أو بشر آخرين من غيره، لأن المسيح بزعمهم أتى ليفتدي بدمه كل البشر كي يخلصهم من خطيئة أبيهم التي انتقلت إليهم.

فلا نستغرب بعدها أنّ الكنيسة رفضت فكرة وجود أُناس قبل آدم عليه السلام منذ البداية، بينما قال بها بعض القِّلَّة من اليهود -متأخرين كما مر معنا-، لا سيما وأن هذه

---

[1]- انظر: التكوين 17/6.

[2]- يختلف النصارى في سبب انتقال خطيئة آدم إلى البشر باختلاف كبير، منهم من يرى أنها إرادة الله المطلقة ومنهم من يقول لأن البشر ساروا على نهج أبيهم، ومنهم من يرى أنها سببا لمجيء ابن الله مخلصا للبشرية مع اتفاقهم أن المسيح أتى ليكفر ويخلص هذه الخطيئة، انظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت، علم اللاهوت، مكتبة المحبة، ط 4، مصر، 1948م، 1/309-310. وليم مكدونلد، اسكندر جديد وعبد المسيح، أجوبة الله على اسئلة الإنسان، دار call iF hoppe، ط1، ألمانيا، 1995م، ص5.

[3] - انظر: اسكندر جديد وعبد المسيح، اذهبوا الى العالم أجمع، ص5، ميخائيل مينا، علم اللاهوت، 311/1.

الفكرة قد طفت مجددا في العالم الغربي لما اكتُشِفَت القارة الأمريكية أو ما يُسمى بالعالم الجديد سنة (1492م)، وما حوته من ملايين البشر الجدد، حيث إنه من الصعب تاريخيا إثبات أن كل هؤولاء من ذرية آدم عليه السلام،[1] فيجب علينا نحن المسلمون أن لا نبقى رهنا على ما قاله الآخرون، وآمن به المخالفون، وكفانا فهمًا صحيحا لكتاب ربِّنا وسنة نبينا، فَهُمَا حَسْبُنَا.

المطلب الخامس: نتيجة حول الفصل الثاني: إنسان قبل آدم عليه السلام في الأديان السماوية:

- الكتاب المقدس لليهود والنصارى في العهد القديم (التوراة) التي تؤمن بها كل من الديانتين يُشير لاحتمال وجود بشر كانوا معاصرين لآدم عليه السلام، وبالتالي

---

[1]- لا بد أن نعرف شيء عن تاريخ السكان الأصليين لأمريكا من الهنود الحمر، هل هؤلاء السكان يرجع أصلهم القديم إلى تلك البلاد؟ أم هم من بلاد أخرى؟ تقول المصدر العلمية أن السكان الأصليون من أمريكا قد قدموا إليها من سيبيريا الروسية، عبر ممرات جليدية قديمة تصل بين أمريكا وروسيا الحالية، من مضيق بريغ (DéTroiT de Béring) أو قريب منه قبل ثني عشرة ألف سنة (12.000) (انظر: الكرباسي، الإسلام في الأرجنتين، بيت العلم للنابهين، ط 1، 1431هـ، بيروت ، ص42) (وقيل خمسة عشر ألف 15.000 سنة)، وهذا يدل على أشياء؛ منها أن هؤلاء السكان الأصليين يمكن أن يحملوا معني هذا الاسم، أي أنهم سكان أصليون لتلك البلاد وهذا باعتبار قِدَم وفودهم إلى أمريكا -وهذه الأولية نسبية وليست مطلقة كونه من المحتمل أن يكون هنالك أناس قبلهم في أمريكا، مع كون العلم الحديث في علمي إلى حد الساعة لا يؤكد هذا الاحتمال-، وأهم من ذلك أنهم كما يظهر ليس لهؤلاء القدماء من الأمريكيين الأصليين علاقة ارتباط بآدم عليه السلام لأنهم أقدم منه، حيث مرّ معنا أن تكلمنا على تاريخ وجوده في الأرض، والذي يتراوح ما بين السبع آلاف إلى الثمن آلاف سنة، وهذا التاريخ متأخرٌ مقارنا بآباء الهنود الحمر الأولين، ويمكن بعدها في ظل هذه المعطيات العلمية أن نقول أن السكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر) ليسوا من آدم عليه السلام وذريته.

احتمال وجود بشر قبله، بدليل أنّ ابن آدم قابيل بعدما قتل أخاه، ذهب وتزوج من ناحية أخرى في أرضٍ غير أرض قومه.

- هذه الإشارة السابقة في التوراة استدل بها بعض الباحثين الغربيين المعاصرين على وجود بشر قبل آدم عليه السلام.

- إن دين المجوسية "الزرادشتية" ودين الصابئة أصلهما دينان سماويان ويلحقون بأهل كتاب، أما الهندوسية هي دين يغلب عليه الوثنية، لكن يحتوي هذا الدين على بقايا شعائر سماوية وبقايا تعاليم أنبياء، وأهم هذه الشرائع هي أصلية الإيمان بإله واحد أعلى (الله) في هذا الدين كما أكّد ذالك علماء درسوه، وهذا ما يدع إلى الالتفات والتفكُّر فيما تذكره هذه الأديان في قِصَّة بداية الإنسان، لا سيما المجوسية والصابئة الدينين الكتابيين اللذين يؤمنان بوجود آدم عليه السلام، فإن الأخبار الواردة في هاذين الدينين تُنزَّل منزلة أخبار أهل الكتاب من الإسرائيليات، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ نُحَدِّث عن بَنِي إِسرَائِيْل ولا حرج.

- إنّ الأديان (الزرادشتية "المجوسية"، والصابئة، والهندوسية) تُشير لوجود بشر قبل آدم عليه السلام.

- عقيدة النصرانية الثالوثية المُحَرَّفَة قد تتناقض مع وجود بشر قبل آدم عليه السلام، لأنها تؤمن بعقيدة "الخلاص" وتوارث خطيئة آدم عليه السلام لكل البشر، فينبغي بزعمهم أن يأتي ابن الله الوحيد (المُّخَلِص) كي يموت مصلوبا على الصليب لِيُخَلِّصَ ذُنُوب كل البشر، فلا ينبغي بناء على هذه العقيدة أن يكون بشر قبل آدم عليه السلام.

الفصل الثالث:

هل يُثْبِتُ العِلْمُ

وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: حِسَاب زمن آدم عليه السلام عِلْمِيًّا بقياس زمان الطوفان:

المطلب الثاني: أجناس بشرية عاشت قبل آدم عليه السلام بمئات الآلاف وملايين السنين:

المطلب الثالث: الدين والنظرية التطوُّرِيّة:

المطلب الرابع: نتيجة حول الفصل الثالث: هل يُثبت العِلْم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

الفصل الثالث: هل يُثْبِتُ العِلْمُ وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

مقدمة:

إنّ ما توصل إليه العلم الحديث (علم الإنسان وعلم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الجينات ...) من بعض الاكتشافات التاريخية في تفاصيل أصول وتاريخ البشر والتي لا تناقض القرآن الكريم ولا السنة النبوية، يمكن الاستفادة منها، سواء في زيادة تدبُّر الكتاب والسنة في قضية خلق البشر، أو الاستفادة بفهم أمور لا تناقضهما، ولا شك أن الوحي هو الفصل في كل مسألة وهو الذي يُرَدُّ إليه كل شيء، لكن ينبغي فهم الوحي على مُراد الله تعالى وعلى مراد رسوله صلى الله عليه وسلم، كي نحسن ولا نخطئ التقدير، فليس صحيحا أن يُحْصَر تفسيرهما على نظرة ضيّقة في زمن مُعيّن قديم، مثلما كان يُتَصوّر فيه أنّ آدم عليه السلام هو أول كل الناس على وجه كل الأرض – لا سيما تَصَوُّر الإسرائيليات الذي أشرنا إليه آنفا، بل قد رأينا بعض ما يوجد في كل من الكتاب والسنة من الإشارات التي تعارض ذلك – وإذا علمنا هذه الحقائق؛ فإنه لا حرج بعدها أن يزداد الإنسان بحثا في هذا العلم الحديث المثبت الصحيح، لا سيما وأنه قد يُعِين بإذن الله على حسن تَدّبر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم و التَّفكُّر فيهما، ويفتح المجال لاستخلاص مزيد فوائد منهُما، قال الله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد 24)، أو حتى يُثْبِتَ إعجازهما العلمي في هذا الموضوع، ليَتَبَيَّن بالمقابل الخلل الموجود في الإسرائيليات.

فقصة آدم عليه السلام التي ذكرها الله في كتابه لا تزال تُخفِي لنا الكثير، وعسى أيضا أن يُساعد هذا العلم الحديث بإذن الله إذا خَضَع لتدبر القرآن والسنة على معرفة شيء من تفاصيل: كتوزع البشر في زمن ومكان آدم عليه السلام وبعده، وكيفية خلق آدم وزوجه عليهما السلام؟، وكيفية سُكنهما في الجنة ونزولهما منها؟، وأين توجد تلك الجنة

التي ليست جنّة الخلد؟، وهل لا تزال موجودة إلى حـد السـاعة ؟، وأين عاش ومع من التقى عليه السلام لمّا نزل؟، وكيف خلقت حواء؟، وكيف التقى معها؟، وكيف كان حال الأرض ومن سكن فيها حين نزولهم من الجنة؟، ومع أي قوم –عرق– زَوّج أبنائه عليه السلام؟ –وعلى الصحيح كما رأينا أبناء آدم عليه السلام لم يتزوجوا مع أخواتهم–، ومن هم نسله المباشرين ثم المختلطين؟، والبحث في كيفية بداية أمّة آدم عليه السلام العظيمة، وكيفية انتشارها من بعده في الأرض، ومعرفة أصلنا، بل رُبَّما يُساعد هذا العلم على حسن تدبُّر الوحي؛ فتُكْشف أسرار شيء من أصول البشر الآخرين الذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الأرض وكيفية خلقهم، فإن القرآن مليء بالإعجاز، ويُكتشف أسراره كلما مرّ الزمن، سواء كان هذا في كشف مزيد من الخبايا في قصة آدم القرآنية العظيمة أو أصول خلق باقي الناس الذين كانوا قبله وليسوا منه.

المطلب الأول: حِسَاب زمن آدم عليه السلام عِلْمِيّا بقياس زمان الطوفان:

سوف نعيد إن شاء الله في هذا المقام حِسَاب زمان آدم عليه السلام من طريق آخر، وهذا كي يزداد تأكيد الزمن الذي حَسِبْنَاه سابقا –وربما يزداد التقدير دقة–، ويزداد اطْمئنان من بقي مُرتابا فيه. ولا بُدّ أن أشير أنه في هذا المقام أيضا نعتمد أولا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يثبت يقيناً أن بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، وإنما سنسوق إن شاء الله الدليل العلمي لنتأكد من باقي الفترة بين نوح عليه السلام وزمننا، ولقد استعملنا سابقا لحِساب باقي تلك الفترة – أي بين نوح عليه السلام وزماننا – آثارا لبعض الصحابة والتابعين والعلماء وحسبنا أيضا الزمن بين آدم ومحمد صلى الله عليهما والسلم من طريق آخر وهو سلسلة النسب بينهما، والدليل العلمي هنا يعتمد على تقدير زمن طوفان نوح عليه السلام عن طريق بحوث علمية مختصة، ووسائل وآلات

حديثة، وبذلك يمكننا حساب زمن آدم عليه السلام من طريق آخر، ويمكن بعدها النظر إن كان هذ الطريق يتفق مع الطريقين الآخرين أم لا.

أ. هل الطوفان شمل كل الكرة الأرضية أم كان في ناحية معينة ؟ :

قبل أن نسرد البحث العلمي إن شاء الله تعالى؛ سوف نبدأ بإذن الله بالقرآن الكريم الذي هو الفصل في كل شيء لمعرفة أمر مهم؛ وهو أنّ طوفان نوح عليه السلام على الصحيح لم يكن طوفان عالميا أُغْرِقَت فيه كل الكرة الأرضية وإنما كان في ناحية معينة من الأرض، للأدلة التالية:

- لا يوجد آية فيها دليلٌ يثبت أن كل الكرة الأرضية أغرقتها المياه في هذا الطوفان، قال الله تعالى: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) (الصافات 82)، يقول المفسر ابن عطية الأندلسي (481 - 542 هـ) في تفسيره المحرر الوجيز لهذه الآية: " ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ يقتضي أنّه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبيه، وليس في ذلك نص على أنّ الغرق عمّ جميع أهل الأرض ".[1]

- قول الله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) (هود 44) ليس فيه إشكال، لأن لفظ الأرض في القرآن الكريم لا يُطلقُ حصرا على كل الكرة الأرضية وإنما قد يُقصد منه جزء منها -مثل ما أثبتنا ذلك آنفا-، مثل قول الله تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (الروم 2-3)، قيل أدنى الأرض: أقرب أرض الشام إلى فارس،[2] وقيل أدنى أرض الروم إلى أرض العرب (أدنى معناه أقرب)، يقول ابن عاشور: " وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى الرُّومِ فِي أَطْرَافِ بِلاَد الشَّام المُحَادَّةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ بَيْنَ بُصْرَى وَأَذْرُعَاتَ. وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَة فِي أَدْنَى الْأَرْضِ أَي أدنى بِلاَد الرّوم إِلَى بِلاَد الْعَرَب. فالتعريف فِي الْأَرْضِ لِلْعَهْدِ، أَيْ أَرْضِ الرُّومِ الْمُتَحَدَّثِ

[1] - أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، التحرير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط الأولى، بيروت، 1422ه، 4/477.

[2]- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/14.

عَنْهُمْ، أَوِ اللاَّمُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ فِي أَدْنَى أَرْضِهِمْ، أَوْ أَدْنَى أَرْضِ اللَّهِ "،[1] [2] فكل من القولين هنا يتفقان أنها ليست كل الكرة الأرضية. بل قد يُطلق لفظ الأرض في القرآن الكريم ليس على غير الكرة الأرضية فحسب، وإنما على غير أرض الدنيا، مثل قول الله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر74)، حيث الأرض المذكورة في الآية هذه هي أرض الجنة،[3] يقول المفسّر ابن عاشور في تفسيره: " ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْأَرْضَ مُسْتَعَارًا لِلْجَنَّةِ لِأَنَّهَا قَرَارُهُمْ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ قَرَارُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى." [4]وعلى هذا فإن قول الله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ)، يُقصد به جزء من الكرة الأرضية.

– قال الله تعالى: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (هود 48)، ففي ظاهر قوله سبحانه (وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) أنّ هنالك أُمَمًا أخرى ليسوا مِمَن مع نوح لم يشملهم الغرق، والله أعلم، لذلك نجد من تَنَبّه من أهل التفسير لهذا الأمر –أي أنه لا يوجد نص يدلّ أنّ الغرق أهلك جميع أهل الأرض–، مثل المُفَسر ابن عطية الأندلسي الذي هو من قُدَماء المفسرين حيث يقول في تفسير الآية الأخيرة من قول الله تعالى: (سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)) (الصافات 79–82) : " ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبيه، وليس في ذلك نص على أن الغرق عمّ جميع أهل الأرض ".[5] –وهذا

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/12.

[2]– وقيل أقرب الأرض قياسا إلى مكة وقيل هي أرض الشام وقيل غير ذلك، (انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/14). وكل الأقوال تتفق أنها ليست الأرض المذكورة في الآية كل الكرة الأرضية.

[3]– انظر: الطبري، جامع البيان، 342/21.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 73/24.

[5] – ابن عطية الأندلسي، التحرير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 477/4.

كلام عالم تفسير من القرن السادس الهجري لم يطّلع على البحوث الحديثة في كيفية زمن ومكان الطوفان-. لذلك فالذي يظهر أنه في ذلك إشارة أنّ هنالك أُمَم كانت تعيش في أراضٍ أخرى لم يرسل إليهم نوح عليه السلام، لأنّ النبي يُبعَث إلى قومه خاصّة، بدليل حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)،[1] وهذا فيه دليل أنه لم يكن قوم نوح عليه السلام وحدهم في كل الأرض لأنه يلزم من ذلك معارضة هذا الحديث بأنه يجب أن يُرسل إلى كل الناس في ذلك الزمان وهذا خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الدليل لا يقتصر على الاستدلال أن طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل العالم، وإنما قد يطرح جزء من الإشكال الذي نعالجه في هذا البحث؛ هل كل هذه الأمم التي لم تكن مع نوح عليه السلام كلها من ذرية آدم عليه السلام ؟ أم كان هنالك أمم أخرى بعيدة عن الشرق الأوسط كأستراليا وإفريقيا السوداء والأمريكتين ؟ لا سيما وأنّ الفارق الزمني بين كل من آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام هو عشر قرون كما رأينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح في ذلك، وهذا الفارق قصير مقارنة بِسُلَّم التاريخ، فكيف تكفي هذه المُدّة فقط لإعمار كل وجه الكرة الأرضية بالأمم البشرية من زوجين وحيدين؟ -أي عشرة قرون مدة قصيرة نسبيا مقارنة مع معيار الانتشار الإنساني-. (لذلك فإن الصحيح في هذا الأمر أنّه كان هنالك في الأرض أمم أخرى من غير ذرية آدم عليه السلام منتشرة خارج الشرق الأوسط، وكذلك كان هنالك أقوام أخرى من غير قوم نوح عليه السلام في زمانه وقبل زمانه، لا سيما في قارات كأمريكا وأستراليا وإفريقيا كما رأينا، وسنرى مزيد من الأدلة العلمية والأمثلة على ذلك تدريجيا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، مع كونه قد سبق لنا من الأدلة ما يكفي على استنتاج هذا الأمر).

- قد يلزم من القول أن الطوفان عمّ جميع الكرة الأرضية لوازم لا تنبغي في حق الله تعالى وعدله، مثل إهلاك أقوامٍ لم تبلغهم دعوة نوح صلى الله عليه وسلم، كالصين

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه 335- 438 - 3122، ومسلم في صحيحه 521.

والأمريكتين وأستراليا وإفريقيا السوداء وأروبا، وغيرها من الجزر المعزولة والأماكن البعيدة، قال الله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء15).

– وجود نقول تاريخية قديمة لأمم مجاورة أو بعيدة من وسط الشرق الأوسط تنفي حودث الطوفان عندها، ما يتوافق مع الرأي الذي يثبت أنه وقع في ناحية معينة، وفي ذلك نقل المُفَسِّر ابن عاشور أن مؤرخي الصين أنكروا وقوع الطوفان، وقالوا أنّه لم يشمل أرضهم،[1] وكذلك إن من أهل الهند وطائفة من الفرس أنكرت وقوع الطوفان، وأثبته آخرون منهم لكن قالوا أنّه كان بأرض بعيدة، في حين نجد أن حضارة بابل السومرية القديمة أثبتته في أساطيرها كونه كان فيها أو قريب منها –في ألواح التي تروي ملحمة جالجاميش الشهيرة–، وقد نقل هذا القول عن المجوس بعدم إثباتهم للطوفان في بلادهم كل من ابن كثير وابن الأثير –والأول نقل إنكاره من أهل الهند كذلك–،[2] جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير عن المجوس: "وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُقِرُّ بِالطُّوفَانِ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ فِي إِقْلِيمِ بَابِلَ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ، وَأَنَّ مَسَاكِنَ وَلَدِ جُيُومَرْثَ –أي كيومرث–[3] كَانَتْ بِالْمَشْرِقِ فَلَمْ يَصِلْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ،..."[4]، وهذا النقل يزيدنا فائدة إلى جانب إثباته أن الطوفان لم يشمل كل العالم وهي تحديده للمكان التقريبي الذي فاض فيه؛ وهو شرق

[1]– انظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 230/3.

[2]– انظر:(ابن كثير، البداية والنهاية، 275/1)، وإن كان ابن كثير وابن الأثير يخالفان في الرأي –أي بقولهما بعوم الطوفان–، وهما بحول الله مأجوران على اجتهادهما، لـِمَا بلغهما من أخبار واجتهاد في زمانهما، والمسلمون لم يكتشفوا في زمانهما كثيرا من الأراضي كأمريكا وأستراليا والصين وإفريقيا السوداء فهل كل أمم هاته الأراضي أهلكهم الله مع قوم نوح الذين كانوا في ناحية معية من الشرق الأوسط ؟ هذا ما ينكره النقل قبل العقل.

[3]– وهو أب الفرس كما تحدثنا عليه سابقا.

[4]– أبو الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، 1417هـ–1997م، 67/1.

فارس أي في إقليم بابل وما قَرُبَ مِنه، وهذا ما يقترب في الجملة مع الدليل العلمي الذي سوف نسوقه بعد قليل لحساب زمنه التقريبي، إن شاء الله تعالى.

وكل هذه الأدلة التي سُقْناها تَدُلُّ أنّ طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل العالم، وإنما شمل ناحية من الشرق الأوسط، وهذا ما قد يتَّفِق عُومًا مع العلم الحديث، على الوجه التالي بإذن الله تعالى:

ب. تقدير زمن الطوفان علميا:

مِنْ أهم البحوث العلمية التي فكّت لُغز الطوفان العظيم، هو البحث الذي أجري سنة ألفين واثنا عشر 2012 م والذي قاده "روبر بالار، Robert Ballard"، من أشهر علماء الآثار البحريين حيث تُنسب لهذا الرجل اكتشافات مُهِمَّة وهي أنقاظ الباخرة الشهيرة "تيتانيك، TiTanic"، وإعادة اكتشاف البارجة الألمانية الضخمة "بسمارك، Bismarck" التي أغرقت في الحرب العالمية الثانية تحت البحر، وسُخِّرت لهذا البحث الذي تناول الطوفان سفينة تملك أجهزة وغواصة متطورة، وفريق من المختصين، وكان وجهتهم البحر الميّت، وهذه الوِجْهَة لم تَكُن صُدفةً، وإنما كانت اعتمادا على بحث سابق من "جامعة كولومبيا، l'Université de Columbia"، قام به العالمان الجيولوجيان "وليام رايان ووالتر بيتمان، William Ryan et Walter Pitman"، حيث أثبت هذا البحث الأخير الذي طرح سنة 1990 م؛ وجود آثار لغرقى وفخار قديم وبقايا أناس ماتوا غرقا بطوفان عظيم داخل البحر الميت، منذ حوالي سبع آلاف سنة، حيث كان جزء كبير من هذا البحر آنذاك أرض يابسة غير مغطاة بالماء، فكان عبارة عن بحيرة من الماء العذب منخفضة بمئات الأمتار عن البحر المتوسط الذي يفصل بينهما مضيق البُسفور وأرض واسعة، وعندما حدث الطوفان غمرت مياه المتوسط المالحة فجأة تلك الناحية وأجزاء شاسعة من الأرض كاسرة الحاجز، وحافرة واد بعمق عظيم، ليتدفق الماء في البحيرة العذبة محولا إياها إلى بحر مالح، ومشكلا ما نعرفه الآن باسم البحر الميت، وكان هذا التدفق بقوة ماءتا مرة 200 شلالات نياغارا الشهيرة، حيث قُدِّر أنّه حوالي مائة وخمسين ألف 150000 كيلومتر

مربع من الأراضي غرقت آنذاك، وهذه النَّظَرِية تشير أن هذا الطوفان هو طوفان نوح عليه الصلاة والسلام وهي في العموم النظرية التي أراد الباحث "روبر بالار" تأكيدها، ولهذا أجرى بحوثه المُعمّقة في البحر الميت لكن هذه المرة باستعمال وسائل أكثر تطورا.[1]

يقول "بالار": " لقد ذهبنا إلى ذلك المكان للبحث على الطوفان...ليس فقط ارتفاع تدريجي لمياه البحر، وإنما فيضان كبير بقا".على عمق أربع مائة متر 400 م تحت سطح الماء عثروا على ساحل قديم، وقد اعْتُبر هذا الاكتشاف دليلا على شيء كارثي حدث في البحر الميّت، وبعد حساب بالكاربون؛ استطاعوا أن يُقدّروا زمن حدوث تلك الكارثة بحوالي خمس آلاف سنة قبل الميلاد 5000 ق.م. وبحسب بعض المختصين – الغربيين– فإنه الزمن التقريبي الذي حدث فيه طوفان نوح عليه الصلاة والسلام، يقول "بالار": "ربما كان يوما سيئا ... حين اجتاح الفيضان وغمر هذا المكان بقوة –أي البحر

---

[1]– هاذين البحثين نقلهما أكثر من موقع في النت، حيث حاولت الإحالة إلى المواقع التي رأيتها أكثر موثوقية وملاءمة، مثل القناة الأمريكية الشهيرة abc، والتي أجرت مقابة تلفزيونية مع الجيولوجي "روبر بالار"، وغيرها من الموقع انظر:

https://abcnews.go.com/Technology/evidence-suggests-biblical-great-flood-noahs-time-happened/story?id=17884533

https://abcnews.go.com/2020/video/noahs-biblical-flood-evidence-suggests-happened-18041950?fbclid=IwAR3V3Y5AbqLA8TB5IA51H87omubgbdZgqsWOGNj1hiMcQQpwZ_xvIbFF5_U

https://www.ancient-origins.net/human-origins-science/great-flood-scientific-evidence-00263

https://www.smithsonianmag.com/science-nature/evidence-for-a-flood-102813115/

الميت- ومعه كثير من المنازل، مائة وخمسن ألف 150000 كلم مربع من الأرض دُمِّرَت." وهذه النظرية تفرض أنّ هذه القِصّة التي طبعت الناجين، تناقلها الناس من بعدهم جيلا بعد جيل. وقد وصل أثر هذه الواقعة العظيمة إلى بلاد الرافدين المجاورة، لذلك نجد شيء من بقايا هذه القِّصة في ملحمة جالجميش السومرية الشهيرة – وإن كانت مُحَرَّفة عن قصة نوح عليه السلام الأصلية -. وقد قال "بالار" عن عملهم تحت البحر: "لقد بدأنا في اكتشاف بِنَايات تشبه البِنَايَات التي يبنيها الإنسان..."، واكتشفوا أيضا آنية فخارية قديمة.[1]

ولدينا بعض الشواهد في التراث الإسلامي تتوافق عموما في شيء من نتائج هذه البحوث العلمية، وهي الجهة التي وقع فيها الطوفان على وجه التحديد، إذ يمكن الاستئناس بما ورد في موضع جبل الجودي الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود44)، ينقل الطبري في تفسيره: " (واستوت على الجوديّ) ، يعني الفلك ، " استوت " : أرست ، " على الجودي " ، وهو جبل ، فيما ذكر بناحية المَوْصِل أو الجزيرة... حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول: (واستوت على الجودي) ، هو جبل بالموصل. "[2] ويقول ابن عاشور في تفسيره ناقلا عن قتادة أن صدر هذه الأمة قد أدرك أثر السفينة بالموصل وأن الله قد

---

[1]- انظر:

https://abcnews.go.com/Technology/evidence-suggests-biblical-great-flood-noahs-time-happened/story?id=17884533

https://abcnews.go.com/2020/video/noahs-biblical-flood-evidence-suggests-happened-18041950?fbclid=IwAR3V3Y5AbqLA8TB5IA51H87omubgbdZgqsWOGNj1hiMcQQpwZ_xvIbFF5_U

[2] – الطبري، جامع البيان، 338/15.

تركها آية، إذ يقول الطاهر ابن عاشور: " وَاسْتَفَاضَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْجُودِيَّ جُبَيْلٌ قُرْبَ قَرْيَةٍ تُسَمَّى (بَاقِرْدَى) بِكَسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَدَالٍ مَفْتُوحَةٍ مَقْصُورًا مِنْ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ قُرْبَ الْمَوْصِلِ شَرْقِيَّ دِجْلَةَ. وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) قَالَ قَتَادَةُ: (لَقَدْ شَهِدَهَا صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ) قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ). "[1]ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: " بليدة عند جبل الجوديّ قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، كان أول من نزله نوح، عليه السلام، لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنسانا، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسُمي الموضع بهم، ثم أصابهم وباء فمات الثمانون غير نوح، عليه السلام، وولده ... ".[2] والمَوْصِل هي في شمال العِرَاق وتُشْرف على الحدود التركية الجنوبية، وجبل الجودي حاليا يقع في جنوب شرق تُركيا بالقرب من الحُدود مع المَوْصِل، أي مقاربا لوصف قُدَماء علماء الإسلام، لأن الحدود الإدارية الحالية ودولة تركيا لم تكن آنذاك موجودة، فوصف المكان أنّه ناحية من الموصل صحيح، وفي هذا الجبل لا تزال آثار سفينة ضخمة يُشاهد آثارها على ظهره، حيث أُعيد اكشاف وتقييم أثرها في العصور الحديثة –حتى صُنّف موقعها من قِبَل الحكومة التركية كموقع أثري–، وقد قام بدراستها في الأزمنة المعاصرة علماء أجانب، من أهمهم فريق أمريكي كان بعضهم يبحث في إثبات أنها آثار سفينة نوح عليه السلام، ولا يزال إلى جانبها بقايا حِجَارة ضخمة (مراسي) تستعملها السفن في الرُسُو.[3] وقد أوردنا هذا للدلالة أنّ هذه الدراسات العلمية السابقة التي تثبت أنّ الطوفان كان في تركيا، تتوافق في العموم مع ما

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 186/27.

[2]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1995م، 84/2.

[3]– انظر:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?selected_article_no=1815

وهذا شريط يظهر البحث الذي قام به الفريق الأمريكي:

https://www.youtube.com/watch?v=GAR_ujRy3kk

ورد في القرآن الكريم في ذكره سبحانه لاستواء السفينة على جبل الجودي، والذي موقعه شمال الموصل -أي جنوب تركيا- كما جاء في التراث الإسلامي وآثار التابعين.

وبعد هذا يمكن أن نخرج بنتيجة، في توافق بحثين مختلفين سواء كان البحث الأول الذي أجراه الباحثان "وليام رايان ووالتر بيتمان" في جامعة كلومبيا، أو بحث "بالار" وفريقه الذي أجري بعدهما بأكثر من عشرين سنة بوسائل أحدث؛ على إثبات وقوع الطوفان في ناحية تركيا الحالية، أي البحر الميت وما جاوره، وكل ذلك استنادا على أدلة عِلمية، وهذه النتائج في الجملة لا تتعارض مع القرآن الكريم، فقد بينّا سابقا أنّه على الصحيح الطوفان في القرآن قد أغرق جزءا من الكرة الأرضية وليس كلها، بل كان فيه نوع من التوافق في جهة الطوفان مع أقوال بعض السلف وعلماء الإسلام في أن مكان رُسُو السفينة في جبل الجُودِي المذكور في القرآن يقع جنوب شرق تركيا، أي غير بعيد عن ما أثبتته الأبحاث السابقة في مكان الطوفان، وأما الذي يهُمُّنا من هذه البحوث العلمية؛ هو توافق كل من البحثين السابقين في تحديد الزمن التقريبي لهذا الطوفان؛ وهو قرابة السبعة آلاف سنة 7000، وعلى هذا سنبني إن شاء الله حسابنا لزمن آدم عليه السلام.

ت. تقدير زمن آدم عليه الصلاة والسلام عِلْمِيًا بناء على زمن الطوفان:

الآن وبعدما حصلنا على الزمن التقريبي لطوفان نوح عليه السلام علميا، فإنه يبقى لنا فقط أن نضيف هذه المدة إلى الفترة التي بين آدم ونوح عليهما السلام، والتي جزم فيها النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم بأنها عشرة قرون، وأُذكِّر بقوله صلى الله عليه وسلم: (كان بين آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ، وبين نوحٍ وإبراهيم عشرةُ قرونٍ).[1] وهذا

---

[1] - أخرجه الحاكم (262/2) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (8/145-139)، وصَحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم 3289، 852/7.

وروى الطبراني أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال:"نعم، مُعلَّمٌ مُكلَّمٌ " . قال: كم بينه وبين نوح ؟ قال:" عشرة قرون ".قال: كم كان بين نوح

فيه تأكد من طريق آخر غير طريق السلف وما نقله علماء الإسلام فيما مرّ معنا سابقا في تقديرهم لما بعد زمن نوح عليه السلام.

الزمن بين آدم ونوح عليهما السلام من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: عشرة قرون.

الزمن التقريبي بيننا وبين طوفان نوح عليه السلام: سبعة آلاف سنة.

زمن آدم عليه السلام هنا هو المجموع: حوالي ثمانية آلاف سنة 8000.

وإذا قارناً هذا الزمن لآدم عليه السلام حوالي ثمانية آلاف سنة 8000 الذي تحصلنا عليه من هذا الطريق العلمي، وقارناه مع الزمن الذي حسبناه سابقا من طريق السلف وما نقله علماء الإسلام ومُؤَرِّخُوهم وطريق نسب النبي صلى الله عليه وسلم، والذي هو على أقصى تقدير سبعة آلاف سنة 7000، نجد أن هذين التقديرين متقاربان، بل فيهما نوع من الاتفاق والتَّقَوِّي بأن زمن وجود آدم عليه السلام يدور بين هاتين المدتين أي حوالي الألفية الثامنة قبل الميلاد، والألف سنة التي بينهما [1] لا تهمُّنا بقدر ما يهُمُّنَا الزمن الإجمالي، والذي هو أقل من عشرة آلاف سنة، وهذا بالرغم من أخذ أعلى التقديرين أي ثمانية آلاف سنة، فإنّ هذا الزمن لا يقارن مع عمر الإنسان في الأرض الذي يُقَدَّر بمئات الآلاف من السنين بل يفوق المليون سنة بكثير، كما سيأتي أمثلة عن ذلك

وإبراهيم ؟ قال:" عشرة قرون ". قالوا: يا رسول الله ! كم كانت الرسل ؟ قال: "ثلاث مئة وخمسة عشر، جمّاً غفيراً".) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (1/24/2/398 ترقيم الألباني)، قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم "، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي:"رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح؛ غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة". وكذلك صححه الألباني في سلسلة الصحيحة، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 852/7.

[1]- لا ننسى أنّ آدم عليه السلام قد عاش ألف سنة إلا ستين، أضف إلى ذلك نسبة الارتياب والخطأ الموجودة في البحوث العلمية، لأنها نسبة تقريبية، وهذا ما يجعلنا نَتَفهَّم هذا الارتياب الزمني، وهذا لا يضُرّ.

لاحِقاً إن شاء الله تعالى، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على وجود بشر قبل آدم عليه السلام.

بل يمكن تأكيد نتيجة مما سبق وهي أنّ زمن وموقع الطوفان لوحده قد يكفي لمعرفة أنّه كان في زمن نوح عليه السلام أُمُمٌ أخرى بعيدة ومنفصلة عن قومه، حيث إنّه عليه السلام لم يُرْسَل إليهم، وأنّ كثيرا من تِلْكُم الأمم لا ينحدرون بالضَّرُورة من أبيه آدم عليه السلام، لا سيما التي سكنت في مناطق بعيدة، ولقد مرّ معنا المنحنى الافتراضي لتِعْداد الناس على وجه الأرض في تِلْكَ الأزمنة، وكل هذا لا يتناقض مع القرآن الكريم، كما رأينا من الأدلة والقرائن.

المطلب الثاني: أجناس بشرية عاشت قبل آدم عليه السلام بمئات الآلاف وملايين السنين:

مقدمة في كَيْفِيّة حِسَاب أزمنة العظام البشرية التي تُعَد بمئات وملايين السنين وتَأْرِيخِها علمِيًّا:

أمّا عن كيفية حِسَاب الأزمنة البعيدة للعظام البشرية التي تُعَدُّ بمئات وملايين السنين، والتي عاش في بعضها الإنسان القديم؛ فهي تعتمد على تقنيات تَأْريخ حديثة، بقياس إشعاع أيونات محددة وتصوير شعاعي دقيق مختلف عن الكاربون أربعة عشر (c14) المشهور لأنه لايصلح لحساب هذه الأزمنة البعيدة، وإنما يُسْتَعمل الكربون أربعة عشر في حِسَاب تأريخ العظام وبعض الأثار التي لا يتجاوز عمرها عشرات الآلاف من السنين (حوالي أربعين ألف سنة)، أماّ في تأريخ الأزمنة الأبعد التي تُعدّ بمئات الآلاف من السنين فأكثر؛ فإنه يُستعمل في ذلك قياس إشعاع أيونات مثل: البريليوم المُشع Béryllium 10، والألومينيوم المُشع Aluminium-26، والبُوتاسيوم أرغون Potassium-Argon، والرنين المغناطيسي الإلكتروني (ElecTron paramagneTic resonance) -يبلغ مداه إلى خمسة ملايين 5 ملايين في تأريخ

العظام- وغيرها من المواد والطرق التي قد يؤرخ بها أزمنة بمئات وبملايين السنين، ويختلف استعماله هذه الطُرُق بحسب الحالة المُقاسة باستعمال تقنيات وآلات حديثة.[1] وهذه الوسائل معمول بها في العلم الحديث، ويستعملها علماء الأنثروبولوجا والآثار.

1) إنسان الهوموسابين (الحديث) (homo sapiens) (عاش قبل ثلاث مائة ألف سنة 300.000 إلى الآن):

هو جنس الإنسان الحالي، ويُصنَّف على أنّه الصنف البشري الوحيد الذي لايزال يعيش على وجه الكرة الأرضية، بينما الأصناف الأخرى "كالنيادرتال وغيره" انقرضت، ويمتاز هذا الإنسان بِسِعَة دِماغية كبيرة، وهو الذي تُنسب إليه الحضارات الكبيرة المتأخرة التي اشْتُهِرَت في التاريخ (بعد العشرة آلاف سنة الأخيرة)، وقد كان يُظَن أن هذا الصنف يرجع إلى حوالي مائتي ألف سنة 200.000 لكن هذا الرقم لم يكن دقيقا، فقد تم اكتشاف هياكل بشرية حديثا سنة 2017م في المغرب، تعودع إلى حوالي ثلاث مائة ألف سنة 300.000 وهذا ما أدّى إلى إعدة النظر في تاريخ ظهوره إلى فترة أقدم من ذلك بكثير. لتظهر بسبب هذا الاكتشاف فرضية ودراسات حديثة تفترض أصل ظهوره إلى مابين أربع مائة ألف سنة 400.000 إلى خمس مائة ألف سنة 500.000 –لأنّ ظهور

---

[1] – ولمزيد من المعلومات في كيفية التأريخ الزمني انظر:

http://www.archeologiesenchantier.ens.fr/spip.php?article9

http://acces.ens-lyon.fr/acces/thematiques/paleo/variations/paleoclimats/syntheses/datation-des-echantillons/les-techniques-de-datation-1

https://www.nature.com/articles/nature07741

وهنالك تقنيات أخرى تتمثل في حِسَاب عُمْر الطبقات الجيولوجية التي يُعثر فيها على عظام أو أدوات بشرية، فكُلّما كان العُمْق أكبر كُلَما كان العُمر أقدم.

الأصل يكون أقدم من الهياكل المكتشفة، وقد تظهر هياكل أقدم من التي تمَّ اكتشافها-.[1]

وهذا هو الصنف من البشر الذي عاش مع آدم عليه السلام حينما نزل من الجنة إلى الأرض حولي سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف من الآن، وناسبته ذريته عليه السلام فيما بعد واختلطت مع عدد منهم، ويظهر أنّ الهوموسابين شبيه كثيرا بآدم عليه السلام في العموم، إلاّ أنّه قد يظهر بعض الاختلافات بينهما، أهمها فيما يظهر طول عُمْر آدم عليه السلام وبَنِيْه المباشرين مقارنة بباقي البشر، حيث جاء الحديث الصحيح في إثبات أن عمر آدم ألف سنة إلا ستين عاما،[2]وقد جاءت الآية الصريحة في نوح عليه السلام والذي هو حفيد قريب من آدم عليه السلام أنّه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما (وقد اختلف أهل التفسير في زمن عيشه عليه السلام، فقالت طائفة أن هذا العمر هو زمن لبثه مع قومه فقط وإنما هو قد عَمّرَ أكثر من ذلك وهذا هو ظاهر الآية والله

---

[1]- انظر: ناسا بالعربي (nasa)، الإنسان العاقل أسبق ب 100.000، (pdF)، وانظر: https://www.universalis.fr/encyclopedie/homo-sapiens/

[2]- جاء في جزء من الحديث الطويل: (... فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكِ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ.) أخرجه الترمذي (3368) والنسائي في "اليوم والليلة" (218) وابن خزيمة في "التوحيد" (1/ 160) وابن حبان (6167) وأبو الشيخ في "العظمة" (1035) والحاكم (1/ 64 و 4/ 263) والبيهقي (10/ 147) وفي "الأسماء" (ص 410 - 411)، وابن أبي عاصم في "السنة" (206) وابن منده في "التوحيد" (452 و 508)، وابن منده في "التوحيد" (570) وإسماعيل الأصبهاني في "الحجة" (194)، قال الترمذي: حسن غريب" وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم" وقال ابن منده: هذا حديث صحيح"، والحديث إسناده حسن كما أكدّ محقّق فتح الباري الشيخ نبيل البصارة. انظر: (أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، 2/1589-1591).

أعلم).[1] ونُذَّكر هنا إن شاء الله ما نُقل في نسب نوح عليه السلام إلى جَدِّه آدم عليه السلام كي يزداد الأمر تأكيدا أنّ نوح عليه السلام هو من ذريته القريبة المباشرة، فقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية: " هُوَ نُوحُ بْنُ لَامَكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ بْنُ يَرْدَ بْنِ مَهْلَاَئِيلَ بْنِ قَيْنَنَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ" [2] فليس بين نوح آدم عليهما السلام آباء كثيرون.

وربما الأثر الذي رواه السيوطي في الدرر المنثور وابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الله بن عباس يزيد هذا الفرق وضوحا، أي يُؤكِّد الفرق بين سِن آدم عليه السلام وذريته المباشرة كنوح عليه السلام وبين غيرهم من الناس الذين كانوا يعيشون في ذلك الزمن من غير نسل آدم عليه السلام، يقول عبد الله بن عباس: " أنَّ نوحا بُعِث في الألف الثاني وأن آدم لم يمت حتى وُلِدَ لَهُ نوح في آخر الألف الأول وكان قد فشت فيهم المعاصي وكثرت الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا وكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية صبورا حليما ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه ويُضْرب في المجالس ويُطْرد وكان لا يدع على ما يصنع به أن يدعوهم ويقول : يا رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون فكان لا يزيدهم ذلك إلا فرارا منه حتى إنَّهُ ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه ويجعل أصابعه في أذنيه لكيلا يسمع شيئا من كلامه فذلك قول

---

[1] – ينقل ابن كثير بعض الأقوال في ذلك قائلا: " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةٍ، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ عَامًا، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا. وَقَالَ قَتَادَةُ: يُقَالُ إِنَّ عُمُرَهُ كُلَّهُ [كَانَ] أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، لَبِثَ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، وَدَعَاهُمْ ثَلَاثَمِائَةٍ وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. وَقَالَ عَوْنُ بْنُ أَبِي شَدَّادٍ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، فَدَعَاهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَهَذَا أَيْضًا غَرِيبٌ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَقْرَبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 268/6.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، 237/1.

الله {جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم} (نوح الآية 7) ثم قاموا من المجلس فأسرعوا المشي وقالوا : امضوا فإنه كذّاب ، واشتد عليه البلاء وكان ينتظر القرن بعد القرن والجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا وهو أخبث من الأول وأعتى من الأول ويقول الرجل منهم : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا فلم يزل هكذا مجنونا وكان الرجل منهم إذا أوصى عند الوفاة يقول لأولاده : احذروا هذا المجنون فإنه قد حدثني آبائي : إن هلاك الناس على يدي هذا ، فكانوا كذلك يتوارثون الوصية بينهم حتى أن كان الرجل ليحمل ولده على عاتقه ثم يقف به وعليه فيقول : يا بني إن عشت ومت أنا فاحذر هذا الشيخ فلما طال ذلك به وبهم {قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين} (هود الآية 32)." [1] فالظَّاهر على حسب هذا الأثر أنّ نوح عليه السلام كان يعيش أكثر من قومه، حيث أدرك آباءهم وأجدادهم، وكان قومه يموتون في حياته، ويَتَداول عليه الأجيال جيل بعد جيل، يُوصي السلف منهم الخلف بتكذيبه، وهذا يدُلُّ على طول عمره مقارنة بهم، وهذا دليلٌ على أنّ آدم عليه السلام وبنيه وأحفاده القريبين المباشرين كنوح عليه السلام كانوا أكثر تعميرا من باقي الناس، ودليلٌ كذلك على نوع من اختلاف بين آدم عليه السلام ونسله وبين البشر الذين كانوا موجودين عند نزوله.

إنّ نقصان العمر التدريجي من آدم عليه السلام إلى الأجيال الحديثة من أحفاده، والذي نُقل عن بعض السلف؛ فعن مجاهد أنّ عبد الله بن عمر قال له: " كَمْ لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. قَالَ: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا فِي نُقْصَانٍ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَأَحْلاَمِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا. " [2] فإني أرى أنّ هذا النُقصان في العمر التدريجي يَخُص نسل آدم عليه السلام ويبدأ بهِ ثُمَّ ذُرِيَّتِه الأوائِل إلى أن ينتهي النُقْصَان إلى العمر الحالي للبشر، إذ هم الذين كانوا يعيشون طويلا، وليس هذا النُقصان يشمل البشر

---

[1] – رواه السيوطي في الدرر المنثور، 6/437، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، 62/244.

[2]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/268.

الآخرين من غير آدم عليه السلام، سواء الذين قبله أو المعاصرين له، لأنهم كانوا يعيشون مثلنا أو أقل –بدليل الحُجَج السابقة–، أي أقل بكثير من آدم عليه السلام وأبنائه، وهذا مثبت علمياً، أي أنّ عمر قُدماء البشر كان قصيرا مقارنة مع آدم عليه السلام وبنيه، فهنالك دراسات حديثة تقول أنَّ قابلية تعمير البشر المحتملة (هوموسابين -الاسم العلمي-) حوالي اثنتين وتسعين سنة 92، وأمَّا النياندرتال (صنف من البشر عاش قبل مئات الآلاف من السنين) هي حوالي ثلاثة وتسعين سنة 93، وأمّا مُتوسط العُمُر للبشر (باحتساب نسبة وفيات الأطفال)؛ فمثلا في فرنسا القديمة بناحية "بيكاري (Picardie) ما بين ألفين وأربع مائة قبل الميلاد 2400 ق.م إلى ألف وثمان مائة قبل الميلاد 1800 ق.م كان متوسط عمر الوفاة حوالي اثنان وخمسون سنة 52 (بنسبة ارتياب ثلاثة سنين).[1] بل هنالك دراسة نُشرت في الموقع العلمي الشهير (Sciencedaily) أثبتت أنّ أمل عمر الإنسان القديم (الذي عاش حوالي قبل 150.000 سنة) على الراجح يتشابه ويقترب من أمل حياة الإنسان الحديث.[2] وهذا يَدُل أنّ قدماء البشر من غير آدم عليه السلام في العموم كانوا أقرب في زمن العيش من البشر المعاصرين.

وأرى أنّ هذا النقصان في عُمر نسل آدم عليه السلام وبنيه المباشرين والأقربين يمكن أن يُفَسّر عِلمِياً وعقلاً، بمعنى أن آدم عليه السلام لما أنزله الله إلى الأرض مع زوجه حواء عليها السلام، بدأت ذريتهم تتزوج وتتخالط تدريجيا مع بقيّة البشر الذين أعمارهم تقارب أعمارنا الآن، وكانوا أغلب البشر آنذاك (انظر مخطط تِعْدَاد شعوب العالم منذ القديم بعد هذا بإذن الله)، فبدأ يختلط عِرْق هؤلاء البشر مع نسل آدم عليه

---

[1] – voir : Pierre L.Thilaud, Pour une approche de la vieillesse en Préhistoire, HisToir des sciences médicales, Tome XLVII – N° 4 – 2013, p 496.

[2] – voir :

https://www.sciencedaily.com/releases/2011/01/110111133254.htm

السلام، وبدأت أعمار نسل آدم عليه السلام من ذُرِيَتِه بالتناقص تدريجيا بِغَلَبة العِرْق، لأن الآخرين كانوا الأكثرية، فبدأ طول العُمُر الذي كان ميزة عند نسل آدم عليه السلام بالتقلص تدريجيا بالتناسل مع باقي البشر العاديين، ولعلّنا نرى شاهدا على الحلقة الوسيطة في إبراهيم عليه السلام الذي جاء بعد آدم عليه السلام بعشرين قرنٍا كما مرّ معنا الحديث الصحيح، فقد جاءت الأخبار أنّه عاش ما بين المائة وخمس وسبعين سنة 175 إلى مائتي سنة 200 [1]، بَيْنَما ابنَه إسحاق عليه السلام نُقِلَ أنّه تُوُفِي عن مائة وثمانين سنة 180،[2] وهذه الأعمار من الصعب لعامة البشر أن يبلغوها مع كونها أصغر من عمر آدم عليه السلام بكثير، ويزداد العُمر في العموم قِصَرًا في ذرية آدم من الأنبياء عليهم السلام كُلَّمَا زاد البعد عن أبيهم عليه السلام واختلط النسل، فقد نُقِل مثلا في عُمر موسى عليه السلام الذي هو من أحفاد إبراهيم عليه السلام [3] أنّه عاش مائة وعشرين سنة 120،[4]

---

[1]- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ عاش بعد ذلك ثمانين سنة." قال الألباني: (صحيح الإسناد موقوفاً ومقطوعاً...) الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص483. وهنالك مع روى هذا الحديث مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم مثل ابن حبان في صحيحه (84/14)، لكن اختلفوا في تصحيحه، فابن حبان يُصَحِحُهُ بينما الألباني يُضَعِف لفظ (عاش بعد ذلك ثمانين سنة)، وقد ناقش ابن كثير عُمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر فيه ثلاثة أعمار: قيل مائة وخمسة وسبعين 175 سنة، وقيل مائة وتسعين 190 سنة، وقيل مائتي 200 سنة. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 403/1.

[2]- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 455/1. وقيل مائة وثلاثين سنة، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 150/1.

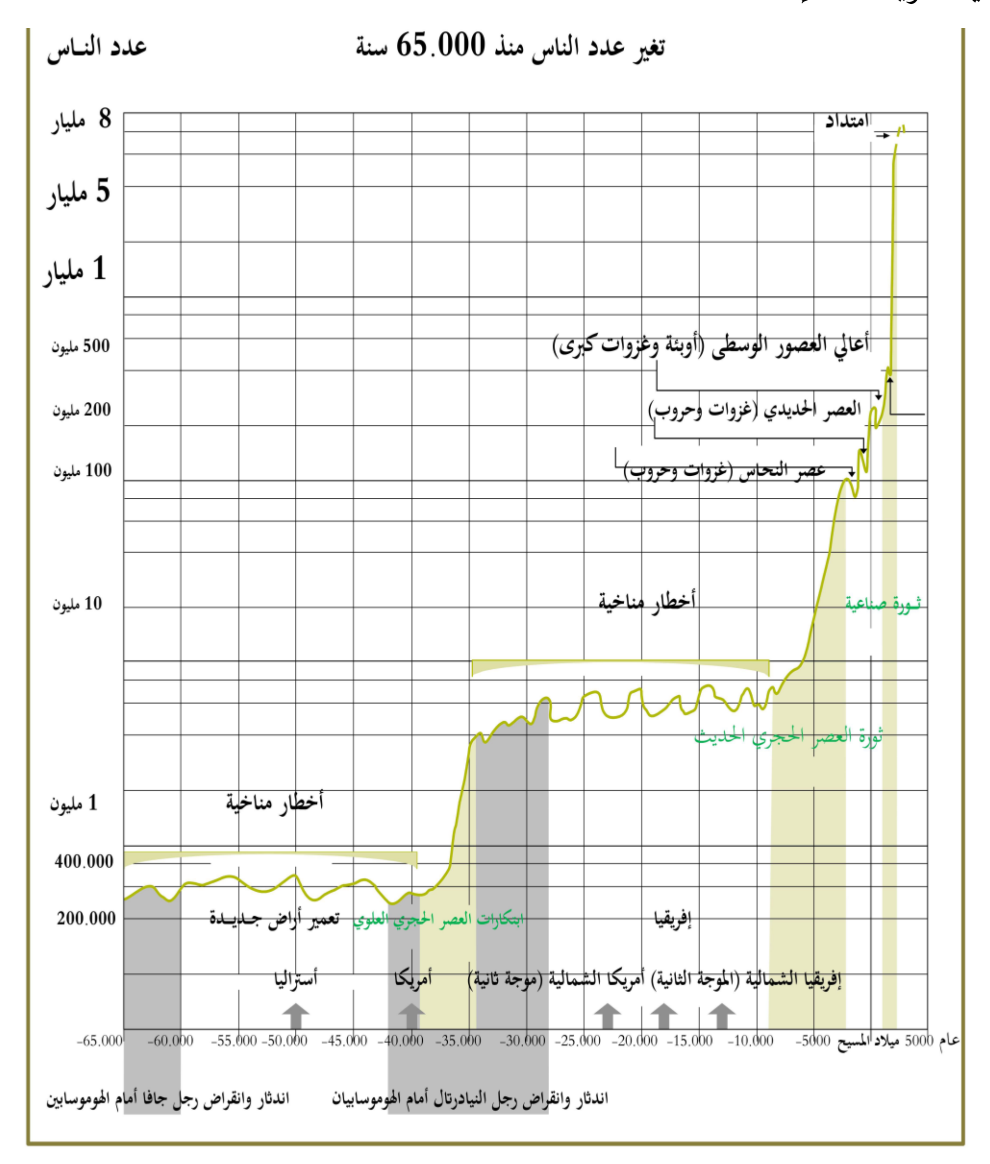
[3]- ينقل ابن الأثير في نسب موسى عليه السلام: " قِيلَ: هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَوُلِدَ لَاوِي لِيَعْقُوبَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ قَاهِثُ لِلاَوِي وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ لِقَاهِثَ يَصْهَرُ، وَوُلِدَ عِمْرَانُ لِيَصْهَرَ وَلَهُ سِتُّونَ سَنَةً، وَكَانَ عُمُرُهُ جَمِيعُهُ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً." ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 150/1.

[4] – انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 226/2.

بينما يزداد طولا العمر كلماّ ذهبنا صاعدا إلى آدم عليه السلام، إذ ينقل ابن كثير في البداية والنهاية عن أهل الكتاب أعمار سلسلة آباء إبراهيم عليه السلام بالأرقام قائلاً: " هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ تَارَخَ 250-سنة- بْنِ نَاحُورَ 148-سنة- بْنِ سَارُوغَ 230-سنة- بْنِ رَاغُوَ 239-سنة- بْنِ فَالَغَ 439-سنة- بْنِ عَابَرَ464-سنة- بْنِ شَالَخَ 433-سنة- بْنِ أَرْفَخْشَدَ 438-سنة- بْنِ سَامِ 600-سنة- بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. هَذَا نَصُّ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي كِتَابِهِمْ "،[1] فالتّصاعد التدريجي في سلسلة الأعمار بَيِّنٌ وواضح، وهذا ما يتوافق مع عِلْم الجينات الحديث، بل يكون في هذا توافق بين الشرع والعقل والتجربة والعِلْم، والأدلة التي رأيناها في هذا الكتاب لا تتناقض مع هذا المعنى، بل تتوافق في العموم معه. والله أعلم.

[1]- ابن كثير، البداية والنهاية، 324/1.

وهذا بإذن الله منحنى إحصاء شعوب العالم منذ القديم بحسب دراسات علمية (نعيده لمزيد فائدة إن شاء الله):



منحني يوضح تقديرات سكان العالم منذ 65.000 سنة قبل الميلاد، فعن اليمين عدد السنين يقابله عدد الناس بالملايين، المصدر: (PopulaTion eT SociéTés n° 394, octobre 2003, Jean-Noël Biraben, L'évolution du nombre des hommes, p3)

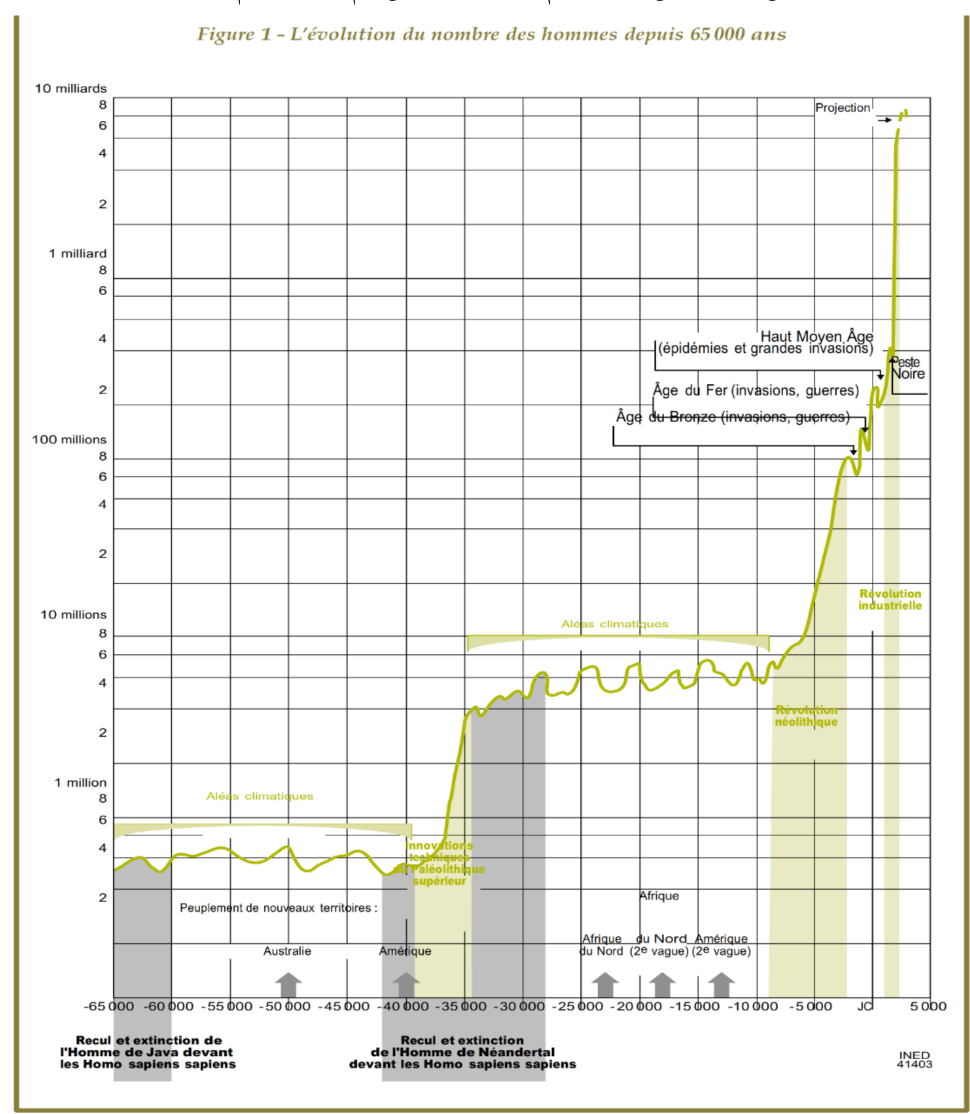


Figure 1 - L'évolution du nombre des hommes depuis 65 000 ans

المنحني الأصلي بالفرنسية يُوضح تقديرات سكان العالم منذ 65.000 سنة قبل الميلاد، فعن اليمين عدد السنين يقابله عدد الناس بالملايين، المصدر: (PopulaTion eT SociéTés n° 394, octobre 2003, Jean-Noël Biraben, L'évolution du nombre des hommes, p3)

ملاحظات : عدد السكان في زمن آدم عليه السلام:

من خلال المنحني السابق يمكننا معرفة عدد سكان العالم –على تقدير هذه الدراسة– في زمن آدم عليه السلام، حيث إذا علمنا مما سبق أنّ آدم عليه السلام قد سكن في الأرض حوالي ثمانية آلاف إلى ستتة آلاف سنة من الآن، فإن عدد سكان العالم في زمانه من خلال هذه الدراسة يكون حوالي عشر 10 ملايين نسمة (وفي الشرق الأوسط موطن آدم عليه السلام كان العدد أقل من ذلك)، وهذا ما يعني أن العالم إذ ذاك كان فيه عدد لا يستهان به من الناس، وإنْ كانوا أبعد بكثير عن الكثافة المعاصرة، إلا أنَّ هؤلاء حقيقة كانوا في الأرض قبل آدم عليه السلام ومعاصرين له.

ويمكن أن نقول أن آدم عليه السلام كان شبيها في العموم بالبشر الموجودين حين سكن الأرض بدليل أنّ ذريته اختلطت معهم، وتزوجوا بعضهم البعض، باستثناء طول السِّن وربما أمور أخرى، فالله تعالى قد خلقه خلقا مستقلا، لكن لايوجد دليل في القرآن ولا السنة أن الله تعالى قد خلقه وابتدعه خلقا جديدا على غير مثال سابق، أي بدون أن يشبه أي مخلوق من مخلوقات الله السابقة.

2) إنسان النياندرتال (The NeanderThal) (le NéanderTal) (أكثر من 430.000 سنة):

وهو جنس بشري قديم منقرض، وهو من أفضل الأجناس الإنسانية القديمة فهماً من قِبل الباحثين. لقد تم اكتشاف عدة آلاف من عظام جنس النياندرتال في مواقع مختلفة، وقرابة الثلاثمئة موقع أثري أخرج منها آثار تُعطي معلومات عن كيفية معيشة النياندرتال وطعامه وتصرفاته، وأهم قارة وجد فيها هي قارة أوروبا، حيث وجدت لهم عظام في هذه القارة يقدر عمرها بحوالي أربع مئة وثلاثين ألف 430.000 سنة، وتقول الدراسات أن نشأتهم وموطنهم الرئيس كان في أوروبا، وقد انتشر هذا الإنسان ووصل

إلى إسبانيا غربا، وإلى روسيا وغرب آسيا شرقا حوالي ثمانين ألف سنة 80.000 في الماضي، وقد وصلت أقدامهم إلى غاية أسيا الوسطى حوالي مابين خمسين إلى ثلاثين ألف سنة 50.000 –30.000 سنة، والعجيب أنه في نفس الوقت من كون النياندرتال كان يعيش في أروبا وآسيا الغربية؛ كانت هنالك أجناس بشرية أخرى تعيش في إفريقيا وآسيا الشرقية،[1] حيث كان يعيش في إفريقيا مثلا (الهوموسابيان) وهو الإنسان الحديث – والذي تحدثنا بفضل الله عليه سابقا – ، وقد أبهر اكتشاف متأخر (سنة 2017) في دولة المغرب الباحثين والمختصين، حيث اكتشفت عضامٌ بشرية تعود للإنسان الحديث (أي الهوموسابين الصنف البشري الذي يعيش في الأرض اليوم)، في عمرها حوالي ثلاثمئة ألف سنة 300.000، أي أقدم بكثير من ما كان يُتَصَور في الماضي،[2] وإذا قارنا هذا مع أقدم عظام للنياندرتال التي تم اكتشافها –وهي بقايا وجدوها في إسبانيا– والتي تقدر بحوالي أربع مئة وثلاثين ألف 430.000 سنة،[3] فإن هذا يؤدي إلى نتيجة مفادها أنّ كل من هوموسبيان والنياندرتال كانا إنسانين متعاصرين أدركا بعضهما –بالرغم من أن النياندرتال متقدم قليلا–، وليس متباعدين كثيرا نسبيا –من خلال هذه المعطيات القابلة للتغيير، فيمكن أن يعثر الباحثون على عظام أخرى تقاربهما أكثر زمانيا–، إلى أن ساد

---

[1] – voir : Richard G. Klein, PaleonThropology, PersPecTives, Science Vol 299 March 2003, p 1525.

[2]– انظر: ناسا (Nasa) بالعربي، أحفورة المغرب: الإنسان العاقل أسبق ب 100.000 سنة، بتاريخ: 23/08/2017، ص2.

[3] – voir : Néandertal vivait en Espagne il y a 430 000 ans PAR MICHEL DE PRACONTAL, ARTICLE PUBLIÉ LE MARDI 15 MARS 2016, https://www.mediapart.fr/ , p1. Nuclear DNA sequences from the Middle Pleistocene Sima de los Huesos hominins, Published: 14 March 2016, https://www.nature.com/articles/nature17405هref1 .

بعدها الهوموسابين على حساب النياندرتال، بعدما انقرض بعد عشرات الآلاف من السنين، فترك المجال أمام الثاني لتعمير الأرض من بعده وتشييد حضارات كبرى.

وجسم النياندرتال يتميّز برؤوس كبيرة، وجذوع –أي وسط البدن– ضخمة، وأطراف قصيرة وقوية، ومتوسط حجم دماغهم يساوي أو يفوق قليلا دماغ الهوموسابين، –ما يوحي إلى إمكانية تفكير ووعي مقاربة بين الجنسين، لكن بعض الباحثين رأوا أن دماغ النياندرتال كان قليلا أدنى تطورا من دماغ الهوموسابين، نظرا لوجود بعض الاختلافات في جمجمته الداخلية، والتي ظنوا أنها قد تدُّل على بعض الاختلافات بنقص حجم موضعين داخل الدماغ، يقومان بدور النطق والذاكرة، وكذلك استندوا على دراسة أحد أطفال هذا الجنس، حيث وجدوه أسرع بلوغا من طفل الهوموسابين، حيث ادّعى أحد العلماء المعاصرين بعد استعمال تقنيات متطورة أنّ هذا الطفل للنياندتال بلغ مرحلة متقدمة من النضوج في سن الثامنة فقط (باستعمال مساح ضوئي حديث يحدد عمر الإنسان بدقة عالية)، وهذا ما يوحي إلى نقص ادراكي مقارنة مع الجنس الحالي من الإنسان، والذي بدوره يأخذ وقت أطول في مرحلة الطفولة كي يتعلم وينضج أكثر، وعلى كل حال يبقى هذا الجنس قريبا جدا منا، وصاحب ذكاء لا يستهان به–[1] وأما وجوههم فهي ممدودة إلى الأمام، وأبدانهم كانت تتلاءم مع المناخ البارد والجليدي الذي كان في أروبا ومواطن سُكناهم، والجدير بالذكر أن هذا الرجل كان يحسن نحت الحجارة وكسرها ليتحصل على أدوات بدائية، كالحجارة التي تقوم بدور الفأس أو السكاكين؛ ليقطع بها أجزاء الحيوانات التي يصطادها (كان أغلب طعامه اللحم، إذ كان يصطاد الحيوانات الكبيرة خاصة)، بالإضافة إلى أنه كان يبدي اهتماما للتوابل والأملاح المعدنية الطبيعية، وكان أيضا يتحكم في ايقاد النار ليستعملها في طهي اللحوم والأغذية وبعض الشؤون من حياته. ومما ينقله الباحثون أن هذا الشعب كان

[1] – voir : Aux origines de l'humaniTé 3 Homo Sapiens – DocumenTaire diffusaiT sur la chaine A.R.T.

يعتني بمرضاه وكبار السن عنده، بل وُجِد عندهم دفن الموتى. وكل هذا يدُلُّ أن هذا الجنس كان له نوع من الحضاراة البدائية وإن كانت بعيدة عن الحضارات المشهورة.[1] وقد انقرض هذا النوع من البشر منذ حوالي خمسة وعشرين ألف سنة 25.000، وبعد هذه الفترة لم يعثر لهم على أي أثر في الآثار الأرضية.[2]

ولا يزال سبب انقراض النياندرتال غير مُتيَقّن به، فقيل أنه بسبب تغير المناخ ومرور موجة من البرد على وجه الأرض. وقيل بسب سوء تأقلمه مع الوسط المحيط وقِلَّة معرفة مقارنة مع الهوموسابين. وقيل بسب وباء، وقيل بُسبب بركان هائل انفجر حولي 39.000 سنة من الآن، حيث نجم عنه سحابة دخانية ضخمة غطت أجزاء واسعة من أوروبا، فنتج عنه موت غطاء نباتي واسع، و بالتالي سلاسل حيوانية هائلة تتغذى بذلك النبات، فنقصت الحيوانات والغذاء التي كان يفترسها ويقطفها هذا الجنس، فأدى ذلك إلى انقراضه. وقيل بسب ابتلاعه وقهره من الهوموسابن والهيمنة عليه؛ بالاضدهاد والصِّراع من أجل الأرض والموارد، والطرد والسبي، كما هو من عادة البشر -القوي يقهر الضعيف-، حيث وُجد بعض الآثار للتهجين والاختلاط الجيني بين كل من الهوموسابين والنياندرتال (ربما نتيجة سبي واستعباد النيادرتال من طرف الهوموسابين كما أكد بعض المختصين)، وكذلك هنالك دراسات تثبت أن الحمض النووي (D.n.a) للرجل الأروبي الحديث؛ فيه بعض الآثار من حمض النووي للنياندير تال، وهذا يتماشى مع هذه الفرضية التي تقول بالقضاء على النياندرتال حضاريا

---

[1] – voir : Richard G. Klein, PaleonThropology, PersPecTives, Science Vol 299 March 2003, p 1525.

[2] – voir : Aux origines de l'humaniTé 3 Homo Sapiens – DocumenTaire diffusaiT sur la chaine a.r.T.

وغلبةً وقهرا من طرف الهوموسابين.[1] ورُبَّما قد يكون سبب انقراضه خليط من بعض هذه الأسباب السابقة.

وأما عن السبب الحقيقي الذي قد يُفسر به انقراض هذا الجنس البشري – أي ليس كيف أهلكوا وإنما لماذا أهلكوا –، فربما قد يدخل في سنن الله تعالى التي تقتضي باسبدال القوم الظالمين بأقوام غيرهم، فمن المحتمل أن كثيرٍ منهم قد عصوا الله تعالى؛ فكانت عاقبتهم مثل كثير من الأمم المكذبة، والتي قصّ الله من قصصهم في القرآن الكريم ما فيه عبرة لأولي الألباب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى 30-31)، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الأنبياء 11). والله أعلم.

وأما عن دين واعتقاد النياندارتال فن الصعب تحديده بدقة، كون كيفية معرفة عبادة الأمم القديمة التي اندثرت يعتمد على دراسة لغاتهم أو المخلفات المكتوبة عنهم أو منحوتاتهم، فأمَّا لغة هؤلاء القوم فقد ذهبت معهم فلا يمكن سماع ما كانوا يقولون، وأما كتاباتهم فلم تكن لديهم كتابة معروفة ودقيقة تنقل لنا بعض عقائدهم

---

[1] – voir : Richard G. Klein, PaleonThropology, PersPecTives, Science Vol 299 March 2003, p 1526. DocumenTaire Science grand format, L'apocalypse de Néandertal, diffusé sur France 5 le 29 novembre 2018. ScienTiFic ReporT- Climate deteriorations and Neanderthal demise in interior Iberia, Neanderthal Extinction by Competitive Exclusion – William E. Banks , Francesco d'Errico, A. Townsend Peterson, Masa Kageyama, Adriana Sima, Maria-Fernanda Sánchez-Goñi Published: December 24, 2008. Synchrotron Reveals Human Children Outpaced Neanderthals by Slowing Down, Press Release: December 2010 : https://heb.fas.harvard.edu/press .

وتُعَبّر لنا عن لغتهم،[1] فلم يصل النيادايرتال إلى ابتكار الكتابة، لكن بالرغم من ذلك إلا أنه هنالك إشارات علمية تدُّل أنّ هذا الجنس كان مُتَدَيِّنا، لأنه كان عاقلا وواعيا، بدليل أنه إنسان مثلنا، ولأنّه اكتُشِف بأنه كان يدفن موتاه ويعتني بمرضاه وكبار السن، وكان له نظام اجتماعي –وإن لم يكن معقدا مثلنا–، وكل هذا يُرجِّح على أنّه كان مُكلفا بالإيمان بِرَبِّه ومُتَدَيِّنا.

أمَّا عن نوع الدين الذي كان يدين به، وبدرجة التدين عنده، فلا شك أنه أمة مثلنا ومثل باقي الأمم التي عمّرت الأرض، لا سيما أنه عَمّر الأرض لأكثر من أربع مئة ألف سنة، فلابُدَّ أن الله قد بعث فيهم أنبياء يدعونهم إلى عبادته؛ قال الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر24)، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) (غافر78)، وقال أيضا: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل 36). ولابُدّ بعدها أن يكون قد كان منهم المهتدون الذين آمنوا بربهم واتبعوا أنبياءه، والضالون الذين كفروا بالله وكذبوهم، ولابد أنّه قد كان منهم المسلمون ومنهم القاسطون ومنهم دون ذلك، ولا عـجب إن وُجِد التوحيد عند النيانـــدارتال، لأنّه وُجِدَت عبادة الإله الأعلى (التوحيد النِّسبي) في عدد كثير من الأقوام البدائية التي عاشت في الأرض، والتي قد تتشابه أو تقترب منه في درجة الحضارة، كأبوريجان أستراليا، وقبال جزر أندرمان، وكثير من هنود أمريكا الشمالية والجنوبية، وجزء من القبائل الإفريقية، كقبائل الهوتونتوت، وقبائل الزولو، وقبائل سود السودان، وقبائل مداعشقر، وجزء من الإيسكيمو، وبعض هنود الهند البدائيين، وغيرهم من الشعوب

---

[1]- يقول عالم الإنسان الفرنسي أندري لوروا غورهان (André Leroi-Gourhan): "ابتداء من كون الإنسان ليس بإمكانه أن يتكلم، لأنه غائب أو ميّت، أو تكون البيانات غائبة، تبقى شهادتان شهادة الفن والتقنية" (انظر: Leroi-Gourhan, Èvolution eT Techniques. Vol. I , L'homme eT la maTière , Paris, Albin-Michel, 1943, p. 7.)

البدائية التي وجد فيها آثار التوحيد.[1] فهذا يدُلُّ أنّ الله قد بعث فيهم أنبياء، وأنَّه سبحانه قد فطر الناس على توحيده والإيمان به.

3) إنسان الهومو إيركتوس (Homo erecTus) (عاش قبل حوالي 1.8 مليون سنة):

هذا الصنف من الإنسان العاقل، يُقدَّر زمن ظهوره إلى حوالي 1.9 مليون سنة في إفريقيا، وسرعان ما هاجر إلى مناطق أخرى خارج إفريقيا حوالي 1.8 مليون سنة، أمّا طول الهومو إيركتوس فهو مثل الإنسان المعاصر، أي يتراوح ما بين (160 إلى 185 سنتمتر)، ووزنه مابين (50 إلى 70 كلغ). من أشهر وأكمل الهياكل العظمية التي وجدت لهذا الجنس، هو هيكل عظمي لفتى ناريكوتوم (narikoTom) وُجِد في كينيا، وهو هيكل عظمي شِبه كامل، قُدِّر بحوالي 1.5 مليون سنة.[2]

أما من جهة الفرق بينه وبين الإنسان الحديث (هوموسابين) فإن هومو إريكتوس يمتاز بِجُمجُمة ودماغ أصغر حجما من دماغ الإنسان الحديث، حيث يتراوح حجم دماغه حوالي ما بين (600 إلى 1100 سنتمر مُكعّب)، أما الإنسان الحديث فحجم

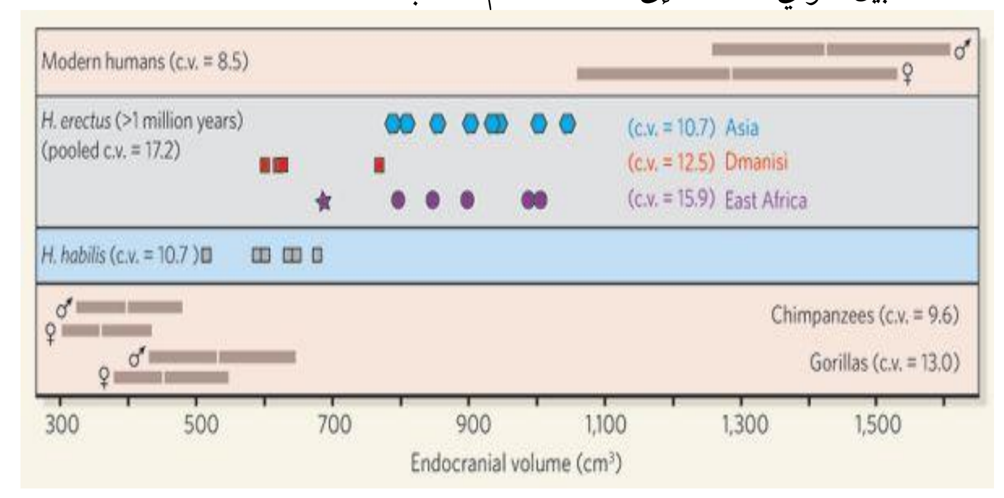
---

[1]- وإن كانت درجة التوحيد عندهم متفاوتة، وسوف نتكلم عن هذا التوحيد في الشعوب البدائية والحضارات القديمة في كتابنا الآخر، التوحيد منذ القِدَم والأنبياء في كل الأمم –أو عنوان قريب منه– الذي وعدت به إن شاء الله تعالى، وانظر في هذا التوحيد عند الأمم القديمة البدائية بحوث العالمين الألماني ولهام شميد والبريطاني أندرو لانج، وكثير منهم مُلَخَّص في الكتاب التالي بإذن الله تعالى، انظر:

Guillaume schmiT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU , Librairie alphonse picard eT Fils, 1910, p78 a p105.

[2] – voir : https://www.nature.com/articles/449291a#ref10

دماغه ما بين حوالي (1100 إلى 1600 سنتم مُكَعَبُ).[1]



❊ مخطط يوضح حجم دماغ أصناف بشرية: الإنسان الحديث (متوسطه حوالي 1350 سنتمر مكعب) و هومو إيريكتوس و هومو هابِيلِس، وحجم دماغ قِرَدَة: الشامبانزي والغوريلا، المصدر: موقع المجلة العلمية الشهيرة (naTure).[2]

ملحوظة: قد أثبتت عدة تجارب أُجْرِيت على العالم الحيواني أنّه في العموم ذكاء الكائن يتناسب طردا مع حجم الدماغ، بمعنى أنّه كُل ما كان حجم دِمَاغ الكائن الحي كبيرا بالنسبة إلى جسمه كل ما كانت نسبة ذكائه أعلى في العموم.[3]

والهومو إيريكتوس كان يستطيع التحكم في النار في حياته اليومية (لإنضاج الطعام أو لطرد الحيوانات المفترسة أو لصناعة بعض الأدوات)، وقد اخترع هذا الجنس أدوات وأسلحة من الحجارة، وهو أيضا مسافر كبير، ويُصَنِّفُه الباحثون على أنه أول إنسان خرج من إفريقيا إلى قارات وأماكن أخرى، أوروبا والشرق الأوسط وآسيا على جهة التحديد، ومن الأمثلة للبقايا العظمية التي وجدت له، مثلا في الصين ما يسمى (برجُل بيكين) (homme de pékin) حيث اكتشفت بقايا تعود لرجل بالغ قُدِّرَ زمنه

---

[1] – voir : https://www.nature.com/articles/449291a#ref10

[2] – voir : https://www.nature.com/articles/449291a#ref10

[3] – voir : https://www.hominides.com/html/dossiers/cerveau.php.

بحوالي سبع مائة وسبعين ألف سنة 770.000، واكتُشِفت أيضا بعض البقايا لهذا الجنس في أوروبا، كجزء من جمجمة في إيطاليا تُقدر بحوالي ثمان مائة ألف سنة 800.000، -واكتُشفت بعض الجماجم شبه مكتملة في جورجيا أُلحقت في الأصل إلى هذا الصنف-، وتقول بعض الدراسات أن أواخر هذا النوع قد عاشت منذ حوالي مائة وخمسين ألف سنة 150.000، بمعنى أنّ أغلبه قد اندثر حوالي هذا الزمن، إلا أنّه قد يوجد بعض الاستثناء، حيث هنالك دراسات أخرى تقول أنه بقي بعض البقايا منه إلى حوالي سبعين ألف سنة 70.000، وهذا ما يسمى برجل جافا (homme de java) والذي قد أُلحِقَ بالهومو إيكتوس.[1]

وكما يبدو أن هذا الصنف من الناس عاش وانقرض قبل آدم عليه السلام بزمن بعيد، وليس بينهما علاقة نسب مباشرة وظاهرة، بدليل أن ظهور الهومو إيريكتوس يرجع إلى حوالي المليوني سنة.

4) إنسان الهومو هابيليس (Homo habilis) (عاش حوالي 2.5 مليون سنة):

هو جنس من الإنسان عاش ما بين المليونين ونصف سنة 2.5 (مليون سنة) إلى المليون ونصف سنة 1.5 (مليون سنة) في إفريقيا الشرقية وإفريقيا الجنوبية، يمشي على رجلين مثل الإنسان الحديث، وقد عاش هذا الجنس مع أجناس أخرى كالأسترالوبيتاكس (AusTralopiThecus,AustralopiThèque)، -سعة دماغ الهومو هابيليس (Homo habilis) ما بين خمس مائة وخمسين 550 cm3 إلى سبع مائة 700 cm3 سنتمتر مُكَعَّب انظر الخانة الثالثة ترتيبا من الأعلى في الجدول

---

[1] – voir : https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/paleontologie-homo-erectus-4117/
https://www.universalis.fr/encyclopedie/homo-erectus/
https://www.nature.com/articles/nature07741

السابق-، وعند الهومو هابيليس فك يقترب من فك الإنسان الحديث فبطبيعته يأكل كل من النبات واللحم، كان باستطاعته استعمال أدوات، وكان بإمكانه صناعة هذه الأدوات بتكسير أطرافها بالحجارة، حتى تصلح لتقطيع الحيونات المصطادة وتكسير العظام.[1]

المطلب الثالث: الدين والنظرية التطوُّرِيّة:

1. هل نظرية التَّطَوُّر تُنَاقِض الإسلام ؟:

ما هو مفهوم نظرية التطور؟: إذا كان يُقصد بنظرية التطور؛ تطور المخلوقات الموجَّه من دون خالق، فهذا باطل جملة وتفصيلا، ولا يحتاج أن نبحث فيه، بل هذا مناقض للنقل والفطرة والعقل والعلم، فوجود الخالق سبحانه وتعالى مثبت بكل هؤلاء دون منازع، بل كل شيء في هذا الوجود دليل عليه سبحانه. وأما إن كان يُقصد بنظرية التطور؛ التطور المُوَجَّه الذي يقول بأنّ الله خلق المخلوقات من أصول مشتركة، ثم يخلقها ويُصِوِّرُهَا وَيُوَجِهُهَا ويُطَوِّرُها تَدرِيجِياً فهذا يحتاج إلى تفصيل، ويمكن أن نذكر بعض التفاصيل كالآتي إن شاء الله تعالى:

لا شك أنّ نظرية التطور قد لاقت معارضة من قِبَلِ كثير من أتباع الأديان السماوية والمسلمين إلا قليلا منهم، ومن أهم الأسباب في ذلك هو فهمهم لقصة خلق آدم وحواء عليهما السلام (بما فيه الفهم الإسرائيلي)، وقد رأيتُم بفضل الله من خلال ما سبق الاختلاف بين الفهم الذي يعتقده كثير من الناس وبين الحقيقة التي مرت معنا، فالفهم القديم -ولايزال الغالب للأسف- كان يجعل من آدم عليه السلام أبا لكل الناس في كل زمان ومكان، وهذا ما أدى إلى رفض كثيرٍ من الناس من أتباع الأديان السماوية لنظرية التطور ابتداء، وخاصة أنها تقول بتطوُّر الإنسان من أصل مشترك بينه وبين القِرد، فظهرت لهم مناقضة بيّنة بين ما كانوا يعتقدونه وبين ما أتى به التطوريون. مع كون

---

[1] - voir : https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/paleontologie-homo-habilis-4116/

الحقيقة في آدم عليه السلام أنه خلقٌ مُستَقَلٌّ عَمَّر هو وأبناؤه جهة معينّة من كوكب الأرض في مرحلة نوعا ما متأخرة مقارنة بالأجناس البشرية القديمة، أما البشر الآخرين من غير آدم عليه السلام وبَنِيه والذين كانوا من قَبْلِهِ في الأرض فليس عندنا خبٌر يَقينٌ أو عِلْمٌ جازِمٌ في أصولهم وكيفية خلقهم مع كون مزيد البحث يتماشى مع وجود أوادم آخرين كما بيَّنا آنفا.

وبالمقابل أدى كذلك هذا الفهم الضَّيِّق – الذي يقول أن آدم عليه السلام أبٌ لكل الناس– إلى إدخال الدين في تعارض مع هذه النظرية؛ ما دفع إلى إلحاد بعض ضعفاء الإيمان من النصارى وما شابههم وبخاصة في أروبا، وكان هذا الأمر من بين الأمور التي ساهمت بطريقة غير مباشرة في الموجة الإلحادية المناهضة للدين وبخاصة ضد الكنيسة -وليست التطورية فقط هي التي ساهمت في ظهور الموجة الإلحادية الجديدة، وإنما هنالك أمور أخرى أهمها تحريفهم للتوراة والإنجيل، ما جعل هذا التحريف يناقض بعض النظريات العلمية، وجُور الكنيسة في أروبا القديمة، حيث وصل بها الأمر إلى اضطهاد وإحراق من خالفها من العلماء- أو على الأقل زاد إهمال الدين وفصله عن العلم وتحجيمه في أروبا على وجه التحديد، وكمثال على هذا استبدال رؤية الخلق الإسرائيلية لنشأة الإنسان بالنظرية التطوية الداروينية –وقد سميت قصة الخلق عندهم بالإسرائيلية لأنه ليس شرطا علينا نحن المسلمون أن نلتزم بتفاصيلها عندهم ورؤيتهم لها، وقد تكلمنا في الفصل الأول على أخطاء الإسرائيليات في ذلك-، وقد ازداد ترسُّخ التطورية ما بعد القرن التاسع عشر شيئا فشيئا وقد بقي هذا الإشكال دون حل مقنع. ولا بد بعدها من الاعتراف أن الالحاد قد اغتنم هذه النظرية ووجد فيها انتقامه ضد الرؤية الكنسية والدينية التي كانت سائدة في القديم، وهذا بالرغم من أن هذه النظرية لا تدعوا إلى الإلحاد وليس لها علاقة به، وإنما هي تُفَسِّر طريقة نشأة المخلوقات الحيّة والإنسان فقط.

لكن قد تَبَيَنَّ بإذن الله وفضله من خلال ما سبق أنّ هذه المقدمة التي بُنِي عليها هذا الرفض خاطئة، بمعنى أن الوحي لا يعارض وجود بشر قبل آدم عليه السلام، بل

يشير إلى ذلك، مع كونه عليه السلام مُستقّلا عنهم خِلقةً، فإن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأنزله إلى الأرض بعد معصيته وتوبته عليه السلام، حيث كان موجودا قبله في الأرض بشرٌ آخرين ليس لهم علاقة نسب ظاهرة معه، وهنا تتغيّر المعطيات ويظهر السؤال مجددا بنوع من الاختلاف والتحديد: هل تتعارض بعد هذه الحقيقة قصة آدم عليه السلام مع النظرية التطورية ؟ وهل يصحّ أن نؤمن بنظرية التطور في حق البشر الذين ليسوا من آدم عليه السلام بعدما علمنا أن الله خلقه عليه السلام خلقا مستقلا عنهم، وأسكنه في هذه الأرض متأخّرا عن كثير من البشر الأولين الذين سبقوه بمئات الآلاف من السنين ؟

أولا يجب أن نعرف إن كانت هذه النظرية تتناول البشر الذين هم من غير آدم عليه السلام وبنيه المباشرين، فإن هذا لا يناقض الإسلام، فإن الله تعالى قد ذكر لنا أن آدم عليه السلام هو الذي خلقه خلقا مستقلا، وليس قُدَمَاء الناس الذي نتحدّث عليهم، أي أنّ الخلق المستقل لكل البشر ليست قاعدة قابلة للتعميم، وهذا ما يترتب عليه أمور مُهِمَّة؛ أهَمُّها تجويز الاجتهاد العلمي -science- في تفسير خلقه سبحانه للشعوب الأخرى، وأنّه إن ظهرت هذه النظرية بأدلةٍ صحيحة فلا حرج في قبولها، ولا يترتب على ذلك إنكارٌ شَرعِيٌ، أو وجوب إيمان عقدي بما تقدمه من أفكار، فكل إنسان حُرٌّ أن يتّبع في ذلك ما ترجَّح له مِنْ فِكْرة أو يَتْرُكَها إن كانت لا تناقض الدين، فإن هذا لا يُبْنى عليه تكليف شرعي حلالٌ أو حرامٌ. يذكر المفسر رشيد رضا في تفسيره: " أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ نَصٌّ أُصُولِيٌّ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَالْمُرَادُ بِالْبَشَرِ هُنَا هَذَا الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ، الْبَادِي الْبَشَرَةِ، الْمُنْتَصِبُ الْقَامَةِ، الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْإِنْسَانِ، وَعَلَى هَذَا الرَّأْيِ لَا يُرَدُّ عَلَى الْقُرْآنِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ، وَمَنِ اقْتَنَعَ بِقَوْلِهِمْ مِنْ أَنَّ لِلْبَشَرِ عِدَّةَ آبَاءٍ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ سَلَائِلُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ. ثُمَّ إِنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ -يقصد رشيد رضا هنا شيخه محمد عبده - يَرُدُّ الشُّبَهَاتِ الَّتِي تَرِدُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّ آدَمَ هُوَ أَبُو الْبَشَرِ كُلِّهِمْ مِنَ اعْتِقَادِهِمْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ يَنْفِي هَذَا الِاعْتِقَادَ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُثْبِتُهُ إِثْبَاتًا قَطْعِيًّا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وَقَدْ صَرَّحْنَا بِهَذَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانَ

فَهِمَ مِنْ دَرْسِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ يُنَافِي هَذَا الاِعْتِقَادَ، أَيِ اعْتِقَادَ أَنَّ آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ كُلِّهِمْ،[1] وَهُوَ لَمْ يَقُلْ هَذَا تَصْرِيحًا، وَلَا تَلْوِيحًا، وَإِنَّمَا بَيَّنَ أَنَّ ثُبُوتَ مَا يَقُولُهُ الْبَاحِثُونَ فِي الْعُلُومِ، وَآثَارِ الْبَشَرِ، وَعَادِيَّاتِهِمْ وَالْحَيَوَانَاتِ مِنْ أَنَّ لِلْبَشَرِ عِدَّةَ أُصُولٍ، وَمِنْ كَوْنِ آدَمَ لَيْسَ أَبًا لَهُمْ كُلِّهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، كُلُّ هَذَا لَا يُنَافِي الْقُرْآنَ، وَلَا يُنَاقِضُهُ، وَيُمْكِنُ لِمَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ بَلْ لَهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَقُولَ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَا خَلاَ مِنْ نَصٍّ قَاطِعٍ يُؤَيِّدُ هَذَا الاِعْتِقَادَ الشَّائِعَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ – وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ – جَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعِ الْيَهُودُ أَنْ تُعَارِضَهُ مِنْ قَبْلُ بِدَعْوَى مُخَالَفَتِهِ لِكُتُبِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاحِثُونَ أَنْ يُعَارِضُوهُ مِنْ بَعْدُ لِمُخَالَفَتِهِ مَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ. وَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا يَقُولُ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْمَسْأَلَةَ قَطْعِيَّةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ فِيمَنْ يُوقِنُ بِدَلَائِلَ قَامَتْ عِنْدَهُ بِأَنَّ الْبَشَرَ مِنْ عِدَّةِ أُصُولٍ؟ هَلْ يَقُولُونَ

إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ تَرْكُ يَقِينِهِ فِي الْمَسْأَلَةِ: إِنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيمَانُهُ، وَلَا يُقْبَلُ إِسْلاَمُهُ، وَإِنْ أَيْقَنَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا نَصَّ فِيهِ يُعَارِضُ يَقِينَهُ! ؟

هَذَا وَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنْ لَفْظِ النَّفْسِ (أي قول الله تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة))– بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الرِّوَايَاتِ، وَالتَّقَالِيدِ الْمُسَلَّمَاتِ – أَنَّهَا هِيَ الْمَاهِيَّةُ، أَوِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا الْإِنْسَانُ هُوَ هَذَا الْكَائِنُ الْمُمْتَازُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكَائِنَاتِ، أَيْ خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ بُدِئَتْ بِآدَمَ – كَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ[2]– أَوْ بُدِئَتْ بِغَيْرِهِ وَانْقَرَضُوا كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الشِّيعَةِ وَالصُّوفِيَّةِ،[3] أَوْ بُدِئَتْ بِعِدَّةِ أُصُولٍ انْبَثَّ مِنْهَا عِدَّةُ أَصْنَافٍ كَمَا عَلَيْهِ بَعْضُ

[1]– وإن كان الصواب أن نقول أنّ القرآن الكريم لا يثبت أن آدم عليه السلام هو أبٌ لكل البشر في كل الأزمنة والأمكنة، وقد مر معنا ما يكفي من الأدلة على ذلك.

[2]– وليس رأي الجمهور دليل على أن الرأي حق، بل في بعض الأحيان الحق يخالف رأي الجمهور، فالعبرة بالدليل.

[3]– ولدينا حديث عبد الله بن عباس في السبع أوادم السابق ذِكْره في تفسر آية السبع أراضين، والذي قد يكفي في إثبات هذه الطريقة في الخلق.

الْبَاحِثِينَ، وَلَا بَيْنَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُصُولُ أَوِ الْأَصْلُ مِمَّا ارْتَقَى عَنْ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ، أَوْ خُلِقَ مُسْتَقِلاًّ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْخِلَافُ بَيْنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَاللهُ - تَعَالَى - يَقُولُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ [23: 12] الآيات، وَسَنُبَيِّنُ فِي تَفْسِيرِهَا، أَوْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحِجْرِ مَا يُفِيدُهُ مَجْمُوعُ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ كَيْفِيَّةِ تَكْوِينِهِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَكُلُّ قَوْلٍ يَصِحُّ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ هُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي كَانُوا بِهَا نَاسًا، وَهِيَ الَّتِي يَتَّفِقُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ، وَبِرِّهِمْ وَدَفْعِ الْأَذَى عَنْهُمْ عَلَى كَوْنِهَا هِيَ الْحَقِيقَةُ الْجَامِعَةُ لَهُمْ، فَتَرَاهُمْ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي أَصْلِ الْإِنْسَانِ يَقُولُونَ عَنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَصْنَافِ: إِنَّهُمْ إِخْوَتُنَا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، فَيَعُدُّونَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَنَاطَ الْوَحْدَةِ، وَدَاعِيَةَ الْأُلْفَةِ وَالتَّعَاطُفِ بَيْنَ الْبَشَرِ، سَوَاءٌ اعْتَقَدُوا أَنَّ أَبَاهُمْ آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوِ الْقِرْدُ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ."[1]

وَأُذكِّر بما نقله رشيد رضا عن شيخه محمد عبده في تفسير النفس الواحدة في أول سورة النساء قائلا: " وَكَيْفَ يَنُصُّ عَلَى نَفْسٍ مَعْهُودَةٍ وَالْخِطَابُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ. وَهَذَا الْعَهْدُ لَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْرِفُونَ آدَمَ وَلَا حَوَّاءَ وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِمَا. وَهَذَا النَّسَبُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ مَثَلاً هُوَ مَأْخُوذٌ عَنِ الْعِبْرَانِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلْبَشَرِ تَارِيخًا مُتَّصِلاً بِآدَمَ، وَحَدَّدُوا لَهُ زَمَنًا قَرِيبًا. وَأَهْلُ الصِّينِ يَنْسِبُونَ الْبَشَرَ إِلَى أَبٍ آخَرَ، وَيَذْهَبُونَ بِتَارِيخِهِ إِلَى زَمَنٍ أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعِبْرَانِيُّونَ. وَالْعِلْمُ وَالْبَحْثُ فِي آثَارِ الْبَشَرِ مِمَّا يَطْعَنُ فِي تَارِيخِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ لَا نُكَلَّفُ تَصْدِيقَ تَارِيخِ الْيَهُودِ، وَإِنْ عَزَوْهُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَإِنَّهُ لَا ثِقَةَ عِنْدَنَا بِأَنَّهُ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَأَنَّهُ بَقِيَ كَمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى.قَالَ: نَحْنُ لَا نَحْتَجُّ عَلَى مَا وَرَاءَ مُدْرَكَاتِ الْحِسِّ، وَالْعَقْلِ إِلَّا بِالْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَإِنَّنَا نَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْوَحْيِ لَا نَزِيدُ، وَلَا نَنْقُصُ كَمَا قُلْنَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَقَدْ أَبْهَمَ اللهُ - تَعَالَى - هَهُنَا أَمْرَ النَّفْسِ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ مِنْهَا، وَجَاءَ بِهَا نَكِرَةً فَنَدَعُهَا عَلَى إِبْهَامِهَا. فَإِذَا ثَبَتَ مَا يَقُولُهُ الْبَاحِثُونَ مِنَ الْإِفْرِنْجِ

---

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، 4/267- 268.

مِنْ أَنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبَشَرِ أَبًا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ وَارِدٍ عَلَى كِتَابِنَا كَمَا يَرِدُ عَلَى كِتَابِهِمُ التَّوْرَاةِ لِمَا فِيهَا مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ مِمَّا حَمَلَ بَاحِثِيهِمْ عَلَى الطَّعْنِ فِي كَوْنِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ - تَعَالَى - وَوَحْيِهِ. "[1]

وبعد هذا الموقف من رشيد رضا وشيخه محمد عبده يمكن القول؛ أنّ رد هذه النظرية التطورية جملة وتفصيلا بدعوى أنها تناقض الوحي هو فهم خاطئ كما بيّنا آنفا، فكما أنَّ الله قادر أن يخلق خلقا ما مستقلا، يمكنه سبحانه أن يخلق آخرين تدريجيا من أصل مشترك، وفي حال ثبتت هذه النظرية كما قلت فإنها لا تناقض الوحي، ولا يوجد أي إشكال في الجمع بينها وبين خلق الله تعالى المستقل لآدم علي السلام، كونه لا يوجد علاقة انحدار نسل بين البشر الذي كانوا من قبل في الأرض وبين آدم عليه السلام الذي نزل بعدهم خلاقا مستقلا عنهم، فمَثَلِ آدم يُشْبه مثل عيسى، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ)(آل عمران 59-60). فعندما نتكلم عن التطورية فإننا نتناول أصل الجنس البشري وليس أبُوّة فرد مُعين على أمّة مُعَيّنة وهي التي تُخُّص آدم عليه السلام، ولا يوجد أي تناقض عند الجمع بين الفكرتين، فالأمر الأول -أي التَّطَوُرية- يتناول أصول جنس الناس من غير آدم عليه السلام، والثاني - أي آدم عليه السلام - يتكلم عن أبٍ لأمةٍ واحدةٍ من الأمم الإنسانية الكثيرة، لاسيما وأن هذه الأمة متأخرة على كثير من الأمم السابقة القديمة، فإن اللاجتهاد في معرفة أصول هذه الأمم السابقة والجنس الإنساني ككل سائغ، ولا يتعارض مع قِصَّة آدم عليه السلام المُثْبَتَةُ بالوحي القطعي الذي لا ريب فيه.

فيبقى تفسير كيفية خلق البشر الآخرين الذين كانوا قبل آدم عليه السلام اجتهادا قابلا للأخذ والرد، بل من المُرَجَّح أيضا أن الله خلق أوادم آخرين بطريقة قد تشبه خلقه لآدم عليه السلام -ولو في العموم مثل الخلق المستقل، وقد سُقنا سابقا أدلة على

[1] - المرجع نفسه، 266/4.

ذلك-، لورود حديث عبد الله بن عباس السابق ذكره (سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى)،[1]وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: 12) كما مرّ معنا وأن شرحنا هذه المسألة، فقوله "آدم كآدم" يقتضي التشبيه بينهم أيضا في كيفية الخلق المُسْتقل، -وقد رأينا مثالا عن ذلك في شعوبٍ وأديانٍ أخرى كخلق كيومرث أب الفرس، وغيره من شخصيات في ملل وأراض أخرى تشبه بعض أنبياء الشرق الأوسط-[2]. ويبقى بعدها إمكانية الجمع بين كل هذا؛ فإنه لا إشكال أن يكون الله قد خلق آدم عليه السلام خلقا مستقلا، وكذلك خلق أوادم آخرين خلقا مستقلا في أزمنةٍ وأراضٍ أخرى مثل آدمنا، ولا مانع أنّ الله سبحانه خلق أيضا بشرا آخرين من أصل أو أصول مشتركة أطوارا تطوّرت عبر ملايين السنين كما ظهرت بعض الأدلة على ذلك في العلم الحديث، فلا يظهر في الوحي شيء يعارض ذلك، فلا يتنافى أن يترافق هذا مع ذاك، فأصل سلسلة نشوء كل البشر مجهول، وليس هنالك دليل يَحْصُر وجود كل البشر في الأَوَادِم، ومع أنَّه يَتَرَجَّح وجودهم للأدلة السابقة، فإنه من غير الممتنع أنه قد أتى آوادم بِمُوَازَاة نسل بشري قديم تَطوَّرَ وارتقى من مخلوقات أدنى منه عبر ملايين السنين، فخلق البشر مُعَقَّد ومجهولُ الأصولِ وقديم، فليس بالضرورة أن يُحْصَر تفسير نشأته في تفسير واحد بأن يكون كل النسل البشري قد أتى حصرا من هؤلاء الآباء أو الأوادم -فضلا أن يكون جاء من أبٍ واحد- وهذا ما ظهر لنا في التّفَكُر فيما توّفر عندنا من أدِلّة، فعيسى عليه السلام الذي خلقه الله تعالى خلقا مختلفا عن خلق الناس ويشبه آدم عليه السلام، إلا أن الله خلقه مسبوقا ببشر وجاء إلى الدنيا في سياق هذا النسل الإنساني، ونوح عليه السلام أب بني آدم الثاني مسبوقٌ ببشر كذلك، وآدم عليه السلام نفسه الذي هو خلقٌ مستقلٌ هو كذلك قد أتى بِمُوَازَاة نسل إنساني أسبق منه (كما سيأتي

[1]- الحديث صحيح وسبق تخريجه.

[2]- وقد مر معنا مثال كيومرث عند الفرس، والذي يعتقد فيه الزرادشتيون أنه أبوهم وخلقه الله خلقا مستقلا من الأرض. راجع عنوان: سبع أراض في كل أرض آدم كآدم.

إن شاء الله أمثلة علمية حول أنواع هؤلاء البشر الذين كانوا قبل)، وكيومرث الذي هو أب الفُرس والنُقُول فيه تُفِيد أنّه خلقٌ مُستّقل إلا أنّه قد أتى أيضا في سياق نسل بشري أقدم منه –والتاريخ يؤكد ذلك فآدم عليه السلام أقدم زمانا على كيومرث–[1] وقِس على ذلك آباء البشر الذين لا نعرفهم، والذين قد يكونون أقدم من آدم عليه السلام بعدد كبير من السنين لا مانع أنهم أتوا بدورهم بِمُوَازَاة نسل بشري أقدم منهم، ما يَدلُّ أنّ النسل الإنساني قديم، قد يُعد بملايين السنين –بتأكيد العلم الحديث–، وهذا ما يَدعُ إلى دراسة أعمق لهذا النسل، وهذا ما يوحي أنّ وجود كل البشر أمرٌ أكثرُ تعقيدًا مما كان يُتَصَوَّر، وقابلٌ أن يُجتهد فيه علمياً، والله تعالى حثّ على التّفَكُر في بداية الخلق قال الله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (العنكبوت20)، وهذا ما قد يفتح المجال أمام احتمالات أخرى لتفسير نشأة الإنسان، ربما منها هذه التطورية التدريجية، فالخلق المُسْتقل معجزة واستثناء، وليس عادة أغلبية، فالله تعالى يخلق بالأسباب والتَّدَرُج عادة، كما يخلق بالمعجزة استثناء، ولا إشكال بين الجمع بين هاذين النوعين من الخلق، فالله يخلق كيف يشاء وهو على كل شيء قدير.

بل إن أمكن استغلال هذه النظرية التَّطوُّرية والتي يرى بِصِحَّة بحوثها أو جزء منها باحثون مسلمون مُختَّصُون؛ والتي لم يظهر إلى الآن بديلٌ عِلْمِيٌ مُبَرهنا أفضل منها في تفسير نشأة الكائنات –والبَدِيل الذي كان يُظن في نشأة البشر المستقل ليس قابلا للتعميم على كل البشر في كل زمان ومكان كما رأينا– فإنّ هذا شيء جميلٌ بِشَرط أن تُنْزع الشوائب الإلحادية التي ألصقها اللادينييون بالتطورية،[2] وإنّه إنْ أُحْسِن استغلال هذه

[1] – راجع عنوان: إنسان قبل آدم عليه السلام في الزرادشتية (المجوسية).

[2] – مثل القول بالصُدَف العمياء والتغير العبثي دون خالق، والأعضاء من دون فائدة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فما لا ندرك حكمته لا يعني أنّ ليس له حكمة في خلقه، والأدلة اللامتناهية البارزة في خلق الله التي تدرك حكمتها تُبطل هذا الزعم، وتكفي لتنزيه سبحانه عن كل عشوائية، والإتقان العجيب للخلق يدل على عِظَم وتعالي خالقه عن العبث، فالله لا يخلق إلا لفائدة وحكمة. ونضرب

النَّظَرِية وتوجيهها فهذا قد يخدم الدين الإسلامي، بشرط أن نبينّ أنها لا تُنَاقِض الإسلام على عكس بعض الأديان المُحرَّفة لأهل الكاتب كما سبق وبيّنَا شيئاً من ذلك، بل يَدَّعِي بعض الباحثين المسلمين أنّ في الوحي الإسلامي أدلة أو إشارات على ذلك؛ حيث وجدوا بعض النصوص رُبَّمَا قد يكون فيها أوجه دلالة صحيحة، مثل قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح14)، وقول الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (الأنعام 133)، فكَيْفَ ومَنْ هم ذُرية قومٍ آخرين الذي أنشأنا الله منهم ؟ فالآية تدُلُّ أنّ هنالك قوما آخرين أنشأنا الله منهم رُبَّما قد يكن فيهم شيئا مِن المغايرة لنا، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (العنكبوت20)، ففيه حثٌّ على السَيْر في الأرض والبحث عن كَيْفيَّة بدء ونشوء المخلوقات، وهذا قد يدخل في هذا النّظر التَّأمُّل في المخلوقات الحَيَّة وتَتَبُّع المُستَّحَثات والأحفورات الميّتة، ودراسة كيفية خلقها وأزمنة ظهورها، وقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور45)، وقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام98)، وقد بيناّ آنفا أن النفس الوحدة لا يُقْصَدُ بها ضرورةً في القرآن الكريم آدم عليه السلام –راجع الفصل

هنا مثالا عما كانوا يقولون حول الزائدة الدودية للإنسان حيث ادّعَى البعض أنه لا وضيفة لها في جسم الإنسان وأنها من بقايا الأسلاف التي كانت تُستَعمل عندهم، ثم أظهرت دراسات حديثة بطلان هذا القول، حيث نُشر بحث علمي حديثا يُبَرْهن أنّ هذه الزائدة ذات فوائد كبيرة، الزائدة قد تعمل كمخزن أو ملجأ للبكتيريا النافعة، وهذه الأنواع من البكتيريا النافعة تساهم في الإبقاء على الأمعاء صحية وتساعد في الشفاء من البكتيريا الممرضة، والنُقْصُ في أعدادها يُسبِّب مشاكل هامَّة في القولون تبدأ بعسر الهضم ولا تنتهي عند انتفاخ القولون والغازات. (انظر: https://www.sciencedaily.com/releases/2015/11/151130130021.htm ، https://www.nature.com/articles/ni.3332)

الأول-، وقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء30)، وخلق الإنسان من الجماد قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة7)، وقوله تعالى في إخراج الحي من الميت: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) (19) فالله تعالى يخلق ويخرج من الشيء الميِّت الجامد الشيء الحي، والتطورية تقول أنّ المخلوقات الحية والإنسان خاصة خُلِقوا من الجماد وتَطَوَّروا منه عبر مئات الملايين من السنين، وقول الله تعالى الذي فيه كلمة خليفة الذي يخلف من قبله وسؤال الملائكة الشهير؛ قال الله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة30)، وقد سبق لنا الاستدلال بقياس الملائكة في هذه اللآية حول وجود مخلوقات قبل آدم عليه السلام،- ويذكر أحمد العمري في كتابه "لِيَطمَئِنّ عقلي " في معنى كلامه أنّه يمكن النظر إلى سفك الدِّمَاء هنا بعين الانتقاء الطبيعي والبقاء للأقوى التي كانت تعيش فيه المخلوقات،[1] والله أعلم -. وقول الله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) (نوح17). والله أعلم.

لذلك يجب الانطلاق من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه البحوث، وتحكيم كل الأدلة العلمية المتحصل عليها من هذه النظرية التطورية وما شابهها من البحوث التجريبية إلى الوحي، ولا أقول الأدلة فقط وإنما ما هو أهم، وهو تحكيم نتائج هذه البحوث إلى كلام ربِّناَ، وبالتالي يمكن بعدها الحكم على هذه النظريات بتخطيئها أو تصويبها أو السكوت عليها.

وكذلك الاستفادة من هذه النظرية التَّطَوُرِية وعدم تركها للملاحدة قد يترتب عليه فوائد متعددة، لا سيما وأن هذه النظرية قد أصبحت شبه مُسلّمة علمية تُدرّس في أغلب الجامعات – حتى وإن كان الكثرة والاعتراف ليس حجة إنما الحجة بالدليل-،

[1]- انظر: أحمد خيري العمري، ليطمئنّ عقلي، دار عصير الكتب، ط أولى، 2019، ص 180.

وكذلك لما فيه من إبطال سلاح الخصم اللاديني في محاربة الدين -فينقلب السحر على الساحر-، فيكون الدليل الذي يحاول أن يَسْتدِلّ به المُلحد على إلحاده دليلا يُبْطل مذهبه بالدرجة الأولى بل ويدُلّ أن لهذه المخلوقات خالقا عليما حكيما يخلقها ويُوجِهُهَا توجيها ذكياً، وفق سنة كونية مضبوطة حكيمة، -فالطبيعة تكره الفراغ فإن تركناها للملحد فإنّه سوف يُحَرِّفُها إلى مذهبه الباطل ويستعمل هذه النظرية لمحاربة الدين والمتدينين-. ولما فيه من العدل الذي أمرنا به الشارع في التعاطي مع المعطيات والأخبار والعلوم، والنظر بإنصاف في الأدلة التي تقدمها بعد تمحيصها، وهذا بالرغم من اختطاف هذه النظرية من بعض الماديين لمحاربة الدين فإن هذا لا يُغَيِّر من كون الحق حقاً -إن وجد فيها-، فقد يحمل الفاسق شيء من الحق ولو كان فاسقا، فنحن يجب أن ننظر في حجية العلم لا في حامله، ونحكم على عموم الشي لا شوائبه، وهذا من العدل الذي يجب أن نتحلى به، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة 8)، - مع العلم أن كثيرا مِمّن يعتقد بصحة هذه النظرية في الأوساط الغربية هم من المتدينين ومن المؤمنين بوجود خالق -. ولِمَ فيه من البحث في تفسير نشأة الإنسان القديم، والذي تتهافت إلى فهمها قلوب الباحثين الغربيين والشرقيين، ولِمَ فيه من استعطاف من يعتقد بهذه النظرية وتأليف قلوبهم للإسلام، وتبين لهم الحق في أن هذه النظرية في جوهرها لا تناقض الإسلام، ولِمَ فيه من قطع ذريعة كبيرة أمام الإلحاد، وكَبْت شبهة مهمة أمام خروج بعض الشباب المسلم من الدين وبخاصة ضعيفي الإيمان المتأثرين بالغرب،[1] وأنه لا تثريب على المؤمنين الذين يعتقدونها، بل تذهب الشبهة من قلوبهم، ولِمَ فيه من مُداراة وتوجيه أصحاب المنهج التجريبي وبعض غلاتهم، ولِمَ في ذلك من حاجة مُلِحَّة في فصل الأفكار الإلحادية والعنصرية التي أُلصقت بالتطورية، وإخضاع النظرية وتكييفها مع الدين لا العكس، ولِمَ في ذلك من التماس العذر لمن

---

[1]- حتى إني أعرف شاباً مسلما كان ملازم لي، ثم ألحد، وكان من أهم أسباب إلحاده هذه النظرية، والحمد لله قد منّ عليه وهاده، ورجع مجددا للإسلام.

يخالفك في إثبات هذه النظرية ويعتقد بصحتها، وأن ذلك لا ينْجرُّ عليه تكفير ولا تفسيق ولا تبديع -مثل باقي الأمور الدُنْيويّة التي لا يترتب على الاختلاف فيها شيء فهي اجتهادات علمية تَتَنوَّع فيها رؤى الباحثين-، بشرط أن يُثْبت ما أثبت الله تعالى، وأن لا يُطَبِّق التطورية على آدم عليه السلام الذي خلقه الله خلقا مُستقلا بيديه سبحانه دون ريب في ذلك.

لكن يجب الإقرار أنّ السُكُوت على أشياء كالتطورية وترك كل إنسان يختار تصوّره فيها -رفضا لها في الغالب لا سيما عند كثير منّا- مراعاة لبعض الأزمنة والأوساط والأفكار والشخصيات، قد يكون له أحيانا من المزايا وبعض الفوائد أكثر من السلبيات المترتبة على إثباتها والإقرار بصحتها وبخاصة إذا تُرِكَت كأنَّها تُعارض الدين، لِمَا يَنجَر من مضار لَمَاّ لا تكون الأمة أو الفرد متهيئين لقبول هذه الفكرة دون تفصيل، وبخاصة عندما لم يَحِن الوقت لمعرفة مثل هذا الأمر، -لكن أرى أنّه قد بدأ يحين الوقت لإحاطة بعض الخواص من هذه الأمّة بهذه المسألة، ثم يدرِّسوها للباقين كل بحسب مبلغ علمه واحتياجاته المعرفية- لكن هذا يختلف من شخص لآخر، ومن زمن إلى زمن، وبحسب القدرة العلمية للإنسان والوسط، وطريقة فهمهما للوحي خاصة ودرجة مخالفتهما لما هو موروث من غير دليل، أو هو معتاد من غير برهان، ويختلف كذلك باختلاف الزمان والمكان، فإذا عَلِمنا أن شخصا ما لا يمكن إقناعه بوجود بشر قبل آدم عليه السلام، لتعصب أو غير ذلك، ففي كثير من الأحيان لابُدّ من تركه على حاله من رفضه القطعي للتطورية، لأن عدم رفضه لها وقبوله بها، يترتّب عليه تناقض فهمه للوحي مع هذه النظرية، وهنا يقع الإشكال الكبير، وهذا قد يتطور إلى شبهة، والشبهة قد تتطور إلى شبهات، والشبهات قد تصعد إلى درجة الشّك في الدين، وهذا من المفسدة بمكان، فمثل هذا الشخص اُتركه وشأنه، فإن هذا الأمر ليس من أصول الإيمان كي يجب عليه تصديقها، بل ليس هذا من الحكمة. لكن إذا رأيت في هذا الشخص انصافا ونضوجا عقليا أو اختصاصا -وبخاصة أهل العلم الشرعي والطبعيين وأهل علم الإنسان والآثار وماشابه -، ولاحظت فيه تَتَبُعا للدليل، وقبولا للحق مهما خالف المؤلوف، وكان في

الأمر ضرورة معرفية، فعليك أن تخبره بالحقيقة، فإن إدراك المسلم وبخاصة ذوي الاختصاصات السابقة أنه يوجد بشر قبل آدم عليه السلام استنادا على الوحي، وأنّ هذا الوحي الفصل لايناقض هذه النظرية، فإنّ هذا يُبْعِدُ عليهم مثل هذه الشبهات والاشكالات العقدية –وهذه الشبهات أهل علوم الأحياء والإنسان أكثر عُرضة لها لأن اختصاصاتهم تُعَرِّضُهُم لذلك–، ويفتح عليهم أبواب اجتهادية أخرى كل في اختصاصه، كونه قد حصل الفهم السليم للنص الشرعي وذلك لا يناقض العلم الصحيح الحديث إن صحّ، لأن هذا العلم الحديث مبني على قواعد العقل الصريح، والعقل الصريح الصحيح لا يتناقض أبدا مع الوحي، بل هذا العلم الحديث قد يُساهم في نشر هذا الحق، إلى أنّ يفتح الله تعالى إن شاء وتفهم باقي الأمة وعلى رأسها علماؤها هذه الحقيقية، ويُصْغِي علماء الشرع إلى علماء الأحياء والطبيعة والعكس، أليسوا كلهم من المسلمين؟ ويُقَدِّر كل واحد ما عند الآخر من عِلم، كي يَتَّفِقُوا على قول واحد أو يتقاربوا على الأقل على أقوال متقاربة في هذا الموضوع، ولِمَ لا؛ فالإيمان هو الذي يجمعهم، والقرآن هو حَكَمُهُم، ويدركوا هذه الحقيقة العظيمة، بأنّ الوحي يُشير إلى وجود بشر قبل آدم عليه السلام، ولا مجال أن تُنكَر بعدها أي فكرة علمية في تفسير النَّشىء الأول إلا بالدليل، ولا حرج أن يُدرس كل اجتهاد في ذلك، ابتداء بقياسه على الوحي.

إنّ عدم فهم الوحي حَقَّ فهمه، حيث يُضيّق معناه الواسع، ويفهم خلاف معناه الحقيقي، هذا له من السلبيات بحيث إذا ظهرت نظرية علميّة مُعَيَّنة عليها شيئا من الدليل تصادم هذا الفهم الضيق للوحي، ترى في ردة فعل الناس على ذلك أنواعا، فإما ترى من تقع الشُّبه بل والشّك في قلب ضعيف الإيمان، وهنا يقع المشكل الكبير،[1] وإمّا

[1]– وهنا يوجه السؤال للباحث الذي يُدَافع على بطلان هذه النظرية، هل يمكن أن ينزع الشك من هذا الضعيف المتأثر بما يثبته الغرب؟ إن كان نعم فبها ونعمة، وإن كان لا، فليس له أن يُنْكِر على من يعتقد بصِحَّة النظرية التطورية أن يهدي هذا الضعيف، وأن يزيل الشبهة عليه مُبَيِّنا له أن هذا الذي يعتقده لا يتناقض مع الوحي. بل أرى أن الثاني أولى في إقناع هذا الضعيف من الأول، كونهما يتفقان

في الجملة حول التطورية، ويلتقيان في شيء يختلف معهما الأول فيه جملة وتفصيلا، فيبقى فقط أن يُبين للضعيف الذي شك –ويدخل في ذلك حتى المُسْلِم الذي ألحد بسبب هذا الأمر– الموقف الصحيح للوحي في ذلك والذي رأينا جزءا منه سابقا. ويَحِقُّ بعدها أن نطرح سؤالا مهما: أليس من الخطير يا من ينكر نظرية التطور أن نترك هؤلاء الشباب الذين درسوا في الجامعات في علم الأحياء والإنسان أن يتشككوا في دينهم، بحصرهم في جواب واحد في الأمر، وتحريم عليهم أن يختاروا خلاف ما هو موروث أو ما ترجَّح لهم، أليس من الإنصاف اعتبار باقي الآراء التي تخالفك لا سيما وأنها تُنَجِّي كثيرا من الشباب من هذه الورطة العقدية، فيجب علينا أنْ لا ننسى أنّ النظرية التطورية كانت سببا معتبر في إلحاد بعض الشباب المسلم، أليس من الأدلة في القرآن والسنة والتي سقنا بعضها في هذا الكتاب ما يكفي في إثبات أن هذه التطورية لا تناقض الإسلام، فلماذا جعلها العدو واختلاق أعداء غير حقيقيين، وإدخال المسلم عنوة في معركة وهميةً –تكاد تنتصر عليه بأدلتها العلمية– والذي هو في غنا عنها، أليس أنّ إيهام الناس بأن الإسلام يعارض هذه النظرية فيه نوع من الاستنساخ لفعل الكنيسة ورهبانها مع العلماء في زمن الظلمات الأوروبي، لا سيما وأنّ وحينا سليم وغني عن كل تشبيه مع التحريف الذي تعرض له كتاب النصارى، فكيف بعدها نَضِلُّ أو نتشبه بقدماء النصارى وكلام ربنا وسنة نبينا صافيان بين أظهرنا، فما المانع أن تُوجَّه هذه النظرية توجيها صحيحا، ويقبل فيها كلام بعض علماء شرعنا الذين أجازوها إن صَحَّة –كمحمد عبده ورشيد رضا–، وتُقْرأ قراءة سليمة –وهذا الذي أراه– ويُنْزَع ما أُلصِق بها من بعض الشوائب الإلحادية وتُبدَّل بخلق الله المتدرج في المخلوقات، من دون أن يمسّ ذلك أو يتعارض مع معجزة خلق آدم عليه السلام المُستقِلّة، أليس البشر قبله كثير كما أثبتنا، وما لنا إن أراد الله أن يخلق الكائنات من أصول وآباء مشركة ثم تتنوع وتتدرج وتتعدد شيئا فشيئا، أليس التدرج من سنن الله في خلقه، والتأقلم كذلك، – أم نريد أن نملي على الله كيف يخلق بحسب أهوائنا ؟ (خلقا حسب المَقَاس) –، أليس إن كان التأقلم والتطور الصغير يكاد يُجمع عليه الفريقين–التطور الصغير نوع من التأقلم يثبته كل من الخلقيين والتطوريين–، يمكنه أن يَتَدَرّج ويصبح تطورا كبيرا (وهذا الذي ينكره معارضو التطورية)، –فالشيء اليسير إن طال الزمن عليه يصبح كبيرا، فالقارات الأرضية كانت ملتصقة قبل زمن بعيد كما يثبت ذلك علم الجيولوجيا (وكيفية رسم القرات أكبر دليل أنها كانت ملتصقة)، لكن بعد ملايين السنين أصبح بينها آلاف الكيلومترات، وهذا نتاج تباعد سنوي يسير، وأصناف الكائنات الحيّة قابلة للقياس على هذا المثال، فالزمن الطويل قادر على أن يُغير الشيء الكثير، ويقلب الحالة جذريا، بل الحجر القاسي قابل أن يتغير شكله بفعل

حفر الماء أو الريح له بعد آلاف أو ملايين السنين، ولكم مثال في الوديان وأشكال الجبال-، فإن كنّا نؤمن بالمعجزة فيما هو أكبر من هذا، كمعجزة خلق آدم عليه السلام الذي خلقه الله من تراب، ومعجزات التي أجراها الله على الأنبياء، فمن باب أولى أن نقبل بما هو أقل من هذه المعجزات والذي يدخل تحت سنن السببية، كالصَّيرُّورَة من التَّطوُّر الصغير إلى التطور الكبير (وهذا موضع الخلاف بين الفريقين)، أليس قد ظهر عدد من الحلقات البَيْنِيّة التي كان يُطالب بها المعارضون للنظرية -أي حلقات مفقودة ما بين أصناف متباينة من الحيوانات-، كأحفورة حيوان (التايتاليك، TikTaalik) الذي هو حيوان ما بين الحوت والزواحف، وأحفورة طائر (الأركيوبتيريكس، ArchaeopTeryx) الذي هو طائر ما بين الديناصورات والطيور -فيه إشارة إلى تحول بقايا من الديناصورات إلى طيور-، أو أحفورة (الحيَّة ذات الأرجل، Serpent a PaTTe Fossile) والتي هي حيّة عندها أرجل صغيرة تُصنَّف على أنها حلقة ما بين الحيَّات والزواحف -فيها إشارة إلى تحول بعض الزواحف إلى حيّات-، وغيرها من الكائنات ذات الحلقات البينِية، راجع قائمة الأحفورات للكائنات الوسيطة والبينِية (موسوعة ويكيبيديا رابط: https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_transitional_fossils، https://en.wikipedia.org/wiki/Transitional_fossil)، ولا يكفي المقام هنا لبسط كل أدلة التطورية وليس هو الهدف الأساسي لهذا الكتاب، ولكن لا بُد من بيان أن هذه النظرية لا تعارض الإسلام، وأن لها من الأدلة ما هو مُعْتبر وقوي، وأنّه من الخطأ ومن التَّكلُّف أن نُدْخِلَ الإسلام في صراع معها جُورا بسبب فهمٍ مُقَلِّدٍ قاصِر، ونجعل الإسلام خطأ كأنه يناقض أدلة علمية معتبرة، فيقع الغلط الوخيم، ويترتب عن ذلك إشكالات عقدية، ابتداء عند بعض الشباب المسلم، وانتهاء عند نظرة كثير من الباحثين الغربيين للإسلام، إضافة إلى بعض الإشكالات العلمية التي تحتاج إلى أجوبة في باب تصادم العلم مع الدين، وغير ذلك من الخلل واللبس في هذا الأمر، فالوقاية خيرٌ من العلاج، فالتحري هنا مطلوب، والترَّيُّث جِدُّ مرغوب، والإصابة هنا في الحكم ضرورية، فالخطأ هنا لا يكاد يُغْتَفر، كي لا نَنْسِبَ إلى الإسلام ما ليس إليه، ولو بِحُسن نِيّة وإرادة تَنْزِيْه، وقبل هذا مُراعاة للعدل الذي أمرنا به دِينُنَا في الحكم على الأقوال والآراء والنظريات.

ترى من الناس من يُعرض عن البحث في المسألة، ويقدّم فهمه الخاص للكتاب والسنة على النظرية دون مزيد بحث، فإن كان هذا عنده شيء من التقصير إلا أنه قد نجى –وفي بعض الحالات ينجو إلى حين–، وهذا أسوب التقليد الذي له وعليه. وإما ترى من يُعرض عن النظرية والبحث إعراضا، وعن الرجوع السليم إلى الوحي ابتداء، مُقدما الموروث على جوهر النصوص، ظانا أن ذلك هو النص وأنّه على الحق المبين الذي لا يعتريه شك، فيُسارع في نفيها مباشرة، ويجتهد في كبت أي محاولة في إعادة قراءة الوحي قراءة سليمة –مُخَلَّصَة من الموروثات والإسرائيليات وغير ذلك– بِحُجَّة أن هذه القراءة غير معهودة، وبالتالي ينفي أي توفيق بينها وبين الوحي، بل يُرفض أيُّ رأي يثبت أنّها لا تناقض الوحي، ولو كانت هذه النظرية المعينة عليها شيئا من الأدلة العلمية المقبولة التي تَسْتَهِلُّ الوقوف والنَّظَر.

لكن ربما إن كانت هذه النظرية العلمية ليس لها رواج أو نظرية منسيّة وغير شهيرة لربما غضينا الطرف، ونسيناها بشرط إن لم تخالف العدل والإنصاف الذي أمرنا الله به وإذا دعت الحكمة إلى ذلك، لكن إذا كانت هذه النظرية عليها شيء من الأدلة واشتهرت بين الناس، وأصبحت حقيقة مُسلَّمَة عند كثيرٍ من الباحثين مكسبَةً أهمية كبيرة في أوساط البحث العلمي، هنا تختلف المسألة، إذ لابد من الرجوع إلى نصوص الوحي الذي هو الفصل في الأمر، وإعادة البحث فيه بحثا صحيحا وإبعاد الموروثات والإسرائيليات التي ضيّقت كثيرا من فهمنا لوحي ربّنا، ولا أقول تأويله إلى تأويلات بعيدة، أو لَيّه ليّا مقيتا – أي لي نصوص الوحي –، وبالمقابل لا أقول كذلك تحجيره تحجيرا مذموما، وبالتالي الخروج من الوحي بالنتيجة الصحيحة الصافية الفهم، التي تتطابق مع مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن تعذرّ فيجب أن تقترب ما أمكن إلى مرادهما، وهي التي نحكم بها على مثل هذه النظريات نفيا أو إثباتا أو بين ذلك –يعني إقرار بعض الأشياء ونفي أشياء أخرى– دون أن نخاف في الله لومة لائم.

أما رد مثل هذه النظريات العلمية ابتداء؛ بسبب ما قد تُحْدِثه في النفس من صَغَار كونها تُرجع الإنسان إلى أصل مشترك مع الحيوان، فهذا ليس بحجة تُرد بها نظرية بُنِيت

على شيء من الأدلة العلمية، بل الله تعالى في كتابه قد أثبت أنّ أصل الإنسان أهون من ذلك وهو الطين والماء المهين، أو أن تردّها هذه النظرية بسب العنصرية التي ألصقها بها الملاحدة والماديون فهذا أيضا ليس بحجّة، كوننا مُطَالبون بفصل جوهر الفِّكْرَة من اللباب الدخيل، والتفريق بين الحق وبين التشويه المقصود، وبين الدليل العلمي وبين الكِبْر الأناني. والأصل أن الاستفادة من بحوث غيرنا ليس حراما، بل المسلمون أولى بهذه العلوم، ألم يستفد المسلمون من بعض بحوث اليونان، -مع كون الحذر جدٌّ مطلوب في التعامل مع ماطوّره الغرب- وهذا لا يمنع أن كثيرا من باحثي الغرب موضوعيون، وأن كثيرا من بحوثهم في جوهرها تستند على أشياء صحيحة، والباحثون المسلمون من علماء الإنسان والأحياء والآثار مُطالبون بِتَحَمُّل جزء كبير من المسؤولية في الاستفادة من ذلك بعد تسلُّحِهِم بالعلم الشرعي الذي يؤطر هذا الباب ويعينهم في تمييز الحق من الباطل والصحيح من السقيم، فهم مُؤتمنون في تصفية ودمج مثل هذه النظريات، فإن كان الغرب فعل ذلك مع علوم الحضارة الإسلامية عند زوالها،[1] فما المانع أن نفعل ذلك مع ما توصلوا إليه حديثا، وأعيد أن توخي الحذر مطلوب، في تصفية ما هو مرغوب، فإن السموم تُدسُّ أيضا في العلوم. ولنعلم بعدها أن العلم -أقصد العلم الحديث- هو الذي يتماشى مع الدين لا العكس، وأن العلم الصحيح لم يكن أبدا ليناقض

---

[1]- من أهم أسباب التجديد الغربي، وخروج أوروبا من الظلمات إلى عصر النهضة العلمي الحديث، وتطورها في كثير من المجالات، هو الاستفادة من معارف الحضارة الإسلامية، وأخذها لما توصل إليه العلماء والباحثون المسلمون في شتى المجالات، سواء بالتتلمُذ المباشر على أيدي العلماء المسلمين بإرسال بعثات طلابية من أوروبا إلى الأندلس، أو ترجمت الكتب والمؤلفات والمخطوطات الإسلامية وسرقتها، وهذا السبب الأخير سبب مُهِم في تطور العلم في أوروبا، لا سيما ترجمة أعظم مكتبتين إسلاميتين في الأندلس وقبرص، وهذا بإقرار المنصفين من علمائهم.

الشرع،[1] بل العلم الصحيح يساعد في التَدبُّر والتفكر في كلام الله تعالى، قال سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (54)) (فصلت54.53). ومن أراد أن يخالف في الأمر ويعتقد بطلان هذه النظرية لأدلة ترجّحت له فله ذلك، فهو مجتهد ومأجور إن شاء الله تعالى، فالله تعالى لم يتعبّدنا بمثل هذا الأمر إبتداء، لكن لا يحق لمن رأى بطلانها أن يُكَفِّر أو يفَسِّق أو يُنكِر على من رأى خلاف رأيه، فمثل ما هو اجتهد فغيره كذلك اجتهد.

وفي النهاية لا بُدّ من معرفة أمر مُهِم، وهو أنّ الذي توصّل إليه هذا العلم الحديث لا يساوي شيئا في علم الله تعالى، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَـيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق 12)، وقال تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الحديد3). فإنه لابد لكل نظرية أن تَمُرَّ على الوحي كي نُقِرُّها، فالوحي تِبْيَانٌ وفَصْل لكل شيء. ولابُدّ من فهم وادراك شيء مهم كذلك، وهو سواء أخلق الله خلقا ما مستقلا بمعجزة أو خلقه من أصل مشتركٍ؛ فكل هذا بقدرة الله وحده وإرادته وإبداعه، وهو خالق ومُقَدِّر كل شيء قال الله تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (الفرقان 2)، وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر49)، يَقُول المُفَسِّر السعدي في تفسير هذه الآية الأخيرة: " وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خَلْقِها، وخَلَقَها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير ".[2] وقال الله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ

---

[1]– لأن العلم الصحيح مبني على مقدمات عقلية صريحة، وصريح المعقول لم يكن ليناقض صحيح المنقول، وقد ألف ابن تيمة كتابا مشهور في هذا الباب، تحت مسمى درء تعارض العقل والنقل أو بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول.

[2] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 827.

الْمُصَوِّرُ) (الحشر24)، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: " الْخَالِقُ هُنَا الْمُقَدِّرُ. والْبارِئُ الْمُنْشِئُ الْمُخْتَرِعُ. والْمُصَوِّرُ مُصَوِّرُ الصُّوَرِ وَمُرَكِّبُهَا عَلَى هَيْئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَالتَّصْوِيرُ مُرَتَّبٌ عَلَى الْخَلْقِ وَالْبَرَايَةِ وَتَابِعٌ لَهُمَا. وَمَعْنَى التَّصْوِيرِ التَّخْطِيطُ وَالتَّشْكِيلُ." [1] وهو الذي يُسيّرنا ويُسيِّرُ كل ذرة في هذا الكون، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (يونس 22)، وهو الذي يُمسِك السماوات والأرض وكل شيء أن يزول، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (فاطر41)، وهو قَيُّوم السموات والأرض وقيوميته مُستمِرَّة على خلقه، قال الله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (البقرة 255)، يقول ابن كثير: " {الْحَيُّ الْقَيُّومُ} أَيِ: الْحَيُّ فِي نَفْسِهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا الْقَيِّمُ لِغَيْرِهِ وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ: "الْقَيَّام" فَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا وَلَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِ أَمْرِهِ كَقَوْلِهِ: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ} [الرُّومِ:25]." [2]وهو الصمد الغني عن ما سواه المُفْتَقِرُ إليه كل ما عداه، قال الله تعالى: (الله الصمد) (الإخلاص2)، وهو الذي أنشأ السماوات والأرض من غير مثال سابق، قال الله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (البقرة 117)، يقول السعدي في تفسيرها: " أي: خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق." [3]، وقال الله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف 54).

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 48/18.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 678/1.

[3] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 64.

2. نتيجة حول: هل نظرية التَّطَوُّر تُنَاقِض الإسلام ؟:

لقد رأينا من الأدلة أو القرائن ما تجعل أنّه من الراجح أنّ باقي شعوب العالم التي ليست من آدم عليه السلام، كان فيهم آباء أو أوادم آخرون، لكن هذا التفسير لا يَصْلُحُ أن يُفَسّر به لوحده نشأة كل أصول أُمَم العالم، فيبقى النسل البشري كبيرا وواسعا ومجهولا وقديما ومُعَقَّدا، فهو قابلٌ أن تُفَسّر نشأته بأكثر من نظرية، فلذلك يبقى الاجتهاد في كيفية خلقه مفتوحاً – من غير آدم عليه السلام ونسله –، فحتى لو قُلنا بِوُجُود أوادم للبشر إلا أنّ هذا لا يكفي لتفسير نشأة كل الناس، لأن وجود الأوادم لا يتعارض مع كون النسل الإنساني كان أقدم منهم ورافقهم منذ القديم كما هو ظاهر (كآدم عليه السلام الذي كان مسبوقا بنسل بشري)، إضافة إلى جهلنا بكيفية خلق هؤلاء الآباء، هل هو خلق مستقل كآدم عليه السلام، أو خلق كباقي البشر كنوح عليه السلام (الأب الثاني للأمة الآدمية)، أو تطوُّر وارتقاء عن مخلوقات أدنى، أم شيء من هذا وذاك، ولسبب مُهِم وهو ليس بالضرورة أن يكون كل النسل البشري قد أتى من هؤلاء الآباء أو الأوادم، وهذا ما يجعل أنّ تفسير نشأة الإنسان لا يتعارض مع وجود نسل إنساني تطوّرَ منذ القديم، ولماّ كانت النظرية التطورية أقوى نظريات العلم الحديث في تفسير نشأة الأحياء بما تقدمه من أدلة، فلا مانع من قُبُولها في تفسير نشأة جزء كبير من النسل البشري، للأسباب التالية:

– عدم تعارض هذه النظرية مع الوحي (الإسلام)، فالوحي أثبت الخلق المستقل لآدم عليه السلام، وآما باقي الأمم فالاجتهاد فيهم مفتوح، فالله يخلق بالمعجزة كما يخلق بالأسباب المعتادة والتّدرج.

– الإنصاف والعدل الذي دعا إليه الله في التعامل مع الأقوال والآراء والأدلة. والنظريات العلمية لا تخرج عن هذه الدائرة. (لو قال بها الأعداء والخصوم)

– عدد معتبر من قُدَمَاء علماء المسلمين قالو بمقدمات وأُسُسِ هذه النظرية قَبل دارون darwin والغربيين بمئات السنين، كـ(ابن خلدون، والبيروني، وإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه، كما سيلي إن شاء الله ذِكْر آرائهم)، وحتى عدد من علماء

الشريعة المسلمين المعاصرين رأوا أنها لا تتعارض مع الإسلام كـ (محمد عبده، ورشيد رضا)، ومن الباحثين المسلمين من وجدوا فيها أدلة علمية صحيحة (وكذلك كثير من المتدينين من أهل الكتاب في الغرب يعتقدون بصحتها).

- قُوَّة الأدلة العلمية التي تُقَدِّمُهَا هذه النظرية.

- العجز عن تقديم بَديلٍ عِلميٍ عن هذه النظرية في تفسير طريقة نشأة الحيوانات والكائنات.

- التَّدرُّج في الخلق، والتَّدَرُّج سُنَّة إلهية.

- ظُهُور أدلة علمية جديدة تقوي هذه النظرية كلما تقدَّم العلم.

وقبول نظرية التطور يكون بشروط:

- عدم تناول النَّظَرِيّة التطورية لآدم عليه السلام لأَنَّهُ خلقٌ مستقلٌ مثل عيسى عليه السلام.

- نزع الشوائب الإلحادية من هذه النظرية، كَنِسْبَةِ الخلق للطبيعة، والقول بالصُّدَف العشوائية والأخطاء الخلقيّة، فالله هو الذي خلق الطبيعة وما فيها، وهو الذي يُدَبِّر ويُسَيِّرُها وكل ما فيها، والله تعالى مُنَزّهٌ أن يخلق بالصُّدف والأخطاء، وإنما يخلق بالقضاء والقدر والدّقة العالية والحكمة البالغة.

من المزايا في قبول النظرية التطورية:

- التّخلص من الفهم الضيِّق لخلق البشر في الكتاب والسنة، وعزل الاسرائيليات عنهما.

- القضاء على دعوى احتكار الالحاد لهذه النظرية وتبرئتها منه، فالإسلام أولى بهذه النظرية من غيره من الأديان والعقائد.

- محاربة الإلحاد بسلاحه.

- عدم ادخال الإسلام خطأ في صراع وهمي مع نظرية ذات أدلة علمية قوية، يؤمن بها أغلب علماء الأحياء في العالم.

- إظهار أن النظرية التطورية لا تناقض الإسلام على عكس بعض الأديان المحرفة، وبالتالي استغلال هذه النظرية في الدعوة إلى هذا الدين العظيم.

- النظر إلى التَّطوُّر في خلق الله بنظرة تدّبُرِيّة وتَفُكرية تدلّ على قوة وعِلْم وعَظَمة خَالقه.

- إعادة ادماج ضعفاء الإيمان من المسلمين المفتونين بالنظريات الغربية في سلك الإيمان، وارجاعهم إلى منطقية وعقلانية أدلَّة الكتاب والسنة.

3. عُلُماء مُسلِمُون قُدماء قالوا بتَّطَوُّر المخلوقات قبل داروِن Darwin بمئات السنين:

من هذا العنوان قد يعجب القارئ الذي يجهل هذا الأمر! نعم إنّ التّطَوُّر والارتقاء في المخلوقات قد قال به وأشار إليه بعض العلماء من قدماء المسلمين قبل داروِن بمئات السنين، كإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه، والطوسي، والبيروني، وابن خلدون، والقزويني. بل هذه النظرية التطورية عند أول ظهورها في أوروبا كانت تُتَّهم من قِبَلِ معارضيها بأنّها "مُحَمَّدِيَّةٌ" – أي إسلامية –[1] رُبَّماَ لأن أصول فكرة التطور بشكل عام كانت موجودة في التُرَاث الإسلامي حيث أشار إليها غير واحد من العلماء المسلمين.

وسنذكر إن شاء الله شيئا من أقوال قُدَمَاء عُلَمَاء الإسلام في ذلك على النحو التالي:

---

[1] – voir : John william draper, hisTory oF The conFlicT beTween Religion and science, p 126.
https://pdfbooks.co.za/library/JOHN_WILLIAM_DRAPER-HISTORY_OF_THE_CONFLICT_BETWEEN_RELIGION_AND_SCIENCE.pdf

ابن خلدون (732هـ-808هـ): (الفيلسوف المؤرخ ومؤسس عِلْم الاجتماع):

يقول عالم الاجتماع وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر الأسبق، وعميد كلية الآداب بجامعة أم درمان الأسبق، ومُحَقِّق مُقدمة ابن خلدون، الدكتور عبد الواحد وافي عن ابن خلدون: " عرض -يقصد ابن خلدون- في المقدمة السادسة من الباب الأول وفي الفصل الخامس من الباب السادس لموضوع هام من بحوث علم البيولوجيا (علم الحياة) وهو موضوع ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض وقد ذهب في هذا الموضوع مذهبا سبق به دارون Darwin وجماعة الارتقائيين EvoluTionnisTes فيما يقرونه بشأن ارتقاء الأنواع وانشعاب أعلاها من أدناها وتفرع الإنسان عن القِرَدة العُليا أو تَفَرُّعِها هي والإنسان عن أصل واحد مجهول. " [1]

يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة، المقدمة السادسة من الباب الأول: " اعلم أرشدنا الله وإياك، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته. وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثماني. وأولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرَّج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض. وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً، ويستحيل بعض الأوقات. والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو ألطف من الكل على طبقات اتصل بعضهما ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط، وبها يهتدي بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها، وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها. ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج. آخر

[1]- عبد الواحد وافي، عبقريات ابن خلدون، عكاظ للنشر والتوزيع، ط أولى للناشر -ط ثانية للكاتب، 1404ه-1984م، ص 188.

أفق المعادن متصل بأول أفق النبات[1] مثل الحشائش، وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا

---

[1]- وحتى إن كان في التطورية أمورا عُلِم تفسيرها، إلاّ أنّه فيها أمورا لم يستطع الباحثون تفسيرها بعد، مثل كيفية خلق الله لأول خلية، أو كيف حوَّل الله الجماد إلى حياة، فهذا لا يُشَكِّل عائقا، إذ ليس شرطا أن يكون الله تعالى أنشأ بداية الحياة من خلية، مع كون هذا الاحتمال ممكنا جدا، وحتى إن لم تجد له تفسيرات علمية إلى حد الساعة فإنّ هذا لا يعني بطلان النظرية، فكما تقول القاعدة المنطقية أنّ عَدَم الدليل ليس دليلاً على العَدَم، فإن كنت لا تملك دليلا على وقوع شيء، فإن هذا لا يعني عدم وقوعه، أو بعبارة أخرى عدم معرفة شيء لا يدلّ على عدم وجوده، فيمكن أن يأتي يوم ويُكْشَف فيه سِرُّ كيفية خلق الله عز وجل للخلية الأولى، وليس من العقل أن تُبطل نظرية كاملة بكل ما تمتلكه هذه الأخيرة من أدلة، بسبب فجوة لم يكتشف العلم كيفية حدوثها بعد، فعدم معرفة كيفية حدوث الشيء لا يدلّ على عدم حدوثه. وكمثال عن ذلك: رجل مرّ في صحراء رملية وترك آثار، فأتى رجل آخر وتتبع آثار أقدام الأول فَعَلِم الجِّهَة التي آتى منها، ثم نأتي ونحكم على الثاني ونقول له كيف عرفت من أين أتى الرجل الأول، فيجيبنا بأنه تتبّع جهة آثار مشيه في الصحراء، فنقول له هل رأيت آثار أول خطوة خطاها فيقول لا، فنقول لقد أخطأت؛ لأنك لم ترى أول خطوة خطاها ! ولا شك أنّ هذا الاعتراض باطل، فلا يُشْتَرط العلم بمقدمة الأشياء لمعرفة محتواها أو الحكم بصحتها. أو كمثال آخر؛ ليس ضياع مقدمة كتاب من الكتب، دليلا على بطلان كل ما في هذا الكتاب. هذا وقد ظهرت حديثا نظرية مُهِمّة قد تقدم إجابة على هذا الإشكال، وهذه النظرية قد تتوافق مع القرآن الكريم لأنها تقول باحتمال نشأة أوئل جزيئات الحياة من الطين (صاحب النظرية "الكسندر جراهام كايرنس" اختصاصي الكمياء العضوية): انظر: https://www.livescience.com/13363-7-theories-origin-life.html
https://www.ida2at.com/origins-of-life-puzzle-clay-crystals-is-the-solution/

بل نحن المسلمون أولى بأن لا يكون عندنا مشكلة في هذا الأمر -أي نشأة الخلية الأولى- لأننا نؤمن بالمعجزة، فيمكن أن نقول تَنزُّلاً وليس جزما: أنّه كما يمكن لله أن يخلق بالسُّنَن والأسباب الكونية المتكررة يمكنه سبحانه أنّ يخلق بالمعجزة الاستثنائية في هذه الجزئية – وإن كان هذا فرضا وتَنَزُّلاً مع من يرى استحالة حدوث هذا الأمر-، فيمكن أنّ الله أنشأ هذه الخلية بمعجزة كخلق آدم عليه السلام ابتداء، فالمؤمن أولى بتصديق هذه النشأة من المُلْحِد، كونه يؤمن بالمعجزات -، وإن كان الذي نراه أنّ احتمال تحول الجماد إلى خلايا حيّة قد حدث بسنن الله الكونية وليس بالمعجزة – حتى

قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذي بعده. واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الانسان صاحب الفكر والروية، يرتفع إليه من عالم القِرَدَة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده." [1]

وقد أشار ابن خلدون إلى هذا في المعنى في موضع آخر من كتابه "المقدمة" في (فصل علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، إذ يقول: " وقد تقدم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدركين للغيب. وبيّنّا هنالك أن الوجود كله في عوالمه البسيطة

أنّه قد أدرك وقوع هذا الأمر (أي تحول الجماد إلى شيء حي) بعض من قدماء علماء الإسلام بالرغم من تَقَدُّم زمانهم كما رأينا سابقا -، وسواء استطاع العلم الحديث معرفة تفصيل كيفية خلق الله لأول خلية أو لم يستطع، يبقى هذا يَدُلُّ على إبداعه سبحانه، وأنّ تصميم الخالق العليم يجب أن يكون هو الذي صور الكائنات، فالله كما يخلق بالأسباب يخلق بالمعجزات، وكما يخلق ما يُمْكِن تَفْسيرُه يخلق ما لا يمكن تفسيره، والله كما هو خالق الفجوات هو كذلك خالق الواضحات المعهودات، بل إذا نظرنا إلى كل هذا الكون الذي خلقه الله فإنه في حد ذاته معجزة.

وأما التركيز على الأشياء التي لم تُفَسّر بعد (كنشأة أول خلية) والتغافل عَمْدًا عن الأشياء الكثيرة التي لا تناقض الدين وأثبتتها هذه النظرية، فإنّ هذا من عدم العدل والإنصاف الذي أمرنا الله به، والله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) (النحل 90)، ويقول: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (الأنعام 152)، ويقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء 135). فكما قيل: عَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيَا.

[1] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون وبذيلها شرحها المسمى الجوهر المكنون، تأليف وائل حافظ خلف، دار الكتب العلمية، بيروت، ص171-172-173 وانظر أيضا: عبد الواحد وافي، عبقريات ابن خلدون، ص188-189.

والمركبة على تركيب طبيعي من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم. وأن الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مُستعدّة لأن تنقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى، استعداداً طبيعياً، كما في العناصر الجسمانية البسيطة، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصُدَف من أفق الحيوان، وكما في القِرَدَة التي استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والرويه. وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها." [1]

إنّ ابن خلدون قَرَّر فيما سبق بعبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة (البدائية) من كل مرتبة قابلة بِطبعها لأن تتحول (تستحيل) إلى الكائنات الأولى من المرتبة (الأكثر تعقيدا) التي تليها، وأنّها قد تستحيل إليها بالفعل، وبهذا يَسبِق ابن خلدون بقوله بارتقاء المخلوقات والإنسان دارون ومن تابعه من التطوريين ويقترب من نظريتهم.[2]

البيروني (362هـ-440هـ): (الفيلسوف المؤرخ والعالم الرياضي والرَّحَالة):

من أهم المؤلفات التي تركها البيروني هو كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، وقد تكلم المؤلف في هذا الكتاب عن مختلف أديان الهند وشرائعهم وآدابهم وتقاليدهم وفنونهم، بالإضافة إلى الجغرافيا والرياضيات والتاريخ والفلك والأشياء الهندية المختلفة، وقد ترجم هذا الكتاب المستشرق الألماني سخاو (sachau)، ومَوْضِع الشاهد هنا، أنّ أحد المفكرين الأروبيين وهو راينو (rainow) في عام 1943م اكتشف في هذا الكتاب أنه يحتوي على نظرية التطور قبل نشر دارون لنظريته في الانتخاب الطبيعي بثمان مائة عام.

البيروني يشير إلى الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح: يقول البيروني فيما يخصّ هذا المبدأ المُّهم من نظرية التطور: " إن ّالعالم مَعمورٌ بالحرثَ والنَسلْ، وكِلاهُما

---

[1] - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون وبذيلها شرحها المسمى الجوهر المكنون، حاشية ص172. وانظر أيضا: عبد الواحد وافي، عبقريات ابن خلدون، ص189.

[2] - انظر: عبد الواحد وافي، عبقريات ابن خلدون، ص191.

مُتزايدانِ عَلى الأيّام والتَزايُد غيرُ محدود والعالمُ محدود، وَ مَهما تُرِكَ التَزايُد وتيرَتَهُ في نوعٍ واحدٍ مِنَ النبات والحَيوان، وكُلٌّ مِنهُما لا يكون ولا يفسد مرّة، ولكنّه يُولَدُ مِثلهُ بل أمثالهُ مرّات، استولَت نوعُ شجَرة واحدةٍ أو نوعُ حَيوانٌ واحدْ على الأرض ما وَجَد للإنتشارِ والنَشرِ موضعاً والزرّاع يتنقّى زرعه فيترُكُ فيه ما يَحتْاج إليه ويَقلعُ ما عداه، والنَاطُور يترك من الأغصان ما يعرف فيه النجابة ويُقَلِّم ما سواه، بل النحل يقتل من جِنسِه من يأكُل ولا يعمل في كوّارته، -بل يشير البيروني إلى أمر أكثر دقة بنسبة هذا الانتقاء للطبيعة- والطبيعة تفعل كذلك ولكنّها لا تميّز لأنّ فعلها واحد، فَتُفسِدُ من الشجر ورقها وثمرها وتمنعها عن الفعل المعدّ لها فتزيحها، كذلك الدنيا إذا فسدت بكثرة أو كادت ولها مُدَبِّر وعنايتهُ بالكلّيّة في كلّ جزء منها موجودة فإنّه يرسل إليها من يقلّل الكثرة ويحسم موادّ الشرّة "[1]

لكن ينبغي الإقرار أنّ البيروني كان يصف عقائد أهل الهند، فلا نتستطيع الجزم أنّه كان يعتقد هذا القول، لاسيما وأنّه كان في مَعْرِض وَصْفٍ لإحدى قصصهم. وتبقى هذه الحقيقة بأنَّ مبدأ الانتخاب الطبيعي الذي هو من أهم أسس نظرية التطور، مذكور في كتاب هذا العالم والرحالة الكبير المسلم قبل أن يعيد صياغتها التطوريون الغربيون في العصر الحديث بزمن طويل.

الجاحظ (163هـ-255هـ): (إمام كبير من أئمة الأدب):

قد يَظُن الإنسان أنَّ الجاحظ تناول الأدب فقط، بِكَونه إمام من كبار أئمة الأدب في زمانه، لكن ذكائه أدى به إلى الإبداع في علوم الطبيعة والأحياء كذلك، وهو من أوائل العلماء المسلمين من أشار إلى مبادئ نظرية التطور وهذا باعتبار تقدمه الزماني، أي قرابة الألف والمئتان سنة من الآن.

---

[1] - أبو ريحان محمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ، ص305.

يعتقد الجاحظ تأثَّر الكائنات ببيئتها إذ يقول في كتابه الحيوان تحت عنوان: أثر البيئة :"... وترى جراد البقول والرّياحين ودِيدَانِهَا خضراء، وتَراها في غير الخُضرةِ على غير ذلك. وترى القَمْلَةَ في رأس الشابِّ الأسود الشّعر سوداء، وتراها في رأس الشّيخ الأبيض الشّعر بَيْضَاءْ، وتَرَاهَا فِي رَأسِ الأَشْمَط شَمْطَاءَ"،[1] ولا شك أن تأثير الطبيعة في الكان الحي مبدأ مُهِم من مبادئ التأقلم ثم التَّطَوُّر.

بل يذهب الجاحظ في هذا التأثير البيئي محددا إياه بأنه يمُسُّ الإنسان ويؤثر عليه ويَطْبَعُه، وكأنه يجعل علاقة بينه وبين المسخ، وهنا نورد تَتِمَّة كلامه السابق إن شاء الله، كي يزداد المعنى وضوحا إذ يقول: " وقد رأينا العرب وكانوا أعرابا حين نزلوا خراسان، كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل والدّوابّ وجميع ماشيتهم: من سبع وبهيمة، على طبائعهم. وترى جراد البقول والرّياحين وديدانها خضراء، وتراها في غير الخضرة على غير ذلك. وترى القملة في رأس الشابّ الأسود الشّعر سوداء، وتراها في رأس الشّيخ الأبيض الشّعر بيضاء، وتراها في رأس الأشمط شمطاء، وفي لون الجمل الأورق. فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء. فإن نصل خضابه صار فيها شكلة، من بين بيض وحمر. وقد نرى حرّة بني سليم، وما اشتملت عليه من إنسان، وسبع، وبهيمة، وطائر، وحشرة فتراها كلّها سوداء. وقد خبّرنا من لا يحصى من النّاس أنّهم قد أدركوا رجالا من نبط بيسان [2]، ولهم أذناب إلّا تكن أذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل؛ وإلّا كأذناب السّلاحف والجرذان، فقد كان لهم عجوب[3] طِوَال كالأذناب. وربّما رأينا الملاّح النّبطيّ في بعض الجعفريّات على وجهه شَبَه القِرْد. وربّما رأينا الرّجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ، إلّا القليل. وقد يجوز

---

[1]- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، 1424هـ، 4/295.

[2] – مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين. انظر: شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م، 1/527.

[3] – عجوب: جمع عَجْبُ، بِالسُّكُونِ: الْعَظْمِ الَّذِي فِي أَسفل الصُّلْب عِنْدَ العَجُز، وَهُوَ العَسِيبُ مِنَ الدَّوابِّ. انظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414ه، 1/582.

أن يصادف ذلك الهواء الفاسد، والماء الخبيث، والتربة الرديّة، ناسا في صفة هؤلاء المغربيّين والأنباط، ويكونون جهّالا، فلا يرتحلون؛ ضنانة بمساكنهم وأوطانهم، ولا ينتقلون. فإذا طال ذلك عليهم زاد في تلك الشعور، وفي تلك الأذناب، وفي تلك الألوان الشّقر، وفي تلك الصّور المناسبة للقُرُود. قالوا: ولم نعرف، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض، أنّ الموضع الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور القرود. وقد يجوز أن تكون هذه الصّور انقلبت في مهبّ الريح الشمالي، والأخرى في مهبّ الجنوب. ويجوز أن يكون ذلك كان في دهر واحد؛ ويجوز أن يكون بينهما دهر ودهور. قالوا: فلسنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب؛ لأنّه إن كان على مجرى الطّبائع، وما تدور به الأدوار، فليس ذلك بناقض لقولنا، ولا مثبت لقولكم.

ويصف الجاحظ استمرار الوجود على أنه صراع ولكنه صراعٌ بين نوع ونوع، لامن ضمن النوع الواحد نفسه، فالأقوى والأكثر حيلة يفترس الأضعف ليتحقق التوازن الشامل، فيقول واصِفاً الصِرَاع من أجل البقاء –والذي هو من مبادئ التّطورية–: " فإن الجرذ يخرج يلتمس الطّعم، فهو يحتال لطعمه، وهو يأكل ما دونه في القوّة، كنحو صغار الدّوابّ والطّير، وبيضها وفراخها، ومما لا يسكن في جحر، أو تكون أفاحيصه على وجه الأرض، فهو يحتال لذلك، ويحتال لمنع نفسه من الحيّات ومن سباع الطّير. والحيّة تريغ الجرذ لتأكله، وتحتال أيضا للامتناع من الورل والقنفذ، وهما عليه أقوى منه عليهما. والورل إنما يحتال للحية، ويحتال للثّعلب، والثعلب يحتال لما دونه. قال: وتخرج البعوضة لطلب الطّعم، والبعوضة تعرف بطبعها أنّ الذي يعيشها الدم، ومتى أبصرت الفيل والجاموس وما دونهما، علمت أنّها خلقت جلودهما لها غذاء، فتسقط عليهما وتطعن بخرطومها، ثقة منها بنفوذ سلاحها، وبهجومها على الدّم. وتخرج الذّبابة ولها ضروب من المطعم، والبعوض من أكبر صيدها وأحبّ غذائها إليها. ولولا الذّبان لكان ضرر البعوض نهارا أكثر. وتخرج الوزغة والعنكبوت الذي يقال له الليث فيصيدان الذّباب بألطف حيلة، وأجود تدبير، ثم تذهب تلك أيضا كشأن غيرهما. كأنه يقول: هذا مذهب في أكل الطّيبات بعضها لبعض. وليس لجميعها بدّ من الطّعم، ولا بدّ للصائد أن يصطاد،

وكلّ ضعيف فهو يأكل أضعف منه، وكلّ قويّ فلا بدّ أن يأكله من هو أقوى منه، والنّاس بعضهم على بعض شبيه بذلك، وإن قصروا عن درك المقدار، فجعل الله عزّ وجلّ بعضها حياة لبعض، وبعضها موتا لبعض. " [1]

يقول "بول باترمان" بعدما درس أقول علماء الإسلام في نظرية التطور، وكتب دراسة تحت عنوان (الأصل الإسلامي لنظرية التطور) معلقا على الجاحظ بعدما أورد شيئا من أقواله السابقة: " يتوسع الجاحظ في فهارس أرسطو لتصنيف الحيوانات، ومُعتبراً أنها دليلاً على تصميم الخالق، ويناقش قدرتها على التَّكَيُّف في بيئتها، وهذا بذاته لا يُخبرنا عن العملية التي تسببت في جلب هذه الأحياء إلى الوجود، وعلى أي حال فهناك نص في كتاب الحيوان يثبت فيه الجاحظ ملاحظته على تشابه الكلاب مع الذئاب والثعالب ويوضح ذلك بأنه يعود إلى سلف مشترك بين هذه الأنواع، وبذلك فهو يتبنى الى حدٍ ما الفكرة الأساسية لـ "تغيرية الأنواع" وكذلك قد تكلم عن تكيف الأنواع في بيئتها، ومن كل ما سبق فإنه من المغري أن نقول إن الجاحظ قد تنبأ بالتطور على أساس الانتخاب الطبيعي، ولكنني أعتقد أن هذا لا أساس له، على الرغم من أن النص السابق يبدو هاماً من منظورنا، إلا أنه لم يُمعن التفكير في الموضوع. وبهذا لا ينبغي لنا أن نلوم الجاحظ العالم الرائد في الطبيعيات من القرن الثالث العشر، لأن التطبيقات الواضحة في علم التطور لم تحدث في عصره، فلم نكن نتوقع منه أكثر مما سبق، فنحن نمتلك المعرفة التي نعلم بها كيف تطور العلم لاحقاً بينما هو لم يعرف في حينها. " [2]

---

[1]- الجاحظ، الحيوان، 6/528.

[2] - المشروع العراقي للترجمة، الأصل الإسلامي لنظرية التطور، رابط:

https://www.iqtp.org/?p=14324

وأصله بالإنجليزية: Islamic Foreshadowing oF Evolution, By Paul S. BraTerman, رابط:

https://muslimheritage.com/islamic-foreshadowing-of-evolution/

ابن مسكويه (ت 421): (مؤرخ باحث، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم بالتاريخ والأدب):

يُقَرِّر ابن مسكويه في كتابه الفوز الأصغر قضية اتصال المخلوقات فيما بينها وارتقاء الأدنى منها إلى الأعلى، تحت "المسألة الثالثة: في النبوات، الفصل الأول: في مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض"، إذ يقول: " فأما اتصال الموجودات التي تقول أن الحكمة سارية فيها حتى إذا أوجدتها وأظهرت التدبير المتقن من قِبَل الواحد الحق في جميعها حتى اتصل آخر كل نوع بأول نوع آخر فصار كالسك الواحد الذي يُنّظِم خرزا كثيرا على تأليف صحيح وحتى جاء من الجميع واحد فهو الذي نُنبه عليه بمعونة الله ".[1] ثم يُرتِّب ابن مسكويه بعدها مباشرة كيفية ظهور هذه المخلوقات قائلا: " إنّ أول أثر ظهر في عالمنا هذا من نحو المركز بعد امتزاج العناصر الأُوَل أثر حركة النفس في النبات وذلك أنّه تميَّزَ عن الجماد بالحركة والاغتذاء. والنبات في قبول هذا لأثر غرض كثير ومراتب مختلفة لا تُحصى إلا أناّ نقسمه إلى ثلاث مراتب...فنقول إن مرتبة النبات في قبول هذا الأثر الشريف هو لما نجم من الأرض ولم يحتج إلى بذر ولم يحفظ نوعه ببذر كأنواع الحشائش وذلك أنه في أفق الجماد والفرق بينهما هو هذا القدر اليسير في الحركة الضعيفة في قبول أثر النفس و لا يزال هذا لأثر يقوى في نبات آخر يليه في الشرف إلى أن يصير له من القوة في الحركة إلى أن يتفرع وينبسط ويتشعب ويحفظ نوعه بالبذر ويظهر فيه من أثر الحكمة أكثر مما يظهر في الأول ولا يزال هذا المعنى يزداد فيه شيء بعد شيء ظهورا إلى أن يصير إلى الشجر الذي له ساق وورق يحفظ به نوعه وغراس يصونه بها بحسب حاجته إليها وهذا هو الوسط من المنازل الثلاثة إلاَّ أنَّ أول هذه المرتبة مُتّصِل بما قبله وهو في أفقه وهو ما كان من الشجر على الجبال وفي البراري المنقطعة وفي الغياض وجزائر البحار لا تحتاج إلى غرس بل ينبت لذاته وإن كان يحفظ نوعه بالبزر

---

[1]- ابن مسكويه، الفوز الأصغر، طبعة بيروت، 1319ه، ص86.

وهو ثقيل الحركة بطيء النشوء ثم يتدرج كم هذه المرتبة ويقوى هذا الأثر فيه ويظهر شرفه على ما دونه حتى ينتهي إلى الأشجار الكريمة التي تحتاج إلى عناية ...ويتدرج أيضا في قبول هذا الأثر من ظهور الشرف إلى أن ينتهي إلى رتبة الكرم والنخل. فإذا انتهى إلى ذلك صار في الأفق الأعلى من النبات وصار بحيث إن زاد قبوله لهذا الأثر لم يبق له صورة النبات وقَبِل حينئذ صورة الحيوان...وهذه الرتبة في النبات وإن كانت في شرفه فإنها أول أفق الحيوان وهو أدون مرتبة وأخسِّها وذلك أول ما يرقى النبات من منزلته الأخيرة ويتميز به من مراتبه الأُوَل هو أن ينقطع من الأرض ولا يحتاج إلى إثبات العروق فيما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية وهذه الرتبة الأولى من الحيوانية ضعيفة لضعف أثر الِحس فيها وإنما تظهر بجهة واحدة أعني حِسا واحدا وهو الحس العام الذي يقال له حس اللمس وذلك كالصُدَف وأنواع الحلزون الذي يوجد في شاطئ الأنهار وسواحل البحار ...ثم ينتقل عن هذه الرتبة إلى أن ينتقل ويتحرك ويقوى فيه قوة الحس كالدود وكثير من الفراش والدبيب ثم يرتقي عن هذه المرتبة أيضا ويقوى أثر النفس إلى أن يصير منه الحيوان الذي له أربعة حواس كالخلد وما شابه ثم يرتقي من ذلك إلى أن يصير له من حسن البصر ضعيف كالنمل والنحل والحيوان الذي عيونه تشبه الخرز وليس له أجفان ولا ما يستر أحداقهما. ثم يقوى ذلك إلى أن يصير الحيوان الكامل في الحواس الخمس وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها الذكية اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب وتقبل الأمر والنهي وتستعد لقبول أثر النطق والمييز كالفرس من البهائم والبازي من الطير. ثم يقترب آخر مرتبة البهائم ويصير في أفقه الأعلى وهي مرتبة الإنسان وهذه المرتبة إن كانت شريفة فهي خسيسة ذنيئة بعيدة من مرتبة الإنسان وهي مراتب القُرُود وأشبهها من الحيوان التي قاربت الإنسان في خلق الإنسانية وليس بينها وبين الإنسان إلا اليسير الذي إذا تجاوز صار إنساناً. فإذا بلغه انتصبت قامته ويظهر فيه من قوة تمييز الشيء اليسير فضل تمييز واهتداء إلى المعارف وقوى فيه أثر النفس ويقبل التأديب بالفهم والتمييز. وهذا الأثر كان شريفا بالإضافة إلى ما دونه من رتب البهائم فهو خسيْس دنيء جدا بالإضافة إلى الإنسان الكامل النطق.

المرتبة قريبة من مراتبة الإنسان هي في أفق البهيمة وهي في أقصى المعمورة من الأرض وفي أطوافها من الشمال والجنوب كأواخر الزنج وغيرهم. فإن هؤلاء ليس بينهم وبين الرتبة الآخرة من البهائم التي ذكرناها كثير فرق بالتمييز إلى كثير شيء من المنافع لهم...ثم لا يزال أثر النطق يزيد إلى أن يصير في وسط المعمورة في الإقليم الثالث والرابع والخامس فحينئذ يكتمل هذا الأثر ويصير بحيث تراه من الذكاء والفهم والتيقظ للأمور والكيس في الصناعات واستخراج غوامض العلوم والاتساع في المعارف. ثم يقع التفاوت في هذه الرتبة منها إلى حيث يومى إلى الواحد بعد الواحد في سرعة الهاجس وقوته واستقامة النظر وصحة الفكر وجودة الحكم على الأمور الكائنة والاخبار بالأحوال المستقبلة حتى يقال فلان المعي وفلان المحدس فكأنما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق. فإذا بلغ الإنسان هذه الرتبة فقد قارب البلوغ إلى أفقه الذي يتصل به إلى أفق الملائكة أعني الوجود الذي هو أعلى من الوجود الإنساني ولم يبق بينه وبين مرتبة عليين إلا درجة يسيرة يدركها. وإذا رتَّبنا قوى العالم الصغير وشرحنا اتصال قواه بعضها ببعض وكيف ترتقي قوة الحواس منه إلى ما هو أعلى منها ومنها إلى ما بعدها حتى يجاور المَلَك ويناسبه ويستمد منه فهنالك يتبين غاية أفق الإنسانية ونهاية شرفه وكيفية مرتبته واتصال الروح المسمى في القرآن الروح القدس فَيَطَّلع النَّاظر في هذه المراتب على صور الموجود ويفهمه ويعرف شرف الرسالة وعُلُو درجة النبوة إن شاء الله تعالى." [1]

إخوان الصفا (القرن الثالث للهجرة): (جماعة من العلماء المسلمين):

هي جماعة من العلماء والفلاسفة المسلمين ظهروا في أنحاء مختلفة من العِراق، تناولوا أنواع مختلفة من العلوم، أثَّرُوا في الفكر الفلسفي لذلك الزمن، وهنالك آراء متعددة في زمن نشأتهم، هنالك من يرى أنهم نشأوا في القرن الثالث الهجري، وهنالك

---

[1]- المرجع نفسه، 86 إلى 92.

من يرى أنهم في منتصف هذا القرن، وهنالك من يرى أنهم في القرن الرابع، أو منتصفه، ويرى آخرون أنهم قبل ذلك أي مابين ثمانين إلى ثمانية وأربعين ومائة للهجرة.[1]

يثبت إخوان الصفا التّطوُّر في الكائنات من الأدنى إلى الأعلى، وهذا التطور له غاية وهدف وليس تطورا عشوائيا، لكل كون ونشوء غاية أولا وابتداء، وله نهاية إليها يرتقي، ولغايتها ثمرة تجتنى، فهم لديهم غاية بعيدة أكثر تعقيدا وترتيبا تنزع إليها الموجودات جميعا، أي أنها تبدأ بما هو جزئي لتنتهي إلى ذلك الكلي، تبدأ من البسيط لتنتهي إلى المعقد، فالموجودات دائما متوجهة نحو التمام، من الأنقص نحو الأتم، ومن الأدون إلى الأشرف، وهذا التطور يكون عبر الزمن الذي يؤثر في الكائنات الناقصة كي ترقى إلى ما هو أفضل.[2]

وارتباط الكائنات وترتيبها والتي أصلها واحد يدلّ على اتقان الخالق وابداعه وأنه واحد، جاء في رسالة إخوان الصفا: " واعلم يا أخي، أيّدك الله وإيانا بروحٍ منه، بأنّ الباري، جل ثناؤه، لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات، جعل أصلها كلّها من هيولى واحدة، وخالف بينها بالصور المختلفة، وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة متفنّنة متباينة، وقوى ما بين أطرافها، وربط أوائلها وأواخرها بما قبلها رباطاً واحداً على ترتيبٍ ونظام لما فيه من إتقان الحكمة وإحكام الصنعة، لتكون الموجودات كلها عالما واحداً-منتظماً نظاماً واحداً وترتيباً واحدا، لتدلّ على صانعٍ واحد .فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الأجناس، المُتباينة الأنواع، المربوطة أوائلها بأواخرها، وأواخرها بما قبلها في الترتيب وانتظام المولّدات، الكائنات التي دون فلك القمر وهي أربعة أجناس: المعادن والنبات والحيوان والإنسان، وذلك أن كل جنس منها تحته أنواع كثيرة، فمنها ما هوفي أَدْون المراتب، ومنها ما هوفي أشرفها وأعلاها، ومنها ما هوبين الطرفين.

---

[1]- انظر: مجدي عبد الحافظ، فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص 33-34.

[2]- انظر: المرجع نفسه، ص40.

فأدون أطراف المعادن مما يلي التراب الجص-والزاج وأنواع الشبوب؛ والطرف الأشرف الياقوت والذهب الأحمر، والباقي بين هذين الطرفين من الشرف والدناءة كما بينا في رسالة المعادن .وهكذا أيضاً حكم النبات فإنه أنواع كثيرة متباينة متفاوتةٌ، ولكن منه ما هو في أدون الرتبة مما يلي رتبة المعادن، وهي خضراء الدمن ومنها ما هو في أشرف الرتبة مما يلي رتبة الحيوان، وهي شجرة النخل...[1]

وجاء في رسائل إخوان الصفا: " (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)، (فصل)، اعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيّدك الله وإيَّانا بروح منه، أنّه لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية، وبينَّا طرفا من كيفية تكوينها، وكمية أجناسها، وفنون أنواعها، وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا، وبيناّ فيها أنّ آخر مرتبة الجواهر المعدنيّة مُتَّصلة بأول مرتبة الجواهر النباتية، ...فإن أول مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية، وآخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الإنسانية، وآخر مرتبة الإنسانية مُتَّصِلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السماوات وقانطنوا الأفلاك الذين خلقهم الله تبارك وتعالى لعمارة عالمه مطيعين في طاعته لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون ... " [2]

وجاء في موضع آخر من رسائلهم: " واعلم أيها الأخ أن لهذه الموجودات التي تحت فلك القمر نظاما وترتيبا في الوجود والبقاء، وهي مرتبة بعضها تحت بعض، متصل أواخرها بأوائلها كترتيب العدد وترتيب الأفلاك ...بيان ذلك أنّ المعادن مُتَّصِل أوّلها بالتراب وآخرها بالنبات، والنبات أيضا متصل آخره بالحيوان، والحيوان متصل آخره

---

[1]- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مكتب الإعلام الإسلامي-قم-، طبعة 1405ه، المجلد الثاني، ص166-167.

[2]- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الرابع، ص150-151.

بالإنسان، والإنسان متصل آخره بالملائكة، والملائكة أيضا لها مراتب مقامات متصلة أواخرها بأوائلها [1]

ويُرتِّب إخوان الصفا زمان ظهور النبات قبل الحيوان ويذكرون أسباب ذلك: " ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان، لأنه مادةٌ لها كلها، وهيولى لصورها، وغذاءٌ لأجسادها، وهو كالوالدة للحيوان، أعني النبات. وذلك أنه يمتص -رطوبات الماء ولطائف أجزاء الأرض بعروقه إلى أُصوله، ثم يحيلُها إلى ذاته، ويجعل من فضائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضيجاً، ويتناول الحيوان غذاءً صافياً هنيئاً مريئاً كما تفعل الوالدة بالولد فإنها تأكل الطعام نضيجاً ونيئاً، وتناول ولدها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. فلولم يكن النبات يفعل ذلك من الأركان لكان يحتاج الحيوان إلى أن يتغذّى من الطين صِرفاً، ومن التراب سفّاً، ويكون منغّصاً في غذائه وملاذّه فانظر أيدك الله وإيّانا بروح منه إلى معرفة حكمة الباري، جلّ ثناؤه، كيف جعل النبات واسطة بين الحيوان وبين الأركان، حتى يتناول بعروقه لطائف الأركان وعصارتها ويهضمها ويُنضجها ويصفيها، ويناول الحيوان من لطائف لبابها وحبوبها وقشورها وورقها ... لطفا من الله تعالى بخلقه وعناية منه ببريته، فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ! " [2]. فأما تقديم زمن ظهور النبات من طرف إخوان الصفا فإن هذا ما ينطبق مع بعض البحوث الحديثة التي تقول بأن النبات هو من أوائل الكائنات الحية التي ظهرت في الأرض -قبل الحيوانات-.[3]

[1] - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الرابع، ص276-277.

[2]- المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص180.

[3]- كشف علماء في بنسلفانيا بالولايات المتحدة أن النباتات ظهرت قبل الحيوانات في الأرض، انظر:
https://www.albayan.ae/five-senses/2001-08-12-1.1125765
http://cutt.us.com/x7vz8ym6

ويُرتِّب إخوان الصفا النبات إلى درجات، من الأدنى في بداية السُّلَم النباتي إلى الأعلى الذي يقترب إلى الحيوان إذا جاء في رسائلهم: "وأما النبات فنقول إن هذا الجنس من الكائنات مُتَّصِل أوَّله بالمعادن وآخره متصل بالحيوان؛ بيان ذلك: اعلم يا أخي أو أول مرتبة وأدونها مما يلي التراب هي خضراء الدمن، وآخرها وأشرفها مما يلي الحيوانية النخل...." [1]

ويُرَتِّبُ إخوان الصفا زمان ظهور الحيوانات بحسب تعقيد خِلْقَتِها وكماله، بل يذهبون بعيدا بذكرهم أن حيوان الماء ظهر وجوده قبل حيوان البر: " ثم اعلم يا أخي، أَيَّدَك الله وإيانا بروح منه، بأن الحيوان ما هو تامّ الخِلْقَة كامل الصورة كالتي تَنْزو وتحبل وتلد وتُرْضِع، ومنها ما هو ناقص الخِلقَة كالتي تكون من العفونات، ومنها ما هو كالحشرات والهوام بين ذلك، كالتي تنفذ وتبيض وتحضن وتربي. ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخِلقة بالزمان في بدأ الخلق، وذلك أنها تتكون في زمن قصير، والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمن طويل لأسباب وعلل يطول شرحها، وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة مسقط النُّطْفة، ورسالة الأفعال الروحانية ونقول أيضا إنّ حيوان الماء وجوده قبل وجود حيوان البَر بزمانٍ... " [2] ، وأذكِّر هُنا أن التَّقَدُّم الزماني لحيوان البحر من حيث الوجود على حيوان البّر والتَقَدُّم الزماني للكائن البسيط على الكائن الأكثر تعقيدا يقول به كذلك علماء التّطوُّر المعاصرون.

وفيما يتعلق بعلاقة القرب بين الإنسان وغيره من المخلوقات فإن إخوان الصفا يقولون: " إن رتبة الحيوانية مما يلي الإنسانية ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه وذلك أن رتبة الإنسانية لما كانت معدنا للفضل وينبوعا للمناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان، ولكن عدة أنواع، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورة جسده مثل القِرْد، ومنها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه وكالطائر الإنسي أيضاً، ومثل

---

[1]- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المجلد الرابع، ص277.

[2]- المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص181.

الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات، ومثل ذلك النحل اللطيف الصنائع، إلى ما شاكل هذه الأجناس. وذلك أنه ما من حيوان يستعمله الناس أو يأنس- بهم إلا ولنفسه في نفس قرب من نفس الإنسانية. أما القرد فلقرب شكل جسده من شكل جسد الإنسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الإنسانية وذلك منه متعارف بين الناس [1]

ويُشِير إخوان الصفا إلى مبدأ من نظرية التطور وهو النِّزاع من أجل البقاء: " واعلم يا أخي أيّدك الله وإيانا بروح منه، بأنك إن أمعنت النظر فيما وصفنا، وتأملت ما ذكرنا، وجودت البحث عن مبادئ الكائنات وعِلّة الموجودات، علمت وتيقنت أن هاتين الحالتين، أعني شهوة البقاء وكراهية الفناء، أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها وإن تلك الشهوات المركوزة في جِبلَّتِها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها، وتلك الأخلاق أصول وقوانين لجميع أفعالها وصنائعها ومعارفها ومتصرفاتها " [2]

ويثبت إخوان الصفا بطريقتهم مبدأ آخر من مبادئ التَّطَوُّرية وهو تأثير الطبيعة والبيئة على الكائن الحي، سواء كان إنسانا أم حيوانا، إذ جاء في رسائلهم: " وفي كل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم وألوانهم وطباعهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم، لا يشبه بعضهم بعضاً. وهكذا حكم حيوانها ومعادِنها، مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة. وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها، ولك هذا الاختلاف بحسب طوالع البروج ودرجاتها على آفاق تلك البلاد، بحسب ممرات الكواكب على مسامتات تلك البقاع، ومطارح شعاعاتها من الآفاق على تلك المواضع. " [3].

---

[1]- المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص169-170.

[2]- المرجع نفسه، المجلد الأول، ص316-317.

[3]- المرجع نفسه، المجلد الأول، ص 179.

4. نتيجة حول: علماء من قُدماء المسلمين قالوا بنظرية التّطور:

لقد تبينّ لنا فيما رأينا سابقا أن دَارْوِن ليس هو أوّل من قال بِتَّطوُّر الكائنات، لأن المسلمين سبقوه إلى القول بهذه النظرية التطورية في العموم، وأثبتوا بعض أُسُسِها بإرهاصات بَيِّنَة، بالرغم من اشتهارها فيما بعد باسمه، بعد مئات السنين، وحتى إن لم تبلغ تقريرات قدماء العلماء المسلمين ما فصّلَه داروين فيها، والذي هو بدوره لم يبلغ ما صححه وفصّله العلم الحديث فيها، والعلم الحديث بدوره لا زال يجهل كثيرا من أسرارها، والتي تتبين مع مرور الوقت، إلا أنّه يمكن القول في العموم أنّ النظرية التطورية لها أصول إسلامية، ولا تتعارض في قواعدها الصحيحة مع الوحي.

5. باحثون مسلمون معاصرون يرون بِصِحَّة نظرية التّطور:

يعتقد عدد من الباحثين المسلمين المعاصرين المختصين بِصِحّة نظرية التَّطَوُر، ولا يرون بتعارض هذه النظرية مع الإسلام، ويرون بصحّة الأدلة العلمية التي تقدمها، ولا يجدون بأسا في الجمع بين الإيمان بدينهم وبين التطورية، وسيلي ذكر بعض الأمثلة من هؤلاء وما قالوه حول هذا الأمر إن شاء الله تعالى:

- الدكتور سامي محمد زلط أستاذ التنوع البيولوجي بجامعة قناة السويس (مصر):

يستفتح مقدمة كتابه "لماذا التطور حقيقة؟" بقوله: " كلمة التطور ليست البديل عن كلمة الخالق ... يمكن أن تكون متدينا وتؤمن بالتطور "، مضيفا أن التطور هو التفسير العلمي والمنطقي لما نراه من تنوّع وتشكّل في هذه الحياة، ثم يوضح بأنه لم يجد تناقضا فيما قرأه مع معتقداته كشخص مسلم، لأن عقله يتغذى بالعلم والمعرفة وقلبه وروحه مملوءان بالإيمان بالله.[1]

---

[1]– انظر: سامي محمد زلط، لماذا التطور حقيقة؟، نقلا عن مقال لشادي عبد الحافظ، نشر على موقع قناة الجزيرة تحت عنوان: حرب الدين والجينات.. هل نظرية التطور بديل عن الخالق، رابط: https://cutt.us/qU2dC

- أحمد شوقي حسن، أستاذ علم الوراثة بكلية الزراعة جامعة الزقازيق (مصر):

ومن الباحثين المختصين الذين يرون بصحة التطورية الدكتور أحمد شوقي حسن، أستاذ علم الوراثة بكلية الزراعة جامعة الزقازيق، حيث يوضح في كتابه "ثلاث قصص علمية" أنّ الموقف الحادي المُعادي للدين من قِبل بعض متخصصي البيولوجيا التطورية والمروجين لها، أمثال هكسلي قديما وريتشارد دوكينز حاليا، أعطى فرصة لرواج الفكرة القائلة بالربط بين التطور والإلحاد، ويقول: " إننا نعد التطور سنة الله في خلقه، وندرس آلياته، ونُصحّح فهمنا لها باستمرار ".[1]

- الدكتورة رنا دجاني، عالمة أردنية متخصصة في نطاق بيولوجيا الخلية، متحصلة على دكتوراه في البيولوجيا الجزيئية من جامعة آيوا:

ترى هذه الدكتورة في مقال لها في دورية "نيتشر" الشهيرة أن رفض الطلاب الجامعيين المسلمين للبيولوجيا التطورية هو "فرصة"، فعلى الرغم من أنهم يدخلون إلى الفصل الدراسي رافضين ومعادين تماما لهذا النطاق العلمي، فإنه بنهاية الفصل الدراسي يكون معظمهم قد تقبَّل الفكرة. وبالرغم من أنّ الطلاب يستغربون حين يرونها مسلمة محجبة مع أنّها تقف أمامهم لتقول إن البيولوجيا التطورية هي التفسير العلمي لتنوّع الحياة على سطح الأرض.[2]

ويقول شادي عبد الحافظ صاحب المقال في حول العلاقة بين الدين والتطورية، معلقا على موقف الدكتورة دجاني السابق -بعدما أورد كلامها- وغيرها من العلماء المسلمين الذين يرون بِصِحّة التَّطَورية، " دعنا هنا نتأمل مشكلة مهمة، إلى جانب التصور الخاطئ السائد بين المواطنين في الوطن العربي، والقائل إن التطور يقف بديلا عن الله

---

[1]- انظر: أحمد شوقي حسن، ثلاث قصص علمية، نقلا عن مقال لشادي عبد الحافظ، نشر على موقع قناة الجزيرة تحت عنوان: حرب الدين والجينات.. هل نظرية التطور بديل عن الخالق، رابط: https://cutt.us/qU2dC

[2]- انظر: المرجع نفسه، رابط: https://cutt.us/qU2dC

(تحدّثنا عنه قبل قليل)، فإن تاريخ الترويج ضد التطور، وربطه بالاستعمار، والإمبريالية، والغرب، والإلحاد، والمادية، والعنصرية، وضع المتحدثين عن التطور تلقائيا في خانة نمطية سيئة للغاية، بالتالي فإن دجاني، وغيرها من العلماء المسلمين المهتمين بالبيولوجيا التطورية، هم صدمة كبيرة للطلاب تحديدا، لأن الطلاب قدموا إلى الجامعات وهم متيقّنون من أن المُتحدِّث عن التطور ملحد أو على الأقل يواجه مشكلة حرجة في معتقداته، قولا واحدا! ." [1]

– الدكتور نضال قسوم، الفيزيائي الفلكي الجزائري والحاصل على شهادتي الدكتوراه والماجستير من جامعة كاليفورنيا:

كذلك الدكتور نضال قسوم هو من أشد المعتقدين بنظرية التطور، وينظم إلى العلماء المسلمين المدافعين عن هذه النظرية وله بعض الشروح في ذلك، من بينها ما هو مرئي منشور في الشبكة العنكبوتية.[2]

5. محاولة الجمع بين الوَّحي والنظرية التَّطَوُرِيَة:

وبعد هذا، فإنه لانبغي أن يُفْهَم مما سبق أننا نؤيد كل من حاول أن يجمع بين الوَّحي وهذه النظرية، فنرى أنّ الخطأ الذي وقع فيه بعض المسلمين الذين ترجّحت عندهم نظرية التطور هو محاولة التوفيق بينها وبين نصوص الوحي بتوفيق خاطئ، أي أدى ببعضهم إلى تأويل نصوص الوحي تأويلا خاطئا أو بعيدا كي يُوافِقَ عندهم نظرهم

---

(1)– انظر: المرجع نفسه، رابط: https://cutt.us/qU2dC

(2)– انظر: المرجع نفسه، رابط: https://cutt.us/qU2dC، وراجع بعض شروح نضال قسوم المرئية للتطورية وتناوله لجوانبها الدينية العقدية والعلمية، رابط:

الجانب العقدي للنظرية: https://www.youtube.com/watch?v=bEmth44pj6k

التطورية وأدلتها العلمية: https://www.youtube.com/watch?v=uNDoiokVsWk

للتَّطَوُّر، وهذا الخطأ راجع في بعض الأحيان إلى عدم اختصاصهم في العلوم الإسلامية ولا في تفسير القرآن الكريم، فَغَلَّبُوا ما يُحْسِنُونَهُ من علوم –إنسانية وطبيعية وغيرها من العلوم المحترمة– على حِسَاب تفسير القرآن الصحيح فوقعوا في الخطأ، وكذلك راجعٌ أساسا إلى جهل المُقَدِّمَة المُهمَّة التي يتناولها هذا الكتاب وهي: أنَّ آدم عليه السلام ليس أبا لكل الناس وإنَّمّا كان مسبوقا بكثير مِنْ بَشَرٍ ليسوا منه، فالغفلة عن هذه المقدمة الأساسية وجعل آدم عليه السلام أباً لكل البشر في كل زمان ومكان يوقع كثيرا في الخطأ والتأويل البعيد والمذمون بإخضاع قِصّة خلق آدم عليه السلام إلى اجتهادات مبنِيّة على مُقَدِّمة خاطئة، فتكون النتيجة غير صحيحة، بل قد يقع ما هو أعظم؛ بأن تُحرِّف كيفيّة وقصة خلقه عليه السلام الواردة في الوحي، بتأويلات بعيدة، أو تخمينات خياليّة، تُحَرِّف النص الشرعي عن معناه، ونفس هذه الغفلة عن هذه المقدمة أدت بجمهور المسلمين – وأصحاب الأديان السماوية عموما – في الجهة المقابلة إلى نفي أي تَدَرُّج أو ارتقاء أو تَطَوُّر بشري قبل آدم عليه السلام، بل أدى بهم سَدُّ الذريعة –في التشكيك في فكرة أنّ كل البشرية أتت من رجل واحد– إلى نفي تطوُّر الأحياء وكل المخلوقات على وجه الأرض جملة وتفصيلا، وحتى إن كان قد نَتَفَهَّم هذا الاحتراز المُسبَّق والرغبة في حماية حوزة الدِّيْن، إلا أنّ هذا ليس حُجَّة، فإنّ الغاية لاتبرر الوسيلة، وإرادة التّنزيه لا تُبرِّر الخطأ، فكم مِن مُرِيْد للتنزيه وقع في أخطاء كبيرة من حيث لا يدري، ولا ينبغي الدفاع عن الحق بغِيْر الحق، ولو كانت هذه النظرية وحدها هي التي أُرِيد إبطالها لكان الخطأ أهون، ولما احْتَاج الأمر لكل هذا الإنكار والإطناب – مع كون الوحي لا يُقِّر عدم العدل ويُحرِّم الظلم سواء كان هذا مع الأشخاص أو مع الأفكار أو مع النظريات –، لكن كان الأمر المُتَرَتِب على ذلك هو إقرار تَفْسيرٍ بشَرِيٍ ضَيَّق وخاطئ للوحي، والاستماتة في الدفاع على هذا الرأي الاجتهادي على أنّهُ الحقيقة المطلقة، فلا ينبغي أن يأتي شيء يُشَكِك ولو ذرة في هذا الرأي لقدماء علمائنا المفسرين المجتهدين رحمهم الله، وحتى لو كان هذا أصل من الإسرائيليات – أي جعل آدم عليه السلام أبا لكل

الناس[1]–، وبعد التَّفكُر فإننا نجد أنفسنا في الحقيقة نُدَافِع على فكرة إسرائيلة الأصل، أصبحت للأسف مُسَلَّمَة ومَوْرُوثَة غير قابلة للنقاش عند أكثرنا، بل وجعلناها هي النص نفسه دون أن نترك أدنى مجالٍ للرأي آخر، بل وأدخلنا الوحي خطأ وجهلا من حيث لا نشعر في تناقض صريح مع أدلة قَوِيَّة في العلم الحديث الذي يُؤَلِّهُه كثيرٌ من الناس اليوم، دون أن نُراعي عواقب ذلك الوخيمة وسيئات ذلك العظيمة، فعلى الذين يقولون خلاف هذا أن يتحمّلوا المسؤلية إذن، أولا من جهة الوحي بأن يثبتوا لنا أن آدم عليه السلام هو أول بَشَرٍ مُكَلَفٍ في كل الأرض، –وهذا ما لايمكن إثباته البتة، بل هو باطل بالأدلة القاطعة التي رأيناها آنفا–. وثانيا من جهة نظرية التطور بأن يثبتوا بطلانها من جِنْس الأدلة التي تقدمها هذه النظرية –وهذا من الصعب بمكان نظرا لقوة الأدلة العلمية التي تقدمها هذه الأخيرة–، فإن هُم عجزوا عن ذلك فعليهم تحمُّل التَّبِعَات والمفاسد الكبيرة التي بدأت تَمُسُّ الشباب وطائفة من الباحثين، بِسَبَب الملاحِدَة

---

[1]– وأُذَكِّر بموقف رشيد رضا ومحمد عبده في النفس الواحدة وتأكيده أن جعل آدم أبا لكل الناس هو من قول العِبريين –إسرائيليات–: " وَكَيْفَ يَنُصُّ عَلَى نَفْسٍ مَعْهُودَةٍ وَالْخِطَابُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ. وَهَذَا الْعَهْدُ لَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْرِفُونَ آدَمَ وَلَا حَوَّاءَ وَلَمْ يَسْمَعُوا بِهِمَا. وَهَذَا النَّسَبُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ مَثَلاً هُوَ مَأْخُوذٌ عَنِ الْعِبْرَانِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلْبَشَرِ تَارِيخًا مُتَّصِلاً بِآدَمَ، وَحَدَّدُوا لَهُ زَمَنًا قَرِيبًا. وَأَهْلُ الصِّينِ يَنْسِبُونَ الْبَشَرَ إِلَى أَبٍ آخَرَ، وَيَذْهَبُونَ بِتَارِيخِهِ إِلَى زَمَنٍ أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعِبْرَانِيُّونَ. وَالْعِلْمُ وَالْبَحْثُ فِي آثَارِ الْبَشَرِ مِمَّا يَطْعَنُ فِي تَارِيخِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ لَا نُكَلَّفُ تَصْدِيقَ تَارِيخِ الْيَهُودِ، وَإِنْ عَزَوْهُ إِلَى مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ –، فَإِنَّهُ لَا ثِقَةَ عِنْدَنَا بِأَنَّهُ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَأَنَّهُ بَقِيَ كَمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى. قَالَ: نَحْنُ لَا نَحْتَجُّ عَلَى مَا وَرَاءَ مُدْرَكَاتِ الْحِسِّ، وَالْعَقْلِ إِلَّا بِالْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا – عَلَيْهِ السَّلَامُ –، وَإِنَّنَا نَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْوَحْيِ لَا نَزِيدُ، وَلَا نَنْقُصُ كَمَا قُلْنَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَقَدْ أَبْهَمَ اللهُ – تَعَالَى – هَهُنَا أَمْرَ النَّفْسِ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ مِنْهَا، وَجَاءَ بِهَا نَكِرَةً فَنَدَعُهَا عَلَى إِبْهَامِهَا. فَإِذَا ثَبَتَ مَا يَقُولُهُ الْبَاحِثُونَ مِنَ الْإِفْرِنْجِ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْبَشَرِ أَبًا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ وَارِدٍ عَلَى كِتَابِنَا كَمَا يَرِدُ عَلَى كِتَابِهِمُ التَّوْرَاةِ لِمَا فِيهَا مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ مِمَّا حَمَلَ بَاحِثِيهِمْ عَلَى الطَّعْنِ فِي كَوْنِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ – تَعَالَى – وَوَحْيِهِ." رشيد رضا، تفسير المنار، 211/1.

واختطافهم لهذه النظرية وتحويلها لسلاح ضد الدين، وبسبب أفكارهم التي تحاول أن تملأ هذه الجزئية العلمية أو الفراغ العلمي، والذي عجز المتدينون عن مِلْئِه مكانهم أو تقديم بديل مُقنِع عن هذه النظرية، وإن أرادوا إصلاح خطئهم فعليهم أن يعترفوا بعدم وجاهة الرأي الذي ذهبوا إليه، أو على الأقل أن يتركوا المجال للرأي الآخر[1] بأن يُصْلِحَ تِلْكَ المفاسد التي كانوا سبب ولو غير مباشر فيها، ونرجوا من الله أن يكونوا معذورين باعتبار العذر بالتأويل والاجتهاد.[2]

6. نتيجة حول النظرية التَّطورية وعلاقتها مع الدين:

- النظرية التطورية في عمومها لا تناقض القرآن والسنة، وإنما تناقض الرواية الإسرائيلية واعتقاد الكنيسة لخلق آدم وحواء عليهما السلام بجعلهما آباء أوئلا لكل البشر في كل زمان ومكان.

- إنَّنَا نَدْعُوا مَنْ خالف من المسلمين ورأى عنده أنّ هذه النظرية تُعارِضُ الدين وتَضَايَقَ مِنْهَا، علماء شريعة كانوا وطلبة علم أو علماء علوم وباحثين وعوام، إلى إعادة التَفَكُّر في آيات وأحاديث بداية الخلق في القرآن والسنة، وأن يُتَفَادى ابتداء كل ما هو مَورُوثٌ أو إسرائيلي أو حُكمٌ مُسَبَّق، ثم لِيَنْظُر المؤمن هل يجد معارضة بين نصوص

---

[1]- والذي هو موضوع هذا الكتاب كما رأيتم.

[2]- وقد رأينا سابقا أسباب ذلك؛ ومن أهم تلك الأسباب عدم فهم القرآن جيدا في مسألة بداية الخلق، وجعل آدم عليه السلام أبا لكل الناس ورفض أي فكرة لوجود بشرٍ قبله، وهذا راجع إلى عدم تفسير القرآن بالقرآن في أول آية من سورة النساء، كما قيل ما فسّر القرآن مثل القرآن، وأقصد عدم الاعتماد في تفسير النفس الواحدة في أول سورة النساء بالنفس الواحدة في آخر سورة الأعراف، وحصر النفس الواحدة في آدم صلى الله عليه وسلم بدون أي حديث للنبي صلى الله عليه وسلم أو دليل يحصر ذلك، بل الأثر الإسرائيلي في خلق حواء من ضلع آدم واشتهاره في التفاسير يَتَحَمَّلُ كِفْلا كبيرا في هذا الخطأ.

الوحي في بداية الخلق وبين النُشُوء التدريجي للمخلوقات والإنسان وما قاله العلم الحديث في ذلك، وبخاصة الإشارات إلى وجود مخلوقات عاقلة قبل آدم عليه السلام منفصلة عنه، فما المانع أن تخضع هذه المخلوقات المنفصلة إلى هذا النشوء التدريجي الذي قال به أغلب علماء الأحياء، باستثناء آدم عليه السلام الذي هو خَلقٌ مستقلٌ مِثل عيسى عليه السلام بدلالة الوحي الصريح.

– ليس مَطْلُوباً من المؤمن أن يُصَدِّقَ بنظرية التطور إن كان الأمر لا يعنيه أو يُشَكِّل له أزمة، فالتطورية ليست رُكْنًا من أركان الإيمان كي يُلْزَمَ المؤمن بتصديقها، لكن إن آمن آخرون بها وجمعوا بينها وبين الإيمان بالله، بل وقد يجدون أَدلَّة في القرآن والسنة على ذلك، فليس على الذي يُخَالِفْهُم أن يُحاربهم أو يُحَارب ما يُؤمنُون بِه.

المطلب الرابع: مسائل مُهِمَّة:

1. ما هو دين الإنسان القَّدِيم؟:

قد يظن البعض أن الإنسان القديم لم يكن يعرف ربّه، وأنّه كان متوحشا وناقصا في العقل بحيث لم يتمكن من التّدين، لكن حقيقة الأمر خلاف ذلك.

أولا يقول الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24)، ويقول تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (النساء 164)، ويقول تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل 36)، فإذا علمنا أنّ قدماء البشر الذين عاشوا قبل آدم عليه السلام هم عبارة عن أُمَم، فإنه بالضرورة أن الله قد أرسل فيهم رسلا، وهذا خبر رباني لا مِرية فيه.

أما واقع ذلك العلمي فهم موجود، وحتى إن لم يكن موجودا فإن النص القرآني يقطع في الأمر، ويكفي كل الكفاية عن أن نذهب إلى غيره، ولكن لما كان المخاطب بهذا الكتاب؛ كل الناس سواء كانوا كاملي الإيمان وغير المؤمنين الذي يُرجى إسلامهم، أو ما بين ذلك من ضعفاء الإيمان كي يزدادوا إيمانا، فلا حرج إلى تبين الإعجاز التي حوته

الآيات السابقة، والله تعالى يقول: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت 53)، وكي تُفَنَّد كل الرُّؤَى الإلحادية التي تحاول أن تُفَسِّر نشأة الدين عند الإنسان، وكي تُثْبت بالمقابل الرُّؤيا التي تقول أن التوحيد فطري في الإنسان، وأنه أصل أديان الناس وأسبق من الوثنية، وكي يتبين أن قدماء البشر ليسوا بدرجة الوحشية التي كان يَتَصوَّرُها الغَّرب ويُصَوُّرُها للآخرين، فإننا نذهب إلى دراسات علمية من الغربيين أنفسهم، شاهدة على الحق، سنسردها بإذن الله فيما يلي على مسامعكم.

عند بداية توسع الإنسان الغربي في العالم، إبان النهضة الأروبية، ظهرت التساؤلات عن طبيعة أديان الشعوب البدائية التي كانت تعمر أطراف الأرض المترامية، حيث اعتبرت عقائد هذه الشعوب كأنها شاهد حي عن أديان قدماء البشر، فإن كثيرا من هذه الأمم البدائية لم ترى نور الحضارة، بل حافظت على عقائد أبائها الأولين، متوارثينها أبا عن جد، بعضها دون أن يدخلها التأثير الخارجي.

لهذا السبب شكلّت هذه الشعوب عيّنة نقية صافية للدراسة، سواء عند أصحاب التفسير الإلحادي لنشأة الدين كالإجتماعي الفرنسي إيميل دوركايم صاحب النظرية الطوطمية –تقول أن الإنسان بدأ بعبادة الطوطم، رمز حيواني وماشابه تعبده العشيرة–، أو بالمقابل عند أصحاب النظرية التوحيدية – تقول أن الإنسان منذ القديم كان يعبد الله، بما في ذلك إثبات نُزُول الوحي من الله على قدماء البشر– كأَنْدُرُو لانج (Andrew lange) الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني (Guillaume schmidT).

وعندما نذهب إلى عبادة القبائل البدائية التي تعتبر الأمم الشاهدة على طبيعة عبادة قدماء البشر فإننا نجد العَجب؛ وأعظم هذه الأشياء العجيبة التي نجدها عند كثيرٍ منهم هو التوحيد أو بقايا التوحيد، –والذي وُجِد عِنْد كثيرٍ من أقدم هذه القبائل بل وأقدم الحضارات العالمية–؛ طامِسًا بذلك النظريات الإلحادية التي قالت أنّ الإنسان الأول بدأ بالتعدد الشِّركي وعبادة الأوثان، فالأماكن التي وُجِد فيها هذا التوحيد مثلاً:

عند كثير من القبائل في أمريكا الشمالية،[1] وفي أستراليا، وفي أمريكا الجنوبية، وفي إفريقيا، ووجد أيضا التوحيد وآثاره في حضارات قديمة كمصر، والهند، وفي سومر (العِراق)، وفي الصين وفي اليونان.......وكثير من تلك الأقوام البدائية كان معزولا عن العالم كلية، مثل قبائل جزر أندرمان (أو أندمان)، وقبائل أستراليا، وكثير من قبائل أمريكا، فجزر أندرمان وجد عندهم عقيدة الإله الأعلى، والإيمان بالحياة بعد الموت، والحساب، والإيمان بالجنة والنار، والإيمان بالصراط الجِسْر الذي يُمر فوقه يوم القيامة، من تحته العذاب وتجتاز فوقه الأنفس، والإيمان بالملائكة، والروح، وتحريم لحم الخنزير بالخوف من انتقام الله على من أكله، وغيرها من العقائد والشرائع التي لا يمكن إدراكها بالعقل المجرّد. فمن علّمهم كل هذا ؟ عِلماً أن المستشرق الأول الذي درسهم في القرن التاسع عشر (الإنجيزي إدوارد مان edward man كان رئيس الحكومة الإستعمارية في جزر أندرمان) أكّد أن تلك الجزر لم يقربها غيرهم من الناس، لأنّ الناس كانوا يَظُنُّونَهُم آكلي لحوم البشر، ولم يكونوا كذلك، فظلوا معزولين عن العالم لفترات طويلة، بل عندما تعمَّقَ هذا المستشرق في دراستهم واختلط بهم وتعلَّم شيئا من لغتهم، أكّد له وجهاؤهم وكُبَاراؤهم أنَّهم تلقوا ذلك الإيمان والتعاليم عن آبائهم الأولين.[2] فمن علم آباءهم الأولين ؟ عِلماً أن السُّكَان الأصليين يرجع تَوَطُّنُهُم في تلك الجزر إلى عشرات آلاف السنين (أي قبل الإسلام والنصرانية واليهودية)، وقد وردت دراسات جينية حديثة على

---

[1] – voir : Guillaume schmidT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU , p102 . Andrew lange, THE MAKING OF RELIGION, Longmans green and co, Third ediTion, 1909, P 230-231. Andrew lange, MYTH RITUAL AND RELIGION, The Silver Library, 1901, 1/xxxii-xxxiii.

[2] – voir : Guillaume schmiT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU , p78 a p102 . E.h.man ,On The Aboriginal InhabiTants oF The Andaman Islands, Royal anThropological insTiTuTe oF greaTe briTain and ireland, London, 1932, p88...ومافوقها (وما فوق صفحة 88)

عَيِّنَة بشرية من تلك الجزر، فبعد دراسة الأحماض النووية، أكّدت الدراسة أن الأكثرية الساحقة لشعب أندرمان الأصلي[1] ترجع إلى عِرق إفريقي هاجر في القديم من إفريقية إلى تلك الجزر، وأنّ الهجرة كانت ما بين سبعين ألف (70.000) وخمسين ألف سنة (50.000) قبل الآن (في العصر الحجري الأوسط)، وبقوا في جُزُر أندرمان في شِبْه عُزلة عن العالم، لأحقاب طويلة عشرات آلاف السنين،[2] وإذا أخذنا أقل التاريخين أي خمسين ألف سنة (50.000) وقارنَّاه مع زمن إبراهيم صلى الله عليه السلام -وبداية ظهور الأديان الإبراهيمية- الذي يُقدّر حوالي ما بين 1997ق.م و1822ق.م،[3] أي قرابة ثمان مئة وثلاثة آلاف سنة قبل الآن 3.800 سنة، نجد بعملية طرح، أن قبائل أندرمان كانوا معزولين في تلك الجزر قبل حوالي أكثر من خمس وأربعين ألف سنة (45.000) من ميلاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم والأديان الإبراهيمية عموما، فلا يُعقل بعدها أن يُقال أن الأندمانيين نقلوا عقائدهم من الأديان الإبراهيمية ؟ فهذا الشعب شاهدٌ بما حمله من بقايا دين الحق على ما أوحاهُ الله إلى البشر من عقيدة التوحيد قبل آلاف السنين وعلى بعثة الأنبياء، وهذا ما يُمثِّل جدارا أمام التفسيرات الإلحادية لنشأة الدين عامة، والأديان السماوية خاصة، والإسلام في أخصّ الخاصة، فمن قال أن الوحي والأنبياء كانوا محصورين في الأديان الإبراهيمية فقد ضل ضلالا مُبِيْنا، فهذه أدلَّة علمية أنثروبولوجية تُفَنِّد من قال أن الدين من اختراع البشر وأنّ التوحيد من أواخر ما توصل إليه العقل البشري، وتُكَذِّب من قال أنّ الناس في القديم كانوا مُتَوحِّشين ولم يكن باستطاعتهم معرفة ربهم ولا عبادته، بل هذه الأدلة العلمية تُثبت أنّ التوحيد هو أصل أديان البشر

---

[1]- الدراسة تناولت عينات من حمض النووي للأندمانيين (أو الأندرمانيين) الأصليين، لأنه في الأزمنة الحديثة المتأخرة استوطن فيها كثير من الشعوب المجاورة لا سيما من الهند.

[2] - voir: Brevia, ReconsTrucTing The Origin oF Andaman Islanders, 13 MAY 2005 VOL 308, p996.

[3]- وهو الزمن التقريبي لإبراهيم صلى الله عليه وسلم، انظر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الأنبياء والرسل، مكتبة العبيكان، ط السادسة، الرياض، 1426ه، ص51.

بوجوده مع كثيرٍ من فروع عقائده وشرائعه عند أقوام من أكثر الشعوب عُزلة عن العالم وبدائية، ما يجعل تفسير ذلك إلا أنبياء أرسلهم الله إليهم وأن الإنسان أودَعَ الله فيه فطرة عبادته والإيمان به منذ القديم، وها هو قول الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ) (النحل 36) (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم 30)[1] يتجسد في البحوث العلمية.

والتوحيد أيضا وُجِد في حضارات كبيرة وقديمة مثل الحضارة السومرية (بلاد الرافدين)، وأصلية عبادة لإله الأعلى في سومر مثبتة، فدراسات العلماء تثبت ذلك: يقول عالم الآثار و الآشوريات ستفان لانغدون (STephen Langdon): " بعد دراسة طويلة للمصادر السامية والسومرية، أنا مقتنع بأن الطَّوطَمِيَّة و الروحية ليس لهما أي علاقة مع أصول الأديان السُّومَرِيّة أو السامية، و لا يمكن إثبات ذلك، بل إنهما مظاهر فرعية من تلك الأديان، ربما لا أستطيع الإقناع بنتيجتي التي توصلت إليها و المتمثلة في أن (التوحيد في سومر والأديان السامية قد سبق الوثنية والاعتقاد بالأرواح الطيبة والشريرة)." [2] وهنالك حفريات وتنقيبات أخرى من طرف علماء ألمان في موقع تل أسمر الأثري -بمنطقة ديالى في العراق- تؤكد هذا المعنى بِقِدم هذا التوحيد في حضارة الرافِدين القديمة.[3]

---

[1] - يقول البغوي في تفسيره: " (فطرة الله) دين الله ، وهو نصب على الإغراء ، أي : إلزم فطرة الله (التي فطر الناس عليها) أي : خلق الناس عليها ، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة : الدين ، وهو الإسلام." البغوي، معالم التنزيل، 269/6.

[2] - STephen langdon, The myThology oF all races –SemiTic, vol 5, cooper sqare publishers, 1964, p xviii.

[3] - voir :Wisemans, new discoveries in babilonia aboouT genesis, Air commodore, p22.

أما هنود الأمريكيون فوُجد عندهم أنّ قبائل منهم تعبد الإله الأعلى –بشهادة تقارير ممن درسهم من أوائل المستعمرين الأوروبيين لتلك البلاد–، وتَرفع أيديها إلى السماء لتدعوه، وتُصلي له، وتؤمن بالحياة بعد الموت، والرُّوح الموجودة في الجسم، والشيطان الشرير، وَوُجد عندهم الإيمان بأن الله يُحاسب الناس بعد الموت (الحِسَاب)، ويُثِيب النفس الطَّيِّبَة، وتصعد هذه النفس بعد موتها لتُفتَح لها أبواب السماء ثم يرزقها الخالق بكل شيء، وعندهم تحريم أكل آكلات اللُّحوم من الحيوانات، وغيرها من عقائد وشرائع سماوية وجدها عندهم أوائل المستكشفين الأوروبيين لتلك البلاد الكبيرة، وسأذكر بحول الله بعض تقاريرهم المُبكِّرة (في مطلع القرن السادس عشر) عن أديان الهنود الحُمر في الهامش،[1] وهذا ما يستبعد أي تأثير لنصرانية المستعمرين عليهم. فمن

---

[1]– من أوائل التقارير التي وصفت عبادة الهنود الأمريكيين – أمريكا الشمالية – تقرير (وليام ستراشاي) (Wiliam Strachey) أول سكرتير للمستعمرة البريطانية في (فيرجينيا) الأمريكية، قد أعَدّه في زمن مبكر من استعمار تلك المنطقة، والذي نُشر سنة (1612-1616) بعد اكتشاف البلد والذي يصف فيه عقيدة هنود ولاية فيرجينيا، يذكر إيمانهم بإله أعلى: " هذا الإله العظيم الذي يحكم كل العالم و يُبَرِّق الشمس، الذي خلق القمر و النجوم، أصحاب الشمس،... إنه يسمى (أَهُونْ) (AHONE)، الإله الطيب المسالم،... لا يحتاج إلى أضاحي، لكن يرزق الناس كل الخيرات و لا يؤذيهم ..." Chillame Shmidt, L'origine De L'idée De Dieu, P 101, Andrew Lang, The Making OF Religion, P 230-231, Andrew Lang, Myth RiTual And Religion, 1/Xx Ii—Xxiii.

وفي (نيومكسكو) (Nouveau Mexique)، جنوب الولايات المتحدة، موطن قوم (زوني) (Zuni) من الهنود، وُجد عندهم الإيمان بالإله الأعلى كذلك، إذ ورد في صلواتهم التي كانوا يذكرونها بحضرة الرجل الإسباني: " قبل بداية الخلق الجديد لم يكن إلا (أوُونا وِلونا) (AWONA WILONA)، الخالق والحافظ لكل شيء، أب كل شيء، الذي لم يُخلَق، الذي لم يُولد، ... " Andrew Lang, Myth RiTual And Religion ,2/87, Chillame Shmidt L'origine De L'idée De Dieu, P 102.

عَلّم هؤلاء الهنود هذا الدين ؟ علماً أن جزء من هذه العقائد قد توارثوها عبر أجيال وأحقاب طويلة لا يعلمها إلاّ الله.

وكذلك الأسترالين التي اكتشف قارتهم في العصر الحديث الهولنديون في القرن السابع عشر، وجد عندهم بقايا توحيد، ووجدوا جزء منهم يؤمنون بوجود إله أعلى، ويرفعون أيديهم إلى السماء لدعائه متضرعين وخاشعين، - سبحان الله رفع الأيدي لدعاء الله شعيرة إسلامية بل فِطرية -، ووجدوا عندهم الإيمان بالآخرة والحساب والعقاب، والرّوح الموجودة في الإنسان، وتحريم القتل والزنى والكذب وزواج المحارم، سنُّ الزواج ...[1] فمن علّمهم كل هذه العقائد والشرائع السماوية الصحيحة ؟، ووُجِد طوائف منهم يُختنون الذكور –أي يَختَتِنُون مثل المسلمين واليهود– [2]، فمن علّمَهم الختان، الذي هو من شرائع الأديان السماوية ومن سُنّة إبراهيم عليه السلام ؟ فمثل هذا الأمر لايمكن أن يُدرَك بالعقل المُجرد.

وسندرس التوحيد وما تفرع منه من شرائع سماوية، وُجِدَت عجبا في أمريكا القديمة وباقي الشعوب البدائية وحضارات قديمة في العالم، كالصين ومصر في كتابي الآخر، وسأتحدث عن نبي محتمل في أمريكا الجنوبية يشبه عيسى عله السلام بإذن الله، فارتقبوا الكتاب إن شاء الله تعالى كما وَعَدْت.

وهذان رابطان يتحدثا على هذا النبي المحتمل للاستئناس فقط:

https://www.youtube.com/watch?v=OMiBaq5MgIY

. https://www.youtube.com/watch?v=jC35LoXim2k

(1) – voir : Guillaume schmiT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU, p81 a p91. Langloh Parker, The echlayi Tribe, Archbald ConsTable and Company, London, 1905, p xiii. AlFred howiTT, The naTive Tribes oF souTh-easT ausTralia, p495-p498- p640-p678.

(2) – voir : Guillaume SchmiT, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU, p89. Langloh Parker, The Echlayi Tribe, p xiii.

وبعد كل هذا يمكن أن نقول أن القبائل الأكثر بدائية في العالم، والتي اعْتُبِرَت من طرف الباحثين شاهدة على طبيعة أديان قدماء البشر،[1] كان كثير منها يدين ببقايا التوحيد والشرائع السماوية، ما يَدُلّ على أنّ الله تعالى قد فطر الإنسان على عبادته، وأنه بعث في القُدماء رُسلا وأنبياء يدعونهم إلى عبادة ربهم ويَسُنُّون فيهم عقائدا وشرائعا سماوية، وأن أصل الأديان هو التوحيد، وما الشرك والتعدد إلا شيء طارئ وشذوذا في البشرية يخالف الأصل، ويدّل كذلك أن الإنسان القديم لم يكن بدرجة الوحشية التي يُصوِّرُها البعض -كالعنصريين البيض-، بدليل أنه كان مُتَديِّنا.

وسأتناول أمر التوحيد في الأمم والحضارات القديمة بشيء من التفصيل، مع البحث في أنبياء محتملين من غير الشرق الأوسط في كتابي الآخر؛ كما وعدت إن شاء الله تعالى، فارتقبوه بإذن الله بكتابة اسمي على محركات البحث في النت.

2. (حَوَّاء الميتوكندري) العلم يُثْبِت وجود أُمٍ أخرى أقدم من حَوَّاء المعروفة لكنها لَيْسَت أُمّاً لِكُل البَّشَر:

أُجريت دراسة علمية تَتَبّع فيها الباحثون أصل الحمض النووي (dna) الذي يوجد داخل الميتوكندري، وهذا الحمض له خاصية أنه يُورث من الأم فقط وليس من الأب (فهو أنثوي فقط)، فوجدوا أن أصله عند البشر المعاصرين يلتقي في جدَّة مشتركة، وهذه أم عاشت حوالي مأتي ألف سنة من الآن 200.000 على الراجح في إفريقيا،[2] لكنها ليست أمُّنَا حواء قطعا كون قد مرَّ معنا سابقاً أن زمنها مع آدم عليهما السلام لا يتجاوز الثمن آلاف سنة، لكن هذه المعلومة بِحَدَاثة حواء الحقيقيَّة زمنا لم تكفي لمنع

---

[1] – وهذا لا يعني أنه لم يوجد في التاريخ قبائل مُتَوحِشّة، يمشون عُراة، مثل آكِلي لحوم البشر الذين يسكنون في بعض الأنحاء من إفريقيا.

[2]– انظر موقع ناتور شهير في المجال العلمي:

https://www.nature.com/articles/325031a0?foxtrotcallback=true

خلط بعض الناس بين كل من المرأتين وسوء فهم هذه التجربة عندهم، حتى أدى ببعضهم إلى اعتبار أن هذا الدليل كأنه يثبت أن كل البشر يرجعون إلى أبوين اثنين (آدم وحواء عليهما السلام)، وهذا الأمر خاطئ جملة وتفصيلا، ولذلك لا بدّ أن نُبَيِّن أمورا مُهِمَّة بإذن الله في هذه الدراسة:

أولا: هذه الدراسة أَخَذَت بعين الاعتبار الحمض النووي (dna) للميتوكندري الذي داخل الخلية، وهذا وليس الحمض النووي لنواة الخلية الذي يُمَرِرُهُ كل من الأب والأم للأبناء، فهو يحتوي على الحمض النووي للأباء والأمهات ذكورا وإناثا، والدراسة (للتسهيل) أخذت عينات حمض النووي للميتوكندري فقط، وهو حمض تمرره الأمهات فقط، فوجدوه يرجع إلى أم واحدة، فيعني أنّ هذه الأم كان لها سلسلة بنات لم تنقطع، وأن هذه الجينات قدر مرت إلى الأجيال المعاصرة عبر هذه السلسلة الأنثوية. وهذا لا يعني أنها الأم الوحيدة للبشرية لأن الدراسة لم تأخذ بعين الاعتبار الحمض النووي الذي داخل النواة والذي يوجد فيه جينات الذكور والإناث معا (آباء وأمهات) وينقله كل منها، فالدراسة تجعل هذه المرأة أم البشر من حيث الميتوكندري فقط.(1)

ثانيا: هذه الأم ليست الأم الوحيدة لكل البشر المعاصرين، لأنه كان يوجد نساء معاصرات لها ولكن إما لم يكن لهنّ أولاد، وإما كان لهُنَّ ذكور فقط، أو كان لهن ذكور وإناث لكن استمرّ نسل الذكور فقط، (بمعنى أنهنّ لم تكن لهنّ سلسلة أنثوية من البنات لم تنقطع إلى الأجيال المعصارة) وفي كل هذه الحالات لا تمر جينات ميتوكندري الأم، فإذا كانت امرأة عندها أولاد ذكور فقط ثم توسعت هاته الذُرية عبر الأجيال إلى الملايين فَكَأَنَّها تلك الأم لم يكن لها ولد، بل كأنّها لم تكن موجودة، لأن الدراسة تأخذ بعين

(1) – voir :
http://pages.ucsd.edu/~dkjordan/resources/clarifications/MitochondrialEve.html#happened

الاعتبار جينات الميتوكندي والتي لا تعبر إلا في السلسلة الأنثوية.[1] يقول روجر بول roger bull مستشار البحوث الرئيسية في مخبر التَّنَوُّع الحيوي الذَّرِي للمتحف الكَنَدِي للطبيعة حول هذه الدراسة (حواء الميتوكندري): "إن استعمال تسمية (حواء) هو فهم خاطئ، كون البحث يتناول أَحْدث أصل مُشْتَرَك من حيث الميتوكندري للبشر الأحياء... ولا يتناول أول مرأة بشرية لكل زمان".[2]

لذلك ينبغي أن نَعقْل أنّ هذه المرأة ليست أُماً حقيقية للبشر المعاصرين، فضلا أن تكون أماً لجميع البشر في كل زمان، وإنما هي أمُّ المعاصرين من حيث الميتوكندري فقط، لأنه كان يوجد معها بشرٌ آخرون يعاصرونها، وإن لم تكن جيناتهم مرّت في الميتوكندري إلا أن جيناتهم قد مرت عند المعاصرين في جزء أعقد من الخلية وهو النواة. فلا يَصْلُح إذا الاستدلال بهذه الدراسة على إثبات أن كل البشر المعاصرين يرجعون إلى أم واحدة أو زوج بشري واحد.

وأرى والله أعلم أنّ هذه الدراسة الجينية أقصى ما يمكن الاستدلال بها في موضوعنا –إن صحّ هذا الاستدلال–، أنه ربما قد يُسْتَدَل بها في التأكيد العلمي في وجود حواءات وأوادم متعددة للبشرية كما أثبتنا آنفا، بمعنى أنه رُبّما قد يُستدل بها أيضا إلى وجود نوعٍ من الاصطفاء بحكمة بالغة من الله تعالى بابقاء صنفٍ من الجينات على حساب أخرى، ربما هذا يُذَكِّرُنا في إبقائه الله تعالى لنسل نوح عليه السلام فقط من دون المؤمنين الذين نجوج معه من الفيضان في بعض نواحي الشرق الأوسط وليس كل العالم

---

(1) – voir :

http://pages.ucsd.edu/~dkjordan/resources/clarifications/MitochondrialEve.html#happened

https://www.smithsonianmag.com/science-nature/no-mitochondrial-eve-not-first-female-species-180959593/

(2) – https://www.smithsonianmag.com/science-nature/no-mitochondrial-eve-not-first-female-species-180959593/

-كونه كانت توجد أمم أخرى في باقي أنحاء العالم من غير جهة الطوفان (تركيا وما جاورها) كما مر معنا-، فبقي نسل نوح عليه السلام في تلك الناحية من العالم، وليس بالضرورة يوجد تشابه بين قصة نوح عليه السلام وهذ الدراسة السابقة، إلاَّ أنّ إبقاء الله تعالى لجينات الميتوكندرية لهذه المرأة عبر الأجيال دون انقطاع، ووراثته من قِبَل الناس اليوم يَدُّلُّ أنّه ثمة حِكمة وربما نوعا من الاصطفاء اِلجنِي في هذه الحالة وفي بعض مراحل البشرية، وهذا ما يدعو للبحث أكثر في هذا الموضوع، وبالتالي محاولة البحث في الاصطفاء الراباني لنسل نوح عليه السلام مثلا، أو محاولة تَتَبُّع نسل آدم عليه السلام جينيا وماذا قدم نسله لكل البشرية ؟، ودراسة كل هذا والبحث فيه وإثباته بعلم الجينات الحديث. والنتيجة التي يمكن أن نخرج بها أيضا بعد جمع نتيجة هذه الدراسة بين ما رأينا سابقا من أدلة حول وجود أوادم متعددة للإنسانية، هي بإمكان الدراسات الجينية إذ بلغت مستوى عالٍ من التَّطُور معرفة آباء البشرية، ورُبَّما متى ظهر الأوادم المختلفة للبشر، وتحديد أدوارهم في تجديد النسل في مناطقهم وأراضيهم كنوح عليه السلام، أو إضافة نسل جديد إلى البشرية كآدم عليه السلام بأمته وما أتى منه من شعوب أخرى كالأمّة الإبراهيمية -لأن الفرق بينهما أنّ نوح عليه السلام خُلق من نسل إنساني كباقي البشر وآدم عليه السلام خلقه الله خلقًا مستقلاً عنهم - وإثبات ذلك بعلم الجينات الحديث، والله أعلم.

3. من هم سكان العالم الذين ليسوا من أبناء آدم عليه السلام ولا نَسْلِهِ ؟:

سبقنا أن أشرنا أنَّهُ لما اكتُشِفَت القارة الأمريكية أو ما يُسمى بالعالم الجديد سنة (1492م)، وما حواه من ملايين البشر الجدد، ظهر الإشكال حول أصول هؤلاء البشر، فهل نستطيع بعد كل المعطيات السابقة التي مرت معنا أن نحكم عليهم أنهم من ذرية آدم عليه السلام.

لا بد أن نعرف شيئا عن تاريخ السُّكان الأصليين لأمريكا من الهنود الحمر، وهو هل هؤلاء السُّكان يرجع أصلهم القديم إلى تلك البلاد؟ أم هم من بلاد أخرى؟ تقول

المصادر العلمية أن السكان الأصليين من أمريكا قد قدموا إليها من سيبيريا الروسية، عبر ممرات جليدية قديمة تصل بين أمريكا وروسيا الحالية، (من مضيق بريغ DéTroiT de Béring أو قريب منه) قبل ثني عشرة ألف سنة (12.000) [1] (وقيل خمسة عشر ألف 15.000 سنة)، وهذا يَدُلُّ على أشياء؛ منها أن هؤلاء السُّكَان الأصليين يمكن أن يحملوا معنى هذا الاسم، أي أنهم سكان أصليون لتلك البلاد وهذا باعتبار قِدَم وفودهم إلى أمريكا –وهذه الأولية نسبية وليست مُطلقة لأنّه من المحتمل أن يكون هنالك أناس قبلهم في أمريكا، مع كون العلم الحديث الرسمي في علمي إلى حد الساعة لا يؤكد هذا الاحتمال–، وأهمّ من ذلك أنهم كما يظهر ليس لهؤلاء القُّدماء من الأمريكيين الأصليين علاقة ارتباط بآدم عليه السلام لأنهم أقدم منه (حيث مرّ معنا أن تكلمنا على تاريخ وجوده عليه السلام في الأرض، والذي يتراوح ما بين السبع آلاف إلى الثمن آلاف سنة فقط، وهذا التاريخ متأخرٌ مقارنة بآباء الهنود الحمر الأولين، إذ أنّ وفود آبائهم إلى تلك القارة في حوالي ثنتي عشرة ألف سنة أو أكثر، ويمكن بعدها في ظل هذه المعطيات العلمية أن نقول أن السكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر) ليسوا من آدم عليه السلام وذريته.

وهذه القاعدة قابلة للقياس على باقي أنحاء وقارات الأرض، فكثيرٌ من البشر من غير الشرق الأوسط ليسوا من نسل آدم عليه السلام المباشر، وكذلك كل البشر الذين أصول آبائهم قبل الثمن آلاف سنة ليسوا من آدم عليه السلام، وأكثر هؤلاء الشعوب موجودون في الأراضي والقارات البعيدة عن الشرق الأوسط؛ كأستراليا أو الصين أو الهند أو أوروبا أو إفريقيا، أي أنّ كثير من النسل البشري ليسوا من نسله عليه السلام –إلا ما استثنته الهجرات واختلاط الأنساب بالأمة الآدمية–، وإذا أطلقنا لفظ أبوة آدم عليه السلام عليهم؛ فيكون ذلك من باب التشريف كما مرّ معنا وأن تكلمنا عن ذلك في الفصل الأول.

---

[1] – انظر: الكرباسي، الإسلام في الأرجنتين، ص42.

وقد سبقت أن أشرت إلى أعمال الباحث صافي حمدون في هذا السياق، أي في تحديده لشعوب الأرض التي ترجع إلى آدم عليه السلام، لكن لا أستطيع أن أؤكد تلك النتائج لأني لم أطَّلِع على كل الأدلة التي قدمها، وقد ذكر جزء من تلك البحوث في الشبكة العنكبوتية،[1] لكن أستطيع أن أقول أن العرب أو جزء كثير منهم مع اليهود أو

---

(1)- وفي بحث الباحث صافي حمدون الذي أثبت فيه وجود بشر قبل آدم عليه السلام حيث استغرق بحثه سنين، يقول أنّ أبناء آدم هم العرب والأحباش والتُّرك فقط وهذا ما توصل إليه، إلا أني لم أتمكّن من الاطلاع على الأدلة التي اعتمد عليها في ذلك فلا أستطيع أن أُؤكد أو أنفي هذا الأمر، مع كوني أرجح أنّ اليهود هم كذلك من ذرية آدم عليه السلام فأنّ قصته مذكورة في كتبهم وعلى لسان أنبيائهم، وأما بحثه في العموم فيقول أنّه قدَّمه إلى مُفتي المملكة و أنّ المفتي لم يُقَدِّم عليه ملاحظات أو اعتراض، وتم الاحتفاظ ببحثه وجاءه التوجيه الشفوي بالذهاب إلى وزارة الإعلام. وأما ما يمكن أن أقول عن بحثه بشكل عام أنه أصاب في جوهر الفكرة بوجود بشر قبل آدم عليه السلام وفي وجود أوادم ورسل آخرين يشبهون رسل الأديان الإبراهيمية، لا سيما وقد ساعده على ذلك سنين من البحث الطويل، إذ يقول أنّه طِوَال ثلاثين سنة كان يُسافر ويبحث في مثل هذه الأمور، فمن غير الصعب للذي يبحث بإنصاف أن يهتدي أن القرآن الكريم والسنة النبوية لا ينفيان وجود بشر قبل آدم عليه السلام بل يكتشف فيهما إشارات على ذلك، أضف إلى ذلك مختلف الأدلة الأثرية والعرقية والتاريخية والإنسانية التي تدلّ على قدم الجنس البشري وأسبقيته على آدم عليه السلام، هذا وقد تنّبه صافي حمدون على وجود أوادم آخرين في نَوَاحٍ أخرى من الكرة الأرضية، وهذا ما جعله يلتقي معي في هذه النتيجة، أي في التأكيد العلمي لحديث عبد الله بن عباس في السبع أراضٍ بالرغم من أنه سلك طُرُق أخرى في بحوثه، وهذا ما يزيد هذه الحقيقة تأكيدا. وقد توفي الباحث صافي حمدون رحمه الله منذ بضع سنين وأظن أنّ بحوثه بقيت عند بِنْته تنتظر من يطلع عليها ويدرسها بجدية، ويزيد بحثا عليها، وأن يؤخذ بصوابها ويُصَحِح خطؤها، هذا وقد نشر بعضها في المنتديات في الشبكة العنكبوتية. انظر: http://cutt.us/CfTCg

جزء كثير منهم؛ يرجع نسلهم لآدم عليه السلام، لأنّ جزءا كبيرا من الأمتين ترجع إلى إبراهيم عليه السلام، والذي هو بدوره من نسل آدم عليه السلام –راجع سلسلة نسب إبراهيم إلى آدم عليهما الصلاة والسلام–، وأستطيع أن أقول أنّ كثيرا من الشعوب البشرية المعاصرة لا يرجع أصلها المباشر إلى آدم عليه السلام، لأنّ زمن نزوله إلى الأرض كان متأخرا مقارنة مع زمن وجود الإنسان في الأرض، وقد مرَّ معنا دراسة علمية تحصي عدد سكان العالم في حدود السبع آلاف إلى الثمن آلاف سنة (أي الزمن التقريبي لتواجد آدم عليه السلام في الأرض) بحوالي بضعة ملايين نسمة –حوالي 10 ملايين–،[1] وهذا ما يعني أن النسل الذي انحدر من هؤلاء السكان في العموم ليس من نسل آدم عليه السلام، لكن هذا لا يَسْلِبُ أَبَانَا آدم عليه السلام أن يَسْتَحِقَّ مقام الأُبُوَّة التشريفية والتعظيمية على كل سُكَان العالم ولو كانوا من غير ذريته المباشرة من باقي سكان الأرض، وهذا لا يُغَيّرُ من كون أبينا آدم عليه السلام هو أبٌ لأمة عظيمة وكبيرة اصطفاها الله وخلّدَهَا بالذِّكْر في القرآن الكريم، وشرع فيها الأديان الإبراهيمية أشهر الأديان، وبعث فيها خاتم المرسلين، وشرع فيها الإسلام آخر أديان العالمين.

4. ما هي الصور الحقيقية للأصناف البشرية التي عاشت قبل آدم عليه السلام بآلاف وملايين السنين والاختلافات بينها ؟:

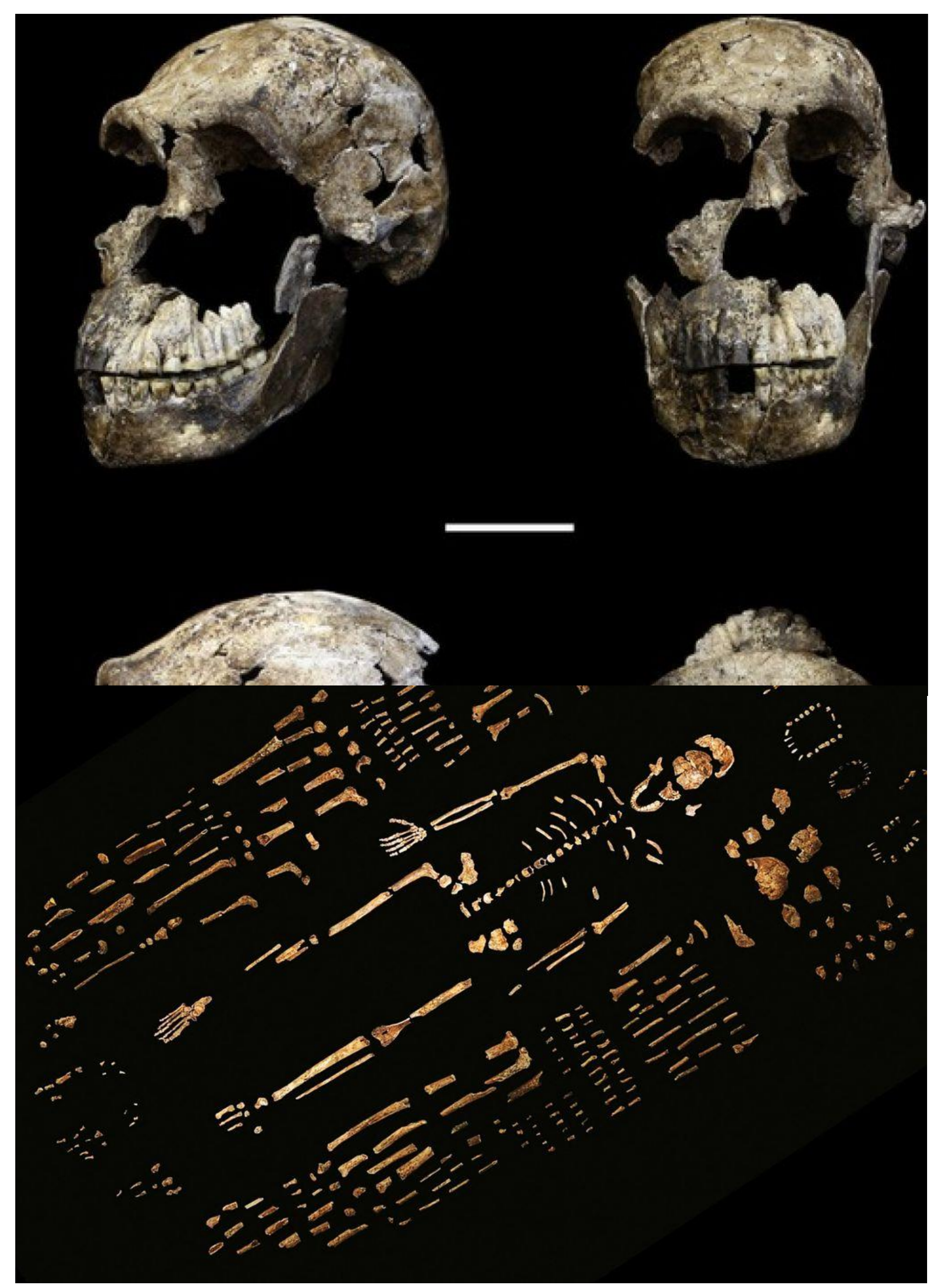
سنعرض بإذن الله مخططات وصور حقيقية لبقايا عظام بشرية عاشت قبل آدم عليه السلام بآلاف وملايين السنين، وسنرى بعض الاختلافات بينها، وسنرى بعض الاختلافات بين الأصناف البشرية القديمة وبين الإنسان الحديث، بإذن الله تعالى.

---

http://www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=405118 وهنالك منتديات أخرى نشر فيها عدد من بحوثه.

[1]– انظر مخططات إحصاء عدد سكان العالم في القديم السابق ذكرها.

صور رقم واحد:



صورتان حقيقيتان لهيكل عظمي لكائن واحد مُكْتَشَف يُسَمَّى هوموناليدي homo naledi اكتشف عام 2013م، وهو يُصَنّف ضمن صِنف جديد، ويرجع زمن هذا

الكائن إلى ما بين 236000 إلى 335000 سنة، ويمتاز بحجم دماغ صغير ما بين 465 إلى 560 سنتمتر مُكَعَّب (متوسط حجم دماغ الإنسان الحديث حوالي 1300 سنتمر مكعب). المرجع:

https://www.sciencesetavenir.fr/archeo-paleo/homo-naledi-300-000-ans-un-homme-relique-contemporain-des-premiers-homo-sapiens_112838

https://www.science-et-vie.com/archives/paleontologie-homo-naledi-enrichit-la-grande-famille-humaine-32471

ملحوظة:

أُذكِّر أنّه قد أثبتت عدة تجارب أُجْرِيت على العالم الحيواني أنّه في العموم ذكاء الكائن يتناسب طردا مع حجم الدماغ، بمعنى أنّه كُلما كان حجم دِمَاغ الكائن الحي كبيرا بالنسبة إلى جسمه كلّما كانت نسبة ذكائه أعلى في العموم. (انظر: https://www.hominides.com/html/dossiers/cerveau.php)

صور رقم اثنان:









ثلاثة صور حقيقية لكائن واحد مُكْتشف من أشباه البشر يُدعا – liTTel FooT– عاش حوالي 3.65 مليون سنة، ويُصَنَّف أنه من جنس الأسترالوبيتاكس AusTralopithecus –يُصنَّف ما بين الجنسين– ، وقد عُثر عليه داخل كهف في جنوب إفريقيا وهيكله شِبه كامل إذ هو من أكمل الهياكل العظمية الشِّبه بشرية التي عُثر

عليها في مثل هذه الفترة البعيدة، حيث تقدر نسبة كمال هيكله قرابة تسعين 90 بالمئة. وفي عام 2017 م اكمل إعادة تركيب هيكله الباحثون بعد سنين طويلة من العمل، ويُلاحظ الحجم الصغير لجمجمته مقارنة مع الإنسان، مع كون جسمه يُشبه جسم الإنسان الحديث لكن أقصر منه، ويمشي على رجلين، وتقول دراسات حديثة أن حجم دماغ اللايتل فوت -liTTel FooT- هو حوالي 408 سنتمتر مُكَعَّب، -الإنسان الحديث حولي 1300 سم مُعكب- أي يقترب في صِغره من حجم دِمَاغ قِرْد الشامبنزي -والذي يقدر بحوالي مابين 300 إلى 500 سم مكعب-. وتقول نفس الدراسات أن هذا الكائن كان له خصائص دِمَاغِيّة تشبه الإنسان الحديث مقرونة ببعض خصائص دِماغ قِرْد الشامبنزي الحالي، المراجع انظر:

https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0047248418302793?via=ihub

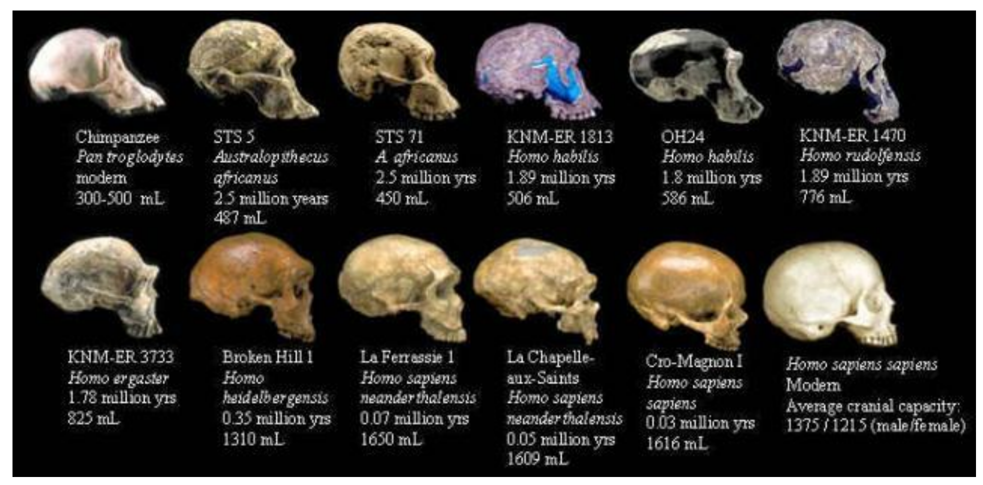
https://www.hominides.com/html/actualites/little-foot-cerveau-composite-1319.php

https://abcnews.go.com/Technology/meet-foot-367-million-year-human-ancestor/story?id=30062072

https://www.pourlascience.fr/sd/prehistoire/little-foot-est-il-aussi-vieux-que-lucynbsp-11898.php

https://www.lemonde.fr/paleontologie/article/2015/04/01/le-fossile-little-foot-un-pied-dans-le-berceau-de-l-humanite_4607721_1650762.html

صورة رقم ثلاثة:



صور تُظْهِر جماجم مُكْتَشفة لأجناس مختلفة إنسانية وشِبْه إنسانية، مُرتَّبَة في العموم بحسب تقدمها الزماني (إلا جمجمتين الأولى لأنها جمجمة قرد شامبنزي فإنه لا يزال موجودا، والسادسة جمجمة إنسان قديم ترتيبه تقريبي) وتحتها اسم الجنس وزمنه بملايين السنين وحجم دماغه (ml)، هذا المخطط يُظهر الاختلاف هيئة الجمجمة بحسب الصنف وتقدم الزمن. ويُلاحظ في العموم كُلّما تقدّم الزمن كُلّما زاد حجم جمجمة (دماغ) البشر.

(Fossil hominid skulls: Labeled with specimen name, species, age, and cranial capacity in milliliters (cranial capacity is the volume of the space inside the skull, and correlates closely with brain size). Images © 2000 Smithsonian Institution, modified from: TalkOrigins Common Ancestry FAQ)

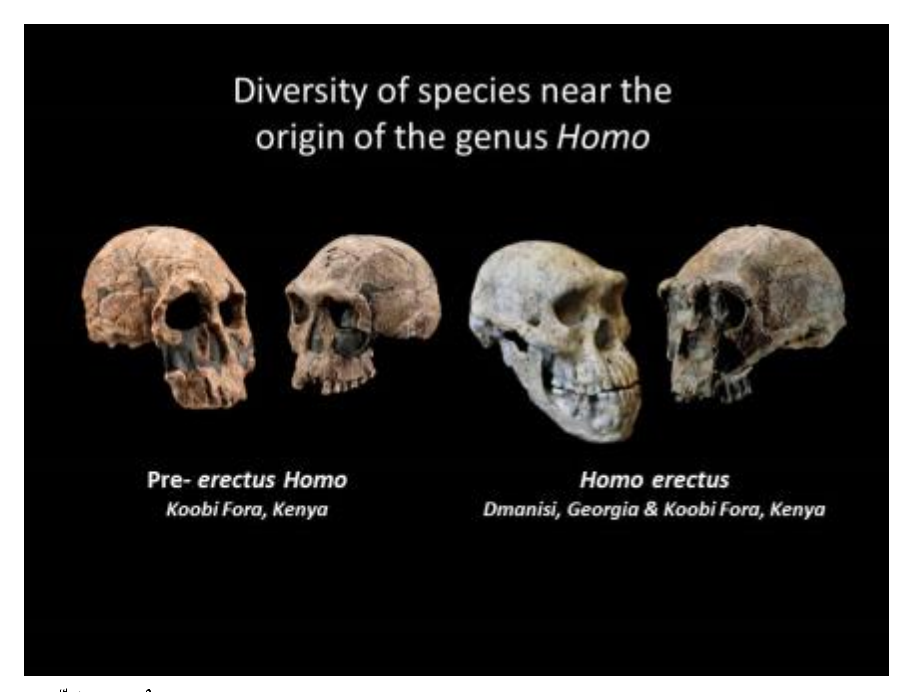
المرجع انظر:

https://ncse.com/creationism/analysis/transitional-fossils-are-not-rare

ملحوظة:

إن الهياكل العظمية والجماجم المكتشفة لقدماء البشر قبل آدم عليه السلام تدلُّ أنهم كانوا أصنافا مختلفة، رُبَّما يرجعون في الأصل إلى أصل مشترك قديم، لكن ينبغي الإقرار بشيء ولو كان صعب التصديق عند البعض، أنّه كلما رجعنا آلاف السنين إلى الخلف كلما هذه البقايا البشرية في العموم تزداد بدائيَّة، وتَنْقُصُ أحجام أدمِغَتِهَا وأطوال قامتها، وتتقلَّص جبهات رؤوسها -حتى تختفي-، وتزداد حجم أَفْوَاهِهَا، وتَبْرُز حواجبها، وتميل وُجُوهُهَا نَحو الأمام، وتقترب صُوَرها من صُوَر القِردَة، - وهذه التغيرات لاحظها علماء الإنسان المختصون ويمكن ملاحظتها بوضوح في الصورة السابقة وأيضا في الصور الأخرى بإذن الله -، حتى إنّهُ يوجد من هذه الأصناف ما هو حقيقة حلقة ما بين الإنسان والقِرْد، كجنس الأسترالوبيتاكس (AusTralopiThecus, AustralopiThèque) الذي يَعُدُّه العلماء من أشباه البشر، وهو أقدمهم تواجُدًا، حيث أنّ سِعَة دماغه تقترب من سعة دماغ القِرْد (شامبنزي)، مع كون صورته تشبه صورة الإنسان، ويُحافظ على خصائص مثل الإنسان كالمشْيِ على قدمين اثنين.

صورة رقم أربعة:

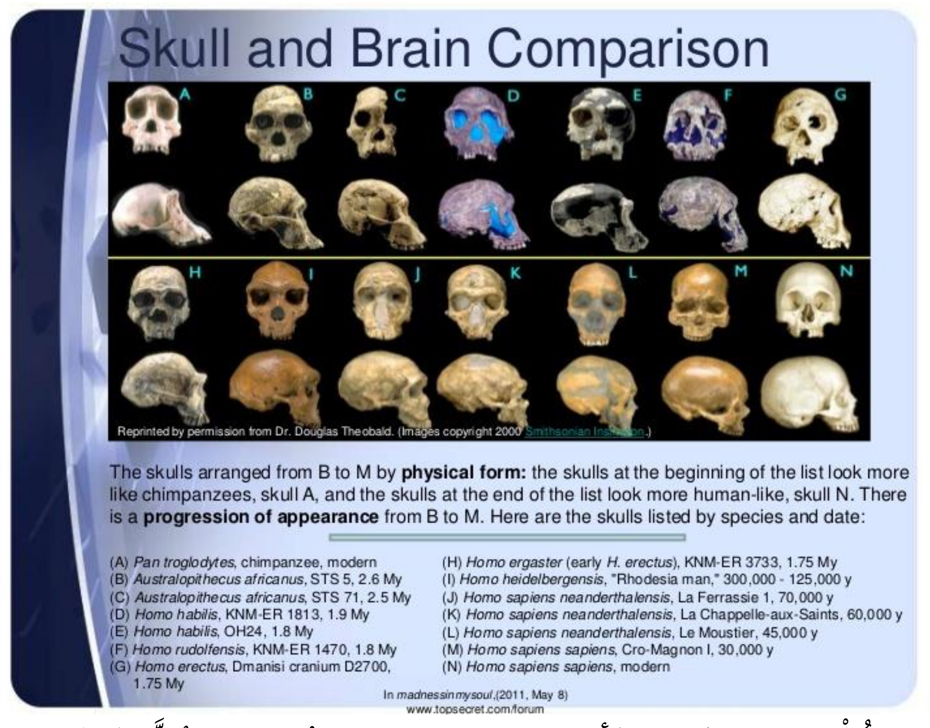


صورة تظهر رجل كوبي مقارنة مع الهوموهريكتوس، ويظهر بِوضُوح أنّ الهموهريكتوس عنده فك كبير، بينما تكاد تنعدم الجبهة عند كل من الرجلين –بخاصة الهومومريكتوس– وكل من الصنفين عاش في حقبة تقارب 1.9 مليون سنة

المرجع:

https://www.si.edu/newsdesk/photos/human-origins-timeline-diversity-species

<u>صورة رقم خمسة:</u>



صور تُظْهِر جماجم مكتشفة لأجناس مختلفة إنسانية وشِبْه إنسانية، مُرتَّبَة في العموم بحسب تقدمها الزماني، والمفتاح في الأسفل يذكر اسم الجنس وتاريخ عيشه في الأرض بألاف وملايين السنين، (My يعني مليون سنة).

المرجع: Research projecT – human evoluTion, p 9

رابط:

https://www.slideshare.net/tbutle/research-project-human-evolution

صورة رقم ستة:

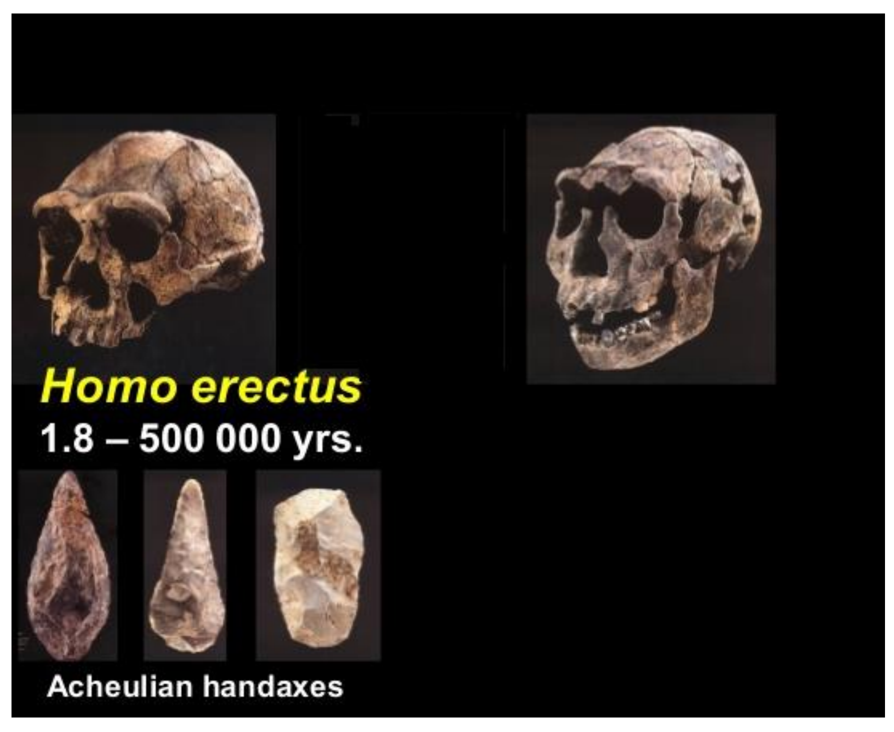


صورة لأكثر من جمجمة للهوموهابيليس، مع بعض أدواته (حوالي ما بين 2.4 إلى 1.6 مليون سنة) وأُذَكر أنّ حجم دماغ هذا الجنس القديم هو حوالي مابين 550 إلى 700 سنتمتر مُكعَّب، مرجع الصور: human origine EvoluTion ParT 2, p66

رابط:

https://fr.slideshare.net/JennyWoolway/evolution-part-2-62400634

صورة رقم سبعة:



صور تظهر الهوموهريكتوس وبعض الأدوات التي كان يصنعها (عاش إلى حوالي 8.1 إلى 1.9 مليون سنة)، وأُذكِّر أن حجم دماغ هذا الجنس الإنساني القديم مابين 600 إلى 1100سنتمتر مُكَعَّب، أي حجمه ما بين حجم دماغ الهوموهابيليس وحجم دماغ الهوموسابين (الإنسان الحديث).

مرجع الصُّورة: human origine EvoluTion ParT 2, p66

رابط:

https://fr.slideshare.net/JennyWoolway/evolution-part-2-62400634

صورة رقم ثمانية:



صورة لجنس "الهادنبرغ أنسيس، heidelbergensis" والذي اختلف فيه الباحثون قيل أنَّه الجدّ المشترك لكل من النياندريتال والهوموسابين (الإنسان الحديث) أو قيل هو الجد المشترك للنياندريتال، إذ أنّ على حد القولين يُجْعَل أبا للنياندرتال لأن التشابه الشكلي بينهما كبير والتقديرات التقريبية تقول أنّه عاش ما بين 700.000 إلى 300.000 ألف سنة أي أقدم من النياندرتال والهوموسابين، ويُقَدَّر حجم دماغه 1200 سنتمتر مُكَعَّب أي أكثر من الهوموهريكتوس الذي يسبقه في الزمن وأقل قليلا من حجم جمجمة الإنسان الحديث الهوموسابين (حوالي 1300 سم مكعب) والذي هو متأخر عليه في الزمن، ويلاحظ عند "الهادنبرغ أنسيس" انعدام الجبهة، مرجع الصورة:

https://sites.google.com/site/scientificboardaus/home/homo-heidelbergensis

صورة رقم تسعة:

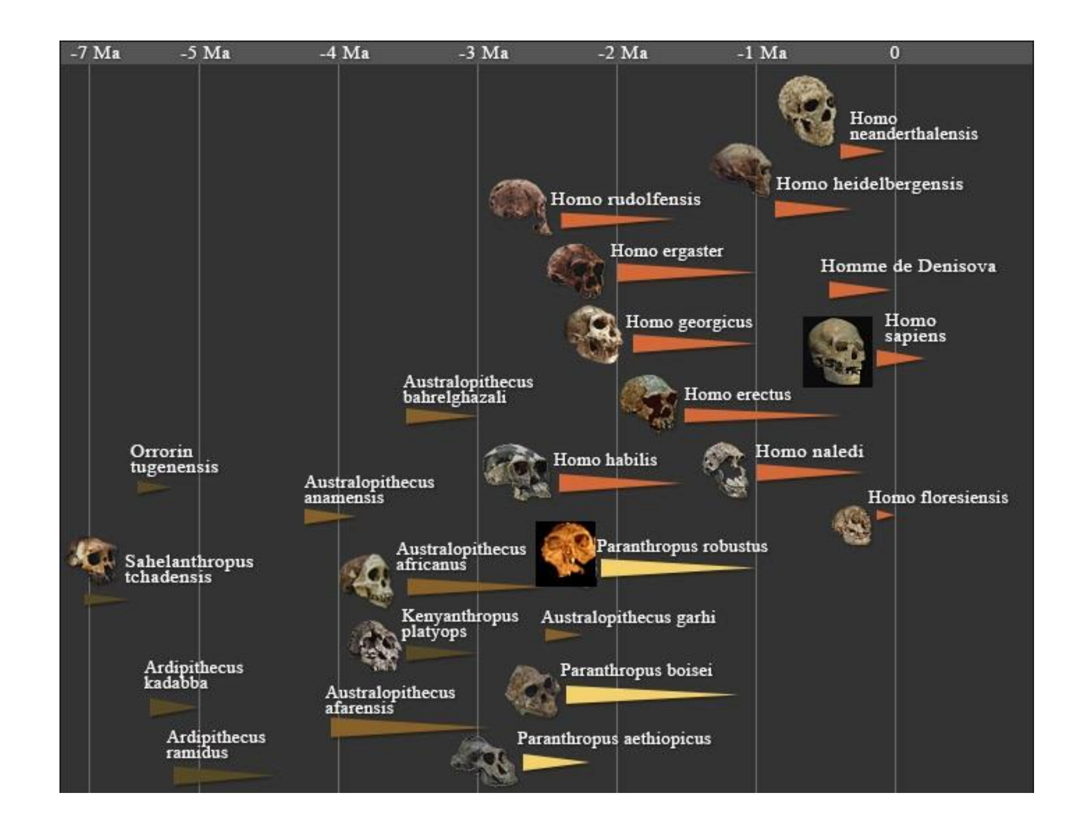


صورة تُظهر مقارنة بين رجل النياندَرْتال على اليمين والرجل الكروماني عن الشِّمَال حيث هذا الأخير يُصَنَّف من جنس الهوموسابين أي الإنسان الحديث، ونلاحظ عند النياندرتال جبهة قليلة موجهة للخلف، ووجود قوالب حاجبية بارزة حول العينين، وعينان كبيرتان وفَكٌّ مُتَقَدِّم للأمام مع أسنان عريضة وسميكة ووجه مائل قليلا نحو الأمام مع جمجمة مُنْسَحِبَة للخلف، وهذه من أهم سِمَات الاختلاف الوجهي مُقارنة مع جنس الهوموسابين، وأُذَكِّر أنّه بحسب تقديرات فإن النياندرتال عاش حوالي ما قبل 430.000 إلى 30.000 سنة، أمـّا الهوموسابين فهو حوالي ما قبل 315.000 إلى الآن

مرجع الـصــورة:

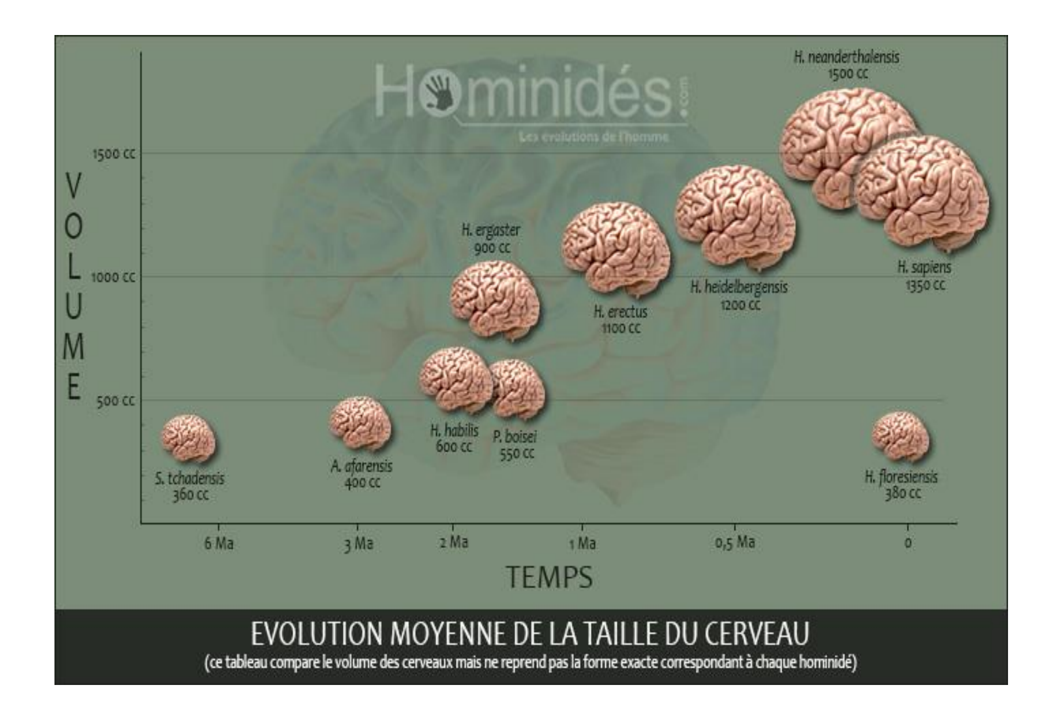
https://lejournal.cnrs.fr/articles/neandertal-le-cousin-rehabilite

مخطط رقم واحد:



مخطط افتراضي يُظهر زمن عيش أهم الأصناف الإنسانية والشِّبْه إنسانية المُكتشفة وتغيُّرها، فكل مثلث يمثل جنسا مُعينا مكتشف وزمن تواجده على الأرض بملايين السنين (في الأعلى السُّلَّم من 0 إلى 7 مليون سنة): المرجع: https://www.hominides.com/html/ancetres/ancetres.php

مخطط رقم اثنان:



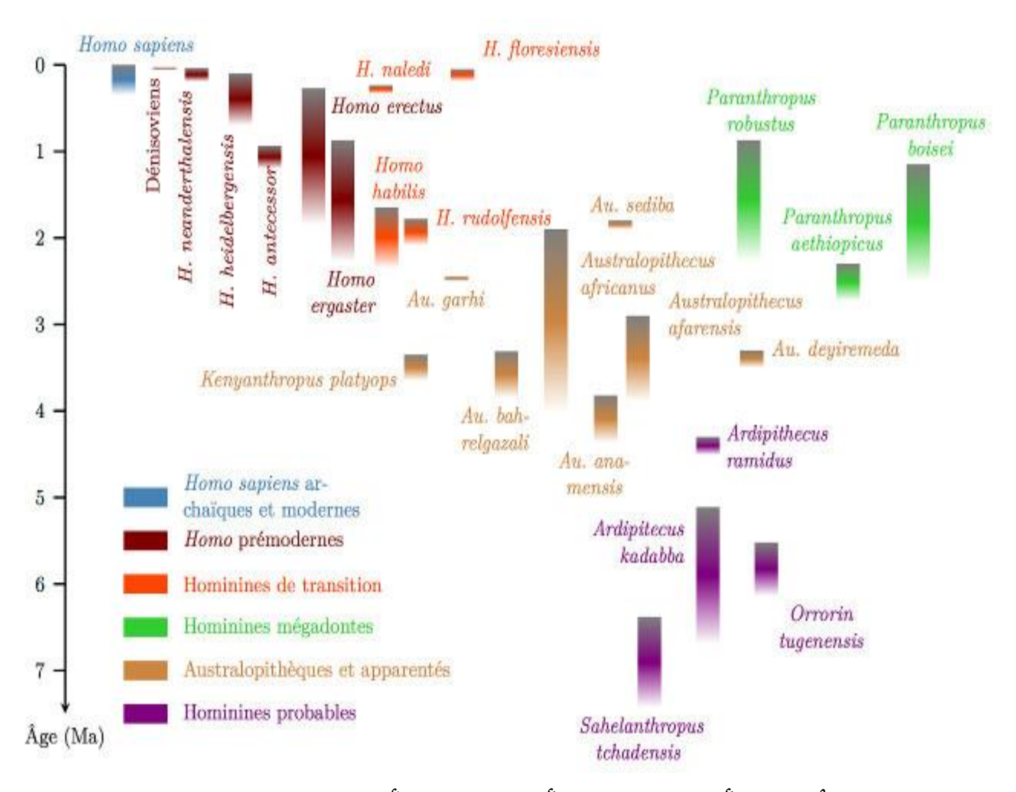
EVOLUTION MOYENNE DE LA TAILLE DU CERVEAU
(ce tableau compare le volume des cerveaux mais ne reprend pas la forme exacte correspondant à chaque hominidé)

مُخطط يُظهر التَّطَوُّر التقريبي المُتَوَسِّط لحجم دماغ الأجناس البشرية والشِبْه بشرية مُنْذُ ملايين السنين (مع العِلْم أنّ هذا المُخَطَط المُقَارن لا يأخذ الحجم الدماغي الدقيق لكل جنس) (السُّلم ملايين السنين في الأسفل بِدَلالة حجم الدماغ بالسنتمتر المُكَعَب في الأعلى)، ويلاحظ أن حجم الدماغ يزداد كلما مرّ الزمن، وقد مرَّ معنا قبل قليل وأن أشرنا إلى أنّ الدراسات العلمية أثبتت أنّه كلما زاد حجم الدماغ كلما زادت نسبة الذكاء في العموم.

المرجع:

https://www.hominides.com/html/dossiers/cerveau.php

مخطط رقم ثلاثة :



رسم تخطيطي يُظهر الأسماء العلمية لأنواع البشر وأشباه البشر التي تمّ اكتشافهم مع تحديد الحّد الزمني الافتراضي الذي عاشوا فيه (السُّلّم الزمني عن اليسار بملايين السنين من 0 إلى 7 مليون سنة) المرجع:

https://planet-terre.ens-lyon.fr/article/Homo-naledi.xml

، B. Wood E.K. Boyle, 2016. *Hominin taxic diversity: Fact or fantasy?*, Am. J. Phys. Anthropol., 159, S61, 37–78, [doi: 10.1002/ajpa.22902]

المطلب الخامس: نتيجة حول الفصل الثالث: هل يثبت العِلْم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

- إنّ طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل الكرة أرضية وإنما شمل جزءا من الشرق الأوسط، وهذا تؤيده أدلة من الوحي والعلم الحديث.

- قال الله تعالى: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (هود 48)، ففي ظاهر قوله سبحانه (وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) أنّ هنالك أُمَمًا أخرى ليسوا مِمَن مع نوح، والله أعلم، بل يقول المُفَسر ابن عطية الذي هو من قدماء المفسرين في تفسير الآية الأخيرة من قول الله تعالى: (سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)) (الصافات 79-82) : " ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبيه، وليس في ذلك نص على أن الغرق عمّ جميع أهل الأرض." - وهذا كلام عالم تفسير من القرن السادس الهجري لم يطّلع على البحوث الحديثة في كيفية زمن ومكان الطوفان-. لذلك فالذي يظهر أنه في ذلك إشارة أنّ هنالك أُمماً كانت تعيش في أراضٍ أخرى لم يرسل إليهم نوح عليه السلام، لأنّ النبي يُبعَث إلى قومه خاصّة، بدليل حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)، وهذا فيه دليل أنه لم يكن قوم نوح عليه السلام وحدهم في كل الأرض لأنه يلزم من ذلك معارضة هذا الحديث بأنه يجب أن يُرسل إلى كل الناس في ذلك الزمان وهذا خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الدليل لا يقتصر على الاستدلال أن طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل العالم، وإنما قد يطرح جزءا من الإشكال الذي نعالجه في هذا البحث؛ هل كل هذه الأمم التي لم تكن مع نوح عليه السلام كلها من ذرية آدم عليه السلام ؟ أم كان هنالك أمم أخرى بعيدة عن الشرق الأوسط كأستراليا وإفريقيا السوداء والأمريكتين ؟ لا سيما وأنّ الفارق الزمني بين كل من آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام هو عشر قرون كما رأينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح في ذلك،

وهذا الفارق قصير مقارنة بِسُلَّم التاريخ، فكيف تكفي هذه المُدّة فقط لإعمار كل وجه الكرة الأرضية بالأمم البشرية من زوجين وحيدين؟ -أي عشرة قرون مدة قصيرة نسبيا مقارنة مع معيار الانتشار الإنساني-. (لذلك فإن الصحيح في هذا الأمر أنّه كان هنالك في الأرض أمم أخرى من غير ذرية آدم عليه السلام منتشرة خارج الشرق الأوسط، وكذلك كان هنالك أقوام أخرى من غير قوم نوح عليه السلام في زمانه وقبل زمانه. لا سيما في قارات كأمريكا وأستراليا وإفريقيا كما رأينا).

- الزمن التقريبي بيننا وبين طوفان نوح عليه السلام بحسب دراسات علمية حديثة حول الطوفان هو حوالي سبعة آلاف سنة، وإذا أضفنا هذا العدد إلى الزمن بين آدم ونوح عليهما السلام المذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم والذي هو ألف سنة فإننا نحصل على الزمن التقريبي لآدم عليه السلام من خلال هذا الطريق العلمي أي: حوالي ثمانية آلاف سنة 8000. وإذا قارناً هذا الزمن مع الزمن الذي حسبناه سابقا من طريق السلف وما نقله علماء الإسلام ومُؤَرِّخِيهم وطريق نسب النبي صلى الله عليه وسلم، والذي هو على أقصى تقدير سبعة آلاف سنة 7000، نجد أن هذان التقديران متقاربان، بل فيهما نوع من الاتفاق والتَّقَوِّي بأن زمن وجود آدم عليه السلام يدور بين هاتين المدتين أي حوالي الألفية الثامنة قبل الميلاد، والألف سنة التي بينهما لا تهمُّنا بقدر ما يهُمُّنَا الزمن الإجمالي، والذي هو أقل من عشرة آلاف سنة، وهذا بالرغم من أخذ أعلى التقديرين أي ثمانية آلاف سنة، فإنّ هذا الزمن لا يقارن مع عمر الإنسان في الأرض الذي يُقَدَّر بمئات الآلاف من السنين بل يفوق المليون سنة بكثير.

- يمكن تأكيد نتيجة مما سبق وهي أنّ زمن وموقع الطوفان لوحده قد يكفي لمعرفة أنّه كان في زمن نوح عليه السلام أُمَمٌ أخرى بعيدة ومنفصلة عن قومه، حيث أنّه عليه السلام لم يُرْسَل إليهم، وأنّ كثيرا من تِلْكُم الأمم لا ينحدرون بالضَّرُورة من أبيه آدم عليه السلام، لا سيما التي سكنت في مناطق بعيدة، ولقد مرّ معنا المنحنى الافتراضي لتِعْداد الناس على وجه الأرض في تِلْكَ الأزمنة، وكل هذا لا يتناقض مع القرآن الكريم، كما رأينا من الأدلة والقرائن.

- أمّا عن كيفية حِسَاب الأزمنة البعيدة للعظام البشرية التي تُعَدُّ بمئات وملايين السنين، والتي عاش في بعضها الإنسان القديم؛ فهي تعتمد على تقنيات تَأْريخ حديثة، بقياس إشعاع أيونات محددة وتصوير شعاعي دقيق مختلف عن الكاربون أربعة عشر (c14) المشهور لأنه لايصلح لحساب هذه الأزمنة البعيدة، وإنما يُسْتَعمل الكربون أربعة عشر في حِسَاب تأريخ العظام وبعض الأثار التي لا يتجاوز عمرها عشرات الآلاف من السنين (حوالي أربعين ألف سنة)، أماّ في تأريخ الأزمنة الأبعد التي تُعدّ بمئات الآلاف من السنين فأكثر؛ فإنه يُستعمل في ذلك قياس إشعاع أيونات مثل: البريليوم المُشع Béryllium 10، والألومينيوم المُشع Aluminium-26، والبُوتاسيوم أرغون Potassium-Argon، والرنين المغناطيسي الإلكتروني (ElecTron paramagneTic resonance) -يبلغ مداه إلى خمسة ملايين 5 ملايين في تأريخ العظام- وغيرها من المواد والطرق التي قد يؤرخ بها أزمنة بمئات وبملايين السنين، ويختلف استعمال هذه الطُرُق بحسب الحالة المُقاسة باستعمال تقنيات وآلات حديثة. وهذه الوسائل معمول بها في العلم الحديث، ويستعملها علماء الأنثروبولوجا والآثار.

- بحسب دراسات علمية حديثة فإن عدد سكان كل الكرة الأرضية في زمن آدم عليه السلام أي حوالي 7500 قبل الميلاد هو حوالي عشر 10 ملايين، ما يدل على وجود عدد معتبر من الناس كانوا قبل آدم عليه السلام في الأرض حتى وإن لم يبلغوا الكثافة الحديثة، وأما في الشرق الأوسط فكان عدد الناس أقل، وهؤلاء على الصحيح هم الذين تزوجت واختلطت بهم ذريته فيما بعد.

- هنلك أجناس بشرية عاشت قبل آدم عليه السلام بمئات الآلاف وملايين السنين:

إنسان الهوموسابين (homo sapiens) الإنسان الحديث (عاش قبل ثلاث مائة ألف سنة 300.000 إلى الآن)

إنسان النياندرتال (le NéanderTal) (The NeanderThal) (أكثر من أربع مائة وثلاثين 430.000 سنة)

إنسان الهومو إيركتوس (Homo erecTus) (عاش قبل حوالي 1.8 مليون سنة)

إنسان الهومو هابيليس (Homo habilis) (عاش حوالي 2.5 مليون سنة)

- نظرية التطور لا تعارض الإسلام للأدلة التالية:

لقد رأينا من الأدلة أو القرائن ما تجعل أنّه من الراجح أنّ باقي شعوب العالم التي ليست من آدم عليه السلام، كان فيهم آباء أو أوادم آخرون، لكن هذا التفسير لا يَصْلُحُ أن يُفَسّر به لوحده نشأة كل أصول أُمَم العالم، فيبقى النسل البشري كبيرا وواسعا ومجهولا وقديما ومُعَقَّدا فهو قابلٌ أن تُفَسّر نشأته بأكثر من نظرية، فلذلك يبقى الاجتهاد في كيفية خلقه مفتوح - من غير آدم عليه السلام ونسله -، فحتى لو قُلنا بِوُجُود أوادم للبشر إلا أنّ هذا لا يكفي لتفسير نشأة كل الناس، لأن وجود الأوادم لا يتعارض مع كون النسل الإنساني كان أقدم منهم ورافقهم منذ القديم كما هو ظاهر (كآدم عليه السلام الذي كان مسبوقا بنسل بشري)، إضافة إلى جهلنا بكيفية خلق هؤلاء الآباء، هل هو خلق مستقل كآدم عليه السلام، أو خلق في سياق نسل بشري البشر كنوح عليه السلام (الأب الثاني للأمة الآدمية)، أو تطوُّر وارتقاء عن مخلوقات أدنى، أم شيء من هذا وذاك، ولسبب مُهِم وهو ليس بالضرورة أن يكون كل النسل البشري قد أتى من هؤلاء الآباء أو الأوادم، وهذا ما يجعل أنّ تفسير نشأة الإنسان لا يتعارض مع وجود نسل إنساني تطوّرَ منذ القديم، ولماّ كانت النّظرية التطورية أقوى نظريات العلم الحديث في تفسير نشأة الأحياء بما تقدمه من أدلة، فلا مانع من قُبُولها في تفسير نشأة جزء كبير من النسل البشري، للأسباب التالية:

* عدم تعارض هذه النظرية مع الوحي (الإسلام)، فالوحي أثبت الخلق المستقل لآدم عليه السلام، وآما باقي الأمم فالاجتهاد فيهم مفتوح، فالله يخلق بالمعجزة كما يخلق بالأسباب المعتادة والتّدرج.

* الإنصاف والعدل الذي دعا إليه الله في التعامل مع الأقوال والآراء والأدلة. والنظريات العلمية لا تخرج عن هذه الدائرة. (لو قال بها الأعداء والخصوم)

❋ عدد معتبر من قُدَمَاء علماء المسلمين قالو بمقدمات وأُسُسِ هذه النظرية قَبل داروين darwin والغربيين بمئات السنين، كـ (ابن خلدون، والبيروني، وإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه)، وحتى عدد من علماء الشريعة المسلمين المعاصرين رأوا أنها لا تتعارض مع الإسلام كـ (محمد عبده، ورشيد رضا)، ومن الباحثين المسلمين من وجدوا فيها أدلة علمية صحيحة (وكذلك كثير من المتدينين من أهل الكتاب في الغرب يعتقدون بصحتها).

❋ قُوَّة الأدلة العلمية التي تُقَدِّمُهَا هذه النظرية.

❋ العجز عن تقديم بَديلٍ عِلميٍ عن هذه النظرية في تفسير طريقة نشأة الحيوانات والكائنات.

❋ التَّدرُّج في الخلق، والتَّدَرُّج سُنَّة إلهية.

❋ ظُهُور أدلة علمية جديدة تُقوِّي هذه النظرية كلما تقدَّم العلم.

وقبول نظرية التطور يكون بشروط:

❋ عدم تناول النَّظَرِيّة التطورية لآدم عليه السلام لأَنَّهُ خلقٌ مستقلٌ مثل عيسى عليه السلام.

❋ نزع الشوائب الإلحادية من هذه النظرية، كَنِسْبَةِ الخلق للطبيعة، والقول بالصُّدَف العشوائية والأخطاء الخلقيّة، فالله هو الذي خلق الطبيعة وما فيها، وهو الذي يُدَبِّر ويُسَيِّرُها وكل ما فيها، والله تعالى مُنَزَّهٌ أن يخلق بالصُّدف والأخطاء، وإنما يخلق بالقضاء والقدر والدّقة العالية والحكمة البالغة.

من المزايا في قبول النظرية التطورية:

❋ التّخلص من الفهم الضيق لخلق البشر في الكتاب والسنة، وعزل الاسرائيليات عنهما.

❋ القضاء على دعوى احتكار الالحاد لهذه النظرية وتبرئتها منه، فالإسلام أولى بهذه النظرية من غيره من الأديان والعقائد.

* محاربة الإلحاد بسلاحه.

* عدم ادخال الإسلام خطأ في صراع وهمي مع نظرية ذات أدلة علمية قوية، يؤمن بها أغلب علماء الأحياء في العالم.

* إظهار أن النظرية التطورية لا تناقض الإسلام على عكس بعض الأديان المحرفة، وبالتالي استغلال هذه النظرية في الدعوة إلى هذا الدين العظيم.

* النظر إلى التَّطوُّر في خلق الله بنظرة تدّبُرِيّة وتَفُكرية تدلّ على قوة وعلم وعظمة خالقه.

* إعادة ادماج ضعفاء الإيمان من المسلمين المفتونين بالنظريات الغربية في سلك الإيمان، وارجاعهم إلى منطقية وعقلانية أدلة الكتاب والسنة

- هنالك علماء من قدماء المسلمين قالوا وأشاروا إلى تَّطَوُّر المخلوقات والإنسان قبل دارون darwin بمئات السنين، كإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه، والطوسي، والبيروني، وابن خلدون، والقزويني.

- هنالك علماء مسلمون مختصون لا سيما في الأحياء والبيولوجيا يرون بصِحّة النظرية التطورية وأنها لا تناقض الدين.

- إنّ النظرية التطورية عند أول ظهورها في أوروبا كانت تُتَّهم من قِبَلِ معارضيها بأنّها "مُحَمَّدِيَةٌ" - أي إسلامية - رُبَّماَ لأن أصول فكرة التطور بشكل عام كانت موجودة في التُرَاث الإسلامي حيث أشار إليها غير واحد من العلماء المسلمين.

- النظرية التَّطورية وعلاقتها مع الدين:

* النظرية التطورية في عمومها لا تناقض القرآن والسنة، وإنما تناقض الرواية الإسرائيلية واعتقاد الكنيسة في خلق آدم وحواء عليهما السلام بجعلهما آباء أوئلا لكل البشر في كل زمان ومكان.

* إنَّنَا نَدْعُوا مَنْ خالف من المسلمين ورأى عنده أنّ هذه النظرية تُعارِضُ الدين وتَضَايَقَ مِنْهَا، علماء شريعة كانوا وطلبة علم أو علماء علوم وباحثين وعوام، إلى إعادة

التَفَكُّر في آيات وأحاديث بداية الخلق في القرآن والسنة، وأن يُتَفَادى ابتداء كل ما هو مَورُوثٌ أو إسرائيلي أو حُكمٌ مُسَبَّق، ثم لِينْظُر المؤمن هل يجد معارضة بين نصوص الوحي في بداية الخلق وبين النُشُوء التدريجي للمخلوقات والإنسان وما قاله العلم الحديث في ذلك، وبخاصة الإشارات إلى وجود مخلوقات عاقلة قبل آدم عليه السلام منفصلة عنه، فما المانع أن تخضع هذه المخلوقات المنفصلة إلى هذا النشوء التدريجي الذي قال به أغلب علماء الأحياء، باستثناء آدم عليه السلام الذي هو خَلقٌ مستقلٌ مِثْل عيسى عليه السلام بدلالة الوحي الصريح.

* ليس مَطْلُوباً من المؤمن أن يُصَدِّقَ بنظرية التطور إن كان الأمر لا يعنيه أو يُشَكِّل له أزمة، فالتطورية ليست رُكْنًا من أركان الإيمان كي يُلْزَمَ المؤمن بتصديقها، لكن إن آمن آخرون بها وجمعوا بينها وبين الإيمان بالله، بل وقد يجدون أَدلَّة في القرآن والسنة على ذلك، فليس على الذي يُخَالِفْهُم أن يُحاربهم ويُحَارب ما يُؤمنُون بِه.

- الإنسان القديم كان مُتَديِّنا: قد يظن البعض أن الإنسان القديم لم يكن يعرف ربّه، وأنّه كان متوحشا وناقصا في العقل بحيث لم يتمكن من التّدين، لكن حقيقة الأمر خلاف ذلك، قال الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24)، ويقول تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (النساء 164)، ويقول تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل 36)، فإذا علمنا أنّ قدماء البشر الذين عاشوا قبل آدم عليه السلام هم عبارة عن أُمَم، فإنه بالضرورة أن الله قد أرسل فيهم رسلا، وهذا خبر رباني لا مرية فيه. والدليل العلمي على هذه الحقيقة وعلى تديُّن الإنسان القديم وإيمانه بإله أعلى، ما وجده وأثبته علماء من الغرب عند دراسة أديان الأمم البدائية كأَنْدُرُو لانج (Andrew lange) الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني (Guillaume schmidT)، حيث تعتبر هذه الأقوام شاهدا نقيا على أديان قدماء البشر لأنها حافظت على أديان أسلافها ولم تختلط مِلَلُهَا بالأديان الإبراهيمية وبعضها كان معزولا عن العالم لأحقاب طويلة، وقد وُجِد التوحيد وبقايا منه عِنْد كثيرٍ من هذه القبائل البدائية القديمة، وأقدم الحضارات العالمية؛ طامِسًا بذلك

النظريات الإلحادية التي قالت أنّ الإنسان الأول بدأ بالتعدد الشِّركي وعبادة الأوثان، حيث وجدوا هذه البقايا من التوحيد عند كثير من القبائل البدائية في أمريكا الشمالية وفي أستراليا، وفي أمريكا الجنوبية، وفي إفريقيا، ووجد أيضا التوحيد وآثاره في حضارات قديمة كمصر، والهند، وفي أرض سومر (العراق)، وفي الصين وفي اليونان.......وكثير من تلك الأقوام البدائية كان معزولا عن العالم كلية، مثل قبائل جزر أندرمان (أو أندمان)، وقبائل أستراليا، وكثير من قبائل أمريكا، ووجدوا عندهم بقايا كثيرة من شرائع سماوية، وكل هذا يدلّ أنه كان فيهم وحي قديم وأنبياء بعثهم الله فيهم، وأن التكليف كان قبل آدم عليه السلام، ويدُلُّ على أنّ الله قد فطر الإنسان على الإيمان به.

- (حَوَّاء الميتوكندري) العلم يُثْبِت وجود أُمٍ أخرى أقدم من حَوَّاء المعروفة بكثير لكنها ليْسَت أُمًا لِكُل البَّشَر، إنما هي أمّ جزء معين من البشر من ناحية الحمض النووي (dna) للميتوكوندري فقط.

- إنّ كثيرا من الشعوب البشرية المعاصرة لا يرجع أصلها المباشر إلى آدم عليه السلام (وبخاصة الشعوب التي سكنت الأراضي والقارات خارج الشرق الأوسط كالأستراليين والأفارقة والصينيين والأوروبيين والأمريكيين الأصليين)، لأنّ زمن نزوله عليه السلام إلى الأرض كان متأخرا مقارنة مع زمن وجود أجداد هؤلاء في الأرض، وقد مرَّ معنا دراسة علمية تحصي عدد سكان العالم في حدود السبع آلاف إلى الثمن آلاف سنة (أي الزمن التقريبي لتواجد آدم عليه السلام في الأرض) بحوالي بضعة ملايين نسمة –حوالي 10 ملايين–، وهذا ما يعني أن النسل الذي انحدر من هؤلاء السكان في العموم ليس من نسل آدم عليه السلام، لكن هذا لا يَسْلِبُ أَبَانَا آدم عليه السلام أن يَسْتَحِقَّ مقام الأُبُوَّة التشريفية والتعظيمية على كل سُكَان العالم ولو كانوا من غير ذريته المباشرة من باقي سكان الأرض، وهذا لا يُغَيّرُ من كون أبينا آدم عليه السلام هو أباً لأمة عظيمة وكبيرة اصطفاها الله وخلّدَهَا بالذِّكْرَ في القرآن الكريم، وشرع فيها الأديان الإبراهيمية أشهر الأديان، وبعث فيها خاتم المرسلين، وشرع فيها الإسلام آخر أديان العالمين.

- يوجد أدلة علمية دامغة على شكل بقايا هياكل عظمية وجماجم لأصناف بشرية تتراوح أعمارها من آلاف السنين إلى أزيد من مليوني سنة؛ مُقَاسة بطرق علمية حديثة، تعطي نظرة على أشكالهم الحقيقة، وتؤكد أن البشر كانوا موجودين قبل آدم عليه السلام.

- إن الهياكل العظمية والجماجم المكتشفة لقدماء البشر قبل آدم عليه السلام تدلُّ أنهم كانوا أصنافا مختلفة، رُبَّما يرجعون في الأصل إلى جد مشترك قديم، لكن ينبغي الإقرار بشيء ولو كان صعب التصديق عند البعض، أنّه كلما رجعنا آلاف السنين إلى الخلف كلما هذه البقايا البشرية في العموم تزداد بدائية، وتنقص أحجام أدمغتها، وأطوال قامتها، وتزداد حجم أَفْوَاهِهَا، وتَبْرُز حواجبها، وتقترب صورها من صور القِردَة، حتى إنه يوجد منها ما هو حقيقة حلقة ما بين الإنسان والقِرْد، كجنس الأسترالوبيتاكس (AusTralopiThecus, AustralopiThèque) الذي يَعُدُّه العلماء من أشباه البشر، حيث أنّ سِعَة دماغه تقترب من سعة دماغ القِرْد (شامبنزي)، مع كون صورته تشبه صورة الإنسان، ويُحافظ على خصائص بشرية مثل المشيء على قدمين اثنين.

الخاتمة

الخاتمة

1. نتيجة البحث العامة:

يظهر أنه قد تبين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدلة السابقة أرجحية أن آدم عليه السلام ليس أباً لكل الناس باختلاف أصنافهم، وأنه كان مسبوقا بكثير من البشر، مع كون هذا لا يمنع أن يكون أباً لكثيرٍ من الناس ولأمة عظيمة على وجه هذه الكرة الأرضية، والتي تحتوي على أراضٍ متعددة وواسعة. ويظهر أنّ أرضه الأصلية التي عاش فيها وانتشرت فيها فِيمَا بَعْد ذُريته هي أرض الشرق الأوسط –جزيرة العرب، الشام، فلسطين، مصر، العراق، تركيا، وما جاورها–، والتي يظهر أنها هي الأرض التي خصّ الله بذكر كثير من أنبيائها في القرآن الكريم، ويظهر أن حديث عبد الله بن عباس الذي تناول تفسير قول الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) وذكر فيه الأراضي السبع وما في كل واحدة من نبي كنبينا وآدم كآدمنا ونوح كنوحنا وإبراهيم كإبراهيمنا ومسيح كمسيحنا، له شواهد في الواقع وعلم الأديان والعلم الحديث بعد القرآن الكريم، فالقرآن أولا هو الذي أشار إلى وجود أناس قبل آدم عليه السلام، بل رُبَّما أشار إلى وجود المِّثلية في سبع أراضين كما هو مفهوم هذه الآية، وقد بينا أنّ المِّثلية على الأرجح لا تكون فقط في يابسة الأرض وما على ظهرها من نبات وحيوان غير عاقل، وإنما قد تكون المثلية أيضا في ما قد يكون على ظهرها من كائن عاقل، وحديث عبد الله بن عباس خير شاهد على إقرار هذا المعنى في الآية السابقة. وهنالك شواهد على هذا المعنى في المذاهب الإسلامية وفي بعض الآثار التي روَوْها في وجود بشر قبل آدم وتعدد الأوادم، وهنالك شواهد في أديان شعوب أخرى، مثل ما رأيناه مِنْ أدلة في الزرادشتية، في إثباتهم لأبٍ لهم "كيومرث" بمنزلة آدم عليه السلام، ونبي "ييما" بمنزلة نوح عليه السلام، وزرادشت بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم –إلا أنه أرسل إلى قومه–، وما رأيناه من شهادة الزرادشتية باصطفاء آدم (مهاباد) مع زوجته من دورة بشرية سابقة ليكونا أباءً لدورة لاحقة، مع احتمال إقرارها بوجود بشرٍ معه عاصروه، بدليل أن مصادرهم تذكر أنّه كان ملكا ورسولا، وكذلك ما شابه ذلك من استئناسات

تتوافق جملة من وجود بشر قبل آدم عليه السلام في الهندوسية الديانة الشبه سماوية –وقد ثبتنا أصالة التوحيد فيها– التي تشهد بدورات بشرية تتماثل مع ما هو موجود في الزرادشتية وكتابها دساتير، وكذلك ما وجدناه في عقائد الأستراليين الأصليين من عقائد تتماشى مع حديث عبد الله بن عباس.

وكذلك في دين الصابئة الذي يُقّر بوجود أناس قبل آدم عليه السلام، وكذلك نص التوراة في قابيل الذي يشير إلى وجود بشر آخرين من غير أهل بيت آدم عليه السلام، بدلالة أن قابيل ذهب وتزوج منهم، وعند الصين الذين يذهبون بأبيهم وأصلهم إلى أبعد من آدمنا، وانتهاء بالأبحاث العلمية الحديثة التي تثبت وجود آثار لبقايا بشر قبل آدم عليه السلام بمئات الآلاف من السنين، بل الهياكل العظمية والبقايا البشرية ترجع إلى أكثر من مليوني سنة. فالظَّاهِر أنّ آدم عليه السلام وبنيه استخْلَفوا طائفة معيّنة من المخلوقات أو الناس –ليس كلهم– بناحية مُعينة من الأرض، فلفظ الأرض في الشريعة لا يُقصد به حصرا كل الكرة الأرضية –كما قلنا–، أي استخلف ناحية من الشرق الأوسط والحِّجَار (على الأرجح)، دون أن يكون قد عَمَّرَ كل الكرة الأرضية المترامية الأطراف والمتباعدة الزوايا والمنقطعة القارات.

فيكون بذلك آدم عليه السلام قد عاش في الشرق الأوسط، الذي عمَّرته ذريته من بعده، وجاورت فيه شعوبا أخرى، وبعدما مرّت السنين والأحقاب، كثرُت ذريته وظهرت أمته العظيمة، واحتكت شعوبٌ من هذه الأمة بشعوب أخرى وناسبتها واختلطت نسلها أو بعض نسلها معها، فكان بذلك آدم عليه السلام أبا لتلك الأمم من باب الغالب أو من باب التشريف، مع بقاء أَمَمٍ أخرى بِرُمَّتِها من قارات ومناطق بعيدة ليست من ذرية آدم عليه السلام إلى اليوم، وهذا لا يطعن في كون آدم عليه السلام هو أب أُمّة عظيمة، جعلها الله عِبْرَة لباقي أُمَمْ الأرض، كونها أُنْزِلت عليها أشهر الكتب السماوية –وليس كلُّها–؛ التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وخرجت منها الأديان الإبراهيمية، أشهر الأديان التي طبعت البشرية، وجاء فيها أشهر الرُّسُل، حتى ظنّ

الكثير من أتباع الأديان الثلاثة (المسلمين واليهود والنصارى)، أن آدم عليه السلام هو أبٌ كل سكان الأرض –أي الكرة الأرضية- في كل زمان ومكان.

وإذا أردنا الخروج بنتيجة، فيمكننا القول أنه تظافرت الأدلة على وجود أناس قبل آدم عليه السلام سكنوا في الأرض، وهذا لا يقدح أبدا في العقيدة الإسلامية ولا في القرآن الكريم، بل العكس، لكون القرآن نفسه قد أشار إلى وجود أناس قبل آدم عليه السلام كما رأينا آنفا، وهذا من كمال إعجاز هذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، فهنالك فرق بين حقيقة نصوص الوحي، وبين ما فهمه بعض الناس من النصوص وتوارثوه، ولا سيما ما أراد أهل الكتاب اقناع الناس به؛ بجعلهم لآدم عليه السلام أبا لكل البشر في كل زمان مكان، وكان من أثره ذلك أن توغَّلَت تِلك الإسرائيليات في عدد من التفاسير الإسلامية، فانعكس ذلك على فهم بعض نصوص الوحي، ونُظِرَ إليها وفق وجهة ضيقة، وفُسّرِت من زاوية قاصرة، بينما ما تشير إليه الآيات والأحاديث في الحقيقة هو شيء واسع من ذلك بكثير، فأما فهم الناس فليس بمعصوم، وأما الوحي فهو معصوم. وليس عيبا إن تفطّن المسلمون لهذا الأمر لاحقا، وصححوا ذلك الخطأ، -فهم أولى أن يصححوا هذا الفهم قبل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين حرَّفُوا كُتُبَهُم- لا سيما في زمن ظهرت فيه أدلةٌ وقرائنٌ أخرى، ساهمت في تسليط الضوء على ذلك الفهم الضيّق، وقد أدرك هذه الحقيقة –ولو عُمُوما- بعض الباحثين في العصر الحديث –كالعالمين محمد عبده ورشيد رضا، والباحث صافي حمدون، -، وغيرهم مِمَن فَتَحَ الله عليهم بما آتاهم من علوم، وبما خصّ كل واحد مِنهُم مِن فُنون، بإدراك هذه الهفوة، وتَدَارُك هذه الزّلة، سادّين الذريعة أمام أصحاب الشُّبُهَات، ومُسَاهِمِين في تبيين؛ أن الوحي الكريم لم يترك شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا أشار إلى العِلْم الصحيح فيه.

أما فيما يخصّ باقي شعوب العالم التي ليست من آدم عليه السلام، فقد رأينا من الأدلة أو القرائن ما تجعل من الراجح أنّه كان فيهم آباء أو أوادم آخرون، لكن هذا التفسير لا يَصْلُحُ أن يُفَسّر به لوحده نشأة كل أصول أُمَم العالم، فيبقى النسل البشري كبيرا وواسعا ومجهولا وقديما ومُعَقَّدا فهو قابلٌ أن تُفَسّر نشأته بأكثر من نظرية، فلذلك

يبقى الاجتهاد في كيفية خلقه مفتوحا – من غير آدم عليه السلام وذريته –، فحتى لو قُلنا بِوُجُود أوادم للبشر إلا أنّ هذا لا يكفي لتفسير نشأة كل الناس، لأن وجود الأوادم لا يتعارض مع كون النسل الإنساني كان أقدم منهم ورافقهم منذ القديم كما هو ظاهر (كآدم عليه السلام الذي كان مسبوقا بنسل بشري وكذلك الأب الثاني لنسله نوح عليه السلام)، إضافة إلى جهلنا بكيفية خلق هؤلاء الآباء، هل هو خلق مستقل كآدم عليه السلام، أم هو خلق كباقي البشر كنوح عليه السلام (الأب الثاني للأمة الآدمية)، أم تَطَوُّر وارتقاء عن مخلوقات أدنى، أم شيء من هذا وذاك، وهذا ما يجعل أنّ تفسير نشأة الإنسان لا يتعارض مع وجود نسل إنساني تطوّرَ منذ القديم، ولماّ كانت النَّظرية التطورية لا تناقض الإسلام من هذه الناحية، إضافة إلى أنها تُصنف من أقوى النظريات العلمية في هذا الباب بما تقدمه من أدلة في هذا الأمر، فإنّه من الأجدر قبولها في تفسير نشأة هذا الجزء الأكبر من النسل البشري القديم، وهذا من الانصاف والعدل الذي دعا إليه الله في التعامل مع الأقوال والآراء والأدلة، لاسيما وأنّ عدد معتبر من قدماء علماء الإسلام قالوا بالتَّطور في المخلوقات والإنسان قبل داروِن (darwin) بمئات السنين كـ (ابن خلدون، والبيروني، وإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه)، وحتى عدد من علماء الشريعة المسلمين المعاصرين رأوا أنها لا تتعارض مع الإسلام كـ (محمد عبده، ورشيد رضا)، ومن الباحثين المسلمين من وجدوا فيها أدلة علمية صحيحة، وقُبُول نظرية التّطور يكون بشروط: من أهمها نزع الشوائب الإلحادية منها وتصحيحها؛ كنسبة الخلق إلى الله تعالى لا إلى الطبيعة. وعدم تناول النظرية التطورية لآدم عليه السلام لأنه خلقٌ مستقلٌ مثل عيسى عليه السلام. ومن مزايا قبول هذه النظرية التطورية: القضاء على دعوى احتكار الإلحاد لها وتبرئتها منه، فالإسلام أولى بهذه النظرية من غيره من الأديان والعقائد، وإظهار أنّها لا تناقض ديننا على عكس بعض الأديان المحرفة، واستغلالها في خدمة الإسلام والدّعوة إلى هذا الدين العظيم.

فوجود بشر قبل آدم عليه السلام وغير ذلك من الحقائق التي برهنَّا عليها من خلال ما مرّ معنا في هذا الكتاب لابُدّ من إثباتها، بالرغم من مخالفة هذه الحقائق لكثير مما

اعتاده الناس، سواء عند المسلمين أو عند غيرهم، وبالرغم من اختلاط جزء من ذريات آباء العالم لا حقا بعضها ببعض، وبالرغم من جهل أكثر الناس بهذه الحقيقة، وأوائل أنساب البشرية بتفاصيلها، فالله هو العليم بكل نسب ومُنْتَهَاه، فلا يزال جزء مُهِمٌّ من تاريخ البشرية غامضاً، ولو تطوَّر العلم الإنساني، فإنه لا يُقَارن بعلم الله، ولا يبلغ ذرةً منه، فإن الله تعالى قال: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) (الكهف51). وحتى لو سمينا كل البشر ببني آدم تجاوزاً، أو غلبةً، فإن الشيء لا بُدّ من إدراكه على حقيقته، قبل أن يأتي الملحد ليشككنا في ديننا بدعوى عِلم حازه أو داروينية، أو يحاول أن يتعالم على ما استأثر الله بعلمه من تفاصيل أنساب البشر بدعوى عدم توافق إنساني ادّعاه بِعِلْمِهِ القاصر الذي يفْـرَحُ به، قال الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء 85).

ويبقى الأصل كل الأصل والمِفْتاح كل المِفْتاح في فهم هذا الأمر وأصل بدأ شعوب البشرية؛ هو الفهم الصحيح للكتاب والسنة على مراد الله ورسوله، وعدم حصر كلام الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الواسع معناهما، في تَصَوُّرَات ورثناها، أو مفاهيم معينة نُقِلَت لنا من أهل الكتاب، ضيّقَت شاسعا، وحَجَّرت واسعا، حتى إنّ العلم الحديث في آخر المطاف يأتي ليتّبع الوحي طوعا أو كرها، لا العكس، ويُصدّقه في كل شيء، بل وليسجد له، فالله تعالى هو الذي خَلَق وهو الذي يعلم ما خَلَق كيف خَلَق، قال الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك 14)، وهو الذي بَيَّنَ في كتابه كل شيء، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل89).

2. نتائج تفصيلية للبحث:

نتيجة حول الفصل الأول: موقف الإسلام من وجود إنسان قبل آدم عليه السلام:

– القرآن الكريم لا ينفي وجود أناس آخرين في الأرض قبل آدم عليه السلام، ولا يثبت أبدا أن آدم عليه السلام هو أول كائن عاقل أو أوّل إنسان سكن كل الكرة الأرضية، أو أنّه أبُ كل الناس الأولين والآخرين.

– القرآن الكريم يشير إلى وجود مخلوقات أفسدوا في الأرض قبل آدم عليه السلام بل قابل أن يُشير إلى أن مِنْ هذه المخلوقات مَنْ هم مِنَ الناس، وذلك في آيات متعددة أهمها الآية في سورة البقرة التي تذكر أنّ آدم خليفة لمن سبقه والتي فيها قياس الملائكة على إفساده في الأرض على من قبله.

– القرآن الكريم يشير أنّ آدم عليه السلام تولى الوِلاَية والحكم بما أنزل الله على قوم، ولا يوجد دليل أنّ هذا الحكم والنُبُوَّة كانت بالضرورة على أهله وأبنائه فقط دو غيرهم وذلك في معنى كلمة (خليفة).

– لا يثبت القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام هو أبٌ لكل الناس خلافا للمفهوم الإسرائيلي الذي انتقل إلينا، وهذا ما لا يُعارض فكرة وجود بَشَرٍ قبل آدم عليه السلام، وكذلك لا يعارض فكرة كل بني آدم إنسان وليس كل إنسان بني آدم.

– لا يوجد في القرآن الكريم أن حواء خُلقت من ضلع آدم عليهما السلام، والآثار الواردة في ذلك على الصحيح أنها من الإسرائيليات كما أكّد ذلك الألباني ورشيد رضا، وذكر الألباني أنّه لم يثبت أي حديث في خلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام.

– حقيقة النفس الواحدة التي خلقنا الله منها وذكرها في أوئل سورة النساء وأواخر الأعراف ليست بالضرورة آدم عليه السلام، ومن أحسن الأقوال من قال المراد بها هي الإنسانية، أي جنس الإنسان.

– لايوجد في القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام كان يُزَوِّج أبناءه مع بناته أو أي إقرار بزواج المحارم في ما قبلنا من الشرائع السماوية، والأدلة في القرآن الكريم تشير على تحريم مثل هذا الزواج.

– تفسير عبد الله بن عباس لقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: 12) بقوله "(سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى)، يَدُلُّ صراحة على وجود أوادم غير آدم عليه السلام وآباءً آخرين.

– يوجد أمثلة عن شخصيات يُعتَقَد أنّ منهم مَن هُم أباء وأنبياء في أجناس وأديان أخرى تشهد لحديث عبد الله بن عباس في الأراضي وتتوافق معه في الجُمْلة، كَكِيُومرث أب الفُرس والذي هو بمثابة آدم عليه السلام، والنبي ييما الذي هو بمثابة نوح عليه السلام، وزرادشت الذي هو بمثابة محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء عند الفُرس، وهنالك شخصيات في شعوب ومِلَل قديمة أخرى تحتوي على بقايا وَحْي فِيْها شَبَه هي كذلك بأنبياء الشرق الأوسط، كشخصية مانو في الهندوسية الذي يشبه نوح عليه السلام لكنه ليس نوح عليه السلام، وكل هذا يقوي وجه الاستدلال بحديث عبد الله بن عباس، وُيستنبط به وجاهة القول بوجود أوادم آخرين غير آدم عليه السلام، وأنَّهُم أو بعضهم أسبق منه عليه السلام.

– رُبَّما قد يُشير قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران 33) أنّ الله قد اصطفى آدم من شيء أو أجناس قبله، فإن الاصطفاء في كثيرٍ من الأحيان ما يكون من شيء ماضٍ.

– خطاب الله تعالى للناس بـ (يا بني آدم) في القرآن الكريم لا ينفي كونه موجّها إلى كل الناس بما فيهم غير ذرية آدم عليه السلام، وذلك من أوجه عديدة منها، إن كان الجن مخاطبين بها فمن باب أولى أن يكون غيرهم من الإنس مخاطبين بها كذلك. وكذلك استعمال أسلوب الخاص لا يمنع تعميم المعنى في القرآن الكريم، أو كما تقول القاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، فهنالك أحكام أو أسباب نزولٍ أو أوامر في

القرآن الكريم جاءت في حق النبي صلى الله عليه وسلم أو نسائه أو أصحابه لكن أحكامها تلحق بجميع الأمة. وغير ذلك من الأوجه.

- الله لم يذكر في القرآن الكريم أنّ آدم عليه السلام هو أبٌ على الناس كَافَّة، وإنما نَسَب سبحانه أُبُوَّتَه على بَنِيه فقط قال الله تعالى: (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)، وهذا ما يتناسب مع القول الذي يقول أنه ليس أباً على كل الشعوب، لكن يمكننا تسمية آدم عليه السلام أباً على باقي الشعوب الذين ليسوا من ذريته وتكون بذلك أُبُوَّتَه أُبُوَّة تكريم وتشريف واستحقاق الحرمة، وهذا قياسا على ابنيه إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم الذي جعلهما الشارع كأنهما آباء لكل المسلمين حرمة وتكريما.

- هنالك أدِلّة في القرآن الكريم تثبت أنّ الله خلق مخلوقات مساوية أو أفضل من بني آدم، ومن غير الممتنع أن بعض هذه المخلوقات سكن الأرض، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء 70)، فقال (على كثير) ولم يقل على (على كل).

- لا يزال جزء مُهِمٌّ من تاريخ البشرية غامضاً، ولو تطوَّر العلم الإنساني الحديث وبلغ ما بلغ، فإنه لا يُقَارن بعلم الله، ولا يبلغ ذرةً منه، فإن الله تعالى قال: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) (الكهف51). وحتى لو سمينا كل البشر ببني آدم تجاوزاً، أو غلبةً، فإن الشيء لا بُدّ من إدراكه على حقيقته، قبل أن يأتي الملحد ليشككنا في ديننا بدعوى عِلم حازه أو داروينية، أو يحاول أن يتعالم على ما استأثر الله بعلمه من تفاصيل أنساب البشر بدعوى عدم توافق إنساني ادّعاه بعلمه القاصر الذي فرح به، قال الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الإسراء 85).

- يبقى الأصل كل الأصل والمفتاح كل المفتاح فهم أصل شعوب البشرية وكيفية خلقهم؛ هو الفهم الصحيح للكتاب والسنة على مراد الله ورسوله، وعدم حصر كلام الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الواسع معناهما، في تَصَوُّرَات ورثناها، أو

مفاهيم معينة نُقِلَت لنا من أهل الكتاب، ضيّقَت شاسعا، وحَجَّرت واسعا، حتى إنّ العلم الحديث في آخر المطاف يأتي ليتّبع الوحي طوعا أو كرها، لا العكس، ويُصدّقه في كل شيء، بل وليسجد له، فالله تعالى هو الذي خلق وهو الذي يعلم ما خلق كيف خلق، قال الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك 14)، وهو الذي بَيَّنَ في كتابه كل شيء، قال الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل89).

- الظاهر من الآيات والأحاديث أن آدم عليه السلام خلقه الله بيديه سبحانه خلقا مستقلاً، لكن لايوجد دليل في القرآن ولا في السُّنة أن الله تعالى قد خلقه وابتدعه خلقا جديدا على غير مثال سابق، أي بدون أن يشبه أي مخلوق من مخلوقات الله التي قبله.

- إنّ الله خلق عيسى عليه السلام خلقا شِبه مستقلٍ مِنْ أُمٍّ بغير أبٍ، مع كونه مسبوقا ببشر، وخلقه الله يشبههم، فإذا نظرنا في هذه الجهة -أي في جهة كونه مسبوقاً بِبَشر- وقِسناها بخلق آدم عليه الســـلام؛ فإننا نجد أن آدم عليه السلام كذلك خُلق مسبوقاً بِبَشر، وخلقه الله على شبههم، فَكِلاَهُمَا عليهما السلام في هذه الحالة مسبوقان بأناس مع كونهما خلقين مستقلين، خُلِقَا وأُدْمِجا في الأرض في زمن كان الناس فيه موجودين، وفي هذه الحالة يكون التماثل بين عيسى وآدم عليهما السلام أعظم مما كان يُظَن.

- لعلّ من بين الحِكَم في تركيز الله تعالى على ذكر أنبياء الشرق الأوسط (جزيرة العرب، الشام، مصر، العراق، تركيا) في القرآن الكريم لأنهم أعظمهم عبرة وملاءمة للحال والزمان والمكان، ولاكتفاء قصصهم عن غيرها، ولاشتهار أنبيائهم وظهور أديان طائفة منهم على غيرها، ولمحاجّة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وإقامة الحجّة عليهم، لا سيما وأن أبناء إسماعيل من العرب الذين بعث الله فيهم محمد صلى الله عليه وسلم هم أبناء عم اليهود، فهم أولى أن يرسل فيهم -أي العرب- من يصحح ملة بني إسرائيل ويجادلهم بجنس عِلْمِهِم ومن ما يعرفون من أنبياء ويقيم الحجة عليهم، من أن يبعث هذا النبي في غيرهم من شعوب العالم البعيدة، فالعرب أقرباؤهم وجيرانهم، فهم يعرفون أنبياء المنطقة،-مثل قصة أبيهم المشترك إبراهيم مع هاجر وإسماعيل عليهم

السلام في مكة، وغيرها من أخبار المُعذبين من قوم لوط- وآباءهم مشتركون كإبراهيم ونوح وآدم صلى الله عليهم وسلم، فالحكمة أبلغ من أن يخاطبهم الله بأنبياء لا يعرفونهم من قارات أخرى بأخبار غريبة عنهم. ويلحق هنا بمجادلة اليهود النصارى كذلك، كون النصارى هم على ملة وشريعة نبي من بني إسرائيل عيسى عليه السلام، ويدينون بعدد من عقائدهم، مثل إيمانهم بكل أنبياء اليهود، حتى إن كتابهم المقدس جزؤه الأول هو العهد القديم بما حواه من أسفار أنبياء بني إسرائيل على رأسها توراة موسى صلى الله عليه وسلم أو ما تبقى منها. فلو خاطبهم الله بقصص أنبياء في أمريكا أو أستراليا أو غيرها من الأماكن البعيدة وترك ذكر أنبياء المنطقة، لتذرعوا ولزاد اتهامهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب -وحاشاه-، ولقالوا لماذا أتى هذا القرآن بأخبار هؤلاء الأنبياء الذين لا يعرفهم أحد ؟ وأنّ القرآن لا يعنينا؟ وكيف يترك القريب ويذكر البعيد؟ ومن أين أتى بهؤلاء الأنبياء الذي لا يعرفهم أحد؟ ولا اتخذوا ذلك ذريعة للطعن فيه، مثل قولهم أنّ القرآن لا يذكر أعظم قصص مرت بالمنطقة وطَبَعت سكانها الأقدمين؛ مثل قصة طوفان نوح صلى الله عليه وسلم، وقصة عُبور موسى ببني إسرائيل البحر بعدما شقّه الله له، وقصة إهلاك المؤتفكة من قوم لوط صلى الله عليه وسلم، وغيرهم من القصص، وكذلك لعل من بين أسباب ذكر القرآن للأنبياء المعروفين عند أهل الكتاب؛ قُرب المسافة بين الأديان الإبراهيمية السماوية، وتقارب كثير من نسل الأنبياء، على رأسهم كون خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم، وإبراهيم بدوره أبُ أنبياء بني إسرائيل، فالأقربون أولى بالذكر وأولى بالاعتبار من غيرهم، وهذا ما نجده في القرآن الكريم، ولعلّ الله رأى في الأمة العربية والإسلامية، خاصةً إيمانية، ومزية فريدة في قُبول دِينه ونُصرها لهُ، وأهلية عزيزة، فَجَعَل فيهم خاتم أنبيائه، محمد صلى الله عليه وسلم. ولعلّ من أسباب تركيز الله تعالى في القرآن على تلكم الأنبياء من الشرق الأوسط لأنهم ببساطة من ذرية آدم عليه السلام وأمته، فهم المصطفون من أمة آدم عليه السلام الذي اصطفاه الله بدوره، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل

عمران 33)، وقال تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩) (مريم 58).

– إنّ تركيز الله على ذكر أنبياء الشرق الأوسط لا يعني أنّ الله لم يبعث أنبياء في الأمم الأخرى كما قلنا حاشا وكلا، بل بعث فيهم أنبياء كُثُر حتى وإن لم نعلم كل أسمائهم، وإن كان بدأ بعضهم يظهر، حين بلغت الدراسات ما بلغت، (كزرادشت نبي الفُرس، وكذلك على الراجح كُل من كنفوشيوس، وبُوذا، ورُبَّما سُقرَاط، بالرغم من تحريف دعوتهم) حتى هنالك من الباحثين المسلمين المعاصرين من أثبت نبوة هؤلاء وله دراسات جِدّية في ذلك.

– إنّ الله بعث أنبياء في الأمم الأخرى البعيدة كما بعث في الشرق الأوسط أنبياء، وشرع فيهم أديانا سماوية، وعلى الصحيح أن الله خاطبهم بما مضى فيهم من أنبياء وقصص ارتبطت مع شرائع الله التي كانت عندهم في أراضيهم وجاورتهم، كما مرّ بفضل الله بعض الأمثلة على ذلك في الزرادشتية وبلاد فارس القديمة والكبيرة وأستراليا، وهذا مثل الإسلام مع الأديان السماوية التي جاورته (في الشرق الأوسط)، وارتباط قصص أنبياء بني إسرائيل ونسلهم ومكانهم بأنبياء العرب، على رأسهم خاتمهم صلى الله عليهم وسلم. وأن محمد صلى الله عليه وسلم مذكور عند تلك الأمم البعيدة كالهندوس والبوذيين والزرادشتية بالرغم من بعدهم عن الشرق الأوسط، وقد أثبت ذلك باحثون مسلمون معاصرون ذكره صلى الله عليه وسلم في كتب تلك الملل (وخاصة باحثين مسلمين من الهند) كالهندوسية والبوذية على غرار الزرادشتية التي تناولنا في هذا الكتاب بعض النُّبوات على ذكره صلى الله عليه وسلم في كتبها، ما يوحي أن أصحاب تلك الملل التي تنسب إليهم هم على الأرجح من الأنبياء، مثل زرادشت، وأن شرائعهم كان فيها من تعاليم الوحي.

– لقد جاءت كلمة (الناس) و كلمة (الإنسان) في مواضع متعددة من القرآن الكريم دون أن يعني بها كل الناس أو كل إنسان، وعلى هذا فليس بالضرورة أن يكون

قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)، وقوله الله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) يعني به كل الناس أو كل إنسان، وإنما قد يعني به جزء أو أفراد من الناس والإنسان، فإن كُنّا نجزم أن الإنسان الذي هو من نسل آدم عليه السلام وأمّتِه يرجع إلى أبيه الذي خلقه من طين، وبالتالي فيمكن أن نَنْسِب خلق هذا الإنسان إلى الطين، لكن الإنسان الذي ليس من آدم عليه السلام ليس بالضرورة أنّ يكون مخلوقا من طين، فإنّ الآيتين تحتملان هذا الاستثناء بدليل الآيات المتعدد التي تذكر (الناس) و (الإنسان) بمعنى جزء منهم. وحتى على قول أنّه يُقْصَد بهما كل الناس أو كل إنسان وهذا ممكن؛ فإنه ليس بالضرورة أن يكونوا كلهم أبناء لآدم عليه السلام؛ لأنّ الآياتين تُرْجعهم إلى التُّراب ولا يوجد ذكر لآدم عليه السلام فيهما، وهذا ممكن بحيث يكون كل الناس مخلوقين من تُراب من غير أن يرجعوا كلهم لآدم عليه السلام، بحيث أنشأهم الله جميعهم من تُرَاب بطريقة علمناها أو يعلمها الله. وقد نقلنا رأياً من اجتهاد أهل التفسير في كيفية ذلك، ونقلنا رأياً من العِلم الحديث يقول باحتمال نشأة الحياة من الطين.

– لا يوجد أي حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ينفي وجود أناس قبل آدم عليه السلام.

– على الراجح أنّ آدم عليه السلام كان سريانيا وتَكَلَّم بالسريانية، والسِّرْيانِيُون قبلهم بشرٌ كثير.

– زمن آدم عليه السلام لا يتجاوز السبعة آلاف سنة استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع جمعه ببعض آثار الصحابة والتابعين، وهذا ما يعني أنّ آدم صلى الله عليه وسلم يبقى متأخرا على كثيرٍ من قُدماء الناس الذين عَمَّروا قديما الأرض.

– طريق حساب زمن آدم عليه السلام استنادا على سلسلة نسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلف كثيرا عن الزمن الذي يُثْبِتُه الحديث جمعا مع الآثار، أي أقل من ثمانية آلاف سنة وهذا ما يزيد زمن آدم عليه السلام تأكيدا، وبالتالي يُؤكِّد تقدم كثيرا من البشر زمنيا على آدم عليه السلام.

- حديث (أنتم بنوا آدم) لا يعني أن كل الناس في كل زمان ومكان هم أبناء آدم عليه السلام، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب العرب من قومه الذين كانوا حقيقة من آدم عليه السلام أو أكثرهم، والخطاب زمن التنزيل إذا كان مُوَجّها إلى البعض فإنه في كثير من الأحيان موجه إلى باقي الأمة كما هو من أساليب القرآن الكريم، أما بالنظر إلى باقي الناس فإنَّ الأُبُوَّة ليس بالضرورة أن تكون حقيقية، وإنما تأتي بمعنى التشريف والتعظيم، كما جاء هذا المعنى في قول الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج 78)، فمن المعلوم أنّ ليس كل الناس من أبناء إبراهيم عليه السلام، ورغم ذلك جعله الله أبا على كل الناس، وهذه تُسَمّى أُبُوّة التشريف والتعظيم كما نقل أهل التفسير وليس الأُبوة الحقيقة، وعلى هذا أيضا يمكن حمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم بنوا آدم) على الذين ليسوا من نسل آدم عليه السلام، أي أنّه أبٌ بمعنى التشريف والتعظيم.

- آدم عليه السلام كان نبيا أرسله الله وهذا ما يُشَكِّك في كونه كان مبعوثا إلى أهله فقط، ويطرح الفرضية المحتملة أنّه كانت بعثته مُتَعَدّية وليست مقتصرة على أهله فقط.

- اختلف العلماء في طول آدم عليه السلام الحقيقي على وجه الأرض، والذي يظهر أنّه كان يقترب أو يساوي طول الناس اليوم، مع كون خلقه الأصلي كان ستين ذراعا كما ينُّص الحديث الصحيح.

- ربماّ الفرق بين سِن آدم عليه السلام وذُرِّيَته القريبة -أي عمرهم الطويل- وبين سِن حياة باقي شعوب العالم -أي عمرهم قصير كعُمرنا الآن- يدلّ على اختلاط تدريجي لذرية آدم عليه السلام مع باقي شعوب العالم التي كانت تمثل الأكثرية آنذاك - والتي كانت تعيش كما تقول الدراسات العلمية تقريبا مثل عُمْر الإنسان الحديث-، فأدى ذلك إلى نُقْص تدريجي في أعمار ذُرِيّة آدم عليه السلام بحكم غلبت العِرْق، فاختفت تدريجيا الأعمار الطويلة التي كان يعيشها آدم عليه السلام مع ذريته المباشرين.

- كان يُقَدر عدد سكان العالم في زمن آدم عليه السلام حسب احصائيات علمية بحوالي عشرة ملايين نسمة، ما يؤكد وجود كثير من البشر كانوا قبله ويعاصرونه عليه

السلام، حتى وإن لم يبلغوا الكثافة المعاصرة، وأما في الشرق الأوسط فكان عدد الناس أقل، وهؤلاء على الصحيح هم الذين تزوجت واختلطت بهم ذريته فيما بعد.

نتيجة حول الفصل الثاني: إنسان قبل آدم عليه السلام في الأديان السماوية:

- الكتاب المقدس لليهود والنصارى في العهد القديم (التوراة) التي تؤمن بها كل من الديانتين يُشير لاحتمال وجود بشر كانوا معاصرين لآدم عليه السلام، وبالتالي احتمال وجود بشر قبله، بدليل أنّ ابن آدم قابيل بعدما قتل أخاه، ذهب وتزوج من ناحية أخرى في أرضٍ غير أرض قومه.

- هذه الإشارة السابقة في التوراة استدل بها بعض الباحثين الغربيين المعاصرين على وجود بشر قبل آدم عليه السلام.

- إن دين المجوسية "الزرادشتية" ودين الصابئة أصلهما دينان سماويان ويلحقون بأهل الكتاب، أما الهندوسية هي دين يغلب عليه الوثنية، لكن يحتوي هذا الدين على بقايا شعائر سماوية وبقايا تعاليم أنبياء، وأهم هذه الشرائع هي أصلية الإيمان بإله واحد أعلى (الله) في هذا الدين كما أكّد ذالك علماء درسوه، وهذا ما يدع إلى الالتفات والتفكُّر فيما تذكره هذه الأديان في قِصَّة بداية الإنسان، لا سيما المجوسية والصابئة الدينين الكتابيين اللذين يؤمنان بوجود آدم عليه السلام، فإن الأخبار الواردة في هاذين الدينين تُنزَّل منزلة أخبار أهل الكتاب من الإسرائيليات، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ نُحَدِّث عن بَنِي إِسرَائِيْل ولا حرج.

- إنّ الأديان (الزرادشتية "المجوسية"، والصابئة، والهندوسية) تُشير لوجود بشر قبل آدم عليه السلام.

- عقيدة النصرانية الثالوثية المُحَرَّفَة قد تتناقض مع وجود بشر قبل آدم عليه السلام، لأنها تؤمن بعقيدة "الخلاص" وتوارث خطيئة آدم عليه السلام لكل البشر، فينبغي بزعمهم أن يأتي ابن الله الوحيد (المخلص) كي يموت مصلوبا على الصليب

لِيُخَلِّصَ ذُنُوب كل البشر، فلا ينبغي بناء على هذه العقيدة أن يكون بشر قبل آدم عليه السلام.

نتيجة حول الفصل الثالث: هل يثبت العِلْم وجود إنسان قبل آدم عليه السلام ؟

- إنّ طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل الكرة أرضية وإنما شمل جزءا من الشرق الأوسط، وهذا تؤيده أدلة من الوحي والعلم الحديث.

- قال الله تعالى: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (هود 48)، ففي ظاهر قوله سبحانه (وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ) أنّ هنالك أُمَمًا أخرى ليسوا مِمَن مع نوح، والله أعلم، بل يقول المُّفَسر ابن عطية الذي هو من قدماء المفسرين في تفسير الآية الأخيرة من قول الله تعالى: (سَلاَمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)) (الصافات 79-82) : " ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبيه، وليس في ذلك نص على أنّ الغرق عمّ جميع أهل الأرض". - وهذا كلام عالم تفسير من القرن السادس الهجري لم يطّلع على البحوث الحديثة في كيفية زمن ومكان الطوفان-. لذلك فالذي يظهر أنه في ذلك إشارة أنّ هنالك أُمَماً كانت تعيش في أراضٍ أخرى لم يرسل إليهم نوح عليه السلام، لأنّ النبي يُبعَث إلى قومه خاصّة، بدليل حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)، وهذا فيه دليل أنه لم يكن قوم نوح عليه السلام وحدهم في كل الأرض لأنه يلزم من ذلك معارضة هذا الحديث بأنه يجب أن يُرسل إلى كل الناس في ذلك الزمان وهذا خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الدليل لا يقتصر على الاستدلال أن طوفان نوح عليه السلام لم يشمل كل العالم، وإنما قد يطرح جزء من الإشكال الذي نعالجه في هذا البحث؛ هل كل هذه الأمم التي لم تكن مع نوح عليه السلام كلها من ذرية آدم عليه السلام ؟ أم كان هنالك أمم أخرى بعيدة عن الشرق الأوسط كأستراليا وإفريقيا السوداء والأمريكتين ؟ لا سيما وأنّ الفارق الزمني بين كل من آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام هو عشر قرون كما رأينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح في ذلك،

وهذا الفارق قصير مقارنة بِسُلَّم التاريخ، فكيف تكفي هذه المُدّة فقط لإعمار كل وجه الكرة الأرضية بالأمم البشرية من زوجين وحيدين؟ -أي عشرة قرون مدة قصيرة نسبيا مقارنة مع معيار الانتشار الإنساني-. (لذلك فإن الصحيح في هذا الأمر أنّه كان هنالك في الأرض أمم أخرى من غير ذرية آدم عليه السلام منتشرة خارج الشرق الأوسط، وكذلك كان هنالك أقوام أخرى من غير قوم نوح عليه السلام في زمانه وقبل زمانه. لا سيما في قارات كأمريكا وأستراليا وإفريقيا وأروبا كما رأينا).

- الزمن التقريبي بيننا وبين طوفان نوح عليه السلام بحسب دراسات علمية حديثة حول الطوفان هو حوالي سبعة آلاف سنة، وإذا أضفنا هذا العدد إلى الزمن بين آدم ونوح عليهما السلام المذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم والذي هو ألف سنة فإننا نحصل على الزمن التقريبي لآدم عليه السلام من خلال هذا الطريق العلمي أي: حوالي ثمانية آلاف سنة 8000. وإذا قارناً هذا الزمن مع الزمن الذي حسبناه سابقا من طريق السلف وما نقله علماء الإسلام ومُؤَرِّخِيهم وطريق نسب النبي صلى الله عليه وسلم، والذي هو على أقصى تقدير سبعة آلاف سنة 7000، نجد أن هذان التقديران متقاربان، بل فيهما نوع من الاتفاق والتَّقَوِّي بأن زمن وجود آدم عليه السلام يدور بين هاتين المدتين أي حوالي الألفية الثامنة قبل الميلاد، والألف سنة التي بينهما لا تهمُّنا بقدر ما يهُمُّنَا الزمن الإجمالي، والذي هو أقل من عشرة آلاف سنة، وهذا بالرغم من أخذ أعلى التقديرين أي ثمانية آلاف سنة، فإنّ هذا الزمن لا يقارن مع عمر الإنسان في الأرض الذي يُقَدَّر بمئات الآلاف من السنين بل يفوق المليون سنة بكثير.

- يمكن تأكيد نتيجة مما سبق وهي أنّ زمن وموقع الطوفان لوحده قد يكفي لمعرفة أنّه كان في زمن نوح عليه السلام أُمُمٌ أخرى بعيدة ومنفصلة عن قومه، حيث أنّه عليه السلام لم يُرْسَل إليهم، وأنّ كثيرا من تِلْكُم الأمم لا ينحدرون بالضَّرُورة من أبيه آدم عليه السلام، لا سيما التي سكنت في مناطق بعيدة، ولقد مرّ معنا المنحنى الافتراضي لِتِعْداد الناس على وجه الأرض في تِلْكَ الأزمنة، وكل هذا لا يتناقض مع القرآن الكريم، كما رأينا من الأدلة والقرائن.

- أمّا عن كيفية حِسَاب الأزمنة البعيدة للعظام البشرية التي تُعَدُّ بمئات وملايين السنين، والتي عاش في بعضها الإنسان القديم؛ فهي تعتمد على تقنيات تَأْريخ حديثة، بقياس إشعاع أيونات محددة وتصوير شعاعي دقيق مختلف عن الكاربون أربعة عشر (c14) المشهور لأنه لايصلح لحساب هذه الأزمنة البعيدة، وإنما يُسْتَعمل الكربون أربعة عشر في حِسَاب تأريخ العظام وبعض الأثار التي لا يتجاوز عمرها عشرات الآلاف من السنين (حوالي أربعين ألف سنة)، أماّ في تأريخ الأزمنة الأبعد التي تُعدّ بمئات الآلاف من السنين فأكثر؛ فإنه يُستعمل في ذلك قياس إشعاع أيونات مثل: البريليوم المُشع Béryllium 10، والألومينيوم المُشع Aluminium-26، والبُوتاسيوم أرغون Potassium-Argon، والرنين المغناطيسي الإلكتروني (ElecTron paramagneTic resonance) -يبلغ مداه إلى خمسة ملايين 5 ملايين في تأريخ العظام- وغيرها من المواد والطرق التي قد يؤرخ بها أزمنة بمئات وبملايين السنين، ويختلف استعمال هذه الطُرُق بحسب الحالة المُقاسة باستعمال تقنيات وآلات حديثة. وهذه الوسائل معمول بها في العلم الحديث، ويستعملها علماء الأنثروبولوجا والآثار.

- هنالك أجناس بشرية عاشت قبل آدم عليه السلام بمئات الآلاف وملايين السنين:

إنسان الهوموسابين (homo sapiens) الإنسان الحديث (عاش قبل ثلاث مائة ألف سنة 300.000 إلى الآن)

إنسان النياندرتال (le NéanderTal) (The NeanderThal) (أكثر من أربع مائة وثلاثين 430.000 سنة)

إنسان الهومو إيركتوس (Homo erecTus) (عاش قبل حوالي 1.8 مليون سنة)

إنسان الهومو هابيليس (Homo habilis) (عاش حوالي 2.5 مليون سنة)

- نظرية التطور لا تعارض الإسلام للأدلة التالية:

لقد رأينا من الأدلة أو القرائن ما تجعل أنّه من الراجح أنّ باقي شعوب العالم التي ليست من آدم عليه السلام، كان فيهم آباء أو أوادم آخرون، لكن هذا التفسير لا يَصْلُحُ أن يُفَسّر به لوحده نشأة كل أصول أُمَم العالم، فيبقى النسل البشري كبيرٌ وواسعا ومجهولا وقديما ومُعَقَّدا فهو قابلٌ أن تُفَسّر نشأته بأكثر من نظرية، فلذلك يبقى الاجتهاد في كيفية خلقه مفتوحا – من غير آدم عليه السلام ونسله –، فحتى لو قُلنا بِوُجُود أوادم للبشر إلا أنّ هذا لا يكفي لتفسير نشأة كل الناس، لأن وجود الأوادم لا يتعارض مع كون النسل الإنساني كان أقدم منهم ورافقهم منذ القديم كما هو ظاهر (كآدم عليه السلام الذي كان مسبوقا بنسل بشري)، إضافة إلى جهلنا بكيفية خلق هؤلاء الآباء، هل هو خلق مستقل كآدم عليه السلام، أو خلق في سياق نسل بشري البشر كنوح عليه السلام (الأب الثاني للأمة الآدمية)، أو تطوُّر وارتقاء عن مخلوقات أدنى، أم شيء من هذا وذاك، ولسبب مُهِم وهو ليس بالضرورة أن يكون كل النسل البشري قد أتى من هؤلاء الآباء أو الأوادم، وهذا ما يجعل أنّ تفسير نشأة الإنسان لا يتعارض مع وجود نسل إنساني تطوّرَ منذ القديم، ولـمّا كانت النّظرية التّطورية أقوى نظريات العلم الحديث في تفسير نشأة الأحياء بما تقدمه من أدلة، فلا مانع من قُبُولها في تفسير نشأة جزء كبير من النسل البشري، للأسباب التالية:

❋ عدم تعارض هذه النظرية مع الوحي (الإسلام)، فالوحي أثبت الخلق المستقل لآدم عليه السلام، وآما باقي الأمم فالاجتهاد فيهم مفتوح، فالله يخلق بالمعجزة كما يخلق بالأسباب المعتادة والتّدرج.

❋ الإنصاف والعدل الذي دعا إليه الله في التعامل مع الأقوال والآراء والأدلة. والنظريات العلمية لا تخرج عن هذه الدائرة. (لو قال بها الأعداء والخصوم)

❋ عدد مُعْتبر من قُدَمَاء علماء المسلمين قالو بمقدمات وأُسُسِ هذه النظرية قَبل داروين darwin والغربيين بمئات السنين، كـ (ابن خلدون، والبيروني، وإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه)، وحتى عدد من علماء الشريعة المسلمين المعاصرين رأوا أنها لا تتعارض مع الإسلام كـ (محمد عبده، ورشيد رضا)، ومن الباحثين المسلمين من

وجدوا فيها أدلة علمية صحيحة (وكذلك كثير من المتدينين من أهل الكتاب في الغرب يعتقدون بِصِحَّتِها).

* قُوَّة الأدلة العلمية التي تُقَدِّمُهَا هذه النظرية.

* العجز عن تقديم بَديلٍ عِلميٍ عن هذه النظرية في تفسير طريقة نشأة الحيوانات والكائنات.

* التَّدرُّج في الخلق، والتَّدَرُّج سُنَّة إلهية.

* ظُهُور أدلة علمية جديدة تقوي هذه النظرية كلما تقدَّم العلم.

وقُبُول نظرية التطور يكون بشروط:

* عدم تناول النَّظَرِيّة التطورية لآدم عليه السلام لأَنَّهُ خلقٌ مستقلٌ مثل عيسى عليه السلام.

* نزع الشوائب الإلحادية من هذه النظرية، كَنِسْبَةِ الخلق للطبيعة، والقول بالصُّدَف العشوائية والأخطاء الخلقيّة، فالله هو الذي خلق الطبيعة وما فيها، وهو الذي يُدَبِّر ويُسَيِّرُها وكل ما فيها، والله تعالى مُنَزّهٌ أن يخلق بالصُّدف والأخطاء، وإنما يخلق بالقضاء والقدر والدّقة العالية والحكمة البالغة.

من المزايا في قبول النظرية التطورية:

* التّخلص من الفهم الضَيِّق لخلق البشر في الكتاب والسنة، وعزل الاسرائيليات عنهما.

* القضاء على دعوى احتكار الالحاد لهذه النظرية وتبرئتها منه، فالإسلام أولى بهذه النظرية من غيره من الأديان والعقائد.

* محاربة الإلحاد بسلاحه.

* عدم ادخال الإسلام خطأ في صراع وهمي مع نظرية ذات أدلة علمية قوية، يؤمن بها أغلب علماء الأحياء في العالم.

* إظهار أنّ النظرية التطورية لا تناقض الإسلام على عكس بعض الأديان المحرفة، وبالتالي استغلال هذه النظرية في الدعوة إلى هذا الدين العظيم.

* النظر إلى التَّطوُّر في خلق الله بنظرة تدّبُرِيّة وتَفُكرية تدلّ على قوة وعلم وعظمة خالقه.

* إعادة ادماج ضعفاء الإيمان من المسلمين المفتونين بالنظريات الغربية في سلك الإيمان، وارجاعهم إلى منطقية وعقلانية أدلة الكتاب والسنة

- هنالك علماء من قدماء المسلمين قالوا وأشاروا إلى تَّطَوُّر المخلوقات والإنسان قبل دارون darwin بمئات السنين، كإخوان الصفا، والجاحظ، وابن مسكويه، والطوسي، والبيروني، وابن خلدون، والقزويني.

- هنالك علماء مسلمون مختصون لا سيما في الأحياء والبيولوجيا يرون بِصحّة النظرية التطورية وأنها لا تناقض الدين.

- إنّ النظرية التطورية عند أول ظهورها في أوروبا كانت تُتَّهم من قِبَلِ معارضيها بأنّها "مُحَمَّدِيَةٌ" - أي إسلامية - رُبَّماَ لأن أصول فكرة التطور بشكل عام كانت موجودة في التُرَاث الإسلامي حيث أشار إليها غير واحد من العلماء المسلمين.

- النظرية التَّطورية وعلاقتها مع الدين:

* النظرية التطورية في عمومها لا تناقض القرآن والسنة، وإنما تناقض الرواية الإسرائيلية واعتقاد الكنيسة في خلق آدم وحواء عليهما السلام بجعلهما آباء أوئلا لكل البشر في كل زمان ومكان.

* إنَّنَا نَدْعُوا مَنْ خالف من المسلمين ورأى عنده أنّ هذه النظرية تُعارِضُ الدين وتَضَايَقَ مِنْهَا، علماء شريعة كانوا وطلبة علم أو علماء علوم وباحثين وعوام، إلى إعادة التَفَكُّر في آيات وأحاديث بداية الخلق في القرآن والسنة، وأن يُتَفَادى ابتداء كل ما هو مَورُوثٌ أو إسرائيلي أو حُكمٌ مُسَبَّق، ثم لِينْظُر المؤمن هل يجد معارضة بين نصوص الوحي في بداية الخلق وبين النُشُوء التدريجي للمخلوقات والإنسان وما قاله العلم

الحديث في ذلك، وبخاصة الإشارات إلى وجود مخلوقات عاقلة قبل آدم عليه السلام مُنْفَصلة عنه، فما المانع أن تخضع هذه المخلوقات المنفصلة إلى هذا النشوء التدريجي الذي قال به أغلب علماء الأحياء، باستثناء آدم عليه السلام الذي هو خَلقٌ مستقلٌ مِثْل عيسى عليه السلام بدلالة الوحي الصريح.

* ليس مَطْلُوباً من المؤمن أن يُصَدِّقَ بنظرية التطور إن كان الأمر لا يعنيه أو يُشَكِّل له أزمة، فالتطورية ليست رُكْنًا من أركان الإيمان كي يُلْزَمَ المؤمن بتصديقها، لكن إن آمن آخرون بها وجمعوا بينها وبين الإيمان بالله، بل وقد يجدون أَدِلَّة في القرآن والسنة على ذلك، فليس على الذي يُخَالِفْهُم أن يُحاربهم ويُحَارب ما يُؤمنُون بِه.

- الإنسان القديم كان مُتَديِّنا: قد يظن البعض أن الإنسان القديم لم يكن يعرف ربّه، وأنّه كان متوحشا وناقصا في العقل بحيث لم يتمكن من التّدين، لكن حقيقة الأمر خلاف ذلك، قال الله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر 24)، ويقول تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (النساء 164)، ويقول تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل 36)، فإذا علمنا أنّ قدماء البشر الذين عاشوا قبل آدم عليه السلام هم عبارة عن أُمَم، فإنه بالضرورة أن الله قد أرسل فيهم رسلا، وهذا خبر رباني لا مرية فيه. والدليل العلمي على هذه الحقيقة وعلى تَدَيُّن الإنسان القديم وإيمانه بإله الأعلى، ما وجده وأثبته علماء من الغرب عند دراسة أديان الأمم البدائية كأَنْدُرُو لانج (Andrew lange) الإنجليزي وويليام شِمِيْد الألماني (Guillaume schmidT)، حيث تعتبر هذه الأقوام شاهدا نقيا على أديان قدماء البشر لأنها حافظت على أديان أسلافها ولم تختلط مِلَلُهَا بالأديان الإبراهيمية وبعضها كان معزولا عن العالم لأحقاب طويلة، وقد وُجِد التوحيد وبقايا منه عِنْد كثيرٍ من هذه القبائل البدائية القديمة، وأقدم الحضارات العالمية؛ طامِسًا بذلك النظريات الإلحادية التي قالت أنّ الإنسان الأول بدأ بالتعدد الشِّركي وعبادة الأوثان، حيث وجدوا هذه البقايا من التوحيد عند كثير من القبائل البدائية في أمريكا الشمالية وفي أستراليا، وفي أمريكا الجنوبية، وفي إفريقيا، ووجد أيضا التوحيد

وآثاره في حضارات قديمة كمصر، والهند، وفي أرض سُومر (العراق)، وفي الصين وفي اليونان.......وكثيرٌ من تلك الأقوام البدائية كان معزولا عن العالم كلية، مثل قبائل جزر أندرمان (أو أندمان)، وقبائل أستراليا، وكثير من قبائل أمريكا، ووجدوا عندهم بقايا كثيرة من شرائع سماوية، وكل هذا يدلّ أنه كان فيهم وحي قديم وأنبياء بعثهم الله فيهم، وأنّ التكليف كان قبل آدم عليه السلام، ويدلُّ على أنّ الله قد فطر الإنسان على الإيمان به.

– (حَوَّاء الميتوكندري) العلم يُثْبِت وجود أُمٍ أخرى أقدم من حَوَّاء المعروفة بكثير لكنها ليْسَت أُمًا لِكُل البَّشَر، إنما هي أمّ جزء معين من البشر من ناحية الحمض النووي (dna) للميتوكوندري فقط.

– إنّ كثيرا من الشعوب البشرية المعاصرة لا يرجع أصلها المباشر إلى آدم عليه السلام (وبخاصة الشعوب التي سكنت الأراضي والقارات خارج الشرق الأوسط كالأستراليين والأفارقة والصينيين والأوروبيين والأمريكيين الأصليين)، لأنّ زمن نزوله عليه السلام إلى الأرض كان متأخرا مقارنة مع زمن وجود أجداد هؤلاء في الأرض، وقد مرَّ معنا دراسة علمية تحصي عدد سكان العالم في حدود السبع آلاف إلى الثمن آلاف سنة (أي الزمن التقريبي لآدم عليه السلام في الأرض) بحوالي بضعة ملايين نسمة –حوالي 10 ملايين–، وهذا ما يعني أن النسل الذي انحدر من هؤلاء السكان في العموم ليس من نسل آدم عليه السلام، لكن هذا لا يَسْلِبُ أَبَانَا آدم عليه السلام أن يَسْتَحِقَّ مقام الأُبُوَّة التشريفية والتعظيمية على كل سُكَان العالم ولو كانوا من غير ذريته المباشرة من باقي سكان الأرض، وهذا لا يُغَيّرُ من كون أبينا آدم عليه السلام هو أبٌ لأمة عظيمة وكبيرة اصطفاها الله وخلّدَهَا بالذِّكْر في القرآن الكريم، وشرع فيها الأديان الإبراهيمية أشهر الأديان، وبعث فيها خاتم المرسلين، وشرع فيها الإسلام آخر أديان العالمين.

- يوجد أدلة علمية دامغة على شكل بقايا هياكل عظمية وجماجم لأصناف بشرية تتراوح أعمارها من آلاف السنين إلى أزيد من مليوني سنة؛ مُقَاسة بطرق علمية حديثة، تعطي نظرة على أشكالهم الحقيقة، وتؤكد أن البشر كانوا موجودين قبل آدم عليه السلام.

- إن الهياكل العظمية والجماجم المكتشفة لقدماء البشر قبل آدم عليه السلام تدلُّ أنهم كانوا أصنافا مختلفة، رُبَّما يرجعون في الأصل إلى جد مشترك قديم، لكن ينبغي الإقرار بشيء ولو كان صعب التصديق عند البعض، أنّه كلما رجعنا آلاف السنين إلى الخلف كلما هذه البقايا البشرية في العموم تزداد بدائية، وتنقص أحجام أدمغتها، وأطوال قامتها، وتزداد حجم أَفْوَاهِهَا، وتَبْرُز حواجبها، وتقترب صورها من صور القِردَة، حتى إنه يوجد منها ما هو حقيقة حلقة ما بين الإنسان والقِرْد، كجنس الأسترالوبيتاكس (AusTralopiThecus, AustralopiThèque) الذي يَعُدُّه العلماء من أشباه البشر، حيث أنّ سِعَة دماغه تقترب من سعة دماغ القِرْد (شامبنزي)، مع كون صورته تشبه صورة الإنسان، ويُحافظ على خصائص بشرية مثل المشيء على قدمين اثنين.

3. توصيات:

أنصح بالنَّظَر إلى المسائل التي تناولها هذا الكتاب بجِديَّة من قِبَل كُل واحد قَرَأَه، وبخاصة عُلَماء الأمَّة ودُعَاتها والباحثين وأهل الاختصاص، نسأل الله أن يُوَفِقَنا كُلّنا في تحمل المسؤولية أمامك يا ربّنا على كل ما اجتهدنا فيه وما علمتنا، وما وفَّقَتَنَّا لِتَعْلِيْمِه للآخرين، ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا خطأنا وتقصيرنا في هذا الكتاب وفي غيره، فإن أصبت فمن الله وإن خطأت فمني ومن الشيطان، ونسأل الله أن ينفع ويهدي بهذا البحث كل مُريدٍ للحق وكل ضال، وأن يبطل به الشبه في هذا المجال.

سُبْحَانك اللَّهُم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللَّهُم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبـراهيم إنك حميد مجيد، (وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الصافات 181-182).

فهرس المصادر والمراجع

الكُتب المقدسة:

1. القرآن الكريم

2. الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)

3. كنزاربا (الكنز العظيم) (وهو الكتاب المقدس لدين الصابئة)

4. الأفيستا " الإبتساق " (وهو الكتاب المقدس لدين الزرادشتيية)

المصادر والمراجع باللغة العربية:

5. إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش، الأحاديث المرفوعة والموقوفة في كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدَّمِيري، 1431هـ/1432هـ.

6. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1.

7. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، مسند أبي يعلى الموصلي، المحقق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، 1404ه – 1984م.

8. أبي زهرة، أحمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

9. أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1943م

10. أحمد خيري العمري، ليطمئنّ عقلي، دار عصير الكتب، ط أولى، 2019.

11. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مكتب الإعلام الإسلامي– قم–، طبعة 1405ه

12. أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، دار النهضة العربية، بيروت.

13. الألباني، ناصر الدين سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الأولى، الرياض.

14. الألباني، ناصر الدين سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، ط الأولى، الرياض المملكة العربية السعودية، 1412 هـ / 1992 م.

15. الألباني، ناصر الدين، موسوعة الألباني في العقيدة، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ط الأولى، 1431 هـ - 2010 م

16. الألباني، ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، 1405ه/1985م

17. الألباني، ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، فهرسة أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

18. اسكندر جديد وعبد المسيح، اذهبوا الى العالم أجمع.

19. الألوسي، محمد شهاب الدين، روح المعاني، المحقق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط الأولى، بيروت، 1415 هـ.

20. ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1417ه-1997م

21. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، المحقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

22. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت.

23. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح على بن حسنن – عبد العزيز. ابن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية، 1419هـ - 1999م.

24. ابن حبان، محمد، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1417 هـ.

25. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379ه.

26. ابن جرير الطبري، جامع البيان، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420ه-2000م.

27. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ط ثانية، دار التراث، بيروت، 1387ه.

28. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 92/1.

29. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984

30. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، التحرير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط الأولى، بيروت، 1422ه.

31. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، 1417ه-1997م.

32. ابن مسكويه، أحمد بن محمد، الفوز الأصغر، طبعة بيروت، 1319ه.

33. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، البداية والنهاية، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط الأولى، 1418ه-1997م

34. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، تح سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، 1420ه-1999م.

35. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414ه.

36. ابن ميمون الأندلسي، موسى، دلالة الحائرين " الله جلّ جلاله والملائكة والأنبياء في التوراة "، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

37. البيروني، أبو ريحان محمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، ط ثانية، بيروت، 1403ه، ص24.

38. الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، 1424هـ.

39. جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، ط الأولى، القاهرة.

40. حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين.

41. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1995م.

42. الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، بيروت، 1985م.

43. خليل عبد الرحمان، أفيستا، أقستا، روافد للثقافة والفنون، ط الثانية.

44. دان براون، شيفرة دافانتشي، ترجمة سمة عبد ربه، الدار العربية للعلوم، 2004م.

45. داود الجلبي الموصلي، كتاب الفنديداد أهم الكتب التي تتألف منها الأبستا، منشورات الجمل، ط الأولى، بيروت.

46. الدينوري، ابن قتيب، المعراف، تحقيق ثورة عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

47. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، العلو للعلي الغفار، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1416ه-1995م.

48. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.

49. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت –لبنان، 1419ه –1998م.

50. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، ط الثالثة، بيروت، 1420 هـ.

51. رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

52. الزيلعي، عبد الله، نصب الراية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة –السعودية، ط1، 1418ه–1997

53. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، مكتبة العبيكان، ط السادسة، الرياض، 1426ه.

54. السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن، تح عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420ه–2000م.

55. السمعاني، أبو المظفر، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418ه–1997م.

56. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان الدرر المنثور، تحقيق عبد المحسن التركي، ط أولى، مركز هجر، القاهرة، 1424ه–2003م. والدرر المنثور، دار الفكر، بيروت.

57. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، 1424ه–2004م.

58. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.

59. عبد الواحد وافي، الأسفار المقدّسة للأديان السابقة للإسلام، ط1، مكتبة نهضة مصر، 1384ه–1964م.

60. عبد الواحد وافي، عبقريات ابن خلدون، عكاظ للنشر والتوزيع، ط أولى للناشر –ط ثانية للكاتب، 1404ه–1984م.

61. العثيمين، محمد ابن صالح تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1423ه.

66. عياض بن موسى السبتي (القاضي عياض)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

67. العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

68. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط الثانية، القاهرة، 1384ه-1964ه، 1/263.

69. القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد والأخبار والعباد، دار صادر، بيروت.

70. كامل سعفان، معتقدات آسيوية، دار الندى، ط الأولى، 1419ه-1999م.

71. الكرباسي، الإسلام في الأرجنتين، بيت العلم للنابهين، ط 1، 1431ه، بيروت.

72. كنززاربا (الكنز العظيم)، الكتاب المقدس للصابئة المندانيين، شركة الدوان للطباعة، 1999م.

73. الليدي دراوور، الصابئة المندانيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط الثانية، لبنان، 2006 م.

74. ماحي أحمد، زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.

75. مجدي عبد الحافظ، فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.

76. محمد أشرف بن أمير آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه

77. محمد أنور شاه الهندي، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية.

78. محمد الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب.

79. المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة، قُم، 1409هـ.

80. مناهج جامعة المدينة العالمية، الأديان والمذاهب، جامعة المدينة.

81. المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، ط الثانية، بيروت.

82. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

83. المولى أبو الفداء، روح البيان، دار الفكر، بيروت.

84. ميخائيل مينا، علم اللاهوت، علم اللاهوت، مكتبة المحبة، ط 4، مصر، 1948م.

85. ناسا (Nasa) بالعربي، أحفورة المغرب: الإنسان العاقل أسبق ب 100.000 سنة، بتاريخ: 2017/08/23.

86. نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، أَنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005م.

87. نخبة من علماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر.

88. النووي، أبو زكريا محيي، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية، 1392 ه.

89. النيسابوري، أبو الحسن الواحدي، العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية -دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ.

90. النيسابوري، أبو الحسن الواحدي، العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم الدار الشامية -دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ.

91. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة، 1420 هـ.

92. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

93. الوادعي، مقبل بن هادي، الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، مكتبة بن تيمية، ط الأولى، القاهرة، 1416ه-1995م.

94. وائل حافظ خلف، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون وبذيلها شرحها المسمى الجوهر المكنون، دار الكتب العلمية، بيروت.

95. ول ديورنت، قصة الحضارة، دار الجيل بيروت، لبنان، والمنظمة العبية للثقافة والعلوم، تونس، 1408ه-1988م.

96. وليم مكدونلد، اسكندر جديد وعبد المسيح، أجوبة الله على اسئلة الإنسان، دار call iF hoppe، ط1، ألمانيا، 1995م.

المراجع باللغة الأجنبية:

97. AbdUL HAQUE Vidyarthy, Muhammad in Wolrld Scriptures, vol III, Din Muhammadi Press, second ediTion, Lahore – Pakistan, 1975.

98. AlFred howiTT, The naTive Tribes oF souTh-easT ausTralia, London MACMILLAN AND CO Limited, 1904.

99. Charles shoebel, MEMOIRE SUR LE MONOTHEISME PRMITIF, challamel ainé libraire de la sociéTé d'éTnographie américane eT orienTale, paris, 1860.

100. Douane, bible myth and there parrallels in other religions, The TruTh seeker CO, new york, sevenTh ediTion, 1910.

101. E.h.man, On The Aboriginal InhabiTants oF The Andaman Islands, Royal anThropological insTiTuTe oF greaTe briTain and ireland, London, 1932.

102. Frédéric Truong, L'origine MONOTHEISTE de l'ensemble des religions eT le rôle primordiale de Mohamed sceau des prophèTes.

103. George Feber, The origin oF pagan idolatry, vol 3, R.and R.gilberT, ST.jhon's Square, 1816

104. Harlez C, AvesTa livre sacré du zoroastrisme, maisonneuve eT Cie libraires-édiTeures, paris, deuxieme édiTion, 1881

105. Hérodote, Histoire d'Hérodote, TraduiT par Larcher, CharpenTier libraire- édiTeur, 1850.

106. John malcom,The hisTory oF persia, london, Johne murray, london.

107. John william draper, hisTory oF The conFlicT beTween Religion and science.

108. Jean-Noël Biraben, PopulaTion eT SociéTés n° 394, octobre 2003, L'évoluTion du nombre des hommes.

109. lange, Andrew, The making oF Religion,Longmans green and co, Third ediTion, 1909.

110. lange, Andrew, myTh ritual and Religion, The Silver Library, 1901.

111. Langloh parker, The echlayi Tribe, Archbald ConsTable and Company, London, 1905.

112. Max muller, HisTory oF ancient SanskriT literaTure, Williams and norgaTe, paris- london, 1859.

113. Pierre L.Thilaud, Pour une approche de la vieillesse en Préhistoire, HisToir des sciences médicales, Tome XLVII – N° 4 – 2013.

114. Richard G. Klein, PerspecTives, Whither the Neanderthals?, Science, Vol 299, 7 MARCH 2003.

115. SchmiT, P.Guillaume wilhelm, L'ORIGINE DE L'IDÉE DE DIEU, Librairie alphonse picard eT Fils, 1910.

116. ScienTiFic ReporT- Climate deteriorations and Neanderthal demise in interior Iberia, Neanderthal Extinction by Competitive Exclusion - William E. Banks , Francesco d'Errico, A. Townsend Peterson, Masa Kageyama, Adriana Sima, Maria-Fernanda Sánchez-Goñi Published: December 24, 2008.

117. Spiegel's- ArThur henry bleek, AvesTa – Vendidad, Three volumes, HerTFord Muncherjee Hormusjee Cama, 1864.

118. STephen en langdon, The myThology oF all races, vol 5, cooper sqare publishers, 1964

119. The desaTir or sacred wriTings oF The ancient Persian propheTs: in The original Tonge, Mulla firuz, Vol 2, courier press, bonbay, 1818.

120. William Carter, Zoroastrianism and Judaism, Richard G.badger The gorham press, 1918.

121. P.j Wisemans, new discoveries in babilonia aboouT genesis, Marshall Morgan & ScoTT LTd.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

موقع أهل القرآن:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/profile.php?main_id=555

موقع محمد ابن صالح العثيمين، فتوى: كيف علمت الملائكة أن أهل الأرض سيفسدون ؟ رابط: http://binothaimeen.net/content/8887

موقع الشيخ ابن باز رابط:

https://cutt.us/elKaI و https://binbaz.org.sa/

مقال لمحمد علي البار بعنوان: زواج الأقارب والمحارم عند الأمم، موقع الإعجاز العلمي برابط:

https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/81-Number-XXIII/731-Inbreeding-and-incest-at-the-United

المشروع العراقي للترجمة، الأصل الإسلامي لنظرية التطور:

رابط: https://www.iqtp.org/?p=14324

وأصله بالإنجليزية: Islamic Foreshadowing oF Evolution, By Paul S. BraTerman رابط:

https://muslimheritage.com/islamic-foreshadowing-of-evolution/

موقع قناة الجزيرة:

مقال لشادي عبد الحافظ، نشر على موقع قناة الجزيرة تحت عنوان: حرب الدين والجينات.. هل نظرية التطور بديل عن الخالق، رابط: https://cutt.us/qU2dC

موقع ميثولوجيكا: رابط

https://mythologica.fr/hindou/manu.htm

الموسوعة الإيرانية:

http://www.iranicaonline.org/articles/gayomart-

موقع القناة الإخبارية البريطانية bbc:

http://news.bbc.co.uk/2/hi/asia-pacific/6669569.stm

موقع المجلة العلمية الشهيرة ناتور naTure:

https://www.nature.com/articles/nature07741

https://www.nature.com/articles/325031a0?foxtrotcallba
ck=true

https://www.nature.com/articles/449291aهref10

https://www.nature.com/articles/nature17405هref1

https://www.nature.com/articles/ni.3332

موقع ساينس دايلي science daily:

https://www.sciencedaily.com/releases/2016/05/160502
131231.htm

https://www.sciencedaily.com/releases/2011/01/110111
133254.htm

https://www.sciencedaily.com/releases/2015/11/151130
130021.htm

موقع قناة الإخبارية الأمريكية abc:

https://abcnews.go.com/Technology/evidence-suggests-
biblical-great-flood-noahs-time-happened/story?id=17884533

https://abcnews.go.com/2020/video/noahs-biblical-flood-evidence-suggests-happened-18041950?fbclid=IwAR3V3Y5AbqLA8TB5IA51H87omubgbdZgqsWOGNj1hiMcQQpwZ_xvIbFF5_U

https://abcnews.go.com/Technology/meet-foot-367-million-year-human-ancestor/story?id=30062072

موقع هومينيدي hominidés:

https://www.hominides.com/html/actualites/little-foot-cerveau-composite-1319.php

https://www.hominides.com/html/dossiers/cerveau.php

https://www.hominides.com/html/ancetres/ancetres.php

موقع المجلة الشهيرة علوم وحياة science-eT-vie:

https://www.science-et-vie.com/archives/paleontologie-homo-naledi-enrichit-la-grande-famille-humaine-32471

موقع جامعة الإيمان:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?selected_article_no=1815

موقع FuTura science:

https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/paleontologie-homo-erectus-4117/

https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/paleontologie-homo-habilis-4116/

موقع جريدة لوموند الفرنسية Le monde:

https://www.lemonde.fr/paleontologie/article/2015/04/01/le-fossile-little-foot-un-pied-dans-le-berceau-de-l-humanite_4607721_1650762.html

موقع SmiThsonianmag:

https://www.smithsonianmag.com/science-nature/no-mitochondrial-eve-not-first-female-species-180959593/

https://www.smithsonianmag.com/science-nature/evidence-for-a-flood-102813115/

موقع lejournal.cnrs:

https://lejournal.cnrs.fr/articles/neandertal-le-cousin-rehabilite

موقع يونوفرساليس Universalis:

https://www.universalis.fr/encyclopedie/homo-sapiens/

https://www.universalis.fr/encyclopedie/homo-erectus/

موقع علم الآثار في الورشة Archéologies en chanTier:

http://www.archeologiesenchantier.ens.fr/spip.php?article9

http://www.archeologiesenchantier.ens.fr/spip.php?article9

حلقات مرئية للباحث الفيزيائي نضال قسوم:

شروحه المرئية للتطورية وتناوله لجوانبها الدينية العقدية والعلمية، رابط:

الجانب العقدي للنظرية:

https://www.youtube.com/watch?v=bEmth44pj6k

النظرية التطورية وأدلتها:

https://www.youtube.com/watch?v=uNDoiokVsWk

مواقع وروابط مختلفة:

https://www.metmuseum.org/toah/hd/cneo/hd_cneo.htm

https://www.kabbos.com/index.php?darck=1060

https://www.greatsciences.com/167/hl-altarykh-aldhy-ndrsh-hqyqy-am-mzwr-wmhrf-hl-alshkhsyat-walahdath-alty-ntlmha-n-alaghryq-w-alywnan-w-alrwman-walbyznt-hqyqyt

http://cutt.us/CfTCg

http://www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=405118

https://www.ancient-origins.net/human-origins-science/great-flood-scientific-evidence-00263

https://www.youtube.com/watch?v=GAR_ujRy3kk

http://acces.ens-lyon.fr/acces/thematiques/paleo/variations/paleoclimats/syntheses/datation-des-echantillons/les-techniques-de-datation-1

http://pages.ucsd.edu/~dkjordan/resources/clarifications/MitochondrialEve.html#happened

http://cutt.us/CfTCg

http://www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=405118

https://www.sciencesetavenir.fr/archeo-paleo/homo-naledi-300-000-ans-un-homme-relique-contemporain-des-premiers-homo-sapiens_112838

https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0047248418302793?via=ihub

https://www.pourlascience.fr/sd/prehistoire/little-foot-est-il-aussi-vieux-que-lucynbsp-11898.php

https://ncse.com/creationism/analysis/transitional-fossils-are-not-rare

https://www.slideshare.net/tbutle/research-project-human-evolution

https://www.si.edu/newsdesk/photos/human-origins-timeline-diversity-species

https://fr.slideshare.net/JennyWoolway/evolution-part-2-62400634

https://sites.google.com/site/scientificboardaus/home/homo-heidelbergensis

https://planet-terre.ens-lyon.fr/article/Homo-naledi.xml

https://www.albayan.ae/five-senses/2001-08-12-1.1125765

http://cutt.us.com/x7vz8ym6

http://acces.ens-lyon.fr/acces/thematiques/paleo/variations/paleoclimats/syntheses/datation-des-echantillons/les-techniques-de-datation-1

Néandertal vivait en Espagne il y a 430 000 ans PAR MICHEL DE PRACONTAL, ARTICLE PUBLIÉ LE MARDI 15 MARS 2016, https://www.mediapart.fr/ , p1.

Néandertal vivait en Espagne il y a 430 000 ans PAR MICHEL DE PRACONTAL, ARTICLE PUBLIÉ LE MARDI 15 MARS 2016. https://www.mediapart.fr/

Synchrotron Reveals Human Children Outpaced Neanderthals by Slowing Down, Press Release: December 2010 : https://heb.fas.harvard.edu/press .

الأشرطة العلمية:

Aux origines de l'humaniTé 3 Homo Sapiens – DocumenTaire diffusaiT sur la chaine A.R.T.

DocumenTaire Science grand format, L'apocalypse de Néandertal, diffusé sur France 5 le 29 novembre 2

فهرس المواضيع

العنوان **الصفحة**

كتاب لنفس المؤلف:




دار علم الحكمة